المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



أثر خلفاء بني العباس في العقيدة

رسالة للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة
أحلام بنت صالح بن عبدالله الضبيعي

بإشراف
الدكتور / محمد بن عبدالرحمن الخميس

العام الجامعي
١٤٣١هـ - ١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [3].

أما بعد...

فقد قيض الله لهذا الدين بعد وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خلفاء راشدين دافعوا عن الإسلام، وحفظوه وأقاموه خير قيام، وكانوا المثل الأعلى في إظهار الإسلام، واتباع السنة لمن جاء بعدهم من الخلفاء، فقد حاربوا البدع وقمعوها وبذلوا جهدهم في القضاء عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ونشروا الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأقاموا الشرائع ونفذوا الأحكام، ورفعوا الظلم، وعمروا الأرض بالعدل والأخلاق الإسلامية الرفيعة.

ثم جاء خلفاء بني أمية، الذين حكموا قرابة قرن من الزمان، فقد بدأت دولتهم عام (٤١هـ) وانتهت في عام (١٣٢هـ)، وقد سار من سار منهم على نهج الخلفاء الراشدين في قمع البدعة واستئصال شأفتها، ولاسيما أن رقعة البلاد المفتوحة ازدادت في عهدهم، ودخل في الإسلام من هو صادق، ومن ليس كذلك.

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣)الأحزاب: ٧٠، ٧١.

ثم بدأت دولة بني العباس—موضوع هذه الدراسة—وقد حكموا أكثر من خمسة قرون من الزمان، فقد بدأت دولتهم بسقوط الدولة الأموية، وانتهت باجتياح المغول لبلاد المسلمين عام(٦٥٦هـ)، توالى فيها على الحكم سبعة وثلاثون خليفة.

وقد كان من هؤلاء الخلفاء في مختلف العصور التي ذكرها المؤرخون من هو على مذهب أهل السنة والجماعة، وكان قويا في إقامة الدين، ونصره، ونشره وقمع البدع، ومحاربة الزنادقة والمارقين، كالمهدي، والرشيد، والمتوكل، والمعتضد، والمقتدر، والقادر، والقائم، والمستضيء، ونحوهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١) تبرز هذه الدراسة الأثر العقدي الإيجابي والسلبي لخلفاء بني العباس.
٢) إن خلفاء بني العباس كان لهم أعداء يحاولون تشويه صورهم في التاريخ، مثل: هارون الرشيد، والمتوكل، وغيرهما، لذا فإن هذه الدراسة ترد على افتراءات أعدائهم ومن حذا حذوهم.
٣) تبرز هذه الدراسة أيضا البدع التي ظهرت في عهدهم، وكيفية نشأتها وتدرجها، والظروف والأحوال التي ساعدت على نشأتها.

أهداف البحث:

١) بيان أثر الخلفاء العباسيين في نصر الإسلام والسنة، وإظهارهم لمذهب أهل السنة والجماعة، ونشرهم له، ومحاربتهم للبدع والمبتدعة، والاستفادة من مواقفهم علميا وعمليا.
٢) بيان الموقف السلبي لبعض خلفاء بني العباس تجاه مذهب أهل السنة والجماعة.

الدراسات السابقة:

لم أجد-عند استعراضي للدراسات السابقة للدولة العباسية-رسالة تخصصت في البحث عن الأثر العقدي لخلفاء بني العباس عامة، ولكن وجدت بعض الكتب والرسائل التي تعرض لبعض الخلفاء أو الأزمات أو الحركات والفرق التي نشطت أثناء الخلافة العباسية، مثل:

١) **الاعتقاد القادري دراسة وتعليق، د.عبدالعزيز آل عبداللطيف:** في هذا الكتاب عرض المؤلف نبذة موجزة عن جهود خلفاء بني العباس في إظهار الإسلام والسنة، ثم تحدث عن سيرة الخليفة القادر بالله وإظهاره للشروط العمرية، ولمذهب أهل السنة، واستتابته للمبتدعة، وجهوده تجاه الباطنية، ثم بعد ذلك عرض للاعتقاد القادري، والتحقيق في مؤلفه، ومناسبة تأليفه، ومتنه، ومزاياه، وآثاره.

٢) **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي، دار المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م:** في هذا الكتاب عرض المؤلف الاتجاهات الفكرية والمذهبية إلى عصر السلاجقة، مثل: الاتجاه الاعتزالي، والأشعري، والشيعي، والفلسفي، والصوفي، وتعرض أيضا إلى موقف الخليفة العباسي القادر من الشيعة والمعتزلة، وإلى السلاجقة واتجاههم السني، وإلى النشاط العلمي وتوجيهه إلى خدمة المذهب السني.

٣) **جهود العلماء في الحفاظ على كيان أهل السنة في العصر البويهي، خالد محمد عليان الصاعدي، ماجستير من الجامعة الإسلامية في المدينة (مطبوع):** في هذه الرسالة تعرض الباحث في الباب الأول للحياة السياسية، والاجتماعية، والمذهبية في العصر البويهي، وعلاقة العباسيين مع الفاطميين المعاصرين لهم في ظل سيطرة بني بويه، وتناول في الباب الثاني الحياة العلمية في حياة البويهيين، وفي الباب الثالث تحدث عن جهود علماء السنة في العصر البويهي، وفي الباب الأخير تناول مواقف رجال الدولة من الخلفاء، والوزراء، وسلاطين آل بويه من الأوضاع المذهبية في العصر البويهي.

٤) **جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي، د.خالد بن محمد بن عليان الصاعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ:** وهو رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحدث في الباب

الأول عن جهود الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة الدينية، ودعمهم السنة، ومحاربتهم التيارات الباطلة، وفي الباب الثاني عن جهود العلماء، ودعمهم المذهب السني، وعلاقتهم بالخلفاء والسلاطين، وآثارها في الحفاظ على السنة في ذلك العصر، وفي الباب الثالث عن جهود الولاة في إعادة السنة، والحفاظ عليها في بلاد الشام ومصر في العصر السلجوقي، إلا أنه في حديثه عن الخلفاء العباسيين لم يذكر جميع الخلفاء، بل ذكر الخلفاء المعاصرين للدولة السلجوقية فقط، وكانوا ثمانية خلفاء، بدأ بالقائم بأمر الله، وانتهى بالناصر لدين الله.

٥) **حركات الزنادقة في العصر العباسي الأول، لسميرة الليثي، ماجستير من جامعة عين شمس في مصر:** وهي مطبوعة باسم **(الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما) مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط١٩٦٨م:** تحدثت فيها الباحثة عن حركتي الزندقة والشعوبية من حيث المعنى والأهداف والطوائف والجذور، وتعرضت أيضا لدعاة الدولة العباسية ومدى شعوبيتهم، وأثر ذلك في قيام حركات الزندقة، وتطرقت أيضا إلى بعض جهود خلفاء بني العباس في العصر الأول تجاه الزندقة والشعوبية.

٦) **حركات الشيعة في العراق والحجاز في العصر العباسي الأول، لسميرة الليثي، دكتوراه من جامعة عين شمس:** وهذه الرسالة أيضا مطبوعة باسم **(جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول) دار الجيل، بيروت–لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـــ–١٩٧٨م:** تحدثت الباحثة عن ظهور الشيعة، وتطورهم، وأثرهم في إسقاط الدولة الأموية، وموقفهم من الدولة العباسية، وموقف خلفاء العصر العباسي الأول منهم، وختمت رسالتها ببيان عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور.

٧) **الحركة الباطنية: المنطلقات والأساليب، تأليف: مكي حمود خليل الزبيدي، مطبوعات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، ط١، ١٩٨٩م:** هذا الكتاب عبارة عن جزء من رسالة للمؤلف نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب/جامعة بغداد، وهي بعنوان **(التسلل الباطني في العراق في القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري)** وقد ركز المؤلف على فرقة الباطنية، وأهم عقائدها التي انطلقت منها، ومن أبرزها وأهمها فكرة المهدوية، والإمامة، والحلول والتناسخ، والتشبيه، والتأويل، والبداء،

وأصول هذه العقائد، وأصول الجماعات الباطنية، وذكر المؤلف أيضا أهم المنطلقات والمبادئ التي قام عليها مذهب الباطنية، والأساليب العملية في دعوتهم إلى مذهبهم، و لم يتعرض المؤلف لأثر خلفاء بني العباس تجاه الباطنية.

٨) **الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، تأليف: د/وفاء محمد علي، ط المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية–مصر:** في هذا الكتاب تحدث المؤلف عن سيطرة الدولة البويهية، وموقفها من الخلفاء العباسيين الذين عاصروها، وموقفهم منها بشكل مختصر، وبيّن أنهم مارسوا أنواعا من السيطرة، منها السيطرة السياسية، والعسكرية، والمذهبية، والوزارية، وتحدث أيضا عن الأحداث الدامية في بلاد الخلافة في عهدهم، وتناول أيضا الحياة العلمية في عهدهم.

٩) **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ط١:** تعرض المؤلف في هذا الكتاب للزندقة والشعوبية في التاريخ: معناهما، وأسباب ظهورهما، وماهية الزنادقة، وأهدافهم، وتحقير الشعوبية للعرب، وتمجيدها للفرس، وتناول أيضا الزندقة والشعوبية في الشعر، وقد تعرض الباحث بشكل مختصر جدا– أي ما يقارب الصفحة والنصف–لقضية محاربة الخلفاء العباسيين للزنادقة.

١٠) **العباسيون في مواجهة الأزمات، تأليف: أ.د/محمد سالم بن شديد العوفي، دار الصحوة:** يتحدث فيه الباحث عن بعض الأزمات السياسية التي واجهها العباسيون كأزمة المقاومة الأموية، وأزمة القرن الرابع الهجري، ويقصد بها أزمة الفراغ السياسي، والضعف الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك يتحدث عن قضية الخزر وعلاقتهم بالدولة العباسية، وقضايا الثغور.

١١) **الفرق الغالية في الدولة العباسية من القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس الهجري، عبدالله سلوم السامرائي، ماجستير من جامعة عين شمس:** وهذه الرسالة مطبوعة باسم **(الغلو والفرق الإسلامية في الحضارة الإسلامية) ط دار واسط للنشر:** وقد تحدث الباحث فيها عن الغلو في الفرق الإسلامية وعن مبادئ الغالين وأساليبهم وأهدافهم، و لم يتعرض لخلفاء بني العباس.

هذه هي الدراسات السابقة لهذا الموضوع، والتي باعتقادي أنها قريبة من موضوعي، وكما هو ملاحظ فإن هذه الدراسات تتناول خليفة أو خليفتين من خلفاء بني العباس، أو أنها تتناول النواحي السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الإدارية، وقد تتناول هذه الدراسات الناحية المذهبية العقدية، ولكن تناولها يهدف إلى الخروج بنتيجة سياسية، أو غير ذلك، وليس بهدف بيان موقف خلفاء بني العباس من مذهب أهل السنة إيجابا أو سلبا.

لذا؛ فإن دراستي لهذا الموضوع **(أثر خلفاء بني العباس في العقيدة)** كانت للأثر العقدي لخلفاء بني العباس، والوصول إلى نتيجة عامة شاملة عن موقف الخلفاء العباسيين تجاه مذهب أهل السنة إيجابا وسلبا.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتتضمن:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

التمهيد:

نبذة عن الخلافة العباسية والآثار الواردة فيها:

- أثر الولاية على الإسلام والمسلمين.
- نبذة عن الخلافة العباسية والعصور التي مرت بها.
- الآثار الواردة في خلافة بني العباس.

الباب الأول:

جهود خلفاء بني العباس في نصر السنة:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر خلفاء بني العباس في تعظيم السنة ولزومها:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تقديم الكتاب والسنة والتسليم لهما.

المبحث الثاني: تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته.

المبحث الثالث: لزوم السنة واتباعها.

المبحث الرابع: العناية بالسنة ونشرها.

المبحث الخامس: تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم والقيام بحقوقهم.

المبحث السادس: إكرام علماء السنة والاحتفاء بهم.

الفصل الثاني: أثر خلفاء بني العباس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثرهم في الأمر بالمعروف.

المبحث الثاني: أثرهم في النهي عن المنكر.

الباب الثاني:

أثر خلفاء بني العباس في قمع المبتدعة والزنادقة والكفار:

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أثر خلفاء بني العباس تجاه الفرق الإسلامية:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم تجاه الخوارج.

المبحث الثاني: أثرهم تجاه الشيعة الرافضة.

المبحث الثالث: أثرهم تجاه المعتزلة.

المبحث الرابع: أثرهم تجاه المرجئة.

الفصل الثاني: أثر خلفاء بني العباس تجاه الزنادقة:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهودهم تجاه الباطنية: وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: البابكية (الخرمية).

المطلب الثاني: الإسماعيلية.

المطلب الثالث: العبيديون.

المطلب الرابع: القرامطة.

المطلب الخامس: الدروز.

المطلب السادس: النصيرية.

المبحث الثاني: أثرهم تجاه الشعوبية.

المبحث الثالث: أثرهم تجاه الصوفية الاتحادية.

المبحث الرابع: أثرهم تجاه سائر الزنادقة.

الفصل الثالث: أثر خلفاء بني العباس في إقامة حكم الله على أهل الكتاب:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إقامتهم الشروط العمرية.

المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب إلى العقيدة الصحيحة.

الفصل الرابع: أثر خلفاء بني العباس تجاه سائر طوائف الكفر:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم تجاه أدعياء النبوة.

المبحث الثاني: أثرهم تجاه الراوندية.

المبحث الثالث: أثرهم تجاه المجوس.

المبحث الرابع: أثرهم تجاه عباد الأصنام.

المبحث الخامس: أثرهم ضد اليزيدية.

الفصل الخامس: أثر خلفاء بني العباس تجاه مظاهر الشرك:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصالحين.

المبحث الثاني: الاستغاثة بالأولياء والأموات.

المبحث الثالث: التبرك والتوسل والشفاعة.

المبحث الرابع: البناء على القبور والصلاة عندها والطواف حولها.

المبحث الخامس: السحر.

المبحث السادس: التنجيم.

الباب الثالث:

أثر خلفاء بني العباس في ظهور المحدثات والبدع:

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أثر بعض الخلفاء العباسيين في ظهور مذهب المعتزلة:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم في ترجمة كتب اليونان.

المبحث الثاني: أثرهم في نشر مذهب المعتزلة.

المبحث الثالث: فتنة القول بخلق القرآن، ودور بعض الخلفاء فيها.

الفصل الثاني: أثر بعض الخلفاء العباسيين في ظهور مذهب الروافض والنواصب:

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المأمون وبدعة التشيع.

المبحث الثاني: تكريم بني حمدان.

المبحث الثالث: ضعف الخليفة المستكفي أمام بني بويه ومنحه لهم الألقاب وسيطرتهم على الحكم.

المبحث الرابع: سيطرة البويهيين على الحكم في زمن الخليفة المطيع لله.

المبحث الخامس: قوة شوكة بني بويه في عهد الخليفة الطائع لله وانتشار حكمهم.

المبحث السادس: تشيع الخليفة الناصر لدين الله وقبح سيرته.

المبحث السابع: إسناد الخليفة المستعصم الأمر إلى ابن العلقمي الرافضي.

المبحث الثامن: محاربة الخليفة المعتضد للعلويين.

الفصل الثالث: أثر بعض الخلفاء العباسيين في ظهور الزندقة والمجوسية وانتشارهم:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب ظهور الزنادقة وانتشارهم في العهد العباسي أكثر من العهد الأموي.

المبحث الثاني: سبب توقف الخليفة المعتضد عن محاربة القرامطة.

المبحث الثالث: ضعف بعض الخلفاء العباسيين أمام الباطنية القرامطة.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية مقارنة بين الخلفاء الذين نصروا السنة والخلفاء الذين نصروا البدعة:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب والظروف التي ساعدت أكثر خلفاء بني العباس على نصر السنة.

المبحث الثاني: الأسباب والظروف التي حملت بعض خلفاء بني العباس إلى تأييد البدعة.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس:

وهي كما يلي:

١) فهرس الآيات.

٢) فهرس الأحاديث.

٣) فهرس تراجم الأعلام.

٤) فهرس التعريف بالفرق.

٥) فهرس الأماكن.

٦) فهرس المصادر والمراجع.

٧) فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت–بعون الله سبحانه وتعالى–في عرض الموضوع المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

فكان منهجي في هذا البحث كالآتي:

١) كان اعتمادي –بعد الله سبحانه وتعالى– في جمع المادة العلمية على كتب التاريخ الإسلامي المعتمدة المعتبرة كتاريخ الطبري، وتاريخ بغداد للبغدادي، والمنتظم لابن الجوزي، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، وغيرها، فأبدأ بأقدمها كتاريخ الطبري فإن لم أجد المعلومة فيه انتقلت للذي بعده، وهكذا.

٢) قد أذكر تاريخ الواقعة، وقد لا أذكره، وذلك على حسب ما يقتضيه الأمر.

٣) إذا وجدت المعلومة في أكثر من كتاب فإني أنقلها من أقدم مصدر ذكرت فيه، إلا إذا وجدت زيادة في مصدر متأخر عنه، أو كانت المعلومة أوضح.

٤) قد أغفل ذكر بعض الخلفاء أثناء الحديث عن موقف الخلفاء العباسيين تجاه مسألة من المسائل، وذلك لأني لم أجد لهم موقفا يذكر تجاه المسألة.

٥) رجعت لكتب السلف والمحققين من علماء أهل السنة والجماعة في حديثهم عن مواقف السلف من العلماء والخلفاء تجاه البدع وأهلها.

٦) في بداية كل مبحث أو مطلب قمت بدراسة المسألة العقدية التي أوردت فيه موقف الخلفاء العباسيين تجاهها، أو الفرقة التي بينت موقفهم منها.

٧) عزو الآيات إلى مواضعها، وجعل العزو في الهامش أسفل الصفحة.

٨) قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها، فبدأت بصحيح البخاري، فإن وجدت فيه الحديث وإلا انتقلت إلى صحيح مسلم، فإذا لم أجده في الصحيحين انتقلت إلى الكتب الأربعة على الترتيب، سنن أبي داود، ثم سنن الترمذي، ثم سنن النسائي، وأقصد بذلك (المجتبى) وإلا فإذا كان في السنن الكبرى للنسائي بينت ذلك، ثم سنن ابن ماجه، فإذا لم أجده في هذه الأربعة، انتقلت إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل، فإذا لم إذا أجده فيه انتقلت إلى باقي كتب السنة، مع الحرص على بيان درجة الحديث—ما أمكن—إذا لم يكن من الصحيحين.

٩) عند الإحالة في تخريج الحديث فإني أذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث إذا كان في الكتب الستة، أما غيرها فإني أذكر رقم الجزء والصفحة.

١٠) تخريج الآثار من مصادرها، وذكر كلام العلماء في درجتها–ما أمكن–.

١١) ضبط ما يشكل وشرح الكلمات.

١٢) التعريف بالفرق والبلدان والأماكن.

١٣) الترجمة للأعلام غير المشهورين–وإن كانت الشهرة أمرا نسبيا–، إلا أني أثناء التعريف بالأعلام غير المشهورين واجهتني إشكالات وهي أن بعض هؤلاء الأعلام لم أقف لهم على ترجمة، فذكرت ذلك في الحاشية، وبعض الأعلام لم أعرفهم في الحاشية لأن الحديث عنهم في المتن كان أساسيا، فالذي كنت سأقوله عنه في الحاشية هو مذكور أصلا في المتن وهذا يعد من التكرار الذي لا داعي له، وبعض الأعلام يكون ذكر اسمهم عابرا في البحث كبعض القواد العباسيين فهؤلاء لم أترجم لهم، وذلك لكثرة الأعلام في البحث.

وفي الختام؛ فإني مهما تكلمت في هذا الموضوع، ومهما عرضت من مواقف خلفاء بني العباس في نصر الإسلام والسنة، فإني أعترف بتقصيري، وإني لم ولن أوفي هذا الموضوع حقه، لأنه جدير بالاهتمام، وفيه رد على طوائف كثيرة اتهمت البارزين منهم باتهامات باطلة، حقدا وتشفيا وانتقاما.

ولكنْ حسبي أني بذلت فيه وسعي، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، فله وحده الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله، وأستغفر الله من هذا الخطأ، ورحم الله من رأى فيه خطأً أو خللاً فأرشدني إلى صوابه وإصلاحه.

هذا ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل، بعد شكر الله سبحانه وتعالى إلى كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على إتاحة هذه الفرصة لي لإعداد هذه الرسالة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور المشرف محمد بن عبد الرحمن الخميس على ما قدمه لي من توجيهات سديدة، وآراء قويمة، وملحوظات دقيقة، استفدت منها كثيراً في هذا البحث، وأسأل الله العظيم أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وحياته وذريته، وأن يجعلنا وإياه من العالمين العاملين لابتغاء وجهه الكريم.

وأخيراً، فإني أشكر جميع من أعانني في بحثي هذا بإشارة أو بإعارة من أساتذتي أو أستاذاتي أو زميلاتي.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزق الجميع الإخلاص في السر والعلن، وأن يحفظنا من فتنة القول والعمل، وأن يبارك في أعمالنا وأعمارنا، ويحسن لنا الختام، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... آمين.

التمهيد

نبذة عن الخلافة العباسية والآثار التي وردت فيهم

وفيه:

- أثر الولاية على الإسلام والمسلمين.
- نبذة عن الخلافة العباسية والعصور التي مرت بها.
- الآثار الواردة في خلافة بني العباس.

أثر الولاية على الإسلام والمسلمين

تعريف الولاية:

الولاية لغة: الوَلْيُ: هو القرب والدنوّ، يقال: تباعد بعد وَلْيٍ، و((كُلْ مما يليك))[1] أي مما يقاربك.[2]

فالواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قربٍ، ومن ذلك الوَلْي: القُرْب.[3]

والوَلِيُّ: ضد العدو، ومصدره الوِلاية بالكسر، وبالفتح النصرة والمحبة[4]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[6].

والوَلِيُّ فعيل بمعنى الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان.[7]

والوَلِيُّ في أسماء الله هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه عز وجل الوالي وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها.[8]

ووَلِي الأمر وتولاه وهو ولِيُّه ومولاه، وهو ولي اليتيم، وولي القتيل، وهم أولياؤه، وولي ولاية، وهو والي البلد، وهم ولاته[9]، ويقال: أوليته الشيء فوَلِيَه، وكذلك ولي الوالي البلد، وولي الرجل البيع، ولاية فيهما، وتقول: فلان وَلِيَ ووُلِّيَ عليه، كما يقال: ساس وسيس عليه، وتولى العمل أي تقلده.[10]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم الحديث (٥٣٧٦ و ٥٣٧٨).

(٢) الصحاح في اللغة، الجوهري، ٢٥٢٨/٦.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٤١/٦.

(٤) أنيس الفقهاء، القونوي، ١٤٨.

(٥) المائدة: ٥٦.

(٦) التوبة: ٧١.

(٧) التعريفات، الجرجاني، ٣٢٩.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٢٢٧/٥.

(٩) أساس البلاغة، الزمخشري، ٣٥٥/٢.

(١٠) الصحاح في اللغة، الجوهري، ٢٥٢٨/٦.

قال الغزالي:"وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع فيه ذلك لم ينطلق عليه اسم الوالي".[1]

وقال ابن السكيت[2]:"الوِلاية بالكسر السلطان".[3]

الولاية شرعاً:

أكثر العلماء والفقهاء يعرفون الولاية بأنها:"تنفيذ القول على الغير شـــاء الغير أو أبى"[4] أو"تنفيذ الحكم إلى الغير شاء أو أبى"[5].

وهذا التعريف يشمل الولاية العامة والولاية الخاصة، فالولاية الخاصة تكون في النفس والمال معاً، وفي المال فقط، أما الولاية العامة -وهي التي تعنينا في هذا البحث- فإنها تكون في الدين والدنيا والنفس والمال، وهي ولاية الإمام الأعظم ونوابه، فإنه يلي على الكافة تجهيز الجيوش، وسد الثغور، وجباية الأموال من حلها، وصرفها في محلها، وتعيين القضاة والولاة، وإقامة الحج والجماعات، وإقامة الحدود والتعازير، وقمع البغاة والمفسدين، وحماية بيضة الدين، وفصل الخصومات وقطع المنازعات، ونصب الأوصياء والمتولين ومحاسبتهم، وتزويج الصغار والصغائر الذين لا ولي لهم، وغير ذلك من صوالح الأمور[6].

وعرِّفت الولاية أيضا بأنها: سلطة شرعية لشخص في إدارة شأن ما، وتنفيذ إرادته فيه على الغير.[7]

---

(١) المقصد الأسنى، الغزالي، ١٤١.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق السكيت، أبو يوسف، إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس، تعلم ببغداد، واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول، من مؤلفاته: إصلاح المنطق، الألفاظ، الأضداد، توفي سنة(٢٤٤هـ). ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٧٩، ونزهة الألباء، ابن الأنباري، ١٣٨، والأعلام، الزركلي، ٨/١٩٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١٥/٤٠١.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ٣٢٩. وينظر: التعاريف، المناوي، ٧٣٤.

(٥) أنيس الفقهاء، القونوي، ١٤٨.

(٦) ينظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، ٣١١.

(٧) الولاية العامة للمرأة في الفقه الإسلامي، محمد طعمة القضاة، ١٢.

وقد أُخذ على هذا التعريف عبارة (تنفيذ إرادته فيه) إذ إنَّه لا يجوز له أن ينفذ إرادته، إنما ينفذ ما توصل إليه باجتهاده في تنفيذ الأحكام، أو الأنظمة التي خولته إياها السلطات.[1]

وعرِّفت الولاية أيضا بأنها: سلطة تدبير المصالح العامة للأمة، وتصريف شؤون الناس، والأمر والنهي فيهم.[2]

وبالجمع بين هذين التعريفين نكون قد اقتربنا كثيرا من تعريف ابن خلدون للخلافة حيث يقول في مقدمة تاريخه:"والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به".[3]

وبهذا يتبين أن الولاية العامة إذا أطلقت فإن المقصود بها الإمامة العظمى والخلافة، وهي مدار هذا البحث، حيث إن للولاية العامة في الإسلام أثرا كبيرا في حفظ الدين وأهله، فالوالي أو الإمام أو الخليفة له تصرف على الرعية بحفظ دينهم وحقوقهم، وهذا تطبيق لمعنى الولاية في اللغة، لذا؛ فسوف أعرض فيما يأتي بعض الآثار المهمة للولاية على الإسلام والمسلمين.

أولاً: أثر الولاية على الإسلام:

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن أقام ولاة الأمور في أرضه لحفظ دينه وتثبيت دعائمه، وإحيائه، وإقامته، بل إن وجود ولي الأمر في الأرض يدل على وجود الله سبحانه

---

(١) ينظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٠، مقال بعنوان (كتابة العدل – ولاية التوثيق) للدكتور عبدالله الحجيلي.

(٢) معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقه، نزيه حماد، ٣٥٨.

(٣) مقدمة تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ١٩١/١.

وتعالى ووحدانيته، يقول الإمام الطرطوشي[1] -رحمه الله-:"ومن الحكم التي في إقامة السلطان: إنه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه وتعالى، ومن علاماته على توحيده، لأنه كما لا يمكن استقامة أمر العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره، كذلك لا يتوهم وجوده وتدبيره وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه، وعالم أتقنه، وحكيم دبره، وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم إلهان للعالم، والعالم بأسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الأرض".[2]

وحفظ ولي الأمر للدين يكون بعدة أمور منها:

أولا: العمل بالدين وإقامة أركانه:

المقصود بالعمل بالدين هو التزام فرائضه واجتناب نواهيه بمعنى الطاعة المطلقة لله ورسوله، ودرء ما يحرف الدين ويزيله، ودور ولي الأمر في ذلك أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾.[3]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال:(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).[4]

---

(١) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، ويقال له ابن أبي رندقة، أديب، من فقهاء المالكية الحفاظ، من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة(٤٧٦هـ) فحج، وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وأقام مدة في الشام، وسكن الإسكندرية، فتولى التدريس، واستمر فيها إلى أن توفي سنة(٥٢٠هـ)، وكان زاهدا لم يتشبث من الدنيا بشيء، من مؤلفاته: سراج الملوك - التعليقة - بر الوالدين. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/٢٦٢، والأعلام، الزركلي، ٧/١٣٣.

(٢) سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، ٤٧-٤٨.

(٣) الأنفال: ٣٩.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالما جالسا، رقم الحديث (١٢٣).

يقول شيخ الإسلام:"مقصود الولايات في الإسلام أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا"[1]، ويقول أيضا:"جميع الولايات في الإسلام مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".[2]

وقال ابن حزم:"قال علي –رضي الله عنه-: الإمام إنما جعل ليقيم للناس الصلاة، ويأخذ صدقاتهم، ويقيم حدودهم، ويمضي أحكامهم، ويجاهد عدوهم".[3]

وقال الإيجي:"إنا نعلم علما يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات، والمناكحات، والجهاد، والحدود، والمقاصات، وإظهار شعار الشرع في الأعياد، والجمعات، إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشا ومعادا، وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع يرجعون إليه فيما يعن لهم".[4]

وسأعرض فيما يأتي بعض مواقف للخلفاء في حفظ الدين بإقامته والعمل به:

١) حرص أبي بكر الصديق رضي الله عنه على إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما رغم وجود اعتراضات كثيرة بعدم إنفاذ هذا الجيش لاحتياجه إليه فيما هو أهم، وكان من الذين أشاروا بعدم إنفاذ هذا الجيش عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فامتنع الصديق رضي الله عنه من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال قولته المشهورة:"والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة".[5]

وفي رواية:"والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته".[6]

---

(١) مجموع الفتاوى (قاعدة في الحسبة)، ابن تيمية، ٦١/٢٨.

(٢) المصدر السابق، ٦٦/٢٨.

(٣) المحلى، لابن حزم الأندلسي، ٤٥/١-٤٦.

(٤) المواقف، للإيجي، ٣٩٦.

(٥) البداية والنهاية، لابن كثير، ٣٣٥/٦.

(٦) المصدر السابق، ٣٣٥/٦-٣٣٦.

قال ابن كثير:"فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوما، ويقال: سبعين يوما، ثم أتوا سالمين غانمين".[١]

لذلك يقول عباس العقاد بعد ذكره لهذه القصة:"فإذا كان بقاء أسامة بالمدينة جائزا لدفع خطرٍ، فإرساله كذلك جائز لدفع خطرٍ مثله، وفازت الدولة من هذا وذاك بدرس الطاعة، وهو يومئذ ألزم الدروس".[٢]

٢) جمعه للقرآن الكريم في مصحف وهو أول من فعل ذلك لأن المسلمين أصيبوا في وقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب، والقرآن حينئذ في صدور الرجال، وفي الرقاع، والعسب، فجمعه، وسماه مصحفا، فكان عنده إلى أن توفي.[٣]

وكذلك جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن في مصحف واحد، بعدما فزع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من اختلاف الناس في القراءة، فكان هذا الأمر من أعظم مفاخر الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه.[٤]

٣) جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس على إمام واحد يصلي بهم التراويح في شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمرهم به، وجعل للناس قارئين قارئا يصلي بالرجال وقارئا يصلي بالنساء.[٥]

٤) موافقة علي بن أبي طالب على تولي الخلافة مع كراهته لذلك، ولكنه علل ذلك بقوله:"ولولا خشية على الدين لم أجبهم".[٦]

---

(١) المصدر السابق، ٦/٣٣٥.

(٢) عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، ١٠١.

(٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي، ١/٨٥-٨٦. وانظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾، رقم الحديث (٤٦٧٩).

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث (٤٧٠٢).

(٥) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ٢/٥٦٩-٥٧٠.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٣/٣٠.

٥) تثبت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتوقيه في السنة النبوية، وذلك في قـــوله:"إيّاكم وأحاديث، إلا حديثاً كان في عَهد عمر، فإنَّ عمرَ كان يُخيفُ الناسَ في الله عزَّ وجلّ". [١]

قال النووي:"ومراد معاوية النهي عن الإكثار من الأحاديث بغير تثبت، لما شاع في زمنه من التحدث عن أهل الكتاب، وما وجد في كتبهم حين فتحت بلدانهم، وأمرهم بالرجوع في الأحاديث إلى ما كان في زمن عمر رضي الله عنه لضبطه الأمر وشدته فيه، وخوف الناس من سطوته، ومنعه الناس من المسارعة إلى الأحاديث، وطلبه الشهادة على ذلك حتى استقرت الأحاديث واشتهرت السنن". [٢]

٦) أمر عمر بن عبدالعزيز رحمه الله الرعية بالالتجاء إلى الله تعالى والتصدق والاستغفار والخروج إلى المصلى عندما حصلت الزلزلة بالشام، قال جعفر بن برقان[٣]: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز:"إن هذا الرجف شيء يعاقب الله به العباد، وقد كتبت إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا، فاخرجوا، ومن أراد منكم أن يتصدق فليفعل، فإن الله عز وجل قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[٤]، وقولوا كما قال أبوكم: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥]، وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦]،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث ١٠٣٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٧/٧-١٢٨.

(٣) هو جعفر بن برقان الكلابي، مولاهم، أبو عبدالله الجزري الرقي، كان يسكن الرقة، وقدم الكوفة، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وهو من الثقات، إلا في حديث الزهري فهو ضعيف، توفي سنة(١٥٤هـــ) في خلافة أبي جعفر المنصور. ينظر: تهذيب الكمال، الحافظ المزي، ١٧/٥.

(٤) الأعلى: ١٤، ١٥.

(٥) الأعراف: ٢٣.

(٦) هود: ٤٧.

وقولوا كما قال يونس عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾[1].[2]

ثانيا: الحكم بالدين وإقامة الحدود:

ومن حفظ ولي الأمر للدين حكمه بالدين وإقامته للحدود، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾[3] فقد مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمَّماً مجلوداً فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم)).[4]

قال ابن القيم:"ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، فإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور".[5]

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٣٠٤/٥.

(٣) النساء: ١٠٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم الحديث ٢٨-١٧٠٠، ١٧٠٠.

(٥) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، ٣٨٤.

وقال الماوردي[1]:"إقامة الحدود لتصان محارم اللّه تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك".[2]

وقال محمد أبو زهرة:"لقد أجمع جمهور العلماء على أنه لا بد من إمام يقيم الجُمَع، وينظم الجماعات، وينفذ الحدود، ويجمع الثروات من الأغنياء ليردها على الفقراء، ويحمي الثغور، ويفصل بين الناس في الخصومات بالقضاة الذين يعينهم، ويوحد الكلمة، وينفذ أحكام الشرع، ويلم الشعث، ويجمع المتفرق، ويقيم المدينة الفاضلة التي حث الإسلام على إقامتها".[3]

والحكم بما أنزل الله ضرورة من ضرورات حفظ الدين، لأن المراد بحفظ هذا الدين أن يؤدي غرضه في الأرض، وأن يحكم تصرفات البشر، وأن يقضي لصاحب الحق بحقه، ويرد على صاحب الباطل باطله، والناس يعتدي بعضهم على بعض في هذه الضرورات التي لا حياة لهم بدونها، ويعتدون على دينهم، وعلى نسلهم، وعرضهم، ونسبهم، وعقلهم، ومالهم، ونفوسهم، وليس هناك مبدأ من المبادئ الموجودة في الأرض قادر على حفظ هذه الضرورات حفظاً يكفل لهم الحياة السعيدة إلا هذا الدين.[4]

---

(١) هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا، نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد سنة(٤٥٠هــ) من مؤلفاته: أدب الدنيا والدين -الأحكام السلطانية- النكت والعيون. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٥/٢٦٧-٢٨٥، والأعلام، الزركلي، ٤/٣٢٧.

(٢) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٢٢.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ٧٦.

(٤) ينظر: الإسلام وضرورات الحياة، عبدالله قادري الأهدل، ٤٠.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقام حد الزنا على ماعز[١]، والغامدية[٢]، والعسيف والمرأة[٣]، وأقام حد السرقة على المخزومية[٤]، وأقام حد الخمر على الرجل الذي كان يلقب حمارا[٥]، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾.[٦]

ومن أهم الحدود التي أمر الله بإقامتها، حد الردة، قال صلى الله عليه وسلم:((من بدل دينه فاقتلوه))[٧]، وقال أيضا لما أرسل معاذا رضي الله عنه إلى اليمن:((أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن تاب فاقبل منه، وإن لم يتب فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها، فإن تابت فاقبل منها وإن أبت فاستتبها))[٨]، وفي رواية:((فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها)).[٩]

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت، رقم الحديث (٦٨٢٤)، وكتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء، أو قبل ذلك للخصم.

(٢) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث (١٦٩٥، ١٦٩٥، ١٦٩٦).

(٣) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث (١٦٩٧/١٦٩٨).

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤، رقم الحديث (٣٤٧٥)، وكتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم الحديث (٦٧٨٨).

(٥) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، رقم الحديث(٦٧٨٠).

(٦) النساء: ١٠٥.

(٧) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم الحديث (٣٠١٧)، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة، رقم الحديث (٦٩٢٢)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾.

(٨) المعجم الكبير، الطبراني، ٥٣/٢٠، رقم الحديث، ٩٣، وحسن سنده الحافظ ابن حجر، ينظر: فتح الباري، ٢٧٢/١٢.

(٩) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٢٧٢/١٢.

قال شيخ الإسلام:"وأما المرتد فالمبيح عنده[1]الكفر بعد الإيمان، وهو نوع خاص من من الكفر فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص[2] ويمنعهم من الخروج عنه".[3]

ومن أمثلة إقامة ولي الأمر لحد الردة:

١) لما قدم معاذ بن جبل رضي الله عنه على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في اليمن، ألقى أبو موسى له وسادة وقال: انزل. وإذا رجل عنده موثق، قال معاذ: ما هذا؟ قال أبو موسى: كان يهوديا فأسلم ثم تهود، ثم قال أبو موسى: اجلس، قال معاذ: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، أعادها ثلاث مرات.[4]

٢) قام أبو بكر الصديق بمحاربة المرتدين واستباحة دمائهم وأموالهم.

٣) كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله قبل موته بسنة:"اقتلوا كل ساحر"[5]، وكان يرى رضي الله عنه حبس المرتد ثلاثة أيام، وإطعامه كل يوم رغيفا، واستتابته، فإن لم يتب فإنه يقتل.[6]

٤) كتب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عندما كان واليا على الكوفة للخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في رجال كانوا ينعشون[7]حديث مسيلمة الكذاب ويدعون ويدعون إليهم الناس، فكتب عثمان:"أن اعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله

---

(١) أي عند الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) لعل المقصود (النقض)، والله أعلم.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠٢/٢٠.

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة، رقم الحديث(٦٩٢٣)، وكتاب الأحكام، باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه، رقم الحديث (٧١٥٧).

(٥) ينظر: سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية من المجوس، رقم الحديث (٣٠٤٣)، وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني، ٢٦٠/٢.

(٦) ينظر: موطأ مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام، رقم الأثر (١٤١٤)، ومسند الشافعي، كتاب الأسارى والغلول وغيره، ص ٣٢١.

(٧) ينعشون حديث مسيلمة: أي يذكرونه ويرفعون ذكره. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٠٢/١٤.

إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن قبلها وبرئ من مسيلمة فلا تقتله، ومن لزم دين مسيلمة فاقتله"فقبلها رجال منهم فتركوا، ولزم دين مسيلمة رجال فقتلوا.[١]

٥) وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قتل الزنادقة الذين ادعوا فيه الألوهية وأحرقهم.[٢]

ثالثا: رد البدع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).[٣]

قال النووي:"وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات".[٤]

وظهور البدع له مضار على الدين نفسه، مثل خفاء كثير من أحكامه، وتشويه جماله، والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع، والثاني سبب من أسباب الإعراض عنها، وعدم احترامها، ويتجلى هذا في بدع أهل الطرق وغيرها، مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين من النفوس، وتصير هي الدين المتبع عند الناس، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة وانحرف عنها المتدينون.[٥]

لذا فقد جعل الإمام الماوردي أول واجبات الخليفة رد البدع لحفظ الدين على أصوله حيث قال:"والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء: أحدها حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أَجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع، أَو زاغ ذو شبهة عنه، أَوضح له

---

(١) ينظر: سنن البيهقي الكبرى، كتاب المرتد، باب ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقا كان أو غيره، رقم الأثر (١٦٦٢٩).

(٢) ينظر: مسند لإمام أحمد، ١/٢١٧-٢٨٢-٣٢٢. والحديث صحيح. ينظر: مسند الإمام أحمد –ط الرسالة–، ٣/٣٦٤-٣٦٥، ٤/٣٣٥-٣٣٦، ٥/١١٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم الحديث (٢٦٩٧).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/١٦.

(٥) أسباب البدع ومضارها، محمود شلتوت، ٦٥.

الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل".[(١)]

وقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على الذين سألوا أزواجه عن عبادته في السر، فلما ذكرن لهم ذلك، قال بعضهم: لا أتزوج، وقال بعضهم: أصلي ولا أنام، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)).[(٢)]

وقد قام الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم برد البدع ومحاربتها، وخير مثال لذلك:

١) ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ[(٣)] الذي كان يسأل عن متشابه القرآن، حيث ضربه بعراجين[(٤)] النخل، وأمر ألا يجالسه أحد، حتى تاب من بدعته، وقال: قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح –يقصد عمر رضي الله عنه–.[(٥)]

٢) إرسال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– عبدَالله بن عباس رضي الله عنهما لمناظرة الخوارج، فرجع منهم خلق كثير، ثم قام هو بمناظرتهم بنفسه عندما واجههم للقتال فرجع أكثرهم أيضا، ثم قام بقتال من بقي منهم.[(٦)]

٣) مناظرة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لغيلان الدمشقي لما تكلم في القدر فرجع عن ذلك[(٧)]، ثم عاد إلى بدعته في زمن هشام بن عبدالملك فناظره فلم يرجع فقتله وصلبه.[(٨)]

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٢٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٢٤١/٣و٢٨٥، والحديث صحيح، ينظر: مسند الإمام أحمد –ط الرسالة–، ١٦٩/٢١و٤٣٧.

(٣) هو صَبِيغ –بوزن عظيم– بن عسل، ويقال: ابن سهل الحنظلي. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٤٥٨/٣.

(٤) العرجون: هو العذق إذا يبس واعوج، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢٢/٩.

(٥) ينظر: مصنف عبدالرزاق، ٤٢٦/١١، وسنن الدارمي، ٦٦/١–٦٧، مسند البزار ٤٢٣/١، الإبانة الكبرى لابن بطة، ٤١٤/١–٤١٧.

(٦) ينظر: مصنف عبدالرزاق، ١٥٨/١٠، وتاريخ الطبري، ١١٠/٣–١٢٦.

(٧) ينظر: السنة لعبدالله بن أحمد، ٣٨٦/٢، والشريعة، الآجري، ٩١٩/٢–٩٢٠.

(٨) ينظر: تاريخ الطبري، ٢١٩/٤، والكامل لابن الأثير، ٤٦٦/٤.

٤) أخذ هشام بن عبدالملك الجعد بن درهم لأنه أظهر القول بخلق القرآن، ثم أرسله إلى خالد بن عبدالله القسري أمير العراق، وأمره بقتله، فقتله خالد يوم عيد الأضحى.[(١)]

رابعا: الدعوة إلى الدين والجهاد في سبيل الدفاع عنه:

ومن آثار ولي الأمر على الإسلام أنه يحفظ الدين بالدعوة إليه، فإن الدعوة إلى الله عز وجل وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومن أجلها تحملوا المتاعب، وصبروا على الأذى، وقَاتَلوا وقُتِلوا في سبيل الله عز وجل، ولا يمكن أن يتصور قيام دين وانتشاره بدون دعوة إليه، وبيانٍ لمحاسنه، وتوضيحٍ لأحكامه وآدابه، وكشف الشبهات عنه.

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.[(٢)]

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.[(٣)]

أما إن قوبلت هذه الدعوة بالرفض والجحود والإنكار، فإنه يتوجب على ولي الأمر المسلم إعلان الجهاد لحفظ هذا الدين، وإرغاما لأنوف المعاندين، وإنقاذا للمستضعفين من المؤمنين الذين يتسلط عليهم الأعداء، ويفتنونهم في دينهم إذا لم ينقذوا بالجهاد.

والجهاد يكون لأمرين:

١) جهاد لنشر الدين وتحطيم كل الحواجز التي تعيق نشره.

٢) جهاد للدفاع عن الدين وعن المسلمين المستضعفين وعن بلاد المسلمين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.[(٤)]

---

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير، ٤/٤٦٦.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) التوبة: ١٢٣.

وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.[1]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي قادة جيوشه أن يعرضوا على المدعوين الإسلام، فإن رفضوا فالجزية، فإن رفضوا فالقتال.[2]

قال الجويني:"فللدعاء إلى الدين الحق مسلكان: أحدهما: الحجة وإيضاح المحجة، والثاني: الاقتهار بغرار السيوف، وإيراد الجاحدين مناهل الحتوف".[3]

وقد ذكر الماوردي أنه من الأمور التي تلزم الإمام:"جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أَو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله".[4]

وقال السبكي:"فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، فإن الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيساً آكلاً، وشارباً مستريحاً، بل لينصر الدين، ويعلي الكلمة، فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله، ولا يؤمنون بالله ولا رسوله".[5]

وقد قام الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة والجهاد في سبيل نشر هذا الدين والدفاع عنه، ومن أمثلة ذلك:

١) ما قام به الصديق رضي الله عنه من إنفاذ جيش أسامة، وقتال المرتدين، وقتال مسيلمة وأتباعه، ثم وجه جيوشه لفتح العراق والشام.[6]

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث (٣-١٧١٣).

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم، الجويني، ١٤٤.

(٤) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٢٢.

(٥) معيد النعم ومبيد النقم، السبكي، ١٦-١٧.

(٦) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٥٩-٦٢.

٢) والفاروق رضي الله عنه غلبت الدولة الإسلامية في عهده الفرس والروم، وحررت الهلال الخصيب[(١)] ومصر، ومصرت[(٢)] الكوفة والبصرة والفسطاط، ومازالت في صعود وامتداد حتى اغتاله الغلام المجوسي.[(٣)]

٣) وذو النورين رضي الله عنه فتحت في عهده الري[(٤)]وحصون من الروم كثيرة، وسابور[(٥)] وقبرص وأرجان[(٦)]ودرابجرد[(٧)] وأفريقية.[(١)]

---

(١) الهلال الخصيب: هي المنطقة الممتدة شمالي جزيرة العرب على شكل هلال يؤلف العراق (وادي الرافدين) نصف قوسه الشرقي، وتؤلف فلسطين والأردن وسوريا ولبنان نصف قوسه الغربي، وتمتد قاعدة قوس الهلال على الحدود الشمالية لجزيرة العرب، ويُعتبَر الساميون أقدم من استوطن الهلال الخصيب. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، ٩٠/٤.

(٢) مصرت: قال الليث: المِصْر في كلام العرب كل كُورة تقام فيها الحُدود ويقسم فيها الفيءُ والصدَقاتُ من غير مؤامرة للخليفة، وقال الجوهري: فلان مَصَّرَ الأَمْصارَ كما يقال: مَدّن المدُنَ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢١/١٣.

(٣) ينظر: عصر الخلافة الراشدة، أكرم العمري، ٧٨.

(٤) الري: مدينة تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال (في بلاد إيران اليوم)، وفي المائة الرابعة للهجرة خرب أكثرها، وتحول أهلها إلى طهران القريبة منها، ينسب إليها كثير من العلماء منهم: الفخر الرازي، وسليمان بن مهران الملقب بالأعمش من كبار التابعين، وغيرهما. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، المشرف العام: الوزير الشيخ/صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، ١٨٥/١.

(٥) سابور: هي منطقة مشهورة بأرض فارس، تُنسب إلى سابور الملك لأنه هو الذي بنى مدينة سابور، وهي واسعة، وبسابور الأدهان الكثيرة، ومن دخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها، وقد نسبوا إلى سابور فارس جماعة من العلماء منهم: محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن حمدان الفقيه أبو عبدالله السابوري وغيره، وكان للمهلب وقائع بسابور مع قطري بن الفجاءة والخوارج طويلة ذكرها الشعراء، وسابور أيضا موضع بالبحرين فتح على يد العلاء بن الحضرمي في سنة(٢١هــ) في أيام عمر رضي الله عنه. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٦٧/٣-١٦٨.

(٦) أرجان: أرجان مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخيل كثير، وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية سهلة جبلية، ماؤها يسيح بينها وبين البحر، ومنطقة أرجان بعضها إلى أصبهان، وبعضها إلى إصطخر، وبعضها إلى رامهرمز، فصيرت في الإسلام منطقة واحدة من مناطق فارس. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٤٣/١. وقد خربت المدينة في المائة الثامنة للهجرة وقام مقامها مدينة بهبهان. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، ٢٧/١.

(٧) درَابجرْد: منطقة بفارس نفيسة، عمرَها دراب بن فارس، معناه دراب كرد، دراب اسم رجل، وكرد معناه عمل، فعرب بنقل الكاف إلى الجيم، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٤٦/٢.

٤) ومعاوية رضي الله عنه اتسعت الفتوحات أيام خلافته، وأرسل لحصار القسطنطينية، وفي الحديث:((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ))[٢]، ثم جدد حصارها ولمدة أربع سنوات، وغزا جُزُرَ صقلية[٣]، ورودس[٤]، وكريت[٥]، وكثيرا من جزر بحر إيجة[٦] قرب القسطنطينية، وجدد فتح أفريقية، ووصل إلى مكان تونس اليوم، كما فتح مناطق من فزّان[٧]، والسودان، وفي عهده افتتح بعض المناطق في المشرق، مثل الرُّخّج[٨]وبعض سجستان، وقوهستان[٩]، وغزا أمراؤه بلاد السِّند، وجبال الغور[١٠]، وبلاد اللان[١١]، واجتازوا النهر، وهم أول من اجتازه من جند المسلمين، ودخلوا بخارى، وسمرقند، وتِرْمِذ[١٢].[١٣]

---

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ١٢١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، رقم الحديث (٢٩٢٤).

(٣) صقلية: جزيرة كبيرة تقع في جنوبي غربي إيطاليا ويفصلها عنها مضيق (مسينا) وهي اليوم جزء من إيطاليا، ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، ١٠٨/٢.

(٤) رودس: جزيرة شرقي الأرخبيل اليوناني وهي الآن تابعة لليونان، ينظر: المرجع السابق، ٢٤/٢.

(٥) كريت: جزيرة بالبحر المتوسط من الجزر اليونانية، ينظر: المرجع السابق، ٢٦٦/٢.

(٦) بحر إيجة: بحر يمتد ما بين شبه جزيرة الأناضول وشبه جزيرة البلقان، وينتشر فيه أرخبيل اليونان. ينظر: المرجع السابق، ٨٧/١.

(٧) فزان: واحات في جنوبي ليبيا ذات نخل وثمر، وفيها آبار بترول. ينظر: المرجع السابق، ١٨٠/٢.

(٨) الرخج: من مدن أفغانستان قرب قندهار. ينظر: المرجع السابق، ١٨٩/١.

(٩) قوهستان: هذه الكلمة تعني باللغة الفارسية (إقليم الجبال)، وأهم مدنه: قرمسين (كرمنشاهــ)، وهمذان والري وأصفهان. ينظر: المرجع السابق، ٢٤٤/٢.

(١٠) غور: بضم أوله وسكون ثانيه، جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد باردة واسعة موحشة، وهي مع ذلك لا تنطوي على مدينة مشهورة، وأكبر ما فيها قلعة يقال لها: فيروز كوه، يسكن ملوكهم فيها، ومنها كان آل سام. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢١٨/٤.

(١١) اللان: ولاية في إقليم جورجيا (الخزر)، على البحر الأسود، عند سفوح جبال القفقاس (القوقاز) الغربية الجنوبية، ينظر: المرجع السابق، ٢٤٣/١.

(١٢) هذه المدن الثلاث كلها تقع في بلاد ما وراء النهر. ينظر: المرجع السابق، ٢٩٩/١و٢٧٤ – ٦٠/٢.

(١٣) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ١٥٣.

ثانيا: أثر الولاية على المسلمين:

جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ الضروريات الخمس من الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وأمرت بدرء المفاسد عنها، ولا يكون هذا إلا بوجود ولي أمر للمسلمين، ليستقيم به الدين وأهله، وقد ذكرت فيما سبق أن لولي الأمر دورا كبيرا في حفظ الدين، وهذا الأمر يؤدي إلى حفظ أهله، فيدخل المسلمون في جميع الأمور التي ذكرت في السابق، وقد ذكر العلماء زيادة عليها منها:

ما ذكره الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) في الأمور العشرة التي تلزم ولي الأمر، ومنها:

١) تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم، حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

٢) حماية البيضة (البلاد)، والذب عن الحوزة، لينصرف الناس في المعاش، وينتشروا في الأسفار آمنين.

٣) إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من الإتلاف والاستهلاك.

٤) تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بعزة ينتهكون بها محرماً، ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد.

٥) جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع، نصاً أو اجتهاداً من غير عنف.

٦) تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير ترف ولا تقصير فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

٧) أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة، أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح.[1]

(١) ينظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، ٢٢-٢٣.

أما ابن القيم فقد ذكر أمورا أخرى تجب على ولي الأمر تجاه رعيته ليحفظ لهم الضروريات الخمس، منها:

١) إحراق الكتب المضلة وإتلافها.[١]

٢) معاقبة الفساق الذين يأوي إليهم أهل الفسق والخمور.[٢]

٣) منع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق وغيرها.[٣]

٤) منع اللاعبين بالحمام على رؤوس الناس لأنهم يتوسلون بذلك إلى الإشراف عليهم والتطلع على عوراتهم.[٤]

٥) منع أصحاب الأمراض المعدية كالجذام من الاختلاط بالناس إلا في المساجد والطواف.[٥]

ومن أثر ولي الأمر على المسلمين أيضا ما ذكره الطرسوسي[٦] في (تحفة الترك) من أنه يجب على ولي الأمر النظر في أحوال الرعية، وإقامة العدل فيهم، ورد المظالم، وكف يد الظالم.[٧]

وبهذا يتبين أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الولاية من أعظم النعم على عباده لما لها من أثر عظيم في تنظيم المجتمعات، والحفاظ عليها من الفوضى والفساد والفتن التي أطاحت بكثير من المجتمعات وأسقطتها في الحضيض لعدم وجود ولي أمر مسلم يطبق حكم الله فيهم.

---

(١) ينظر: الطرق الحكمية، ابن القيم، ٣٩٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٤٠٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٤٠٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٤٠٨.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٤١٢.

(٦) هو إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين، قاض مصنف، ولد ومات في دمشق، وولي قضاءها بعد والده سنة(٧٤٦هـ) وأفتى، ودرّس، من مؤلفاته: الإشارات في ضبط المشكلات -الأعلام في مصطلح الشهود والحكام-تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، وله نظم حسن، توفي سنة(٧٥٨هـ). ينظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، ١/٤٣، والنجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ١٠/٢٥٥، والأعلام، الزركلي، ١/٥١.

(٧) ينظر: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، الطرسوسي، ٧٣ و ١٠١.

نبذة عن الخلافة العباسية والعصور التي مرت بها

أولا: نبذة عن الخلافة العباسية:

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان أول من قام بفكرة الدعوة إلى إقامة الخلافة العباسية هو محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[1] سنة(١٠٠هـ)، وقد كان يسكن بلاد الشراة من أعمال البلقاء بالشام، فأرسل دعاته في الآفاق.[2]

ثم استمر بعد ذلك إرسال الدعاة سرا إلى الآفاق حتى كان سنة(١٢٩هـ)، حيث كان الظهور الفعلي للدعوة العباسية، فخرج أبو مسلم الخراساني[3] ......

---

(١) محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أمه العالية بنت عبيدالله بن العباس، وكان بينه وبين أبيه في السن أربع عشرة سنة، وكان أشبه الناس به، ولا يفرق بينهما إلى أن خضب علي، فعرف بخضابه، وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً وخمس بنات، منهم إبراهيم الإمام وإليه أوصى، فقام بالإمامة من بعده، وعبدالله السفاح، وعبدالله المنصور، ومحمد بن علي هو أول من نطق بالدولة العباسية، وأول من دعا إليه من بني العباس وسمي بالإمام، وكوتب وأطيع، وكان ذلك في سنة(٨٩هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك، فتوفي محمد بن علي قبل تمام الدعوة سنة(١٢٥هـ)، وكان بين وفاته ووفاة أبيه سبع سنين، وبلغ من العمر ستين، وقيل: ثلاثاً وستين، وأوصى إلى ابنه إبراهيم، فسمي الإمام. ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٤٤/٧-٢٤٥.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٦/٤، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ٥٦/٧، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٢٢/٤.

(٣) هو عبدالرحمن أبو مسلم المروزي صاحب الدولة العباسية، ولد بأصبهان، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج، فحُمل إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فأمره إبراهيم بن علي بن عبدالله بن العباس لما عزم على توجيهه إلى خراسان أن يغير اسمه، فقال: قد سميت نفسي عبد الرحمن. ومضى وله ذؤابة، فركب حماراً بإكافٍ وهو ابن سبع عشرة سنة، فقال له إبراهيم بن علي: خذ نفقة من مالي، لا أريد أن تمضي بنفقة من مالك، ولا من مال عيسى. وكان شجاعاً ذا رأي وعقل وحزم، إلا أنه كان فاتكاً، قام رجل إليه وهو يخطب، فقال له: ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال أبو مسلم: حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة، وثياب الدولة، يا غلام اضرب عنقه. ومن أقواله: ارتديت الصبر، وآثرت الكتمان، وحالفت الأحزان والأشجان، وسامحت المقادير والأحكام، حتى بلغت غاية همتي، وأدركت نهاية بغيتي. قال علماء السير: ظهر أبو مسلم لخمس بقين من رمضان سنة(١٢٩هـ)، ثم سار إلى أبي العباس أمير المؤمنين سنة(١٣٦هـ) وقيل سنة(١٣٧هـ) بالمدائن، وقد قتله أبو جعفر المنصور في خلافته سنة(١٣٧هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/٨-١٨.

في خراسان[1] بأمر من الإمام إبراهيم بن محمد[2] بن علي بن عبدالله بن عباس[3] الذي قتله مروان بن محمد[4] سنة(١٣١هـ)[5] وصار الأمر من بعده إلى أخيه عبدالله بن محمد أبي العباس السفاح[6] الذي انتقل إلى الكوفة في شهر صفر من سنة (١٣٢هـ) وبويع بالخلافة يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول من نفس السنة.[7]

ولما تولى الخلافة خرج يوم الجمعة فصلى بالناس ثم قال في خطبته:"الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمه، وشرفه، وعظمه، واختاره لنا، وأيده، وجعلنا أهله، وكهفه، وحصنه، والقُوَّام به، والذابين عنه، والناصرين له، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنبتنا من شجرته، واشتقَّنا من نبعته، وأنزل بذلك كتابًا فقال فيه: ﴿ قُل لَّآ

---

(١) خراسان: كلمة فارسية معناها بلاد الشمس المشرقة (أي الشرق). هي بلاد واسعة تشكل الشمال الشرقي في إيران. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، ٤٧١/١.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، أمه أم ولد، وهو الذي يقال له الإمام، أوصى إليه أبوه، وانتشرت دعوته في خراسان كلها، وكان شيعته يختلفون إليه، ويكاتبونه من خراسان، ووجه بأبي مسلم إلى خراسان والياً على شيعته ودعاته، فتجرد أبو مسلم لمحاربة عمال بني أمية، وقوي أمره، وأظهر لبس السواد، وغلب على البلاد يدعو إلى الإمام، ويعمل بما يرد عليه من مكاتباته من غير أن يظهر للناس اسمه، إلا لمن كان من الدعاة والشيعة، إلى أن ظهر اسمه وانكشف، فعلم بالحالة مروان بن محمد، فأخذ إبراهيم فحبسه، فمات في حبسه بأرض الشام، وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وقيل: إنه هدم عليه بيتاً، وقيل: سقي لبناً فأصبح ميتاً، وذلك سنة(١٣١هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٨٩/٧-٢٩٠.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٠٩/٤، والمنتظم، ابن الجوزي، ٢٧٠/٧.

(٤) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية، الخليفة أبو عبد الملك الأموي، ويلقب بمروان الحمار ومروان الجعدي، وتلك نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وهو آخر خلفاء بني أمية، تولى الخلافة سنة(١٢٧هـ)، كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه، كان يصل السرى بالسير، ويصبر على مكاره الحرب، وقد ولي ولايات جليلة قبل الخلافة، وافتتح قونية سنة(١٠٥هـ)، وولي الجزيرة وأذربيجان سنة(١١٤هـ)، وكان مشهورا بالفروسية والإقدام والرجلة والدهاء، وفيه عسف، سار مرة حتى جاوز نهر الروم فقتل وسبى وأغار على الصقالبة، قتل سنة(١٣٢هـ). ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١هـ-١٤٠هـ)، الذهبي، ٥٣٣-٥٣٧.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٨٩/٧-٢٩٠.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٤/٤-٣٤٥، والمصدر السابق، ٢٩٧/٧.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٤/٤، والمنتظم لابن الجوزي، ٢٩٨/٧.

﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[(١)] فلما قبض الله رسولَه قام بذلك الأمر أصحابه ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)] فعدلوا وخرجوا خماصًا..."[(٣)] إلى آخر ما قاله في خطبته.

ثم بعد ذلك توالى خلفاء بني العباس على الحكم في العراق، حتى كانت سنة(٦٥٦هـ) عندما اجتاح المغول التتار العالم الإسلامي بما فيه بقايا الدولة العباسية في بغداد.[(٤)]

وسكن أبو العباس السفاح الكوفة في بداية أمره[(٥)]، ثم انتقل إلى الأنبار وتوفي فيها سنة(١٣٦هـ)[(٦)]، فلما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة بنى مدينة بغداد سنة(١٤٦هـ) وجعلها العاصمة[(٧)]، ثم لما ولي المعتصم الخلافة بنى مدينة سامراء سنة(٢٢٠هـ) واتخذها دارا للخلافة[(٨)]، ثم عادت بغداد عاصمة للعباسيين حتى دمرت سنة(٦٥٦هـ) وسقطت الخلافة العباسية في العراق وقتل المستعصم بالله آخر خلفائها في العراق.

وقد ذكر العلماء أنه أفضت الخلافة إليهم وما في الأرض أحد أكثر قارئا للقرآن، ولا أفضل عابدا وناسكا منهم بالحميمة.[(٩)]

وقد انقسمت الدولة العباسية إلى مرحلتين أساسيتين:

الأولى: وهي التي كانت في العراق، وفي بغداد بالتحديد، وقد قامت سنة(١٣٢هـ) وسقطت على أيدي المغول سنة(٦٥٦هـ).

الثانية: وهي التي كانت في مصر على أيدي أمراء المماليك، وقد قامت بعد سقوط الأولة بثلاث سنين، وسقطت سنة(٩٢٣هـ) على يد السلطان سليم الأول العثماني.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الشورى: ٣٨.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٦/٤، والمنتظم لابن الجوزي، ٢٩٩/٧.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٠٠/١٣، وتاريخ ابن خلدون، ٣٥١/٣.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٤/٤، والمنتظم لابن الجوزي، ٢٩٨/٧.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٧٤/٤.

(٧) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٦٦/١.

(٨) ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، ٦٠/٢.

(٩) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٨٧/٣٢.

وبناء على ذلك فسأعرض أسماء الخلفاء في المرحلتين ومدة حكم كل منهم:

خلفاء المرحلة الأولى في العراق: وكان عددهم سبعة وثلاثون خليفة وهم كالآتي:

م	اسم الشهرة	اسم الخليفة	فترة الحكم بالهجري
١	السفاح[(١)]	أبو العباس عبدالله السفاح	١٣٢ - ١٣٦
٢	المنصور[(٢)]	أبو جعفر عبدالله المنصور	١٣٦ — ١٥٨
٣	المهدي[(٣)]	أبو عبدالله محمد المهدي	١٥٨ — ١٦٩

---

(١) هو عبدالله أمير المؤمنين السفاح بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى بأبي العباس، ويقال: له أيضا المرتضى، والقائم، ولد بالشراة سنة(١٠٥هـ)، واستخلف وهو ابن سبع وعشرين سنة، وهو أول خلفاء بني العباس، بويع بالكوفة، وانتقل إلى الأنبار فسكنها حتى مات بها، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر، واستخلف سنة(١٣٢هـ) وتوفى سنة(١٣٦هـ) فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وتوفي وله ثلاث وثلاثون سنة، وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبدالله. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٠/٤٦-٥٢.

(٢) هو عبدالله أمير المؤمنين المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى بأبي جعفر، استخلف بعد أخيه السفاح، وكان له من السن إذ ذاك إحدى وأربعون سنة، ولد بالحميمة سنة(٩٥هـ)، وبويع له آخر سنة(١٣٦هـ)، قال علي بن ميسرة الرازي: رأيت سنة خمس وعشرين أبا جعفر المنصور بمكة...كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملوك بزي النساك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، يعرف الشرف في تواضعه، والعتق في صورته، واللب في مشيته. ومات أبو جعفر ببئر ميمون من مكة وهو محرم، فدفن مكشوف الوجه وذلك سنة(١٥٨هـ) وكان نقش خاتمه الله ثقة عبدالله وبه يؤمن، وكان عمره ثلاثا وستين سنة، وخلافته إحدى وعشرون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية أيام. ينظر: المصدر السابق، ١٠/٥٣-٦٠.

(٣) هو محمد أمير المؤمنين المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى بأبي عبدالله، ولد سنة(١٢٧هـ)، واستخلف يوم مات المنصور بمكة سنة(١٥٨هـ)، وكان جوادا ممدحا محببا إلى الرعية قصابا للزنادقة، توفي بماسبذان سنة(١٦٩هـ) وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وقيل: ابن خمس وأربعين سنة، وكان نقش خاتمه: العزة لله. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٥/٣٩١-٤٠٠، وتاريخ الإسلام(حوادث ووفيات ١٦١هـ-١٧٠هـ)، الذهبي، ٤٣٣-٤٤٥.

٤	الهادي[1]	أبو محمد موسى الهادي	١٦٩ — ١٧٠
٥	الرشيد[2]	أبو جعفر هارون الرشيد	١٧٠ — ١٩٣
٦	الأمين[3]	أبو موسى محمد الأمين	١٩٣ — ١٩٦

(١) هو موسى أمير المؤمنين الهادي بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، يكنى بأبي محمد، ولد سنة(١٤٧هـ)، بويع له بالخلافة بعد أبيه سنة(١٦٩هـ)، كان يثب على الدابة وعليه درعان، وكان المهدي يسميه: ريحانتي، وكان فصيحا قادرا على الكلام أديبا، تعلوه هيبة، وله سطوة وشهامة، توفى سنة(١٧٠هـ)، وقد بلغ من السن ثلاثا وعشرين سنة، وقيل: أربعا وعشرين، وقيل: ستا وعشرين، وكان كثير الولد، وكانت خلافته سنة وشهرا، ولم يتول الخلافة قبل الهادي بسنهِ أحد. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢١/١٣-٢٤، والمنتظم، ابن الجوزي، ٣٠٢/٨-٣٠٩، وتاريخ الإسلام(حوادث ووفيات ١٦١ه-١٧٠هـ)، الذهبي، ٤٧٨-٤٨٠.

(٢) هو هارون أمير المؤمنين الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور، يكنى بأبي جعفر، ولد سنة(١٥٠هـ)، وقيل: سنة(١٤٩هـ)، واستخلف بعد وفاة أخيه موسى الهادي، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة، وكان يحج سنة ويغزو سنة، وبويع سنة(١٧٠هـ)، وهو ابن تسع عشرة سنة، في اليوم الذي توفي فيه الهادي وولد فيه المأمون فاجتمعت له البشارة بالخلافة والولد، وكان يقال: ولد في هذه الليلة خليفة وولي خليفة ومات خليفة، وحكى بعض أصحابه أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا أن يعرض له علة، وكان يتصدق في كل يوم من صلب ماله بألف درهم، وكان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج في كل سنة ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة، وكان لا يؤخر عطاء اليوم إلى غد، وكان يحب الفقه والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعر والشعراء، ويعظم في صدره الأدب والأدباء، ومات هارون سنة(١٩٣هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٥/١٤-١٣.

(٣) هو محمد أمير المؤمنين الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور، يكنى بأبي عبدالله، ويقال: أبو موسى، ولد سنة(١٧٠هـ)، وقيل:(١٧١هـ)، سنة(١٩٣هـ) ثم خلع بعد ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما، وقيل كانت ولايته أربع سنين، فمكث مخلوعا محبوسا إلى أن قتله طاهر بن الحسين بن مصعب ببغداد سنة(١٩٨هـ)، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، وقيل: ثلاث وثلاثين سنة. ينظر: المصدر السابق، ٣٣٦/٣-٣٤٢.

٧	المأمون[1]	أبو جعفر عبدالله المأمون	١٩٨ — ٢١٨
٨	المعتصم[2]	أبو إسحاق محمد المعتصم بالله	٢١٨ — ٢٢٧
٩	الواثق[3]	أبو جعفر هارون الواثق بالله	٢٢٧ — ٢٣٢
١٠	المتوكل[4]	أبو الفضل جعفر المتوكل بالله	٢٣٢ — ٢٤٧

---

(١) هو عبدالله أمير المؤمنين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور، ويكنى بأبي العباس، وقيل: أبو جعفر، دعي له بالخلافة بخراسان في حياة أخيه الأمين، ثم قدم بغداد بعد قتله، وكان مولده سنة(١٧٠هـ)، واستخلف سنة(١٩٨هـ) وهو ابن سبع وعشرين سنة، وقد سلم عليه بالخلافة قبل ذلك ببلاد خراسان نحو سنتين، وخلع أهل خراسان وغيرهم محمد بن هارون، وبايع المأمون لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسماه الرضا، وطرح السواد، وألبس الناس الخضرة، فمات علي الرضا بسرخس، وقدم المأمون بغداد في سنة(٢٠٤هـ) وطرح الخضرة، وعاد إلى السواد، وأمر المأمون في آخر عمره أن يكون أبو إسحاق المعتصم أخوه الخليفة من بعده، وتوفي سنة(٢١٨هـ) وكان عمره سبعا وأربعين سنة، وخلافته من حين قتل محمد الأمين، عشرون سنة وخمسة أشهر واثنان وعشرون يوما. ينظر: المصدر السابق، ١٨٣/١٠-١٩١.

(٢) هو محمد أمير المؤمنين المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، يكنى بأبي إسحاق، ويقال له: الثماني، لأنه ولد سنة(١٨٠هـ) في الشهر الثامن، وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، وفتح ثمانية فتوح، وولد له ثمانية بنين، وثماني بنات، ومات وعمره ثمان وأربعون سنة، وخلافته ثماني سنين وثمانية أشهر، واستخلف سنة(٢١٨هـ)، وكان يكتب كتابا ضعيفا ويقرأ قراءة ضعيفة، ومات سنة(٢٢٧هـ). ينظر: المصدر السابق، ٣٤٢/٣-٣٤٧.

(٣) هو هارون أمير المؤمنين الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، ويكنى بأبي جعفر، ولد سنة(١٩٠هـ)، استخلف بعد أبيه المعتصم وهو ابن تسع وعشرين سنة(٢٢٧هـ)، وتوفي سنة(٢٣٢هـ)، فكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر. ينظر: تاريخ بغداد، ١٥/١٤-٢٠.

(٤) هو جعفر أمير المؤمنين المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، يكنى بأبي الفضل، ولد سنة(٢٠٧هـ)، وبويع له بالخلافة بعد الواثق سنة(٢٣٢هـ) وهو ابن ست وعشرين سنة، وقتل المتوكل سنة(٢٤٧هـ)، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام. ينظر: المصدر السابق، ١٦٥/٧-١٧٢.

١١	المنتصر[1]	أبو جعفر محمد المنتصر بالله	٢٤٧ — ٢٤٨
١٢	المستعين[2]	أبو العباس أحمد المستعين بالله	٢٤٨ — ٢٥٢
١٣	المعتز[3]	أبو عبدالله محمد المعتز بالله	٢٥٢ — ٢٥٥

(١) هو محمد أمير المؤمنين المنتصر بالله بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله، يكنى بأبي جعفر، ويقال: أبو العباس، ويقال: أبو عبدالله، ولد سنة(٢٢٢هـ)، واستخلف في صبيحة الليلة التي قتل أبوه فيها، وذلك يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة(٢٤٧هـ)، ثم توفي ليلة السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة(٢٤٨هـ) وهو ابن ست وعشرين سنة، وقيل: أربع وعشرين، وكان خلافته ستة أشهر كاملة، ونقش خاتمه محمد رسول الله، وله خاتم آخر نقشه المنتصر بالله. ينظر: المصدر السابق، ٢/١١٩-١٢١.

(٢) هو أحمد أمير المؤمنين المستعين بالله بن محمد بن محمد المعتصم بالله، يكنى بأبي العباس، وقيل: أبو عبدالله، استخلف بعد المنتصر بالله، وكان ينزل بسُرَّ من رأى، ثم ورد بغداد وأقام بها إلى أن خلع، وقد دعي ليبايع له بالخلافة فقال: أستعين الله وأفعل. فسمي المستعين، وبويع له في يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة(٢٤٨هـ)، وقدم المستعين إلى بغداد يوم الأربعاء لست من المحرم سنة(٢٥١هـ)، وبايع أهل سر من رأى المعتز فكان الحرب في صفر، وكانت مدة خلافته منذ أن ولي إلى أن خلع بسر من رأى بعد دخوله بغداد سنتين وتسعة أشهر وتسعة أيام، وقتل بالقادسية وكان عمره أربعا وعشرين سنة، وكان قيام المستعين بالخلافة إلى أن خلع وخطب للمعتز بالله بالخلافة ببغداد يوم الجمعة الرابع من المحرم سنة(٢٥٢هـ). ينظر: المصدر السابق، ٥/٨٤.

(٣) هو محمد أمير المؤمنين المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن محمد بن المعتصم بالله، يكنى بأبي عبدالله، وقيل: إن اسمه الزبير، وكان مولده سنة(٢٣٢هـ)، وقيل: (٢٣٣هـ)، وعندما خرج المستعين بالله من سُرَّ من رأى سنة(٢٥١هـ) إلى بغداد وثب أهل سُرَّ من رأى فبايعوا المعتز بالله، ونقش خاتمه محمد رسول الله، وله خاتم آخر نقشه المعتز بالله، ومكث المعتز بالله في الخلافة إلى أن خلع نفسه وسلّم الأمر للمهتدي بالله، وكانت خلافته إلى أن خلع سنة(٢٥٥هـ) أربع سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوما، ومات وهو ابن أربع وعشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرون سنة، وأظهر قبره وبقي الأمر يومين بعد قتله حتى استخلف المهتدي بالله. ينظر: تاريخ بغداد، ٢/١٢١-١٢٦.

١٤	المهتدي[1]	أبو إسحاق محمد المهتدي بالله	٢٥٥ — ٢٥٦
١٥	المعتمد[2]	أبو العباس أحمد المعتمد على الله	٢٥٦ — ٢٧٩
١٦	المعتضد[3]	أبو العباس أحمد المعتضد بالله	٢٧٩ — ٢٨٩
١٧	المكتفي[4]	أبو محمد علي المكتفي بالله	٢٨٩ — ٢٩٥

(١) هو محمد أمير المؤمنين المهتدي بالله بن هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق المعتصم بالله، يكنى بأبي إسحاق، ويقال: أبو عبدالله، تولى الخلافة يوم خلع المعتز بالله الخلافة من نفسه سنة(٢٥٥هـ)، وكان مولده سنة(٢١٨هـ) أو (٢١٩هـ)، وتوفي وله من السن سبع وثلاثون سنة، وكان المهتدي بالله من أحسن الخلفاء مذهبا، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعا، وأكثرهم عبادة، وقال أبو موسى العباسي: لم يزل المهتدى صائما منذ جلس للخلافة إلى أن قتل. وكان ذلك سنة(٢٥٦هـ)، قال عمر بن حفص السدوسي: وقعت الفتنة بسر من رأى في يوم الأحد مع الزوال وخرج المهتدي فحاربهم فجرح وصار في يد الأتراك، فمكث بقية يومه ويوم الاثنين، ثم قتل. وكانت خلافته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما، وكان عمره إحدى وأربعين سنة. ينظر: المصدر السابق، ٣/٣٤٧-٣٥١.

(٢) هو أحمد أمير المؤمنين المعتمد على الله بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد، ويكنى بأبي العباس، ولد سنة(٢٢٩هـ)، كانت البيعة للمعتمد سنة(٢٥٦هـ)، ومات سنة(٢٧٩هـ) فجأة ببغداد وحمل إلى سُرَّ من رأى فدفن فيها، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة. ينظر: المصدر السابق، ٤/٦٠-٦١.

(٣) هو أحمد أمير المؤمنين المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل على الله، يكنى بأبي العباس، ولد سنة(٢٤٣هـ)، وقيل: (٢٤٢هـ)، واستخلف أبو العباس المعتضد بالله في اليوم الذي مات فيه المعتمد على الله سنة(٢٧٩هـ) وله إذ ذاك سبع وثلاثون سنة، وكان موته سنة(٢٨٩هـ) وله من السن خمس وأربعون سنة وعشرة أشهر، فكانت ولايته تسع سنين وتسعة أشهر. ينظر: المصدر السابق، ٤/٤٠٣-٤٠٦.

(٤) هو علي أمير المؤمنين المكتفي بالله بن أحمد المعتضد بالله، يكنى بأبي محمد، ولد سنة(٢٦٤هـ)، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة(٢٨٩هـ)، وليس في الخلفاء من اسمه علي غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه والمكتفي، وتوفي سنة(٢٩٥هـ) وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر، فكانت خلافته ست سنين وستة أشهر. ينظر: تاريخ بغداد، ١١/٣١٦.

١٨	المقتدر[١]	أبو الفضل جعفر المقتدر بالله	٢٩٥ — ٣٢٠
١٩	القاهر[٢]	أبو المنصور محمد القاهر بالله	٣٢٠ — ٣٢٢
٢٠	الراضي[٣]	أبو العباس أحمد الراضي بالله	٣٢٢ — ٣٢٩
٢١	المتقي[٤]	أبو إسحاق إبراهيم المتقي لله	٣٢٩ — ٣٣٣

(١) هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله، يكنى بأبي الفضل، استخلف بعد أخيه المكتفي سنة(٢٩٥هـ)، بويع له وهو ابن ثلاث عشرة سنة ونحو من شهرين، وكان مولده سنة(٢٨٢هـ) ولم يل الأمر قبله أحد أصغر منه سنا، وقتل سنة(٣٢٠هـ) وسنه ثمان وثلاثون سنة وشهر، فكانت خلافته منذ يوم بويع له بالخلافة إلى يوم قتل أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا، وقد خلع من خلافته مرتين وأعيد، وكان جيد العقل صحيح الرأي، ولكنه كان مؤثرا للشهوات. ينظر: المصدر السابق، ٧/٢١٣-٢١٨.

(٢) هو محمد أمير المؤمنين القاهر بالله بن أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل على الله، يكنى بأبي منصور، ولد سنة(٢٨٧هـ)، واستخلف سنة(٣٢٠هـ)، ونقش على سكة العين والورق"محمد رسول الله القاهر بالله المنتقم من أعداء الله لدين الله"، وخلع سنة(٣٢٢هـ) وسملت عيناه حتى سالتا جميعا، فعمي وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع بمثله في الإسلام، فكانت خلافته سنة وستة أشهر وسبعة أيام، ثم لم يزل محبوسا مرة ومخلى مرة في حال نقص إلى أن توفي سنة(٣٣٩هـ) وسنه اثنتان وخمسون سنة. ينظر: المصدر السابق، ١/٣٣٩-٣٤٠.

(٣) هو محمد أمير المؤمنين الراضي بالله بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله، يكنى بأبي العباس، ولد سنة(٢٩٧هـ)، استخلف بعد عمه أبي منصور الملقب بالقاهر سنة(٣٢٢هـ)، وتوفي سنة(٣٢٩هـ) وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر، قال الشيخ أبو بكر:"كان للراضي فضائل كثيرة وختم الخلفاء في أمور عدة فمنها: أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه وأموره كل ذلك يجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء". ينظر: المصدر السابق، ٢/١٤٢-١٤٤.

(٤) هو إبراهيم أمير المؤمنين المتقي لله بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله، يكنى بأبي إسحاق، ولي الخلافة بعد أخيه الراضي بالله، ولد سنة(٢٩٧هـ)، واستخلف سنة(٣٢٩هـ)، وخلع سنة(٣٣٣هـ) وسملت عيناه فذهبتا، فكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا، وكانت سنه يوم خلع خمسا وثلاثين سنة وأشهرا، وكان وفيه صلاح وكثرة صيام وصلاة، وكان لا يشرب النبيذ، وقيل: إنه لم يشربه قط، وكان فيه كف عن كثير مما كان من تقدمه يرتكبه، وكان فيه وفاء وقناعة، وعاش بعد أن خلع من الخلافة أربعا وعشرين سنة، وتوفي سنة(٣٥٧هـ) وكان عمره ستين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، ٦/٥١.

٢٢	المستكفي[(١)]	أبو القاسم عبدالله المستكفي بالله	٣٣٣ – ٣٣٤
٢٣	المطيع[(٢)]	أبو القاسم الفضل المطيع لله	٣٣٤ – ٣٦٣
٢٤	الطائع[(٣)]	أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله	٣٦٣ – ٣٨١
٢٥	القادر[(٤)]	أبو العباس أحمد القادر بأمر الله	٣٨١ – ٤٢٢

(١) هو عبدالله أمير المؤمنين المستكفي بالله بن علي المكتفي بالله بن أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق، يكنى بأبي القاسم، ولد سنة(٢٩٢هـ)، استخلف بعد المتقي لله سنة(٣٣٣هـ) فكانت سنه وقت استخلف إحدى وأربعين سنة، وقيل: اثنتان وأربعون، ولم يل الخلافة بعد المنصور أسن منه، وهو في سن المنصور وقت ولي، هذا قبل المستكفي، فأما بعده فقد ولي الطائع وسنه سبع وأربعون، وولي القادر بالله وسنه خمس وأربعون، وتسمى في خلافته بإمام الحق، فكان يخطب له بلقبين إمام الحق المستكفي بالله أمير المؤمنين، وقبض عليه سنة(٣٣٤هـ) وخلع نفسه من الخلافة، وسملت عيناه في يوم خلعه، وحبس بعد ذلك، ولم يزل محبوسا إلى أن توفي سنة(٣٣٨هـ) وكانت سنه وقت وفاته ستا وأربعين سنة. ينظر: المصدر السابق، ١٠/١٠.

(٢) هو الفضل أمير المؤمنين المطيع لله بن جعفر بن المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق، ويكنى بأبي القاسم، واستخلف بعد المستكفي سنة(٣٣٤هـ)، وسنه يومئذ ثلاث وثلاثون سنة، لأن مولده كان سنة(٣٠١هـ)، وخلع المطيع نفسه غير مستكره فيما صح سنة(٣٦٣هـ)، فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة اشهر، وولي ابنه الأكبر المكنى أبا بكر واسمه عبد الكريم الطائع لله، وخرج الطائع لله إلى واسط وحمل معه أباه فمات في المعسكر سنة(٣٦٤هـ) ورده إلى بغداد ودفن في الرصافة في تربته، وكانت وفاته عن ثلاث وستين سنة. ينظر: المصدر السابق، ٣٧٩/١٢.

(٣) هو عبد الكريم أمير المؤمنين الطائع لله بن الفضل المطيع لله بن جعفر بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله، يكنى بأبي بكر، وكان مولده في سنة(٣١٧هـ)، واستخلف سنة(٣٦٣هـ)، وكانت سنه يوم ولي ثمان وأربعين سنة، وقبض عليه سنة(٣٨١هـ)، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر، وتوفي سنة(٣٩٣هـ) وصلى عليه القادر بالله. ينظر: المصدر السابق، ٧٩/١١.

(٤) هو أحمد أمير المؤمنين القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله، يكنى بأبي العباس، ولد سنة(٣٣٦هـ)، وبويع له بالخلافة بعد أن قُبض على الطائع سنة(٣٨١هـ)، وكان من الستر والديانة وإدامة التهجد بالليل، وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عنه وعرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، وتوفي سنة(٤٢٢هـ) فكان مبلغ عمره ستا وثمانين سنة وعشرة أشهر، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، ولم يبلغ هذا القدر في الخلافة غيره. ينظر: تاريخ بغداد، ٣٧/٤.

٢٦	القائم[١]	أبو جعفر عبدالله القائم بأمر الله	٤٢٢ — ٤٦٧
٢٧	المقتدي[٢]	أبو القاسم عبدالله المقتدي بأمر الله	٤٦٧ — ٤٨٧
٢٨	المستظهر[٣]	أبو العباس أحمد المستظهر بالله	٤٨٧ — ٥١٢
٢٩	المسترشد[٤]	أبو منصور الفضل المسترشد بالله	٥١٢ - ٥٢٩
٣٠	الراشد[٥]	أبو جعفر المنصور الراشد بالله	٥٢٩ — ٥٣٠

(١) هو عبدالله أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر بالله، يكنى بأبي جعفر، ولد سنة(٣٩١هـ)، وبويع بالخلافة سنة(٤٢٢هـ)، وكانت سنه يوم ولي إحدى وثلاثين سنة، وكان القادر بالله جعله ولي عهده من بعده، ولقبه القائم بأمر الله، وخطب له بذلك في حياته، ولم يزل أمر القائم بالله مستقيما إلى أن قبض عليه وحبس وذلك سنة(٤٥٠هـ)، وكان السبب في ذلك أرسلان التركي المعروف بالبساسيري، وفي سنة(٤٥١هـ) تخلص الخليفة من محبسه وعاد للخلافة، وتوفي سنة(٤٦٧هـ)، وكان عمره أربعاً وسبعين سنة وثمانية أشهر، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر. ينظر: المصدر السابق، ٣٩٩/٩-٤٠٣، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٦٨/١٦.

(٢) هو عبدالله أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله، ويكنى: بأبي القاسم، ولد سنة(٤٤٨هـ)، وتولى الخلافة سنة(٤٦٧هـ)، وكان له همة عالية وشجاعة وهيبة، وفي زمانه قامت حشمة الدولة، توفي فجأة سنة(٤٨٧هـ)، وكان عمره ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر. ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦٤/١٦ و ١٤/١٧.

(٣) هو أحمد أمير المؤمنين المستظهر بالله بن المقتدي بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله، ويكنى: بأبي العباس، وبويع سنة(٤٨٧هـ) وهو ابن ست عشرة سنة وشهرين، وكان كريم الأخلاق، لين الجانب، سخي النفس، مؤثراً للإحسان، حافظاً للقرآن، محبا للعلم، منكراً للظلم، فصيح اللسان، له شعر مستحسن، وتوفي سنة(٥١٢هـ) وكانت مدة عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر. ينظر: المصدر السابق، ١٢/١٧و١٦٥.

(٤) هو الفضل أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله بن المقتدي بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد، ويكنى بأبي منصور، ولد سنة(٤٨٤هـ)، وقيل: (٤٨٥هـ)، وقيل: (٤٨٦هـ)، سمع الحديث، وكانت بيعته سنة(٥١٢هـ)، كان له همة عالية وشجاعة وإقدام، وكان يباشر الحروب، وقد قتلته الباطنية سنة(٥٢٩هـ)، وكان عمره خمسا وأربعين سنة وشهوراً، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر. ينظر: المنتظم، ١٦١/١٧و٣٠٤.

(٥) هو المنصور أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد بالله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله، ويكنى بأبي جعفر، عهد إليه أبوه، وقيل: إنه هم بخلعه فلم يقدر على ذلك، فبويع سنة(٥٢٩هـ)، ونودي في الناس أن لا يظلم أحد =

٣١	المقتفي[1]	أبو عبدالله المقتفي لأمر الله	٥٣٠ — ٥٥٥
٣٢	المستنجد[2]	أبو المظفر يوسف المستنجد بالله	٥٥٥ — ٥٦٦
٣٣	المستضيء[3]	أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله	٥٦٦ — ٥٧٥
٣٤	الناصر[4]	أبو العباس أحمد الناصر لدين الله	٥٧٥ — ٦٢٢

أحداً، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كانت له مظلمة فليشكها إلى الديوان النبوي، وفتح باب المخزن الذي سد، وسكن الناس، ولما استخلف بعد أبيه قصد السلطانُ مسعودٌ بغداد، فخرج الراشد إلى ناحية الموصل فخُلع وولي المقتفي وكان ذلك سنة(٥٣٠هـ)، ثم خرج الراشد من الموصل إلى بلاد أذربيجان، ثم مضى إلى أصفهان، ثم مرض مرضاً شديداً، وفي سبب موته ثلاثة أقوال، أحدها: أنه سقي السم ثلاث مرات، والثاني: أنه قتله قوم من الفراشين الذين كانوا في خدمته، والثالث: أنه قتله الباطنية وقتلوا بعده. وكان موته سنة(٥٣٢هـ). ينظر: المصدر السابق، ١٧/٣٠٠و٣١٢و٣٣٢.

(١) هو محمد أمير المؤمنين المقتفي بالله بن المستظهر باللّه بن المقتدي بأمر الله، ويكنى بأبي عبداللّه، ولد المقتفي سنة(٤٨٩هـ)، وبويع سنة(٥٣٠هـ)، وقد رأى المقتفي في منامه قبل أن يلي بستة أيام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي. فتلقب المقتفي لأمر اللّه، توفي المقتفي سنة(٥٥٥هـ) عن ست وستين سنة، وولي الخلافة أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر. ينظر: المصدر السابق، ٣١٣/١٧ و ١٣٨/١٨.

(٢) هو يوسف أمير المؤمنين المستنجد بالله بن المقتفي بالله بن المستظهر باللّه بن المقتدي بأمر الله، يكنى بأبي المظفر، ولد سنة(٥١٨هـ)، وبويع بعد موت أبيه المقتفي سنة(٥٥٥هـ)، وقيل: أنه أريد به سوءا ليولى غيره، فدفع عنه، فبايعه أهله وأقاربه، وقال المستنجد بالله: رأيت رسول الله في المنام منذ خمس عشرة سنة، فقال لي: يبقى أثرك في الخلافة خمس عشرة سنة. وقال أيضا: ورأيته صلى الله عليه وسلم في المنام قبل موت أبي بأربعة أشهر، فدخل بي إلى باب كبير، ثم ارتقى إلى رأس جبل، وصلى بي ركعتين، وألبسني قميصاً، ثم قال لي: قل اللهم اهدني فيمن هديت...، وذكر دعاء القنوت، توفي سنة(٥٦٦هـ) وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً. ينظر: المصدر السابق، ١٣٩/١٨، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٨/١٠.

(٣) هو الحسن أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله بن يوسف المستنجد بالله بن المقتفي بالله بن المستظهر باللّه، يكنى بأبي محمد، ولد سنة(٥٣٦هـ)، بويع سنة(٥٦٦هـ)، وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية، كثير البذل للأموال، غير مبالغ في ما جرت العادة في أخذه، وكان الناس معه في أمن عام، وإحسان شامل، وطمأنينة وسكون لم يروا مثله، وكان حليماً قليل المعاقبة على الذنوب، محباً للعفو والصفح عن المذنبين، فعاش حميداً، ومات سعيداً سنة(٥٧٥هـ)، وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩٧/١٠.

(٤) هو أحمد أمير المؤمنين الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله، يكنى بأبي العباس، بويع سنة(٥٧٥هـ)، وكان في آبائه أربع عشرة خليفة، وكانت خلافته ستاً وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، وكان =

٣٥	الظاهر[(١)]	أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله	٦٢٢ — ٦٢٣
٣٦	المستنصر[(٢)]	أبو جعفر المنصور المستنصر بالله	٦٢٣ — ٦٤٠
٣٧	المستعصم[(٣)]	أبو أحمد عبدالله المستعصم بالله	٦٤٠ — ٦٥٦

عمره نحو سبعين سنة تقريباً، فلم يل الخلافة أطول مدة منه إلا ما قيل عن المستنصر بالله العلوي، صاحب مصر، فإنه ولي ستين سنة، ولا اعتبار به، فإنه ولي وله سبع سنين فلا تصح ولايته، وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً، ومات سنة(٦٢٢هـــ). ينظر: المصدر السابق، ٤٥١/١٠-٤٥٢.

(١) هو محمد أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله، يكنى بأبي نصر، بويع سنة(٦٢٢هـــ)، فكان نعم الخليفة، جمع الخشوع مع الخضوع لربه، والعدل والإحسان إلى رعيته، وقد جدد من العدل ما كان دارساً، وأذكر من الإحسان ما كان منسياً، وتوفي سنة(٦٢٣هـــ) فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً. ينظر: المصدر السابق، ٤٦٤/١٠-٤٦٥.

(٢) هو المنصور أمير المؤمنين المستنصر بالله بن محمد الظاهر بأمر الله بن أحمد الناصر لدين الله، يكنى بأبي جعفر، ولد سنة(٥٨٨هـــ) وبويع سنة(٦٢٣هـــ) فنشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام، وحفظ الثغور، وافتتح الحصون، وهو باني المدرسة المستنصرية في بغداد، توفي سنة(٦٤٠هـــ) عن إحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر، وكانت خلافته حوالي سبع عشرة سنة. ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام ٦٣١ه-٦٤٠هـــ) الذهبي، ٤٥٢-٤٥٦.

(٣) هو عبدالله أمير المؤمنين المستعصم بالله الشّهيد بن المنصور المستنصر بالله بن محمد الظّاهر بأمر الله، آخر الخلفاء العباسيين حتى سقوط بغداد، يكنى بأبي أحمد، ولده سنة(٦٠٩هـــ) وبُويع بالخلافة سنة(٦٤٠هـــ)، وكان مليح الخطّ، قرأ القرآن على الشّيخ عليّ ابن النّيّار الشّافعيّ، كان كريماً حليماً، سليم البطن، حسن الدّيانة، قال الشّيخ قطْب الدّين: كان متديّناً متمسكاً بالسُّنَّة كأبيه وجدّه، ولكنّه لم يكن على ما كان عليه أبوه وجدّه النّاصر من التّيقُّظ والحزْم وعُلُوّ الهمّة، قتل سنة(٦٥٦هـــ) وقد بلغ ستّاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، وكان بقتله سقوط دولة العباسيين في بغداد. ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام ٦٥١ه-٦٦٠هـــ) الذهبي، ٢٥٨-٢٦٢.

ثانيا: العصور التي مرت بها الخلافة العباسية:

قسم المؤرخون الحقبة الزمنية التي عاشتها الخلافة العباسية تقسيمات عدة، وكلها ترجع إلى اعتبار واحد وهو مدى سيطرة الخلفاء العباسيين على الحكم أو سيطرة غيرهم عليه.

لذا فقد قسمها بعض المؤرخين إلى عصرين رئيسيين هما:

العصر العباسي الأول: ويبدأ بقيام الخلافة العباسية سنة(١٣٢هـ)، وينتهي بنهاية عهد الواثق سنة(٢٣٢هـ).

العصر العباسي الثاني: ويبدأ بخلافة المتوكل سنة(٢٣٢هـ)، حتى سقوط بغداد سنة(٦٥٦هـ).[١]

وهذا التقسيم يقوم على أساسين:

الأول: مدى قوة الخلافة.

الثاني: مدى احتفاظها بوحدة أراضيها وبسلطانها عليها.[٢]

والعصر الثاني وهو عصر الضعف وسيطرة الأجناس الأخرى على الحكم قسمه المؤرخون إلى ثلاث فترات بحسب جنسية الأفراد الذين سيطروا، فكان كالآتي:

الفترة الأولى: فترة نفوذ الأتراك وإمرة الأمراء، وهي من سنة(٢٣٢هـ) إلى سنة(٣٣٤هـ) وتعرف بعصر النفوذ التركي الأول.

الفترة الثانية: فترة سيطرة البويهيين، وهي من سنة(٣٣٤هـ) إلى سنة(٤٤٧هـ)، وتعرف بعصر النفوذ الفارسي الثاني.

الفترة الثالثة: فترة الأتراك السلاجقة والأتابكة، وهي من سنة(٤٤٧هـ) إلى سنة(٦٥٦هـ)، وتعرف بعصر النفوذ التركي الثاني.[٣]

ويرى بعض الباحثين أن الفترة الثالثة من العصر الثاني تنتهي سنة(٥٩٠هـ)، وتبقى فترة أخرى مهمة يجب أن تلحق بالعصرين السابقين، وهي التي تبدأ من سنة(٥٩٠هـ) إلى

---

(١) الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين، حسين محمد سليمان، ٧.

(٢) المرجع السابق، ٧.

(٣) المرجع السابق، ٢٥-٢٦.

سنة(٦٥٦هـ)، وهي فترة استعادة الخلفاء العباسيين لسلطتهم، وهي فترة غفل عنها كثير من المؤرخين ودمجوها مع فترة سيطرة السلاجقة، لأن السلاجقة سقطت دولتهم سنة(٥٩٠) من الهجرة.[١]

هذا بالنسبة للمؤرخين الذين قسموا العصور العباسية إلى عصرين رئيسيين.

وبعض المؤرخين قسموا الخلافة العباسية إلى ثلاثة عصور، وهي كالآتي:

العصر الأول: (١٣٢-٢٣٢هـ) وكانت السلطة خلاله في أيدي الخلفاء.

العصر الثاني: (٢٣٢-٥٩٠هـ) وقد ضاعت السلطة خلاله من أيدي الخلفاء.

العصر الثالث: (٥٩٠-٦٥٦هـ) عادت فيها السلطة إلى أيدي الخلفاء ولكن في بغداد وما حولها أي في منطقة صغيرة من العالم الإسلامي.[٢]

وهؤلاء المؤرخون الذين قسموا الخلافة العباسية إلى ثلاثة أقسام اختلفوا أيضا في تحديد السنوات، فبعضهم يرى أن العصر الثاني ينتهي في سنة(٣٣٣هـ) ثم يبدأ العصر الذي بعده في نفس السنة إلى سقوط الخلافة العباسية.[٣]

بقي فريق ثالث من المؤرخين الذين يرون تقسيم الخلافة العباسية إلى أربعة عصور، وهم أيضا ينظرون إلى مسألة السلطة والسيطرة على الحكم فكان تقسيمهم كالآتي:

العصر العباسي الأول: دور النفوذ الفارسي (١٣٢-٢٣٢هـ).

العصر العباسي الثاني: دور النفوذ التركي (٢٣٢-٣٣٤هـ).

العصر العباسي الثالث: دور النفوذ البويهي الفارسي (٣٣٤-٤٤٧هـ).

العصر العباسي الرابع: دور النفوذ السلجوقي التركي (٤٤٧-٦٥٦هـ).[٤]

وبهذا نخلص إلى أن جميع المؤرخين يرون أن الحقبة الزمنية التي عاشتها الخلافة العباسية قد انقسمت إلى عصور متفاوتة في سيطرة الخلفاء العباسيين على الحكم، ومع ذلك

---

(١) ينظر: تاريخ العصر العباسي، أمينة البيطار، ٥٧، والذي رأيته أن الباحثة قسمت العصور العباسية إلى خمسة عصور.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ٢١/٣.

(٣) ينظر: جدولة العصور التاريخية للدول الإسلامية، فؤاد علي جبر، ٢٤-٢٦.

(٤) التاريخ العباسي السياسي والحضاري، إبراهيم أيوب، ٢٦-٢٧، وينظر: الخلافة والدولة في العصر العباسي، محمد حلمي محمد أحمد، ٢٣٣-٢٣٦.

لم تسقط الدولة العباسية إلا بسبب الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي، وبقيت لها هيبتها ومكانتها طوال خمسة القرون التي حكمتها.

ولكن لا أحد يستطيع النفي بأن العصر العباسي الأول كان أقوى العصور، يقول الذهبي في ذلك:"وخلفاء هذا الزمان أبو جعفر المنصور، وأين مثل أبي جعفر على ظلم فيه في شجاعته، وحزمه، وكمال عقله، وفهمه، وعلمه، ومشاركته في الأدب، ووفور هيبته، ثم ابنه المهدي في سخائه، وكثرة محاسنه، وتتبعه لاستئصال الزنادقة، وولده الرشيد هارون في جهاده، وحجه وعظمة سلطانه على لعب ولهو، ولكن كان معظما لحرمات الدين، قوي المشاركة في العلم، نبيل الرأي، محبا للسنن".[1]

خلفاء المرحلة الثانية في مصر:

بعد مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة(٦٥٦هـــ)، خلت البلاد الإسلامية من الخلافة، فقام السلطان الظاهر بيبرس[2] سلطان المماليك في مصر بإعلان قيام الخلافة العباسية مرة ثانية في البلاد المصرية، ومبايعة أول خلفائها بالخلافة، وقد وصل إلى مصر أحمد بن الظاهر العباسي في صحبة جماعة من الأمراء الأعراب في ثامن رجب سنة(٦٥٩هــــ)، فخرج السلطان الظاهر بيبرس ومعه أعيان دولته، فتلقوه قبل دخوله القاهرة، فلما كان يوم الاثنين

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ٢٤٤/١.

(٢) هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، صاحب مصر والشام، ولد في حدود سنة(٦٢٠هـــ)، اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري الصالحي فطلع بطلا شجاعا نجيبا لا ينبغي أن يكون إلا عند ملك، فأخذه الملك الصالح إليه وصار من جملة البحرية، وشهد وقعة المنصورة بدمياط، وصار أميرا في الدولة المعزية، وتقلبت به الأمور وجرت له أحوال، واشتهر بالشجاعة والإقدام، وبعد صيته، ولما سارت الجيوش المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الإسلام، وجلس على سرير الملك بعد قتل المظفر قطز قائد معركة عين جالوت، وذلك سنة(٦٥٨هـــ) وكان أستاذه البندقدار من بعض أمرائه، وكان غازيا، مجاهدا، مرابطا، خليقا للملك، لولا ما كان فيه من الظلم، والله يرحمه ويغفر له ويسامحه، فإن له أياما بيضاء في الإسلام، ومواقف مشهودة، وفتوحات معدودة، توفي سنة(٦٧٦هـــ). ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام ٦٧١هـ-٦٨٠هـــ) الذهبي، ٢١٦-٢١٩.

الثالث عشر من رجب جلس السلطان والخليفة بحضور الوزير، والقاضي والأمراء على طبقاتهم، وأثبت نسب الخليفة بأنه أخو المستنصر، وعم المستعصم، فبويع بالخلافة بمصر.[1]

وبعد إعلان قيام الخلافة العباسية في الديار المصرية تعاقب خلفاء بني العباس على الخلافة، وهم:

١) المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد[2]، (٦٥٩هـ-٦٦٠هـ).

٢) الحاكم بأمر الله -الأول- أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر [3]، (٦٦١هـ-٧٠١هـ).

٣) المستكفي بالله -الأول- أبو الربيع سليمان بن أحمد بن الحسن بن أبي بكر [4]، (٧٠١هـ-٧٣٦هـ).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٢٩/١٣-٢٣٢، وشذرات الذهب، ابن العماد، ٥١٣/٧-٥١٤.

(٢) هو أحمد أمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بالله، الهاشميّ، العبّاسي، البغداديّ، الأسود، يكنى بأبي القاسم، ولي الخلافة بمصر بعد مقتل ابن أخيه المستعصم بالله ابن المستنصر بالله منصور بثلاث سنين، خلا الوقت فيها من خليفة، فجمع له الناس من الأمراء والعلماء والتجار، وأثبت نسبه عند قاضي القضاة في ذلك المجلس، فلما ثبت بايعه الناس، وبدأ بالبيعة السلطان الملك الظاهر بيبرس، ثم الكبار على مراتبه، ونقش باسمه على السكة، وخطب له، ولقب بلقب أخيه، وفرح الناس، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وعليه السواد وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس، ودعا فيها للسلطان وللمسلمين، ثم صلى بالناس، وكان شديد السمرة، جسيماً، عالي الهمة، شجاعاً، ثم عزم على التوجه إلى العراق، فجهز له السلطان بيبرس جيشا، وساروا إلى العراق، فالتقى مع التتار، فقتل بعد أن قتل ثلاثة، وذلك سنة(٦٦٠هـ). ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام ٦٥١ه-٦٦٠هـ) الذهبي، ٤٠٦-٤٠٩.

(٣) هو أحمد أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله بن الحسن الإمام أبو العباس بن الأمير أبي علي الحسن القبي بن أبي بكر بن علي بن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله، الهاشمي، العباسي، البغدادي، قدم مصر، ونهض ببيعته الملك الظاهر بيبرس، وبويع له سنة(٦٦١هـ) وخطب الناس، وعهد بالسلطنة للسلطان الملك الظاهر، وكان ملازماً لداره، فيه عقل وشجاعة وحسن رياسة، وله راتب يكفيه من غير سرف، امتدت أيامه، ثم عهد بالخلافة لولده المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، وتوفي سنة(٧٠١هـ) وكانت خلافته أربعين سنة، وكان الحاكم قد نجا في كائنة بغداد واختفى. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩٦/٦-١٩٧.

(٤) هو سليمان أمير المؤمنين المستكفي بالله بن أحمد الحاكم بأمر الله بن الحسن بن أبي بكر بن عليّ بن أمير المؤمنين المسترشد، الهاشمي، العبّاسي، البغدادي الأصل، المصري المولد، يكنى بأبي الربيع، وُلد سنة(٦٨٣هـ) أو فِي الَّتِي قبلها، =

٤) الواثق بالله -الأول- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسن[1]، (٧٤٠هـ-٧٤٢هـ).

٥) الحاكم بأمر الله -الثاني- أبو العباس أحمد بن سليمان بن أحمد بن الحسن [2]، (٧٤٢هـ-٧٥٣هـ)

٦) المعتضد بالله -الأول- أبو الفتح أبوبكر بن سليمان بن أحمد بن الحسن[3]، (٧٥٣هـ-٧٦٣هـ).

وقرأ واشتغل قليلاً، وخُطب لَهُ عند وفاة والده سنة(٧٠١هـ)، وفوّض جميع ما يتعلّق به من الحلّ والعقد إلى السلطان الملك الناصر محمّد، وسارا معاً إلى غزو التتار، ثم تنكّر السلطان الملك الناصر عَلَيْهِ بسبب مطالبته بزيادة راتبه، فأنزله بأهله فِي البرج المطلّ عَلَى باب قلعة الجبل، فلم يركب وَلَمْ يخرج، وبقي مدّةً تقارب خمسة الأشهر، ثم أفرج عنه، فنزل إلى داره، وبقي عَلَى ذَلِكَ مدّةً، ثمّ تنكَر عَلَيْهِ بعد نصف سنة أو مَا يقاربها وأخرجه بأهله وأولاده وجهّزه إلى قوص فِي سنة(٧٣٨هـ) تقريبا، فأقام بها إلى أن توفيّ ولده صدقة فوجد عَلَيْهِ وجداً عظيماً، ثمّ توفيّ هو بعده سنة(٧٤٠هـ)، وعهد بالأمر إلى ولده فلم يتمّ لَهُ ذلك. ينظر: المصدر السابق، ١٥/٢١٦-٢١٧.

(١) هو إبراهيم أمير المؤمنين الواثق بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بن أبي المجد العباسي، يكنى بأبي الحسن، ولي الخلافة بعد موت عمه المستكفي بمبايعة الناصر له سنة(٧٤٠هـ) وقرر له ما كان مقرراً للمستكفي بعد أن كان الناس راجعوه في أمره ووسموه بسوء السيرة، فأظهر التوبة، فلم يزل الناصر بالناس حتى بايعوه، وقدم أحمد بن المستكفي ومعه محضر فيه شهادة أربعين عدلاً على أبيه أنه فوض له ولاية العهد، مثبوت على قاضي قوص، فلم يعبأ به الناصر، وقرره في ذي الحجة، فأقام باسم الخلافة بقية دولة الناصر سنة واحدة، ثم بعده، وكان الناس يهزؤون بإبراهيم، ويلقبونه: المستعطي بالله. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ١/٥٦.

(٢) هو أحمد أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله بن سليمان المستكفي بن أحمد الحاكم بن الحسن بن أبي بكر، يكنى بأبي القاسم، كان مع أبيه بقوص في أواخر دولة الناصر، فلما مات عهد بالخلافة لولده، فلم يُمض الناصر ذلك، وبايع إبراهيم بن أخي المستكفي، فلما ولي الأشرف كجك طلب الأمير قوصون أبا القاسم هذا، واستقر به في الخلافة، فباشرها من سنة(٧٤٢هـ) إلى أن مات في الطاعون في نصف سنة(٧٥٣هـ) وكان يلقب أولاً المستنصر، سمع الحديث على بعض المتأخرين وحدث، وذكر الشيخ تقي الدين المقريزي أن عوده للخلافة كان في أول سلطنة المنصور أبي بكر، وذلك في آخر ذي الحجة سنة(٧٤١هـ) وأنهم لما أرادوا إمضاء سلطنة المنصور، وطعنوا في خلافة إبراهيم، فأحضروا هذا أحمد يوم الإثنين ثاني المحرم سنة(٧٤٢هـ) وقرروه في الخلافة، وأثبتها القضاة، ثم فوض هو للمنصور على العادة. ينظر: المصدر السابق، ١/١٣٧.

(٣) هو أبو بكر أمير المؤمنين المعتضد بالله بن سليمان المستكفي بن أحمد الحاكم بن أبي علي بن علي بن أبي بكر ابن منصور يكنى بأبي الفتح، استقر في الخلافة سنة(٧٥٣هـ) وكان خيراً متواضعاً محباً لأهل العلم، ومات في جمادى الأولى سنة(٧٦٣هـ). ينظر: المصدر السابق، ١/٤٤٣.

٧) المتوكل على الله –الأول– أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد ابن الحسن[1]، (٧٦٣هـ–٧٧٩هـ) و (٧٧٩هـ–٧٨٥هـ) و (٧٩١هـ–٨٠٨هـ).

٨) الواثق بالله –الثاني– أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسن[2]، (٧٨٥هـ–٧٨٨هـ).

٩) المستعصم بالله أبو يحيى زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسن[3]، (٧٧٩هـ–٧٧٩هـ) و (٧٨٨هـ–٧٩١هـ).

١٠) المستعين أبو الفضل العباس بن محمد بن أبي بكر بن سليمان[4]، (٨٠٨هـ–٨١٧هـ).

---

(١) هو محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله بن أبي بكر المعتضد بالله، يكنى بأبي عبدالله، كان عظيم الهيبة، وافر العقل، كثير التواضع، ولي الخلافة بعهد من أبيه المعتضد بالله، ثم بويع له بالخلافة بعد وفاته يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة(٧٦٣هـ) وهي ولايته الأولى، وبقي حتى خلعه الأمير أيبك أتابك العساكر بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحل والعقد غيره، وذلك سنة(٧٧٩هـ)، فكانت خلافته هذه خمس عشرة سنة وأشهرا، ثم بقي مخلوعا ثلاثة أشهر، ثم أعاده أيبك إلى الخلافة مرة ثانية، وهذه هي خلافته الثانية، فبقي حتى خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق، واعتقله في برج بالقلعة في مستهل رجب سنة(٧٨٥هـ) وكان الناس لا يرون في كل ذلك الخليفة غيره، ثم أطلق من الاعتقال، وأعيد إلى الخلافة في ثاني جمادى الأولى سنة(٧٩١هـ) وبقي حتى توفي في السابع والعشرين من شهر رجب سنة(٨٠٨هـ). ينظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، ١/٢٤٥ و٢٥٢.

(٢) هو عمر أمير المؤمنين الواثق بالله بن إبراهيم الواثق بالله، يكنى بأبي حفص، بايع له بالخلافة الظاهر برقوق بعد خلع الإمام المتوكل في مستهل شهر رجب سنة(٧٨٥هـ) فبقي في الخلافة حتى توفي في العشر الأول من شوال سنة(٧٨٨هـ). ينظر: المصدر السابق، ١/٢٥٦.

(٣) هو زكريا أمير المؤمنين المستعصم بالله بن الواثق بالله إبراهيم بن المستكفي سليمان، يكنى بأبي يحيى، بايعه الأمير أيبك أتابك العساكر بعد خلع أمير المؤمنين المتوكل بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحل والعقد غيره، وذلك سنة(٧٧٩هـ) فبقي ثلاثة أشهر، ثم خلعه، وأعاد المتوكل إلى الخلافة، ثم أعاده الظاهر برقوق إلى الخلافة سنة(٧٨٨هـ) حتى سنة(٧٩١هـ) حيث خلع وأعيد المتوكل. ينظر: المصدر السابق، ١/٢٥٢.

(٤) هو العباس أمير المؤمنين وسلطان الديار المصرية المستعين بالله بن الإمام المتوكل على الله أبي عبدالله محمد، ولم يل الخلافة من اسمه العباس غيره، بويع له بالخلافة بعد موت والده المتوكل في السابع والعشرين من رجب سنة(٨٠٨هـ)، وقام ببيعته السلطان الملك الناصر فرج، واستمر في الخلافة إلى أن تجرد صحبة الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية في =

١١) المعتضد بالله -الثاني- أبو الفتح داود بن محمد بن أبي بكر بن سليمان[١]، (٨١٧هـ-٨٤٥هـ).

١٢) المستكفي بالله -الثاني- أبو الربيع سليمان بن محمد بن أبي بكر ابن سليمان[٢]، (٨٤٥هـ-٨٥٥هـ).

١٣) القائم أبو البقاء حمزة بن محمد بن أبي بكر بن سليمان[٣]، (٨٥٥هـ-٨٥٩هـ).

أواخر سنة(٨١٤هـ)، وانكسر الناصر وانحاز إلى دمشق، واستولى الأمراء على الخليفة، واستفحل أمرهم، ثم اتفق الأمراء على إقامة الخليفة المستعين في السلطنة، عوضاً عن الملك الناصر فرج، لتجتمع الكلمة في رجل واحد، ويجدوا بذلك سبيلاً لقتال الملك الناصر، وانفلال الناس عنه، فأبى الخليفة أن يقبل ذلك، وصمم على عدم القبول، فتحايلوا عليه بحيلة جعلته يوافق على شروط عديدة شرطها على الأمراء، فقبلوا جميع الشروط، وبقي حتى خلعه الملك المؤيد شيخ في النصف من ذي الحجة سنة(٨١٧هـ) وحجره في القلعة، ثم نقل إلى الإسكندرية فدام بها إلى أن توفي بالطاعون في يوم الأربعاء لعشرين بقين من جمادى الأولى سنة(٨٣٣هـ)، ولم يبلغ الأربعين سنة من العمر، ومات وهو في زعمه أنه مستمر على الخلافة، وأنه لم يخلع بطريق شرعي. ينظر: المصدر السابق، ٢٦٤/١، والنجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ١٣٨/١٣-١٥٦.

(١) هو داود أمير المؤمنين المعتضد بالله بن الخليفة المتوكل على الله أبي عبدالله محمد بن الخليفة المعتضد بالله أبي بكر، يكنى بأبي الفتح، تولى الخلافة سنة(٨١٧هـ)، وكان المعتضد خليقاً للخلافة، سيد بني العباس في زمانه، أهلاً للخلافة بلا مدافعة، وكان كريماً عاقلاً حليماً متواضعاً ديناً خيراً حلو المحاضرة كثير الصدقات والبر، وكان يحب مجالسة العلماء والفضلاء، وله مشاركة مع فهم وذكاء وفطنة، توفي سنة(٨٤٥هـ) لمرض ألم به، فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأياماً. ينظر: مآثر الإنافة، القلقشندي، ٢٦٧/١-٢٦٨، والنجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٢٢٤/١٥-٢٢٥.

(٢) هو سليمان أمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان بن الخليفة المتوكل على الله أبي عبدالله محمد، يكنى بأبي الربيع، وكان ديناً خيراً، منجمعاً عن الناس بالكلية، كثير الصمت، قليل الكلام، ذكر عنه أخوه أمير المؤمنين المعتضد داود -وكان شقيقه- عندما عهد له بالخلافة في مرض موته، أنه لا يعرف عليه كبيرة في مدة عمره، ومات المستكفي وهو في عشر الستين سنة(٨٥٥هـ)، بعد أن أقام في الخلافة تسع سنين ونحو عشرة أشهر. ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٢٨٠/١٥.

(٣) هو حمزة أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن المتوكل على الله أبي عبدالله محمد، يكنى بأبي البقاء، وكان قد ولي الخلافة بعد موت أخيه المستكفي سليمان بغير عهد، اختاره الملك الظاهر جقمق فدام في الخلافة إلى أن خرج الأتابك إينال العلائي على الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق، فقام الخليفة القائم مع إينال على الملك المنصور عثمان أشد قيام، فلما تسلطن إينال عرف له ذلك، ورفع قدره ومحله إلى الغاية، ونال في أيامه من الحرمة والوجاهة ما لا يقاربه أحد من الخلفاء من أسلافه، فاتفق بعد ذلك ركوب جماعة من صغار المماليك الظاهرية على الأشرف إينال، وطلبوه =

١٤) المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف بن محمد بن أبي بكر بن سليمان[1]، (٨٥٩هـ-٨٨٤هـ).

١٥) المتوكل على الله -الثاني- أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بن محمد بن أبي بكر[2]، (٨٨٤هـ-٩٠٣هـ).

١٦) المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد بن أبي بكر[3]، (٩٠٣هـ-٩١٤هـ).

فحضر عندهم، ووافاهم أفضل موافاة، فلم ينتج أمرهم، وسكنت الفتنة في الحال، فلما سكن الأمر طلبه السلطان إلى القلعة، ووبخه على فعله وحبسه بالبحرة بقلعة الجبل، وخلعه من الخلافة بأخيه المستنجد يوسف، ثم أرسله إلى سجن الإسكندرية فحبس به مدة ثم أطلق من السجن، ورسم له بأن يسكن حيث شاء من الثغر، فسكن به إلى أن مات سنة(٨٦٢هـ). ينظر: المصدر السابق، ١٦/١٦٦.

(١) هو يوسف أمير المؤمنين المستنجد بالله بن المتوكل على الله، يكنى بأبي المحاسن، ولي الخلافة بعد خلع أخيه، والسلطان يومئذ الأشرف إينال فمات سنة(٨٦٥هـ) فقلد ابنه أحمد ولقب بالمؤيد، ثم وثب خشقدم على المؤيد فقبضه في رمضان من عامه فتسلطن ولقب بالظاهر، وكان الظاهر خشقدم أول ما قلد قدم نائب الشام حاتم لموافقة كانت بينه وبين العسكر في سلطنته، فأمر الظاهر حين بلغه قدومه بطلوع الخليفة المستنجد بالله والقضاة الأربعة والعسكر إلى القلعة، وأرسل إلى نائب الشام يأمره بالانصراف بعد شروط شرطها، وعاد القضاة والعسكر إلى منازلهم، واستمر الخليفة ساكنا بالقلعة، و لم يمكنه الظاهر من العودة إلى سكنه المعتاد، فاستمر بها إلى أن مات يوم السبت رابع عشر المحرم سنة(٨٨٤هـ) بعد إصابته نحو عامين بالفالج، وصلي عليه بالقلعة، ثم أنزل إلى مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي، وقد بلغ التسعين أو جاوزها. ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٤٠٥.

(٢) هو عبد العزيز أمير المؤمنين المتوكل على الله بن يعقوب بن محمد المتوكل الأول بن المعتضد أبي بكر بن سليمان المستكفي، يكنى بأبي العز، بويع له بعد وفاة عمه يوسف(المستنجد باللهـ) سنة(٨٨٤هـ)، وكان محمود المناقب، قال معاصره ابن إياس: كفؤ للخلافة، وافر العقل، سديد الرأي، له اشتغال بالعلم، متواضع، كثير العشرة للناس، من خيار بني العباس، استمر في الخلافة إلى أن توفي سنة(٩٠٣هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٤/٢٩-٣٠.

(٣) هو يعقوب أمير المؤمنين المستمسك بالله بن عبد العزيز المتوكل الثاني بن يعقوب بن المتوكل الأول محمد، يكنى بأبي الصبر، بويع له بعد وفاة أبيه سنة(٩٠٣هـ) و لم يكن له من الأمر شيء، كسائر الخلفاء العباسيين بمصر، أقام في الخلافة إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر، وحمدت أخلاقه وسيرته، ثم صرف عن أعمالها سنة(٩١٤هـ) وقاسى محنا وشدائد، وضعف بصره، وتوفي سنة(٩٢٧هـ) كان رجلا مباركا لين الجانب متواضعا، وهو هاشمي الأب والأم، قال ابن إياس: لم يل الخلافة من هو هاشمي الأبوين غير أربعة: علي بن أبي طالب، وابنه الحسن، ومحمد الأمين بن هارون الرشيد، ويعقوب بن عبد العزيز. ينظر: المرجع السابق، ٨/٢٠٠.

١٧) المتوكل على الله -الثالث- محمد بن يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب[١]، (٩١٤هـ-٩٢٢هـ).

ولكن الخلافة العباسية كانت ضعيفة جدا في مصر، لأنها كانت مجرد منصب يجب ألا يكون شاغرا، وإلا فالحل والعقد كله بيد سلاطين المماليك.

ويصف السيوطي حال الخلفاء العباسيين في مصر، وكان قبل ذلك يتحدث عن مدى احترام وتبجيل عضد الدولة[٢] للخليفة الطائع، فقال:"انظر إلى هذا الأمر، وهو الخليفة المستضعف -يقصد الطائع- الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه، ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة، وقد صار الأمر في زماننا[٣] إلى أن الخليفة يأتي السلطان يهنئه برأس الشهر، فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته ويجلسا معا خارج المرتبة، ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس ويجلس السلطان في دست[٤] مملكته، ولقد حدثت أن السلطان الأشرف برسباي[٥] لما سافر إلى آمد لقتال العدو وصحب الخليفة

---

(١) هو محمد أمير المؤمنين المتوكل على الله بن يعقوب المستمسك بالله بن عبد العزيز المتوكل الثاني بن يعقوب، نزل له أبوه عن أعمال الخلافة سنة(٩١٤هـ) قبل دخول السلطان سليم مصر، فلما دخلها سليم سنة(٩٢٢هـ) قبض عليه وأخذه معه إلى الآستانة، ولم يقبض على أبيه لكبر سنه، فمكث مدة في بلاد الترك، ثم أطلقه السلطان سليم قبيل وفاته، فعاد إلى مصر، وأجرى له كل يوم ٦٠ درهما، فأقام إلى أن توفي فيها سنة(٩٥٠هـ)، وبوفاته انقرضت الخلافة العباسية بمصر وغيرها، وكان أديبا فاضلا، له شعر. ينظر: المرجع السابق، ١٤٧/٧-١٤٨.

(٢) سيأتي التعريف به في الباب الثالث.

(٣) السيوطي توفي عام(٩١١هـ).

(٤) الدست: فارسية أصلها دشت، وعربت بالسين وهي الثياب والورق، واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرئاسة مستعار من هذه المعاني الثلاث. ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٥١٨/٤.

(٥) هو برسباي الدقماقي الظاهري، أبو النصر، السلطان الملك الأشرف: صاحب مصر، جركسي الأصل، كان من مماليك الأمير دقماق المحمدي وأهداه إلى الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه في الجيش، فتقدم إلى أن ولي نيابة طرابلس الشام في أيام المؤيد شيخ بن عبدالله، ثم اعتقل بقلعة المرقب مدة طويلة، وأطلق، واعتقل بقلعة دمشق، فأخرجه الظاهر ططر وجعله دوادارا كبيرا له بمصر، وتوفي الظاهر ططر وبويع ابنه (الصالح) محمد، فتولى برسباي تدبير الملك أسابيع، ثم خلع الصالح ونادى بنفسه سلطانا، وتلقب بالملك الأشرف سنة(٨٢٤هـ) فأطاعه الأمراء وهدأت البلاد في أيامه، =

معه، كان الخليفة راكبا أمامه يحجبه والهيبة والعظمة للسلطان، والخليفة كآحاد الأمراء الذين في خدمة السلطان".[1]

واستمرت خلافة بني العباس في مصر حتى استولى العثمانيون عليها سنة(٩٢٣هـ) بقيادة السلطان سليم الأول، وقد تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة للسلطان العثماني.[2]

كان ملكا جليلا مبجلا منقادا للشريعة يحب أهل العلم، مهيبا مع لين جانب، كفؤا للملك، إلا أنه كان عنده طمع زائد في تحصيل الأموال، وكان خيار ملوك الجراكسة، توفي سنة(٨٤١هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٤٨/٢.

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٣٢١.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، فريد بك المحامي، ٩٦و١٩٤، والبدر الطالع، الشوكاني، ٥٥/٢، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ١٠٢/٥.

الآثار الواردة في خلافة بني العباس

وردت أحاديث عدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة بني العباس، وكذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو غير ذلك.

لذا؛ سأعرض بعضا من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن أولا، ثم أعرج على بعض أقوال ابن عباس رضي الله عنهما.

أولا: أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في خلافة بني العباس:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس رضـــي الله عنه:((فيكم النبوة والمـــملكة)).

هذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء[1] لأن فيه عبدالله بن شبيب ابن خالد، وأخرجه أبو عمرو الداني[2]، والبيهقي وقال:"تفرد به محمد بن عبدالرحمن العامري عن سهيل[3] وليس بالقوي".[4]

وأخرجه ابن عساكر[5] أيضا، وابن الجوزي وقال:"تفرد به ابن شبيب. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وكان فضلك الرازي يحل ضرب عنقه".[6]

وأورده الذهبي وقال:"عبدالله بن شبيب، أبو سعيد الربعي، إخباري علامة، لكنه واهٍ، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث...قال ابن حبان: يقلب الأخبار ويســـرقها"[7].

---

(١) ٤/٢٦٢.

(٢) في السنن الواردة في الفتن، ٢/٤٨٩.

(٣) أي سهيل بن أبي صالح.

(٤) في دلائل النبوة، ٦/٥١٧.

(٥) في تاريخ دمشق، ٢٦/٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩.

(٦) في العلل المتناهية، ١/٢٨٩.

(٧) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/٤٣٨.

وقال أيضا:"هذا –أي الحديث– في جزء ابن ديزيل وهو منكر".[1]

وأورده ابن كثير[2]، والهيثمي[3]، وابن حجر[4]، وقال عنه الألباني: إنه منكر.[5]

الحديث الثاني: عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما واضعا رأسه على فخذ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فنحب ثم ابتسم، فقالوا: يا رسول الله رأيناك نحبت ثم تبسمت، فقال:((رأيت بني مروان يتعاورون على منبري فساءني ذلك، ثم رأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسرني ذلك)).

هذا الحديث أخرجه الطبراني[6]، وابن عساكر[7]، وأورده ابن كثير[8]، والهيثمي وقال:"وفيه يزيد بن ربيعة وهو متروك".[9]

وأورده السيوطي[10]، وذكر ابن عدي يزيد بن ربيعة في الكامل في الضعفاء وقال:"أرجو أن لا بأس به في الشاميين".[11]

وقال الألباني عن هذا الحديث:"ضعيف جدا، أخرجه الطبراني عن يزيد بن ربيعة قال: حدثنا أبو الأشعث عن ثوبان مرفوعا، وهذا سند ضعيف جدا، ابن ربيعة هذا هو الرحبي الدمشقي، قال الدار قطني: متروك[12]، وكذا قال النسائي[13]".[14]

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩٣/٢.

(٢) في البداية والنهاية، ٢٤٥/٦، ٥١/١٠.

(٣) في مجمع الزوائد، ٣٤٩/٥.

(٤) في لسان الميزان، ٢٩٩/٣.

(٥) السلسلة الضعيفة، ١٠٦١/١٣.

(٦) في المعجم الكبير، ٩٦/٢.

(٧) في تاريخ دمشق، ٣٤٠/٥٧.

(٨) في البداية والنهاية، ٥٠/١٠.

(٩) مجمع الزوائد، ٤٣٩/٥.

(١٠) في تاريخ الخلفاء، ١٦.

(١١) الكامل في الضعفاء، ابن عدي، ٢٥٩/٧.

(١٢) ينظر: الضعفاء والمتروكين، الدار قطني، ٢٥٤.

(١٣) ينظر: الضعفاء والمتروكين، للنسائي، ٢٥٤.

(١٤) في السلسلة الضعيفة، ٢٦٨/٦.

الحديث الثالث: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن، يقال له: السفاح، يعطي المال حثيا)).[١]

أخرجه نعيم بن حماد[٢]، وابن أبي شيبة[٣]، والإمام أحمد[٤]، وأبو عمرو الداني[٥]، الداني[٥]، والبيهقي[٦]، وابن عساكر[٧]، وابن الجوزي[٨]، وأورده ابن كثير وقال:"وهذا الحديث في إسناده عطية العوفي وقد تكلموا فيه، وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظـــر، والله أعلم".[٩]

وأخرجه الهيثمي وقال:"فيه عطية العوفي وهو ضعيف، ووثقه ابن معين، وباقي رجاله ثقات".[١٠]

وفي الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد قال المحققون: إسناده ضعيف لضعف عطية العوفي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.[١١]

الحديث الرابع: عن العباس رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال:((انظر هل ترى في السماء من نجم؟)) قال: قلت: نعم. قال: ((ما ترى؟))

---

(١) هذا الحديث ورد فيه لفظ(من أهل بيتي) ولم ترد هذه اللفظة في بعض الروايات، لذا فإني سأتتبع الأحاديث التي وردت فيها هذه الجملة أو لفظ (السفاح).

(٢) في الفتن، ١/٣٦٢و٣٦٥و٤٠٢.

(٣) في المصنف، ٥١٣/٧.

(٤) في مسنده، ٨٠/٣.

(٥) في السنن الواردة في الفتن، ٩٥٧/٥.

(٦) في دلائل النبوة، ٥١٤/٦.

(٧) في تاريخ دمشق، ٢٧٩/٣٢.

(٨) في المنتظم، ٢٩٥/٧.

(٩) في البداية والنهاية، ١٠/٥٠و٥٩.

(١٠) في مجمع الزوائد، ٦١١/٧.

(١١) ينظر: ٢٧٩/١٨.

قال: قلت: أرى الثريا. قال:((أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك، اثنـــين في فـــتنة)).

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد[1]، وابن عدي وقال:"سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري[2]: عبيد بن أبي قرة سمع الليث بن سعد، بغدادي لا يتابع في حديثه في قصة الـــعباس".[3]

وأخرجه الحاكم وقال:"هذا حديث تفرد به عبيد بن أبي قرة عن الليث، وإمامنا أبو زكريا[4] رحمه الله لو لم يرضه لما حدث عنه بمثل هذا الحديث".[5]

وأخرجه البيهقي[6]، وابن عساكر[7]، وأورده الذهبي، وقال عن عبيد بن أبي قرة البغدادي:"قال ابن معين: ما به بأس،...قلت: الحديث في المسند وهو منكر".[8]

وأورده ابن كثير[9]، والهيثمي وقال:"فيه أبو ميسرة مولى العباس ولم أعرفه إلا في ترجمة أبي قبيل وبقية رجال أحمد ثقات".[10]

وفي مسند الإمام أحمد –ط الرسالة- قال المحققون: إسناده ضعيف جدا.[11]

---

(١) في مسنده، ٢٠٩/١.

(٢) في التاريخ الكبير، ٢/٦.

(٣) في الكامل في الضعفاء، ٣٥٠/٥.

(٤) يقصد: الإمام الثقة المفسر المحدث الأديب العلامة، أبو زكريا، يحيى بن محمد بن عبدالله بن عنبر بن عطاء العنبري النيسابوري، قيل عنه: أبو زكريا يحفظ من العلوم ما لو كلفنا حفظ شيء منها لعجزنا عنه، توفي في سنة(٣٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٣٣/١٥-٥٣٤.

(٥) في المستدرك، ٣٦٨/٣.

(٦) في دلائل النبوة، ٥١٨/٦.

(٧) في تاريخ دمشق، ٣٥١/٢٦.

(٨) في تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات ٢٠١-٢١٠هـ)، ٢٥٥.

(٩) في البداية والنهاية، ٢٤٥/٦، ٥١/١٠.

(١٠) في مجمع الزوائد، ٣٣٩/٥.

(١١) ينظر: ٣٠٥/٣.

الحديث الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((منا السفاح، والمنصور، والمهدي)).

هذا الحديث أخرجه البيهقي[١]، والخطيب البغدادي[٢]، وابن عساكر[٣]، وابن الجوزي من طريقين، كلاهما ضعيف حيث قال:"هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي طريقه الأول أبو قلابة عبدالملك بن محمد، قال الدار قطني: هو كثير الخطأ ويحدث من حفظه فكثر خطؤه، وفيه أبو ربيعة واسمه زيد بن عوف وقد سبق آنفا القدح فيه، وفي طريقه الثاني محمد بن الفرج، قال الدار قطني: هو ضعيف ويطعن عليه في اعتقاده، ثم في الطريقين الضحاك وقد ضعفه يحيى بن سعيد وكان لا يُحـَدث عـنه".[٤]

وأورده الذهبي وذكر أنه منكر وهو منقطع[٥]، وذكر محمد بن الفرج الأزرق فقـال:"وحدث له حديثا منكرا متنه: منا السفاح، ومنا المنصور".[٦]

وأورده ابن كثير وذكر أنه موقوف على ابن عباس والمرفوع ضعيف.[٧]

الحديث السادس: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم:((هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد ويملك منهم اثنا عشر رجلا)).

هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وقال:"لم يرو هذا الحديث عن إسحاق إلا حفص. تفرد به محمد بن صالح".[٨]

وأخرجه ابن عدي وقال:"حجاج بن تميم هذا ليس له كثير رواية".[٩]

---

(١) في دلائل النبوة، ٥١٤/٦.

(٢) في تاريخ بغداد، ٦٢/١-٦٣.

(٣) في تاريخ دمشق، ٢٨٠/٣٢.

(٤) العلل المتناهية، ابن الجوزي، ٢٩٠/١-٢٩١، وأخرجه في المنتظم و لم يعلق، ٣٣٥/٧.

(٥) في تاريخ الإسلام، ٤٦٧/٩.

(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٤/٤.

(٧) ينظر: البداية والنهاية، ٢٤٦/٦، ١٢٢/١٠.

(٨) المعجم الأوسط، الطبراني، ١٨٦/١، وينظر: المعجم الكبير، الطبراني، ٢٨٥/١٠.

(٩) الكامل في الضعفاء، ابن عدي، ٢٢٩/٢.

وأخرجه البيهقي وقال:"تفرد به حجاج بن تميم وليس بالقوي".[١]

وأخرجه ابن عساكر[٢]، وأورده ابن كثير وقال عن رواية ابن عدي:"وهذا منكر من من هذا الوجه".[٣]

وأورده الهيثمي وقال:"فيه جماعة لم أعرفهم".[٤]

الحديث السابع: وعن أم الفضل رضي الله عنها قالت: مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالحجر فقال:((يا أم الفضل)) قلت: لبيك يا رسول الله. قال:((إنك حامل بغلام)) قلت: وكيف وقد تحالفت قريش أن لا يأتوا النساء؟ قال:((هو ما أقول، فإذا وضعتيه فائتيني به)) قالت: فلما وضعته أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وألبأه من ريقه، وسماه عبدالله، ثم قال:((اذهبي بأبي الخلفاء)) قالت: فأتيت العباس فأعلمته وكان رجلا لباسا جميلا مديد القامة، فتلبس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه فقبل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه ثم قال:((هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه)) فقال العباس: بعض القول يا رسول الله. قال:((ولم لا أقول هذا يا عم وأنت عمي وبقية آبائي ووارثي وخير من أخلف من بعدي من أهلي؟)) قلت: يا رسول الله قالت أم الفضل كذا وكذا. قال:((هي يا عباس بعد ثنتين وثلاثين ومائة ثم منكم السفاح والمنصور والمهدي وهي في أولادهم حتى يكون آخرهم الذي يصلي بالمسيح عيسى ابن مريم)).

هذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط وقال:"لم يرو هذا الحديث عن طاوس إلا حنظلة، ولا عن حنظلة إلا سعيد بن خثيم. تفرد به أحمد بن راشد"[٥] وأخرجه في الكبير ولم يذكر الزيادة التي في آخره(هي يا عباس بعد ثنتين وثلاثين...).[٦]

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي، ٥١٨/٦.

(٢) في تاريخ دمشق، ٢٠٤/٤٧.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٥١/١٠، وينظر: ٢٤٥/٦.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ٤٣٨/٩.

(٥) المعجم الأوسط، الطبراني، ١٠١/٩.

(٦) ينظر: المعجم الكبير، ٢٣٥/١٠.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني[1]، والخطيب البغدادي[2]، وخالف في السنة فقد وردت((سنة خمس وثلاثين ومائة))، وأخرجه ابن عساكر[3]، وابن الجوزي وقال:"هذا الحديث لا يصح، في إسناده حنظلة، قال يحيى بن سعيد: كان قد اختلط، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أحمد: منكر الحديث يحدث بأعاجيب".[4]

وقال الذهبي:"أحمد بن راشد الهلالي عن سعيد بن خثيم بخبر باطل في ذكر بني العباس من رواية ابن خثيم عن حنظلة، عن طاوس، عن ابن عباس، عن أمه: قالت مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم..."فذكر الحديث ثم قال:"رواه أبو بكر بن أبي داود وجماعة عن أحمد بن راشد، فهو الذي اختلقه بجهل".[5]

وأورده الهيثمي وقال:"وفيه أحمد بن راشد الهلالي وقد اهم بهذا الحديث".[6]

وقد حسّن الهيثمي الرواية في موضع آخر في الأوسط ولكن إلى قوله:((والـــوالد عـــم)).[7]

وكذلك الألباني قال عن قوله((أنت عمي وبقية آبائي والعم والد)):"حســـن لغـــيره"ثم قال:"وله شاهد إسناده مرسل أو معضل ورجاله ثقات".[8]

أما قوله:((نعم يا عباس إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي)) فقد قال عنه الألباني:"باطل".[9]

---

(١) في دلائل النبوة، ٥٥٠-٥٥١.

(٢) في تاريخ بغداد، ٦٣/١.

(٣) في تاريخ دمشق، ٣٥٢/٢٦.

(٤) العلل المتناهية، ابن الجوزي، ٢٩١/١.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٩٧/١.

(٦) مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣٤٠/٥.

(٧) المصدر السابق، ٤٤٨/٩.

(٨) السلسلة الصحيحة، الألباني، ٣٤/٣.

(٩) السلسلة الضعيفة، الألباني، ٣٣٦/١٣.

الحديث الثامن: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إذا أقبلوا بالرايات السود من عقب خراسان فأتوها ولو حبوا، فإن فيها خليفة الله المهـــدي)).

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد[١]، وأخرجه ابن عدي في الكامل لأن فيه عمرو بن بن قاسم بن حبيب[٢]، وأخرجه الحاكم وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيـــخين ولم يخـــرجاه"[٣] وهذا وهم من الحاكم لأن ابن القيم ذكر أن فيه علي بن زيد الذي روى له مسلم متابعة، ولكن هو ضعيف وله مناكير تفرد بها فلا يحتج بما ينفرد به.[٤]

وأخرجه البيهقي[٥]، وابن الجوزي وقال:"هذا حديث لا أصل له، ولا نعلم أن الحسن سمع من عبيدة، ولا عمر[٦] سمع من الحسن".[٧]

وأورده الذهبي وذكر أن فيه حبان بن يزيد الصيرفي الكوفي، قال الأزدي: ليس بالقوي عندهم[٨]، وفيه أيضا علي بن زيد بن جدعان وقد ضعفه جماعة من العلماء[٩]، وفيه وفيه أيضا عمرو بن قاسم الذي ضعفه ابن عدي آنفا.[١٠]

قال الألباني:"منكر لكن الحديث صحيح المعنى، دون قوله: فإن فيها خليفة الله المهدي، وإسناده حسن، وهذه الزيادة: خليفة الله ليس لها طريق ثابت فهي منكرة، ولا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز".[١١]

---

(١) في مسنده، ٥/٢٧٧.

(٢) في الكامل في الضعفاء، ٥/١٣٣.

(٣) في المستدرك، ٤/٥٤٧.

(٤) ينظر: المنار المنيف، ابن القيم، ١٤٩.

(٥) في دلائل النبوة، ٦/٥١٦.

(٦) عمر بن قيس.

(٧) الموضوعات، ابن الجوزي، ٢/٣٩.

(٨) ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٤٤٩.

(٩) المصدر السابق، ٣/١٢٧-١٢٨.

(١٠) المصدر السابق، ٣/٢٨٤.

(١١) السلسلة الضعيفة، الألباني، ١/١٩٥.

الحديث التاسع: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((تخرج رايات سود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء[1])).

هذا الحديث أخرجه نعيم بن حماد[2]، وأحمد بن حنبل[3]، والترمذي وقال:"هذا حديث غريب".[4]

وأخرجه الطبراني وقال:"لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا يونس تفرد بـــه رشـــدين".[5]

وأخرجه ابن عدي وذكر أن فيه داود بن عبدالجبار الذي قال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقد رأيته، يكذب.[6]

وقال عنه الألباني:"ضعيف الإسناد".[7]

وفي مسند الإمام أحمد –ط الرسالة- قال المحققون:"إسناده ضعيف جدا".[8]

الحديث العاشر: عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، لا يصير إلى واحد منهم، ثم تجيء الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتالاً لم يقتله قوم، ثم يجيء خليفة الله المهدي فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه، فإنه خليفة الله المهدي".

---

(١) إيلياء: هو أحد أسماء بيت المقدس (القدس) وهو مشتق من كلمة (إيلوس) اسم الأسرة التي ينتمي إليها الإمبراطور الروماني(هادريان)(١١٧-١٣٨م) ومعنى الكلمة (الشمس)، وقد أطلق اسم إيليا على أورشليم بعد أن هدمها القائد الروماني(تيتوس) سنة(٧٠م)، وجدد بناءها (هادريان) بعد ذلك وأطلق عليها اسم (إيليا). ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ٩٠/١.

(٢) في الفتن، ٢١٣/١.

(٣) في مسنده، ٣٦٥/٢.

(٤) في سننه، ٥١٤.

(٥) في المعجم الأوسط، ٣١/٤.

(٦) ينظر الكامل في الضعفاء، ابن عدي، ٨٤/٣.

(٧) ينظر: ضعيف سنن الترمذي، الألباني، ٢٤٤.

(٨) ٣٨٣/١٤.

هذا الحديث أخرجه ابن ماجه[1]، والحاكم وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"ووافقه الذهبي.[2]

وأخرجه أيضا أبو عمرو الداني[3]، والبيهقي[4]، وقال ابن كثير:"تفرّد به ابن ماجه، ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح، والظاهر أن المراد بالكنز الـــمذكور في هـــذا الســـياق كنز الكعبة يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان، إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من معقول صحيح ولا استحسان".[5]

وقد يكون المراد بالكنز ما ذكره ابن حجر من أنه المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم:((يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهـــب فمـــن حضـــره فلا يأخذ منه شيئا))[6] قال ابن حجر:"دل على أنه إنما يقع عند ظهور المهدي وذلك قبل نزول عيسى وقبل خروج النار جزما، والله أعلم".[7]

يقول أحد الباحثين[8]:"ولا شك أن مثل هذا الاختلاف مما يؤثر على عملية التنزيل وتتبع الأحداث، فمن قال بالأول جعل مكان الصراع بين الثلاثة العراق، وعلى الثاني فقد جعلها بالحجاز، وعلى الأول كذلك يكون انحسار الفرات علامة لخروج المهدي، وعلى الثاني لا يكون، والله أعلم بالصواب".

---

(١) في سننه، ١٣٦٧/٢.

(٢) المستدرك، ٥١٠/٤.

(٣) في السنن الواردة في الفتن، ١٠٣٢/٥.

(٤) في دلائل النبوة، ٥١٥/٦.

(٥) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ٤٨/١.

(٦) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم الحديث (٧١١٩).

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ٨١/١٣.

(٨) معالم ومنارات، عبدالله صالح العجيري، ٨٠.

أما الألباني فقد قال عنه: إنه منكر.[1]

الحديث الحادي عشر: عن عبدالله بن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم. فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، فقال:((إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا، كما ملؤوها جورا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج)).

هذا الحديث أخرجه نعيم بن حماد[2]، وابن أبي شيبة[3]، وابن ماجه[4]، وأخرجه الطبراني في الأوسط وقال:"لم يرو هذا الحديث عن صباح المزني إلا أبو أحمد، تفرد به ابنه"[5]، وابنه هو طاهر بن أبي أحمد الزبيري.

وأخرجه الحاكم[6]، والذهبي وذكر أن فيه عبدالله بن داهر بن يحيى بن داهر الرازي، الرازي، قال أحمد ويحيى: ليس بشيء. وقال: وما يكتب حديثه إنسان فيه خير. وقال العقيلي: رافضي خبيث.[7]

وذكر الذهبي أيضا أن فيه يزيد بن أبي زياد الكوفي أحد علماء الكوفة المشاهير على سوء حفظه، قال يحيى: ليس بالقوي، وقال أيضا: لا يحتج به، وقال ابن المبارك: ارم به، وقال شعبة: كان يزيد بن أبي زياد رفاعا، وقال علي بن عاصم: قال لي شعبة: ما أبالي إذا كتبت عن يزيد بن أبي زياد ألا أكتب عن أحد، وقال وكيع: يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم،

---

(١) السلسلة الضعيفة، ١/١٩٥، وضعيف سنن ابن ماجه، ٣٤٠.

(٢) في الفتن، ١/٣١٠.

(٣) في مصنفه، ٨/٦٩٧.

(٤) في سننه، ٢/١٣٦٦.

(٥) المعجم الأوسط، الطبراني، ٦/٢٩، والمعجم الكبير، ١٠/٨٥.

(٦) المستدرك، ٤/٥١١.

(٧) ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/٤١٦.

عن علقمة، عن عبدالله -يعني حديث الرايات- ليس بشيء، وقال أحمد: حديثه ليس بذلك، وحديثه عن إبراهيم -يعني في الرايات- ليس بشيء.(1)

وقال الألباني: ضعيف منكر.(2)

وقال ابن القيم عن الأحاديث التي ورد فيه ذكر المهدي:"وهذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على أن المهدي الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان بل هو مهدي من جملة المهديين، وعمر بن عبد العزيز كان مهديا بل هو أولى باسم المهدي منه".(3)

وعندما ترجم ابن كثير للخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس قال:"وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس، وجاء موقوفا على ابن عباس وكعب الأحبار، ولا يصح، وبتقدير صحة ذلك لا يلزم أن يكون على التعيين، وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة، فهو يعارض هذا. والله أعلم".(4)

أما عن الرايات السود التي وردت في الأحاديث فعلى فرض صحتها فهي ليست رايات بني العباس، قال ابن كثير:"وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أخر تأتي صحبة المهدي، وهو محمد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه، يصلحه الله في ليلة واحدة، أي: يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك، ويؤيده بناس من أهل المشرق، ينصرونه ويقيمون سلطانه، وتكون راياتهم سودا أيضًا، وهو زي عليه الوقار، لأن راية الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سوداء، يقال لها: العقاب، وقد ركزها خالد بن الوليد على الثنية التي شرقي دمشق حين أقبل من العراق، فعرفت بها الثنية، فهي إلى الآن يقال لها: ثنية العقاب، وقد كانت عقابًا على الكفار من نصارى الروم ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين، ولله الحمد".(5)

---

(1) المصدر السابق، ٤/٤٢٣.

(2) ينظر: ضعيف سنن ابن ماجه، الألباني، ٣٣٩، والسلسلة الضعيفة، ١١/٢٠٦.

(3) المنار المنيف، ابن القيم، ١٥٠.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/١٥١-١٥٢.

(5) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ١/٤٩.

ثانيا: أقوال ابن عباس رضي الله عنهما في خلافة بنيه:

الأثر الأول: عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، قال: قدم عبدالله بن عباس على معاوية، وأنا حاضر، فأجازه فأحسن جائزته، ثم قال: يا أبا العباس، هل تكون لكم دولة؟ قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتخبرنّي. قال: نعم. قال: فمن أنصاركم؟ قال: أهل خراسان، ولبني أمية من بني هاشم نطحات.

هذا الأثر رواه نعيم بن حماد[1]، والبيهقي[2]، وابن عساكر[3]، وأورده ابن كثير[4]، والسيوطي[5]، والمتقي الهندي[6].

الأثر الثاني: عن سعيد بن جبير قال: سمعنا ابن عباس ونحن نقول: اثنا عشر أميرا ثم لا أمير، واثنا عشر أميرا ثم هي الساعة، فقال: ما أحمقكم! إن منا أهل البيت المنصور والسفاح والمهدي يدفعها إلى عيسى ابن مريم".

هذا الأثر رواه البيهقي[7]، وابن عساكر[8]، وأورده ابن كثير[9]وصححه، وأورده المتقي الهندي[10].

ومما يدل على اعتقاد خلفاء بني العباس بهذا الأثر عن ابن عباس قول داود بن علي ابن عبدالله بن عباس عم الخليفة السفاح في الخطبة التي ألقاها في الكوفة بعد ابن أخيه

---

(١) في الفتن، ١/٢٠٢.

(٢) في دلائل النبوة، ٦/٥١٣.

(٣) في تاريخ دمشق، ٦/١٦١.

(٤) في البداية والنهاية، ١٠/٥٠.

(٥) في الخصائص الكبرى، ٢/٤٣١.

(٦) كنز العمال، ١١/٣٦٠.

(٧) في دلائل النبوة، ٦/٥١٤.

(٨) في تاريخ دمشق، ٣٢/٣٠٣.

(٩) في البداية والنهاية، ٦/٢٤٦.

(١٠) في كنز العمال، ١٤/٥٨٥.

السفاح، قال:"واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام".[١]

الأثر الثالث: عن سعيد بن جبير، قال: كنت عند ابن عباس فتذاكروا المهدي، فقال:"يكون منا ثلاثة أهل البيت سفاح ومنصور ومهدي".

هذا الأثر رواه البيهقي[٢]، وابن عساكر[٣]، وأورده ابن كثير[٤]، والسيوطي وذكر وذكر أن سنده صحيح[٥].

الأثر الرابع: قال ابن عباس:"كما فتح الله في أولينا، فأرجو أن يختمه بنا".

أخرجه أبو عمرو الداني[٦]، والبيهقي[٧]، وأورده ابن كثير وذكر أن سنده جيد.[٨]
جيد.[٨]

وهناك أثر لكعب الأحبار يقول فيه:"تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم".

هذا الأثر رواه نعيم بن حماد[٩]، والبيهقي وقال:"وروي في ذلك عن ابن عباس من قوله بإسناد ضعيف"[١٠].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٤٢/١٠.

(٢) في دلائل النبوة، ٥١٤/٦.

(٣) في تاريخ دمشق، ٣٠٣/٣٢.

(٤) في البداية والنهاية، ٥٠/١٠.

(٥) الخصائص الكبرى، السيوطي، ٤٣٢/٢.

(٦) في السنن الواردة في الفتن، ١٠٤٣/٥.

(٧) في دلائل النبوة، ٥١٧/٦.

(٨) البداية والنهاية، ٢٤٥/٦-٢٤٦.

(٩) في الفتن، ٢٠٩/١.

(١٠) في دلائل النبوة، ٥١٧/٦.

وأخرجه ابن عساكر[1]، وأورده ابن كثير[2]، والسيوطي[3].

وقد بين أحد الباحثين[4] أن الاشتراك في الاسم بين النص والواقع لا يلزم أن ينزل النص على هذا الواقع، قد ترد في النصوص تنصيصات على مسميات أو ألقاب معينة، فلا يلزم من تحقق هذه في واقعة أن تنزل تلكم النصوص عليها، بل لا بد من اعتبار بقية صفات الواقعة في النصوص ومدى استكمال الواقعة لها للتنزيل.

واستدل الباحث بكلام لابن كثير يقول فيه:"وقد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفا بالسفاح والمنصور والمهدي، ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره، وأنه يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءا على حدة، كما أفرد له أبو داود كتابا في سننه، وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفا أنه يسلم الخلافة إلى عيسى بن مريم إذا نزل إلى الأرض. والله أعلم.

وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون في آخر الزمان، فيبعد أن يكون هو الذي بويع أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر، وهذا هو الظاهر، فإنه قد روى نعيم بن حماد عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن قدوم الحميري سمع نفيع بن عامر يقول: يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء. قلت: وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل ونشر القسط، وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي، ويكون أول ظهور بيعته بمكة، ثم تكون أنصاره من خراسان كما وقع قديما للسفاح. والله تعالى أعلم.

---

(١) في تاريخ دمشق، ٥٨/٣١.

(٢) في البداية والنهاية، ٢٤٧/٦،٥١/١٠.

(٣) في الخصائص الكبرى، ٨٢/١.

(٤) وهو عبدالله بن صالح العجيري في كتابه: معالم ومنارات، ١٥٨-١٥٩.

هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب".[1]

وقد فصل المسألة العلامة ابن القيم رحمه الله فبين أنه:

١) كل حديث في ذم بني أمية فهو كذب.

٢) كل حديث في مدح المنصور والسفاح والرشيد فهو كذب.

٣) كل حديث في تحريم ولد العباس على النار فهو كذب.

٤) كذا كل حديث في ذكر الخلافة في ولد العباس فهو كذب.

٥) كل حديث في مدح أهل خراسان الخارجين مع عبدالله بن علي ولد العباس فهو كذب.

٦) وحديث عدد الخلفاء من ولد العباس كذب.[2]

وبهذا يتبين أن كل الأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة بني العباس ضعيفة واهية ولا يخلو واحد منها من علة ظاهرة، أما الآثار التي رويت عن ابن عباس فهي صحيحة أو حسنة أو حسنة لغيرها، ولكن لا ينبغي تنزيلها جميعها على خلفاء بني العباس تنزيلا لا يقبل النقاش ولا المراجعة.

وسواء كانت هذه الأحاديث أو الآثار صحيحة أو غير ذلك، فإن خلافة بني العباس وقعت في زمن من الأزمان ووقعت أحداثها تباعا كما أراد الله سبحانه وتعالى لها ذلك.

والذي جعل الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة تكثر في خلافة بني العباس هو أن فترة التدوين بدأت في العصر العباسي أي في القرن الثاني الهجري تقريبا، مع وجود الوضاعين الذين كانت لهم أهداف سياسية ومذهبية في التقرب للسلاطين والخلفاء والأمراء، فأدى ذلك إلى دس بعض الموضوعات والضعاف في كتب السنة! والله تعالى أعلم.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٤٧/٦.

(٢) ينظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن القيم، ١١٧.

الباب الأول

أثر خلفاء بني العباس في نصر السنة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر خلفاء بني العباس في تعظيم السنة ولزومها.

الفصل الثاني: أثر خلفاء بني العباس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الأول

أثر خلفاء بني العباس في تعظيم السنة ولزومها.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تقديم الكتاب والسنة والتسليم لهما.

المبحث الثاني: تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته.

المبحث الثالث: لزوم السنة واتباعها.

المبحث الرابع: العناية بالسنة ونشرها.

المبحث الخامس: تعظيم مكانة الصحابة رضوان الله عليهم والقيام بحقوقهم.

المبحث السادس: إكرام علماء السنة والاحتفاء بهم.

المبحث الأول

تقديم الكتاب والسنة والتسليم لهما

أجمع السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين على وجوب تقديم الكتاب والسنة والتسليم لهما والامتثال لأمرهما، وأن لا يقدم قول أو فعل أو حكم عليهما.

فهما المصدران الأساسيان في التلقي، أما الإجماع فهو تابع لهما لأن السلف رضوان الله عليهم لا يقولون بشيء من عند أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾.[1]

وقال صلى الله عليه وسلم:((...فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم...)).[2]

قال الشافعي:"الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة".[3]

وقال الإمام اللالكائي:"أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته، وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين".[4]

وقال ابن القيم:"ولم يزل أئمة الإسلام على تقديم الكتاب على السنة، والسنة على

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث ٨٦٧.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٢/٢٤٨.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/٧.

الإجماع، وجعل الإجماع في المرتبة الثالثة".[1]

وقد كان لتقديم الكتاب والسنة والتسليم لهما عند خلفاء بني العباس نصيب من ناحية القول والعمل، ففي أول خطبة ألقاها أبو العباس السفاح في الكوفة بعد إعلانه خليفة للمسلمين، قام بعده عمه داود بن علي[2]، فقال[3]:"لكم ذمة الله تبارك وتعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وآله، وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم".[4]

ومن الأمور التي تدل على تسليم الخليفة المنصور للكتاب والسنة أنه أقبل يوما راكبا والفرج بن فضالة[5] جالس عند باب الذهب، فقام الناس، فدخل من الباب ولم يقم له الفرج، فاستشاط غضبا ودعا به، فقال: ما منعك من القيام حين رأيتني، قال: خفت أن يسألني الله عنه: لم فعلت؟ ويسألك: لم رضيت؟ وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكى المنصور وقربه وقضى حوائجه.[6]

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٢٤٨/٢.

(٢) هو داود بن علي بن عبدالله بن العباس، يكنى بأبي سليمان، روى عن أبيه، وكان داود لما ظهر ابن أخيه السفاح وصعد ليخطب الناس فحصر فلم يتكلم، فوثب داود من بين يدي المنبر، فخطب وذكر أمرهم وخروجهم، ومنّى الناس، ووعدهم العدل، فتفرقوا عن خطبته، وولاه السفاح مكة والمدينة، وحج بالناس سنة(١٣٢هـ)، وهي أول حجة حجها بنو العباس، ثم صار داود إلى المدينة، فأقام بها أشهراً، ثم مات بها في شهر ربيع الأول من سنة(١٣٣هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٢٢/٧-٣٢٣.

(٣) ذكر المؤرخون أن السفاح كان موعوكا فاشتد عليه وعكه فانقطع عن الخطبة بسبب ذلك، وقد ذكر عمه هذا الأمر عندما أكمل عنه الخطبة. ينظر: تاريخ الطبري، ٣٤٧/٤، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٨٧/٣٢، والمنتظم، ابن الجوزي، ٢٩٩/٧، والكامل، ابن الأثير، ٦٦/٥، البداية والنهاية، ابن كثير، ٤١/١٠.

(٤) تاريخ الطبري، ٣٤٧/٤، وينظر: المصادر السابقة.

(٥) هو الفرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم الحمصي التنوخي من أنفسهم، يكنى أبا فضالة، سكن بغداد، وكان على بيت المال بها، حدث عن جماعة، وحدث عنه جماعة، كان مولده في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان في غزاة مسلمة بن عبدالملك الطوانة، جاء الخبر بولادته يوم فتحت الطوانة، فأعلم أبوه مسلمة خبر ولادته، فقال له مسلمة: ما سميته؟ قال: سميته الفرج لما فرج عنا في هذا اليوم بالفتح. فقال مسلمة لفضالة: أصبت. وكان أصاب المسلمين في الإقامة على الطوانة شدة وذلك سنة(٨٨هـ) ومات ببغداد سنة(١٧٦هـ). ينظر: المصدر السابق، ٣٩٣/١٢-٣٩٦.

(٦) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٦٠/٤٨.

وابن فضالة رحمه الله يقصد بقوله هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:((من أحب أن يَمْثُلَ له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)).[1]

فلما ذكر ابن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فخاف أن يسأله الله عن مخالفته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تذكر المنصور ذلك الحديث فقدم قول الرسول صلى الله عليه وسلم على هوى نفسه، وبكى ندما على فعله، وقضى حوائج ابن فضالة مكافأة له على تذكيره بذلك.

وقد حصل هذا الموقف مع الخليفة المأمون أيضا رغم صدور البدع منه ومن حاشيته، وذلك أنه لما أحضر أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته، ثم خرج فقام كل من كان في المجلس إلا علي بن الجعد الجوهري[2] فإنه لم يقم، قال فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ثم استخلاه، فقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال: أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((من أحب أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)) قال: فأطرق المأمون متفكرا في الحديث ثم رفع رأسه، فقال: لا يشترى إلا من هذا الشيخ. فاشْتُرِي منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار.[3]

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، أبواب السلام، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه، رقم الحديث ٥٢٢٩، قال عنه الألباني: صحيح، ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٢٨٣/٣.

(٢) هو علي بن الجعد بن عبيد، أبو الحسن الجوهري مولى بني هاشم، ولد سنة(١٣٣هـ)، سمع من جماعة، وكتب عنه جماعة، قال محمد بن داود: ما رأيت أحفظ من علي بن الجعد، كنا عند أبي ذئب فأملى علينا عشرين حديثا فحفظها فأملاها علينا، وقد وثقه العلماء، وكان يصوم يوما ويفطر يوما، إلا أن أحمد بن حنبل لا يروي عنه، قال محمد بن عمرو العقيلي: قلت لعبدالله بن أحمد بن حنبل: لم تكتب عن علي بن الجعد؟ فقال: نهاني أبي أن أذهب إليه، وكان يبلغه عنه أنه يتناول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو هاشم زياد بن أيوب: كنت عند علي بن الجعد فسألوه عن القرآن. فقال القرآن كلام الله، ومن قال: مخلوق لم أعنفه. قال أبو هاشم: فذكرت ذلك لأحمد بن حنبل، فقال: ما بلغني عنه أشد من هذا، مات سنة(٢٣٠هـ)، وقد استكمل ستا وتسعين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٦٠/١١-٣٦٥.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٦١/١١.

وحصل هذا أيضا مع الخليفة المتوكل ناصر السنة لما وجه المتوكل إلى أحمد بن المُعَذَّل[١] وغيره من العلماء، فجمعهم في داره ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعذَّل، فقال المتوكل لعبيدالله[٢]: إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا؟ فقال له: بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء. فقال أحمد بن المعذّل: يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله! قال النبي صلى الله عليه وسلم:((من أحب أن يَتَمثّل الرجال له قِياماً فليتبوأ مقعده من النار)) فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.[٣]

وقد سمع الخليفة أبو جعفر المنصور يوما قارئا يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٤] فقال له المنصور وجعل يدعو: اللهم جنبني وبني التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك.[٥]

وقُرِئ عنده: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾[٦] فقال للناس: لولا أن الأموال حصن السلطان، ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينتهما، ما بت ليلة وأنا أحرز منه دينارا ولا درهما، لما أجد لبذل المال من اللذاذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة.[٧]

---

(١) هو أحمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن المختار بن ذهل بن عجل بن عمر بن وديعة بن بكير بن أفصى بن عبدالقيس، الفهدي، يكنى بأبي الفضل، بصري، وأصله من الكوفة، وأبوه المعذل بن غيلان، بذال معجمة مفتوحة، مشدّدة، كان فقيها متكلما، مفوهاً ورعاً، متبعاً للسنة، وله مصنفات وكتاب في الحجة، وكتاب الرسالة، قال أبو عمر الصدفي: هو ثقة. وكان أبو حاتم يثني عليه، وقال أبو سليمان الخطابي: أحمد بن المعذل، مالكي المذهب، يعد في زهاد البصرة وعلمائها. وهو من العلماء الأدباء الفصحاء النظار، توفي قبل سنة(٢٤٠هـ) تقريباً وقد قارب الأربعين سنة. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ٤/٥-١٤، والوافي بالوفيات، الصفدي، ٨/١١٩-١٢٠.

(٢) هو عبيدالله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي، يكنى بأبي الحسن، وزر للمتوكل وللمعتمد، وحظي عند المتوكل، وكان سمحا جوادا، واسع الحيلة، وجرت له أمور، مات سنة(٢٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/٩-١٠.

(٣) ينظر: المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ٢١٣.

(٤) الإسراء: ٢٦.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٣٢.

(٦) الحديد: ٢٤.

(٧) تاريخ الطبري، ٤/٥٣٢.

وذكر أن أباناً القارئ قرأ عند المنصور: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾[1] فقال المنصور: ما أحسن ما أدبنا ربنا.[2]

وكان حريصا على إقامة الحدود تطبيقا لما في الكتاب والسنة، وحفظا للأمة، وإقامة للعدل، فقال لابنه المهدي وهو يوصيه:"احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته، يحفظ الله عليك أمورك، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحلال فإن ثوابك في الأجل، وصلاحك في العاجل، وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه، واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا، مع ما ادخر له عنده من العذاب العظيم فقال: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[3] فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم، فاحفظه وحِطْهُ وحَصِّنْهُ وذُبَّ عنه، وأوقع بالملحدين فيه، واقمع المارقين منه، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن، واحكم بالعدل".[4]

أما الخليفة المهدي فكان من مواقفه في تقديم الكتاب والسنة، أمره بإلحاق نسب ولد أبي بكرة الثقفي إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نسبهم من ثقيف[5]، ورد

---

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٣٢/٤.

(٣) المائدة: ٣٣.

(٤) تاريخ الطبري، ٥٤٢/٤.

(٥) وذلك لأن أبا بكرة نزل من حصن الطائف للرسول صلى الله عليه وسلم في حصاره لها، فأعتقه صلى الله عليه وسلم فأصبح من مواليه. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، ٧٣٠و٧٨٢، وتاريخ الطبري، ٢١٨/٢.

آل زياد بن أبيه إلى نسبهم[1]، وكان سبب ذلك أن رجلا من آل أبي بكرة رفع ظلامة إلى المهدي، وتقرب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المهدي:"إن هذا نسب واعتزاء ما تقرون به إلا عند حاجة تعرض لكم وعند اضطراركم إلى التقرب به إلينا"، فلما سمع الرجل ذلك من المهدي طلب رده ومعشر آل أبي بكرة إلى نسبهم من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب أيضا إخراج آل زياد من نسبهم الذي ألحقهم به معاوية رضي الله عنه[2]، إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف، فأمر الخليفة المهدي في آل أبي بكرة وآل زياد أن يرد كل فريق منهم إلى نسبه، وكتب إلى والي البصرة[3] كتابا، وأمره أن يقرأ في مسجد الجماعة على الناس، وأن يرد آل أبي بكرة إلى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسبهم إلى نفيع بن مسروح، وأن يرد على من أقر منهم ما أمر برده عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرائهم ممن أمر برد ماله عليه، وألا يرد على من أنكر منهم[4]، فقال في بداية كتابه إلى والي البصرة:"بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أحق ما حمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم في أمورهم وأحكامهم العمل بينهم بما في كتاب الله، والاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصبر على ذلك، والمواظبة عليه، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم للذي فيه من إقامة حدود الله، ومعرفة حقوقه، واتباع مرضاته، وإحراز جزائه، وحسن ثوابه، ولما في مخالفة ذلك، والصدود عنه، وغلبة الهوى لغيره من الضـــلال، والخسار في الدنيا والآخـــرة...".[5]

وموقف آخر للخليفة المهدي يدل على مدى تعظيمه لآيات الله والتفكر في معناها وتطبيق ما فيها وتقديمها على هوى النفس وحظوظها، حيث إنه كان يصلي فقـــرأ هذه

---

(١) وذلك أن معاوية رضي الله عنه استلحق زيادا فأصبح يسمى زياد بن أبي سفيان، وكان قبل الاستلحاق يسمى زياد بن عبيد الثقفي. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، ٢٥٤-٢٥٨.

(٢) وقد كان هذا القضاء من معاوية اجتهادا منه رضي الله عنه لإقرار أبي سفيان به في خلافة علي رضي الله عنه. ينظر: العواصم من القواصم، ابن العربي، ٢٣٥-٢٤٣.

(٣) وكان اسمه محمد بن سليمان. ينظر: تاريخ الطبري، ٥٥٦/٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٥٥٦/٤.

(٥) المصدر السابق، ٥٥٦/٤.

الآيـــة: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾[١] فأتم صلاته وأمر بإحضار موسى بن جعفر[٢]، فأحضر، فقال: يا موسى إني قرأت هذه الآية ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ فخفت أن أكون قد قطعت رحمك فوثق لي أنك لا تخرج علي، فوثق له وخلاه.[٣]

وقيل: إن المهدي رأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ فلما استيقظ طلب موسى بن جعفر، فجيء به، فعانقه وأجلسه إلى جنبه، وقال: يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا، فتؤمنني أن[لا][٤]تخرج علي أو على أحد من أولادي، فقال: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني، قال: صدقت. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله إلى المدينة.[٥]

أما الخليفة هارون الرشيد فقد دخل عليه أبو معاوية الضرير[٦]وعنده رجل من وجوه وجوه قريش، فجرى الحديث إلى أن خرج أبو معاوية إلى حديث الأعمش عن أبي صالح عن

---

(١) محمد: ٢٢.

(٢) هو موسى بن جعفر موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي، يقال: إنه ولد بالمدينة سنة(١٢٨هـ)، وقيل سنة(١٢٩هـ). كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخيا كريما، توفي في حبس الرشيد سنة(١٨٣هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٣/٢٧-٣١.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٨٨.

(٤) لا توجد في النص، ولكن السياق يقتضيها.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٥/٣٠٨-٣٠٩.

(٦) هو محمد بن خازم أبو معاوية التميمي السعدي مولى سعد بن زيد مناة، ولد سنة(١١٣هـ)، وهو من أهل الكوفة، وكان ضريرا، يقال: إنه عمي وهو ابن أربع، وقيل ثماني سنين، وهو من تلاميذ الأعمش، وكان يقول: البصراء كانوا عليّ عيالا عند الأعمش. قال يعقوب بن شيبة: محمد بن خازم الضرير مولى لبني عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم رهط سعير بن الخمس، وكان من الثقات، وربما دلس، وكان يرى الإرجاء، فيقال: إن وكيعا لم يحضر جنازته لذلك، مات سنة(١٩٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٥/٢٤٢-٢٤٨.

أبي هريرة:((أن موسى لقي آدم فقال: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة))[1] وذكر الحديث، فقال القرشي: أين لقي آدم موسى؟ فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف، زنديق والله يطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: كانت منه بادرة، و لم يفهم يا أمير المؤمنين، حتى سكنه.[2]

أما الخليفة المأمون فقد أمر بنسخ الكتاب الذي أرسله طاهر بن الحسين[3] والي خراسان إلى ابنه عبدالله[4] لما ولاه المأمون الرقة[5] وأمر أيضا بتعميم هذا الكتاب على العمال في الأقاليم لإعجابه الشديد به، وقد كان هذا الكتاب يحتوي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة.[6]

والكتاب طويل جدا. وقد أورده ابن جرير الطبري بطوله في تاريخه[7]، وسأذكر بعض الشواهد منه:

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذِكْرِهِ بَعْدُ، رقم الحديث(٣٤٠٧)، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ ، رقم الحديث(٤٧٣٦)، وباب قوله ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ رقم الحديث(٤٧٣٨)، وكتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم الحديث(٦٦١٤)، وكتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ رقم الحديث(٧٥١٥).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/٧-٨.

(٣) هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعي الأمير، مقدم الجيوش، ذو اليمينين، أبو طلحة الخزاعي، القائم بنصر خلافة المأمون، فإنه ندبه لحرب أخيه الأمين، فسار في جيش لجب، وحاصر الأمين، فظفر به، وقتله صبرا، فمقت لتسرعه في قتله، وكان شهما، مهيبا، داهية، جوادا، ممدحا، كان مع فرط شجاعته عالما، خطيبا، مفوها، بليغا، شاعرا، بلغ أعلى الرتب، ثم مات في الكهولة، سنة(٢٠٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/١٠٨-١٠٩.

(٤) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل، أبو العباس، حاكم خراسان، وما وراء النهر، تأدب، وتفقه، وله يد في النظم والنثر، قلده المأمون مصر وأفريقية، ثم خراسان، وكان ملكا مطاعا، سائسا، مهيبا، جوادا، ممدحا، من رجال الكمال، وكان يقول: سمن الكيس، ونبل الذكر لا يجتمعان. ولما مرض تاب وكسر الملاهي، وافتك الأسرى، ومات سنة(٢٣٠هـ) وله ثمان وأربعون سنة. ينظر المصدر السابق، ١٠/٦٨٤-٦٨٥.

(٥) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران مسافة قصيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/٥٩. وهي اليوم في سوريا وتبعد عن حلب ٢٠٠ كلم شرقا.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٥٩.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/١٥٦-١٦١.

قال طاهر بن الحسين:"عليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيته، ومراقبته ومزايلة سخطه، وحفظ رعيتك، والزم ما ألبســـك الله من العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه، وموقوف عليه، ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه".(١)

وقال أيضا:"وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعالك المواظــبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها...".(٢)

وقال:"ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وســـلم، والمثابرة على خلائقه، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله، وتقواه، ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه، وائتمام ما جاءت به الآثار على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحـــق الله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد".(٣)

وقال:"بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء، والحياطة للرعية، والنظر في حوائجهم، وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين، وأحيا للسنة، وأخلص نيتك في جـــميع هذا".(٤)

وقال:"واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك، وتقم لك مروءتك".(٥)

---

(١) المصدر السابق، ١٥٦/٥.

(٢) المصدر السابق، ١٥٦/٥.

(٣) المصدر السابق، ١٥٦/٥.

(٤) المصدر السابق، ١٥٧/٥.

(٥) المصدر السابق، ١٥٧/٥.

وقال:"واجتنب سوء الأهواء والجور، واصرف عنهما رأيك، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل سياستهم، وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى".[1]

وقال:"وأخلص لله النية فيه –أي الملك–، واليقين به، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء".[2]

وقال:"وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى، وارج الثواب، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا، واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر...وأكثر مشاورة الفقهاء".[3]

وقال:"ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله، والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسنته، وإقامة دينه وكتابه، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه، ودعا إلى سخط الله".[4]

وبهذا يتبين ما لهذا الكتاب من قيمة ومكانة دينية كبيرة، حتى أثنى عليه المأمون فقال:"ما بقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين، والدنيا، والتدبير، والرأي، والسياسة، وإصلاح الملك والرعية، وحفظ البيضة، وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة، إلا وقد أحكمه وأوصى به".[5]

والخليفة المعتضد أمر بالكتاب إلى جميع النواحي برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام، وإبطال ديوان المواريث، وصرف عُمّالها، فنفذت الكتب بذلك، وقرئت على المنابر.[6]

---

(١) المصدر السابق، ١٥٧/٥.

(٢) المصدر السابق، ١٥٧/٥.

(٣) المصدر السابق، ١٥٨/٥.

(٤) المصدر السابق، ١٦٠/٥.

(٥) المصدر السابق، ١٦١/٥.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٦١٤/٥.

وكان السبب في ذلك أنه استفتى القضاة في ذلك، فكتب أبو حازم القاضي[1]، وعلي ابن محمد بن أبي الشوارب[2] بردها على ذوي الأرحام، وذكر أنه اتفاق الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وإنما خالفهم زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه، فإنه رأى ردها إلى بيت المال، ولم يتابعه آخر على ذلك، وأفتى يوسف ابن يعقوب[3] بقول زيد، فأمر المعتضد بالعمل بما كتب به أبو حازم، والإضراب عن فتيا يوسف، وكتب بذلك إلى الآفاق.[4]

وفي عمل المعتضد هذا تقديم للسنة التي أمرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بالتمسك بها حيث قال: ((...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها

---

(١) هو عبدالحميد بن عبدالعزيز أبو حازم القاضي الحنفي، أصله من البصرة، وكان ثقة، ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من مدينة السلام، استقضاه المعتضد بالله على الشرقية سنة(٢٨٣هـ)، وكان رجلا دينا ورعا، عالما بمذهب أهل العراق، والفرائض والحساب والزرع والقسمة، حسن العلم بالجبر والمقابلة وحساب الدور وغامض الوصايا والمناسخات، قدوة في العلم بصناعة الحكم ومباشرة الخصوم، وأحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات والإقرارات، مات سنة(٢٩٢هـ) ولم يغير شيبه، وكان تقيا. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/٦٢-٦٦.

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أبو الحسن الأموي البصري قاضي سر من رأى وبغداد، وكان ثقة، تولى قضاء بغداد مضافا إلى ما كان يتقلده من القضاء بسر من رأى وأعمالها، وقبل هذا كان على قضاء القضاة بسر من رأى في أيام المعتز والمهتدي، وكان حسن الحديث كثير الرواية عن أبي الوليد الطيالسي، غير متهم، توفي سنة(٢٨٣هـ). ينظر: المصدر السابق، ١٢/٥٩.

(٣) هو يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، كان قد نظر في الرأي، وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبعي والسري بن يحيى ونحوهما، وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد، ولم يزل على القضاء ببغداد إلى حين وفاته سنة(١٩٢هـ)، وقد حدث شيئا يسيرا. ينظر: المصدر السابق، ١٤/٢٩٦.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي، ١٢/٣٦٠.

بالنواجذ...))[1] فقد ورد القول بالرد عن عمر وعلي رضي الله عنهما وهما من الخلفاء الراشدين الذين أمرنا بالتمسك بهديهم.[2]

وقد قام بعده ابنه الخليفة المقتدر بمثل ذلك من الرد على ذوي الفروض.[3]

هذه بعض مواقف الخلفاء العباسيين في تقديم الكتاب والسنة، وقد وردت هذه المواقف عن الخليفة السفاح، والمنصور، والمهدي، وهارون الرشيد، والمأمون، والمتوكل، والمعتضد، والمقتدر، وهؤلاء الخلفاء جميعهم من أقوى خلفاء بني العباس الذين تميزوا بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة، والدفاع عنه، والدعوة إليه، وهم من العصر الأول والثاني.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم الحديث(٤٦٠٧)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/١١٨.

(٢) وهذا القول هو الراجح عند الجمهور، والرد يكون على جميع أصحاب الفروض عدا الزوجين، ينظر: التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية، صالح الفوزان، ٢٥١-٢٥٤.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٢٠، وتاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٣/٣٤٩.

المبحث الثاني

تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته

أوجب ربنا سبحانه وتعالى علينا محبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتعظيمه، واحترامه، وتوقيره، ونصرته، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).[1]

وهذه الخصلة أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهي تابعة لتقديم الكتاب والسنة، فإن المرء لا يقدم الكتاب والسنة على هواه إلا لتعظيمه الرسول صلى الله عليه وسلم، والوحي الذي أوحي إليه.

قال البيهقي في شعب الإيمان:"باب في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله وتوقيره صلى الله عليه وسلم، وهذه منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محب معظما، إلا أن الوالد يحب ولده، ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد محب والده جمع له بين التكريم و التعظيم، والسيد قد يحب مماليكه ولكن لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة".[2]

وقد تعددت الوسائل والطرق التي تؤدي إلى تعظيمه ومحبته، منها ما يكون بالطاعة والاتباع لهديه وشرائعه التي أوحيت إليه من رب العالمين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.[3]

ومنها ما يكون بمحبته، والأدب معه حيا وميتا، وعدم التقدم عليه، وعدم رفع الصوت بين يديه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، رقم الحديث(١٥).

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، ١٩٣/٢.

(٣) آل عمران: ٣١.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾.[1]

ومنها أيضا ما يكون بالعناية بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم، والحفاظ عليها، والتبرك بها[2]، وقد ورد هذا عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، فقد جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه! فاكسنيها. فقال:((نعم))، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها.[3]

وقد روت أم عطية رضي الله عنها، أنها لما فرغت هي ومن معها من النساء من تغسيل ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها لما ماتت، نزع النبي صلى الله عليه وسلم من حقوه إزاره، وقال:((أشعرنها إياه)).[4]

قال النووي:"والحكمة في إشعارها به تبريكها".[5]

وقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب فرض الخمس بابا قال فيه:"باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وسلم، وعصاه، وسيفه، وقدحه، وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم تذكر قسمته، ومن شعره، ونعله، وآنيته مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته".[6]

---

(١) الحجرات: ١-٢.

(٢) ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، ٢٤٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث(٦٠٣٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل، رقم الحديث(١٢٥٧).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم، ٣/٧.

(٦) صحيح البخاري، ٥١٤.

لذا فقد حذا الخلفاء العباسيون حذو الصحابة والتابعين في الحفاظ على آثار الرسول صلى الله عليه وسلم، فالخليفة السفاح اشترى البردة التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحب أيلة لما صالحهم، اشتراها بثلاثمائة دينار.[1]

قال ابن كثير:"وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفا عن سلف، كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، ويبهر به الأبصار، ويلبسون السواد في أيام الجمع والأعياد، وذلك اقتداءً منهم بسيد أهل البدو والحضر، ممن يسكن الوبر والمدر".[2]

وقال السيوطي:"وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً، وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار، فإنا لله وإنا إليه راجعون".[3]

---

(١) ذكر الماوردي في(الأحكام السلطانية)(ص٢٢٢) أن هذه البردة أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة أمانا لهم، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبي أوفى وكان عاملا عليهم من قبل مروان بن محمد فبعث بها إليه، وكانت في خزائنه حتى أخذت بعد قتله، وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار، وذكر السيوطي في(تاريخ الخلفاء)(ص٢٠) أن كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته (بانت سعاد) رمى إليه ببردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب: بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف درهم. فأبى عليه، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم، وأخذ منهم البردة التي هي عند خلفاء آل العباس، وهكذا قاله خلائق آخرون، أما الذهبي في (تاريخ الإسلام—السيرة النبوية)(ص٤٩٥) فقد ذكر أن البردة التي مع خلفاء بني أمية غير البردة التي اشتراها السفاح الخليفة العباسي الأول من أهل أيلة وصار يتوارثها بعد ذلك الخلفاء من بعده، وعلق السيوطي بعد ذلك (تاريخ الخلفاء)(ص٢٠) فقال: فكانت التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٨/٦.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٠.

ولما خرج الخليفة المسترشد لقتال دبيس بن صدقة الرافضي[1] كان عليه القباء والعمامة وبردة النبي صلى الله عليه وسلم على كتفيه، والطرحة على رأسه، وبيده القضيب.[2]

أما سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذو الفقار[3] فقد كان مع خلفاء بني العباس يتوارثونه بينهم، وذلك أنه وصل إليهم عندما أعطاه محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[4] لرجل كان على محمد دين له، وأوصاه أن يبيعه على أحد الطالبيين ليستوفي حقه، فلما ولى الخليفة المهدي جعفر بن سليمان[5] المدينة علم بالسيف، فدعا الرجل واشتراه منه، فأخذه منه الخليفة المهدي، فصار عند خلفاء بني العباس يتوارثونه.[6]

---

(١) هو دبيس أبو الأعز بن صدقة بن منصور الأسدي، صاحب الحلة، الملك، نور الدولة، كان أديبا، جوادا، ممدحا، من نجباء العرب، ترامت به الأسفار إلى الأطراف، وجال في خراسان، واستولى على كثير من بلاد العراق، وخيف من سطوته، وحارب المسترشد بالله، ثم لحق بالسلطان مسعود، فقتله غدرا سنة(٥٢٩هـ)، وأراح الله الأمة منه، فقد نهب وأرجف، وفعل العظائم، وكان دبيس شيعيا كآبائه. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٦١٢-٦١٣.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/٢١٠.

(٣) سمي (ذو الفقار) لأنه كانت في إحدى شفرتيه حزوز سميت بفقار الظهر. ينظر: فيض القدير، المناوي، ٥/١٧٥، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد غنمه يوم بدر، ينظر: مغازي الواقدي، ١/١٠٣.

(٤) هو محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، يكنى بأبي عبدالله، ظهر بالمدينة بعد حبس المنصور لأبيه وأهل بيته، فقتله عيسى بن موسى سنة(١٤٥هـ) وله ثلاث وخمسون سنة، كان نهاية في العلم والزهد وقوة البدن وشجاعة القلب. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣/٢٤٢-٢٤٤.

(٥) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الأمير سيد بني هاشم، أبو القاسم العباسي، ابن عم المنصور، وكان من نبلاء الملوك جودا وبذلا، وشجاعة وعلما، وجلالة وسؤددا، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد، قال عبدالسميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد، مات عن ثمانين ولدا لصلبه، منهم ثلاثة وأربعون ذكرا، وله مآثر كثيرة، ووقف على المنقطعين، توفي سنة(١٧٤هـ) وقيل (١٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/٢٣٩-٢٤٠.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٤٤٦.

قال الأصمعيّ:"رأيت الرشيد أمير المؤمنين بطوس[1]، متقلداً سيفاً، فقال لي: يا أصمعيّ، ألا أريك ذا الفقار؟ قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: استلّ سيفي، فاستللته، فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة".[2]

أما حربة[3] الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت تحمل بين يديه، فقد جيء بها للخليفة المتوكل ففرح بها فرحا شديدا، وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله عليه وسلم يوم العيد وغيره، وقد كانت للنجاشي فوهبها للزبير بن العوام، فوهبها الزبير للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن المتوكل أمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.[4]

وقد كانت هذه الحربة تحمل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره لأنه كان يصلي إليها، وكان يخرج بها يوم العيد فتغرز بالمصلى لأنه ليس ثمّ بناء ولا غيره، وكان بلال رضي الله عنه في حجة الوداع يخرج بها فيركزها، وصلى إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والحمار والكلب يمران من ورائها.[5]

---

(١) طوس: وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، الحموي، ٤/٤٩.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/٤٤٧.

(٣) المقصود بها العنزة: والعَنَزَةُ عصاً في قَدْر نصف الرُّمْح أَو أَكثر شيئاً، فيها سِنانٌ مثل سنان الرمح، وقيل في طرفها الأَسفل زُجٌّ كزج الرمح يتوكأُ عليها الشيخ الكبير، وقيل هي أَطول من العصا وأَقصر من الرمح، والعُكَّازَةُ قريب منها، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/٤٢٤. وقد ذكر البلاذري في(أنساب الأشراف)(١/٥٢٣) أن هذه العنزة أعطاها النجاشي رضي الله عنه للزبير بن العوام رضي الله عنه فقاتل بها مع النجاشي حتى ظهر النجاشي على عدوه، وقدم الزبير بها فشهد بدراً وهي معه، وشهد بها يوم أحد ويوم خيبر، ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه منصرفه من خيبر، فكانت تحمل بين يديه يوم العيد: يحملها بلال بن رباح رضي الله عنه، يخرج بها في أسفاره فتركز بين يديه يصلي إليها، وتوفي صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك، وكان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم على ذلك، وقيل: إن النجاشي بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عنزات، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم واحدة، وأعطى عمر رضي الله تعالى عنه واحدة، وأعطى علياً رضي الله تعالى عنه واحدة، ويقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاع عنزات فأعطى الزبير منها عنزة، وفرّقها في أصحابه، وكانت هذه العنزة منها تحمل بين يديه، والأول أثبت، وقد أمر المتوكل على الله أمير المؤمنين بحمل هذه العنزة إليه بسُرّ من رأى.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣٤٥.

(٥) ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري، ١/٥٢٤.

وكان من تعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة له بمجرد ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، فقد تنازع قوم من أهل البصرة في نهر من أنهار البصرة، عند الخليفة المهدي فقال: إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين، فما لم يقع له ابتياع منها يعود ثمنه على كافتهم وفي مصلحتهم، فلا سبيل لأحد عليه، فقال القوم: هذا النهر لنا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه قال:((من أحيا أرضا ميتة فهي له))[1] وهذه موات، فوثب المهدي عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألصق خده بالتراب، وقال:"سمعت لما قال وأطعت".[2]

ومن ثناء المهدي على النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره الأصمعي فقال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول:"إن الله أمر بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[3] آثره صلى الله عليه وسلم بها من بين الرسل، واختصكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر.[4]

ومن تعظيمهم لرسول صلى الله عليه وسلم الدفاع والذب عنه، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن رجلا شتم قريشا وتخطى إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد الخليفة الهادي، فجلس مجلسا أحضر فيه فقهاء زمانه ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل، وأحضر الشهود فشهدوا عليه بما سمعوا منه، فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ورفعه، فقال: إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن عبدالله عن أبيه عبدالله بن عباس قال:"من أراد هوان قريش أهانه الله"[5] وأنت يا

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، رقم الحديث(٣٠٧٣)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٢/٢٦٦.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢٠.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

(٤) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٢٢/٣٠٤-٣٠٥.

(٥) رواه الترمذي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب المناقب، باب فضل الأنصار وقريش، رقم الحديث(٣٩٠٥). قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي، ٣/٥٨٢.

عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، اضربوا عنقه. فما برحنا حتى قتل".[1]

وقد كانت هيبة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلبه ونفسه عظيمة وكبيرة، فقد أنشد عنده أحد الشعراء، فقال:

يا خير من عقدت كفـاه حجزتـه وخير من قلدتـه أمرهـا مضـرُ

فقال الهادي: إلا مَنْ؟ ففكر الشاعر فقال:

إلا النبيَّ رسـولَ الله إن لـه فضلاً وأنت بذاك الفضل تفتخـر

فقال: الآن أصبت وأحسنت، وأمر له بخمسين ألفاً. فكان أحد جلسائه يقول: والله إني لأرجو أن يغفر الله للهادي فيرحمه لما رأيته منه.[2]

ومن تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم عند الخليفة الرشيد أنه كلما ذكر عنده الرسول صلى الله عليه وسلم قال: صلى الله على سيدي ومولاي.[3]

ومن تعظيم الخلفاء العباسيين للرسول صلى الله عليه وسلم امتثالهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في الرؤيا، فقد امتثل الخليفة المتقي لرؤيا امرأة لما جدبت الأرض رأت الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء.

قال ابن الجوزي:"وفي هذه السنة –٣٢٩هـ– خرج التشرينان والكانونان وشباط[4]بلا مطر إلا مطرة واحدة خفيفة لم يسل منها ميزاب...فوقع الموت في المواشي والعلل في الناس وكثرت الحمى ووجع المفاصل ودام، حتى تكشف المتجملون، وهلك الفقراء، واحتاج الناس إلى الاستسقاء فرئي منام عجيب...نادى منادي المتقى في زمن

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢٣/١٣.

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري، ٨٩/٢-٩٠.

(٣) ينظر: المعرفة والتاريخ، يعقوب الفسوي، ١٨١/٢.

(٤) هذه أسماء للشهور السريانية والتي كانت تستعملها الشعوب السامية الشمالية، وهي: نيسان ومايس وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٤٥٣/٨.

خلافته في الأسواق أن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته: إن امرأة صالحة رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منامها فشكت احتباس القطر، فقال لها: قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى ويستسقون ويدعون الله فإنه يسقيهم في يومهم. وأن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج في يوم الثلاثاء كما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نياتكم، وإقلاع من ذنوبكم. قال: فأخبرني الجم الغفير أنهم لما سمعوا النداء ضجت الأسواق بالبكاء والدعاء، فشق ذلك علي، وقلت: في منام امرأة لا يدرى كيف تأويله؟ وهل يصح أم لا؟ ينادي به خليفة في أسواق مدينة السلام، فإن لم يسقوا كيف يكون حالنا مع الكفار؟ فليته أمر الناس بالخروج و لم يذكر هذا، وما زلت قلقا حتى أتى يوم الثلاثاء، فقيل لي: إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك[1] إمام الجوامع، وخرج أكثر أصحاب السلطان والفقهاء والأشراف، فلما كان قبل الظهر ارتفعت سحابة، ثم طبقت الآفاق، ثم أسبلت عزاليها[2] بمطر جود، فرجع الناس حفاة من الوحل".[3]

والخليفة المقتفي أيضا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه قبل توليه الخلافة يبشره بأن الأمر سيؤول إليه، ويأمره بالاقتفاء به، فسمى نفسه المقتفي استجابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) هو أحمد بن الفضل بن عبد الملك، أبو الحسن الهاشمي، كان يتولى الإمامة في الصلوات بجامع الرصافة بعد أبي هاشم المطلب بن إبراهيم بن عبد العزيز الهاشمي، وولي ذلك في ذي الحجة من سنة(٣٢٢هـ) ومات في المحرم من سنة(٣٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٤٨/٤.

(٢) أي كثر مطرها. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٩٢/٩.

(٣) المنتظم، ابن الجوزي، ٦/١٤-٨.

وذكر ابن الجوزي أن المقتفي رأى في منامه قبل أن يلي بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك، فاقتف بي. فتلقب المقتفي لأمر الله.[١]

ومن تعظيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم احترام أقواله، وإكرام من يبلغهم قولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعلمونه من قبل، قال هدبة بن خالد[٢]: حضرت غداء أمير المؤمنين المأمون، فلما رفعت المائدة جعلتُ ألتقط ما في الأرض، فنظر إليّ المأمون، فقال: أما شبعت يا شيخ. قلت: بلى يا أمير المؤمنين، إنما شبعت في فنائك وكنفك، ولكني حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر))[٣] فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه، فأشار إليه، فما شعرت حتى جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار، فناولني فقلت: يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من ذاك.[٤]

ومن تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم عند خلفاء بني العباس لبسهم السواد تأسيا به صلى الله عليه وسلم لأنه عندما دخل مكة فاتحا منتصرا كان يلبس عمامة سوداء[٥]، لذا قال ابن القيم:"وفي القصة: أنه –صلى الله عليه وسلم– دخل مكة وعليه عمامة سوداء، ففيه

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٣/١٧-٣١٤.

(٢) هو هدبة بن خالد بن أسود بن هدبة القيسي، الحافظ، الصادق، مسند وقته، أبو خالد القيسي، الثوباني، البصري، ويقال له: هداب، وهو أخو الحافظ أمية بن خالد، ولد بعد سنة(١٤٠هـ) بقليل، واختلفوا في تاريخ موته فقيل: سنة(٢٣٥هـ) وقيل: غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩٧/١١-١٠٠.

(٣) هذا الحديث ذكره القاضي التنوخي (المحسن بن علي بن أبي الفهم ت٣٨٤هـ) في كتابه (نشوار المحاضرة)(٢٤٢/٧)، ورواه أبو نعيم الأصبهاني بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه (ذكر أخبار أصبهان)(٣٥٥/٢) ولكني لم أجد للعلماء حكما على الحديث.

(٤) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣١٨/٣٣.

(٥) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم الحديث(١٣٥٨و١٣٥٩).

دليل على جواز لبس السواد أحيانا، ومن ثم جعل خلفاء بني العباس لبس السواد شعارا لهم، ولولاتهم، وقضاتهم، وخطبائهم".[1]

ومن تعظيم الخلفاء العباسيين للرسول صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له: إكرامهم واحترامهم لآل بيته الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فقد قام الخليفة السفاح برد أرض فدك[2] إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3] فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب، ثم أخذت منهم، فلما ولي الخليفة المهدي أعادها إليهم، ثم أخذت منهم حتى أيام الخليفة المأمون فجاءه رسول بني بن أبي طالب فطالب بها، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها، فكتب السجل وقرئ على المأمون.[4]

أما الخليفة المنصور فقد أظهر محبته لآل البيت والثناء عليهم في أصعب الأوقات بينه وبينهم، فلما قامت الفتنة بينه وبين محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٤٠٢/٣. وذكر الذهبي: إن أول من سن للدولة العباسية لبس السواد هو أبو مسلم الخراساني. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٥١/٦.

(٢) ذكر البلاذري في(أنساب الأشراف)(٥١٩/١) أن هذه الأرض كانت من صفايا الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جعلها صدقة في أبناء السبيل، ولما طلبتها فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر رضي الله عنه أخبرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي، فإذا مت فهي بين المسلمين))، وكذلك زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم طالبن بها غير عائشة رضي الله عنهن أجمعين، فذكرتهن عائشة رضي الله عنها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة)) فأمسكن، وكذلك فعل العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأبو بكر رضي الله عنه يأبى أن يعطيهما تطبيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان)(٢٣٨/٤) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين رأى أن يردها إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) ١٠٤/٢-١٠٥ أنها بقيت على هذا الحال حتى جاءت الخلافة الأموية فأخذت منهم، ثم أعادها لهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ثم بعد وفاته أخذت منهم مرة أخرى، ثم ردها عليهم الخليفة العباسي السفاح.

(٣) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو من أهل المدينة قدم الأنبار على السفاح أمير المؤمنين مع أخيه عبدالله بن الحسن وجماعة من الطالبيين، فأكرمهم السفاح وأجازهم، ورجعوا إلى المدينة، فلما ولي المنصور حبس الحسن بن الحسن وأخاه عبدالله لأجل محمد وإبراهيم ابني عبدالله، فلم يزالا في حبسه حتى ماتا، وكانت وفاة الحسن سنة(١٤٥هـ) وهو ابن ثمان وستين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢٩٣/٧.

(٤) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٣٩/٤.

طالب بالمدينة وأخيه إبراهيم[1] بالبصرة، بلغ المنصور في غبون هذا الأمر أن محمدا فرّ من الحرب، فكذَّب المنصور هذا الخبر وقال: لا، إنا أهلُ بيت لا نفر.[2]

ولما أُتي برأس إبراهيم بن عبدالله فوُضع بين يديه، بكى حتى قطرت دموعه على خد إبراهيم، ثم قال: أما والله إن كنت لهذا لكارها، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك.[3]

ولما أُتي المنصور برأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن، فوُضع بين يديه في تُرس، فأكبّ عليه بعض السيافة، فبصق في وجهه، فنظر إليه أبو جعفر نظرا شديدا، وأمر بدق أنفه، فضُربت أنفه بالعمود ضربة لو طَلب له أنف بألف دينار ما وجد، وأخذتْه أعمدة الحرس، فما زال يهشم بها حتى خمد، ثم جر برجله.[4]

ولما جيء برأس إبراهيم جلس المنصور مجلسا عاما، وأذن للناس، فكان الداخل يدخل، فيسلم، ويتناول إبراهيم، فيسيء القول فيه، ويذكر منه القبيح التماسا لرضا أبي جعفر، وأبو جعفر ممسك متغير لونه، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني[5] فوقف، فسلم، ثم قال: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حقك. فأسفر لون أبي جعفر، وأقبل عليه، فقال: أبا خالد مرحبا وأهلا ها هنا -أي دعاه للجلوس بالقرب منه- فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة.[6]

---

(١) هو إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب أحد الأمراء الأشراف الشجعان، خرج بالبصرة على المنصور، وكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، انتهت بمقتله سنة(١٤٥هـ). ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام ١٤١ه-١٦٠هـ) الذهبي، ٣٦-٤٤.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٤٤٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٤/٤٧٦.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٢٨.

(٥) هو جعفرُ بن حنظلة بن جعفر بن هانِىء بن جعفر بن عامر بن الحارث، فارسُ بهراء، وليَ خُراسان أيام هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو الذي تكلَّم في شيعةِ بني العبَّاس فصفح عنهم أسدُ بن عبدالله بن يزيد القسريّ. ينظر: نسب معد واليمن الكبير، الكلبي، ٢/٧٠٣.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٤٧٦-٤٧٧.

وقد وردت مقولة عن الخليفة أبي جعفر المنصور تبين أنه كان مضطرا في اتخاذه هذا الإجراء مع إبراهيم وأخيه، حيث يقول:"الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثا: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك"(١)، وتروى أيضا عن الخليفة المأمون.(٢)

والخليفة الرشيد كان معظما للرسول صلى الله عليه وسلم ولآل بيته أيضا، فلما حج، أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش ورؤساء القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم، فقال موسى: السلام عليك يا أبتِ، فقال الرشيد: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا.(٣)

وقال الرشيد يوماً: بلغني أن العامة يظنون بي بغض علي بن أبي طالب، والله ما أحب أحداً حبي له، ولكن ولده هؤلاء أشد الناس بغضاً لنا، وطعناً علينا، وسعياً في إفساد ملكنا، بعد أخذنا بثأرهم، ومساهمتنا إياهم ما حوينا، حتى إنهم لأميل إلى بني أمية منهم إلينا، فأما علي وولده لصلبه، وأولاد أولاده، فهم سادة الأهل، والسابقون إلى الفضل، ولقد حدثني أبي المهدي عن أبيه المنصور بن محمد بن علي عن أبيه عن ابن العباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحسن والحسين رضي الله عنهما:((من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني))(٤) وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول في فاطمة رضي الله عنها:((فاطمة سيدة نساء العالمين، ما خلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم))(٥).(٦)

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٥٣٢/٤.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣١٤/٣٣.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٠٩/٥.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعن أبويهما، رقم الحديث(٨١٦٨)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: السلسلة الصحيحة، ٩٦/٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٣٨٨/٦.

(٦) نثر الدر، الآبي، ٧٠/٣.

أما الخليفة الواثق فقد ذُكر عنه أنه ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب من خلفاء بني العباس ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير.[1]

وبهذا يتبين أن أكثر خلفاء بني العباس كانوا مجمعين على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمه، وتوقيره، فما قدموا قوله، ولا أحسنوا لآل بيته، إلا لأجل ذلك.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/١٩.

المبحث الثالث

لزوم السنة واتباعها

أوصانا ربنا سبحانه وتعالى بلزوم سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم واتباعها، وبيّن سبحانه أن ذلك علامة محبة العبد لربه، وجزاؤها يكون محبة الرب سبحانه لعبده ومغفرة لذنوبه، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.[1]

وقد حكى لنا الصحابي الجليل العرباض بن سارية رضي الله عنه –وكان من البكائين[2]– أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعظهم موعظة ذرفت منها عيونهم، ووجلت لها قلوبهم، جعلتهم يظنون أنها موعظة مودع، فطلبوا منه الوصية حينئذ، فقال صلى الله عليه وسلم:((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)).[3]

وقد عرّف ابن تيمية السنّة فقال:"السنة: هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا".[4]

وامتثالا لما سبق فقد بدرت مواقف لخلفاء بني العباس تدل على حرصهم على لزوم سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، منها محافظتهم على الصلوات في أوقاتها، يقول ابن تيمية في ذلك:"وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهدا للصلوات في أوقاتها من بني أمية، فإن أولئك كانوا كثيري الإضاعة لمواقيت الصلاة كما جاءت فيهم الأحاديث((سيكون بعدي

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) ينظر: كتاب السنة، لابن أبي عاصم، ٢٩/١، وحلية الأولياء، لأبي نعيم، ١٣/٢.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث(٤٦٠٧)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ١١٩/٣.

(٤) الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ٥٣٥-٥٣٦.

أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة))[1]".[2]

ومنها أنهم جعلوا الخطبة بعد صلاة العيدين، كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.[3]

ومنها أن الخليفة السفاح نظر يوما في المرآة، وكان من أجمل الناس وجها، فقال: اللهم إني لا أقول كما قال عبد الملك أنا الملك الشاب، ولكن أقول: اللهم عمّرني طويلا في طاعتك ممتعا بالعافية. فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر: الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام، فتطير من كلامه، وقال: حسبي الله، لا قوة إلا بالله، عليه توكلي، وبه أستعين.[4]

وهذا يدل دلالة واضحة على العلم الذي كان يتحلى به الخليفة السفاح، ومدى التزامه بالسنة، وذلك في قوله: حسبى الله، لا قوة إلا بالله، عليه توكلي، وبه أستعين. وهو امتثال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:((الطيرة شرك، الطيرة شرك"ثلاثا"، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل)).[5]

ومنها أن الخليفة المنصور دعا الإمام الأوزاعي فقال له: أريد الأخذ عنك، والاقتباس منك. قال الأوزاعي: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك. قال المنصور: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وقد وجهت إليك وأقدمتك له. قال الأوزاعي: أن تسمعه ولا تعمل به يا أمير المؤمنين، من كره الحق فقد كره، إن الله هو الحق المبين. فصاح بي

---

(١) رواه مسلم بلفظ:((إنه سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة، فصل الصلاة لوقتها، فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة وإلا كنت قد أحرزت صلاتك)) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام، رقم الحديث ٦٤٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٠/٤-٢١.

(٣) ينظر: العرف الشذي، الكشميري الهندي، ٣٥/٢، سؤالات الآجري، أبو داود السجستاني، ٢٩٠، والمحلى، ابن حزم، ٨٥/٥، وسير أعلام النبلاء، حاشية المحقق، ٥٦/٩.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٤٩.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم الحديث (٣٩١٠)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٧٤/٢.

الربيع[1] وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة. فطابت نفس الأوزاعي، وانبسط في الكلام، فكان من موعظته للمنصور قوله:"يا أمير المؤمنين حدثنا مكحول عن عطية عن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أيما عبد آتاه موعظة من الله في دينه، فإنما هي نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجة من الله ليزداد بها إثما، ويزداد عليه سخطا)).[2]

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية عن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة)).[3]

يا أمير المؤمنين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولوكم، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه وذات يده، وعند الناس لحقيق أن يقوم له فيهم بالحق، وأن يكون بالقسط له فيهم قائما، ولعوراتهم ساترا، لم يغلق عليه دونهم الأبواب، ولم يقم عليهم دونهم الحجاب، يبتهج بالنعمة عندهم، ويبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا اتبعك منهم فئام وراء فئام ليس منهم أحد إلا وهو يشكو شكوى أو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه،...

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القِصَاص من نفسه، في خدشة خدشها أعرابيا لم يتعمده، فأتاه جبريل فقال: إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا. فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) هو الربيع بن يونس أبو الفضل الأموي الوزير، من موالي عثمان رضي الله عنه حجب للمنصور، ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني، وكان من نبلاء الرجال، وألبائهم، وفضلائهم، توفي سنة(١٦٩هـ) وقيل: في أول سنة سبعين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٣٥/٧-٣٣٦.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٣٦/٦، قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، ٥٠٦.

(٣) المصدر السابق، ١٣٦/٦، قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، ١١٩٤.

فقال:((اقتص مني)) فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي ما كنت لأفعل ذلك أبدا، ولو أتيت على نفسي. فدعا الله له بخير.[1]

يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله. قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((ما من وال يلي من أمور الناس شيئا، إلا أُتي به يوم القيامة فيوقف على جسر من نار، فينتفض به الجسر انتفاضا يزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسنا نجا بإحسانه، وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر، فهوى به في النار سبعين خريفا))[2] قال له: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان. فأرسل إليهما عمر فسألهما، فقالا: نعم، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. فقال أبو ذر: من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض. قال الأوزاعي: فأخذ –المنصور– المنديل فوضـــعه على وجهه، ثم بكى وانتحب حتى أبكاني".[3]

ومنها أنه لما حج الخليفة المهدي أمر بتوسعة مسجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونزع المقصورة[4] التي كانت فيه لإعادته على ما كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٦٧/٤، قال عنه الحاكم تفرد به أحمد بن عبيد عن محمد بن مصعب ومحمد ابن مصعب ثقة، وقال ابن عدي: أحمد بن عبيد صدوق له مناكير ومحمد ضعيف. ينظر: الكامل في الضعفاء، ابن عدي، ١٨٨/١، ٢٦٥/٦.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٣٨/٦.

(٣) المصدر السابق، ١٣٦/٦-١٣٨.

(٤) المقصورة الحجرة في طرف المحراب يصلي فيها الأمير عادة خشية اغتياله. معجم لغة الفقهاء، محمد قلعه جي وحامد قنيبي،(٤٥٤). وسميت مقصورة لأنها قصرت على الإمام دون الناس. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٨٦/١١. ذكر ابن شبة في (تاريخ المدينة المنورة)(٩/١) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أول من عمل المقصورة من لبن، وأن عمر بن عبدالعزيز عملها من الســـاج. وذكر العسكري في (الأوائل)(ص١١٧) أن معاوية أول من عمل المقصورة في المسجد، وقيل مروان بن الحكم اتخذها خوفا أن يصيبه مثل ما أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. وذكر ابن الجوزي في (المنتظم)(٢١٠/٥) أن معاوية اتخذ المقصورة في الشام، واتخذها مروان في المدينة. وذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء)(ص١٢٨) أن العسكري في أوائله ذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أول من اتخذ المقصورة خوفا من أن يصيبه ما أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكني لم أجد هذا الكلام في كتاب العسكري، فقد يكون ذلك خطأ من الناسخ، والله تعالى أعلم.

وسلم، وحاول إعادة منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وإنقاصه حتى يكون مثل ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر له عن مالك بن أنس رحمه الله أنه شاور في ذلك، فقيل له: إن المسامير قد سلكت في الخشب الذي أحدثه معاوية وفي الخشب الأول وهو عتيق، فلا نأمن إن خرجت المسامير التي فيه وزعزعت أن يتكسر. فتركه المهدي خوفا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

فقام الخليفة المهدي في السنة التي بعدها بالكتابة إلى الآفاق بنزع المقاصير من مساجد الجماعات، وتقصير المنابر وتصييرها إلى مقدار الذي عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمل به.(٢)

أما الخليفة هارون الرشيد فقد كان من أحرص الخلفاء العباسيين على لزوم السنة واتباعها، فقد أمر بأن يكتب في الرسائل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله عز وجل.(٣)

وقد كان أيضا يحب الموعظة الحسنة ويقبلها، ويبكي من سماعها، فقد حدثت له عدة مواقف تبين مدى تأثره بالموعظة الحسنة التي تحثه على ازدراء الدنيا والعمل للآخرة، منها ما رواه الفضل بن الربيع(٤) قال: حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة، فإذا بهلول المجنون يهذي، فقلت: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكت، فـــلما حاذاه الهودج قال: يا أمير المؤمنين، حدَّثنا إسحاق بن بابل قال: حدَّثنا قدامة بن عبدالله العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل، وتحته رحل رث، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٥٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٤/٥٦١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/١٧٧، وتاريخ الطبري، ٤/٦٤٥.

(٤) هو الفضل بن الربيع بن يونس، حاجب الرشيد، وكان أبوه حاجب المنصور، وكان من رجال العالم حشمة، وسؤددا، وحزما، ورأيا، قام بخلافة الأمين، وساق إليه خزائن الرشيد، وسلم إليه البرد والقضيب والخاتم، جاءه بذلك من طوس، وصار هو الكل لاشتغال الأمين باللعب، فلما أدبرت دولة الأمين، اختفى الفضل مدة طويلة، ثم ظهر إذ بويع إبراهيم ابن المهدي، فساس نفسه، ولم يقم معه، ولذلك عفا عنه المأمون، مات سنة(٢٠٨هـ) في عشر السبعين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/١٠٩-١١٠.

إليك. قلت: يا أمير المؤمنين، إنه بهلول المجنون. قال: قد عرفته، قل يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين:

فهب أن قد ملكت الأرض طــرّاً   ودان لك العبــاد فكــان مــاذا

أليس غداً مصيرك جوف قـــبر   ويحثو التـــرب هــذا ثم هــذا

قال: أجدت يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مَنْ رزقه اللّه جمالاً ومالاً، فعفّ في جماله، وواسى في ماله، كُتب في ديوان الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئاً، قال: فإنا قد أمرنا بقضاء دينك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض ديناً بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك. قال: إنا قد أمرنا أن نجري عليك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك شيئاً وينساني، أجرى عليَّ الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك.[1]

ومنها أيضا أن الفضيل بن عياض أو غيره قال له مرة:"إن الله لم يجعل أحدا من هؤلاء فوقك في الدنيا، فاجهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة، فاكدح لنفسك واعملها في طاعة ربك".[2]

وقال له مرة:"يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة، حدثنا ليث عن مجاهد ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾[3] قال الوصل التي كانت بينهم في الدنيا"فجعل هارون الرشيد يبكي ويشهق.[4]

ودخل عليه ابن السماك[5] يوما، فاستسقى الرشيد فأُتي بقلة فيها ماء مبرد، فقال لابن السماك: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو مُنِعْتَها؟ فقال:

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٩/١٥٥-١٥٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٠٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥. وقد رويت هذه المقولة للرشيد عن ابن السماك ومسيب بن سعيد. ينظر: شعب الإيمان، البيهقي، ٦/٣٩.

(٣) البقرة: ١٦٦.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/٨.

(٥) هو أبو العباس محمد بن صبيح العجلي مولاهم الكوفي، ابن السماك، الزاهد، القدوة، سيد الوعاظ، توفي سنة(١٨٣ه) وقد أسن. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/٣٢٨-٣٣٠.

بنصف ملكي. فقال: اشرب هنيئا. فلما شرب، قال: أرأيت لو منعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك؟ قال: بنصف ملكي الآخر. فقال: إن ملكا قيمة نصفه شربه ماء، وقيمة نصفه الآخر بولة لخليق أن لا يتنافس فيه. فبكى هارون.[١]

وقال له يوما:"يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، وتقبر وحدك، فاحذر المقام بين يدي الجبار، والوقوف بين الجنة والنار، فإنك لا تقدم إلا على قادم مشغول، ولا يخلف إلا جاهل مغرور، يا أمير المؤمنين، إنما هو دبيب من سقم، حتى يؤخذ بالكظم[٢]، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تنال، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال"فجعل أمير المؤمنين الرشيد يبكي حتى علا صوته.[٣]

وقال الأصمعي:"صنع الرشيد يوماً طعاماً كثيراً، وزخرف مجالسه، وأحضر أبا العتاهية[٤]، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فقال:

عـــش مـــا بـــدا لـــك ســـالماً   في ظـــل شـــاهقة القصـــور

فقال: أحسنت! ثم قال: ماذا؟ فقال:

يســـعى عليـــك بمـــا اشـــتهيت   لـــدى الـــرواح وفي البكـــور

فقال: أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

فـــإذا النفـــوس تقعقعـــت   في ظـــل حشـــرجة الصـــدور

فهنـــاك تعلـــم مـــوقناً   مـــا كـــنت إلا في غـــرور

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥.

(٢) الكظم: مخرج النفس أي الحلق. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٥١٩.

(٣) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ١٢/١٠٦.

(٤) هو أبو العتاهية إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي، مولاهم، الكوفي، رأس الشعراء، الأديب، الصالح، أبو إسحاق، نزيل بغداد، لقب بأبي العتاهية لاضطراب فيه، وقيل: كان يحب الخلاعة، فيكون مأخوذا من العتو، سار شعره لجودته وحسنه، وعدم تقعره، تنسك بآخره، وقال في المواعظ والزهد فأجاد، توفي أبو العتاهية سنة(٢١١ه) وقيل (٢١٣ه) وله ثلاث وثمانون سنة أو نحوها ببغداد. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/١٩٥-١٩٨.

فبكى الرشيد. وقال الفضل بن يحيى[1]: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته. فقال: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا.[2]

ووعظه أبو نصر الجهيني المصاب[3]مرة فقال له: أيها الرجل، إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ورعيتك وبين الله خلق غيرك، وإن الله سائلك عنهم، فأعد للمسألة جواباً، وقد قال عمر بن الخطاب: لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها. فبكى هارون، وقال: يا أبا نصر، إن رعيتي غير رعية عمر، ودهري غير دهر عمر. فقال له: هذا والله غير مغن عنك، فانظر لنفسك، فإنك وعمر تُسألان عما خولكما الله. فدعا هارون الرشيد بصرة فيها ثلاثمائة دينار، فقال: ادفعوها إلى أبي نصر، فقال أبو نصر: ما أنا إلا رجل من أهل الصفة، فادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم ويجعلني كرجل منهم.[4]

وكذلك وعظه الإمام الشافعي فأبكاه، حتى قال الشافعي:"وعليك بكتاب الله الذي لا يضل المسترشد به ولن تهلك ما تمسكت به، فاعتصم بالله تجده تجاهك، وعليك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكن على طريقة الذين هداهم الله فبهداهم اقتده...فإنه ما ولي أحد على عشرة من المسلمين، فلم يحطهم بنصيحة إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى

---

(١) هو الفضل بن يحيى البرمكي، من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها أسخى من جعفر أخيه كما قيل، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاع، مات كهلا سنة(١٩٢ه) مسجونا وكان قد أخرب بيت النار الذي ببلخ، وكان جدهم برمك موبذان به، وعمل الوزارة مدة للرشيد، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله الفضل، واستعمل جعفرا على المغرب كله، وكان الفضل غارقا في اللذات المردية، حتى تعطلت الأمور، فكتب إليه أبوه بأن يتستر ويقنع بالليل، فسمع منه، وكان على هناته شجاعا، مهيبا، كثير الغزو. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩/٩١-٩٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥/٣٥٨-٣٥٩.

(٣) هو أبو نصر الجهيني المصاب، ذاهب العقل في غير ما الناس فيه، لا يتكلم حتى يُكَلّم، وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جواباً حسناً مغرباً، وكان أبو نصر يخرج كل يوم جمعة صلاة الغداة، فيدخل السوق مما يلي الثنية، فلا يزال يقف على مربعة مربعة ويقول: أيها الناس، اتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة، إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله، فإذا وضع في قبره رجع أهله وماله وبقي عمله، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم رحمكم الله. فلا يزال يعمل ذلك في مربعة مربعة حتى يأتي مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يصلي الجمعة، فلا يخرج من المسجد حتى يصلي العشاء الآخرة، توفي سنة(١٩٤ه). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٠/٩-١٠.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي، ١٠/١٠.

عنقه لا يفكها إلا عدله، وأنت أعرف بنفسك"فلما بلغ إلى هذا الفصل بكى الرشيد وعلا نحيبه وبكى جلساؤه.[1]

أما عن موقفه من القائلين بخلق القرآن فقد ذكر ابن كثير أن أحدهم دخل على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق، والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق، فقتلته على ذلك قربة إلى الله عز وجل.[2]

وبلغه عن بشر المريسي[3] القول بخلق القرآن فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه.[4]

وكان يكره المراء في الدين ويقول:"هو شيء لا نتيجة له وبالحري ألا يكون فيه ثواب".[5]

وكان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وكان إذا حجّ حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة[6]، وكان يحج سنة ويغزو سنة.[7]

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٩/٩٠.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥.

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي مولى زيد بن الخطاب، وبشر من أصحاب الرأي أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، وحكي عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها، وكفره أكثرهم لأجلها، وصنف كتابا في التوحيد و كتاب (الإرجاء) وكتاب (الرد على الخوارج) وكتاب (الاستطاعة) وأشياء غير ذلك في نحلته، مات سنة(٢١٨ه) وقيل (٢١٩ه). انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٧/ ٥٦ – ٦٦.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢٥.

(٥) تاريخ الطبري، ٥/١٦.

(٦) تاريخ الطبري، ٥/١٦.

(٧) التدوين في أخبار قزوين، الرافعي، ٤/١٨٧.

أما الخليفة الأمين فقد قال عنه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على ابن علية[1]، فإنه أدخل عليه، فقال له: يا ابن الفاعلة، أنت الذي تقول: كلام الله مخلوق؟!.[2]

وحج الرشيد ومعه الأمين والمأمون فدخل الكوفة، فقال لأبي يوسف[3]: قل للمحدثين يأتونا يحدثونا. فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبدالله بن إدريس[4] وعيسى ابن يونس[5]، فركب الأمين والمأمون إلى عبدالله بن إدريس فحدثهما بمائة حديث،

---

(١) هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أبو إسحاق البصري الأسدي المعروف بابن علية، كان أحد المتكلمين، وممن يقول بخلق القرآن، وجرت له مع أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي مناظرات ببغداد وبمصر، وكان ينكر خبر الآحاد، وله مصنفات في الفقه تشبه الجدل، قال يعقوب بن سفيان الفارسي: خرج إبراهيم بن إسماعيل بن علية ليلة من مسجد مصر وقد صلى العتمة وهو في زقاق القناديل ومعه رجل، فقال له الرجل: إني قرأت البارحة سورة الأنعام، فرأيت بعضها ينقض بعضا. فقال إبراهيم بن إسماعيل بن علية: ما لم تر أكثر. توفي سنة(٢١٨ه) ببغداد وهو ابن سبع وستين، وقيل: إنه مات بمصر. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٦/٢٠-٢٢.

(٢) تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام١٩١هـ-٢٠٠هـ) الذهبي، ٦٦، وينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٦/٢٣٨، وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء)(٩/٣٣٩): ولم يصرح بذلك ابن علية، حاشاه، بل قال عبارة تلزمه بعض ذلك. قلت: إن لابن علية أخ آخر اسمه حماد وهو بغدادي ثقة، توفي سنة(٢٤٤ه) ببغداد، وقد يكون هو المقصود من كلام الذهبي. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٨/١٥٧.

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة كوفي، ولد سنة(١١٣ه) وكان قد سكن بغداد، وولاه موسى بن المهدي القضاء بها، ثم هارون الرشيد من بعده، وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام، ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل، وهو مشهور الأمر، ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة، وافقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها، وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، وتوفي سنة(١٨٢ه). ينظر: المصدر السابق، ١٤/٢٦١-٢٤٢.

(٤) هو عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري، يكنى بأبي محمد الكوفي، ولد سنة(١١٥ه)، قدم بغداد، وحدث بها، قال عنه أحمد بن حنبل: كان نسيج وحده. وهو إمام من أئمة المسلمين ثقة، وقال النسائي: ثقة ثبت، مات سنة(١٩٢ه). ينظر: تهذيب الكمال، المزي، ١٤/٢٩٣-٣٠٠.

(٥) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو، ويقال: أبو محمد الكوفي، أخو إسرائيل بن يونس، سكن ناحية الشام بالحدث وهي ثغر، وهو ثقة، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: أيما أصح حديثا عيسى بن يونس أو أبوه يونس؟ قال: لا بل عيسى أصح حديثا. فقلت له: عيسى أو أخوه إسرائيل؟ قال: ما أقربهما. مات أول سنة(١٩١ه). ينظر: المصدر السابق، ٢٣/٦٢-٧٦.

فقال المأمون لعبدالله: يا عم أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفظي. قال: افعل. فأعادها كما سمعها.[(١)]

أما الخليفة المتوكل فقد نصر الإسلام والسنة نصرا مؤزرا، وأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، وجلس علماء السنة يعلمون الناس في الجوامع علنا، فاجتمع لهم خلق كثير، وتوافر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له[(٢)]، وكان من خيار الخلفاء، وأحسن الصنيع لأهل السنة، وساءه ما فعل الخلفاء قبله بأهل السنة.[(٣)]

وقد سأل الخليفة القاهر محمد بن عليّ الخراساني عن الخلفاء العباسيين قبله فوصفهم واحدا واحدا حتى سأله عن المتوكل، فقال الخراساني: ثم المتوكل يا أمير المؤمنين، فإنه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، ونَهَى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقَبَ عليه، وأمر بالتقليد، وأظهر الرواية للحديث، فحسنت أيامه، وانتظمت دولته، ودام ملكه، وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه.[(٤)]

وكان إبراهيم بن محمد التيمي[(٥)] يقول:"الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة، وقد بلغ من ورعه أنه صيدت سمكة، فلما ألقيت في النار تحركت، فبعث يسأل أيحل أكلها أم لا؟".[(٦)]

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤١/٤٨.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٧٠.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٧/١٠.

(٤) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٣١٩/٤.

(٥) هو إبراهيم بن مُحَمَّد التيمي، ولي قضاء البصرة في شوال سنة(٢٣٩ه) ولم يزل على قضاء البصرة إلى أن قتل المتوكل على الله سنة(٢٤٧ه)، واستخلف المنتصر بالله، فأمر بالكتاب إلى إبراهيم أن يمسك عن الحكم، فأمسك عن الحكم، حتى توفي المنتصر بالله، واستخلف المستعين بالله، فأمر بالكتاب إليه أن يجلس للحكم، فلم يزل قاضياً إلى أن توفي في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة(٢٥٠ه). ينظر: أخبار القضاة، وكيع، ١٧٩/٢-١٨١.

(٦) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٧٠/٧، وأخبار القضاة، وكيع، ١٨٠/٢.

وكان التيمي يقول:"ندمت ألا أكون قلت للمتوكل: تدعو لي، فإن دعاء الإمام مستجاب".[1]

وكان المتوكل قد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، فقام له، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((تقوم إلي وأنت خليفة))، فلما قام المتوكل من نومه دعا علي ابن الجهم[2]، فقص عليه رؤياه، فقال له علي: أبشر يا أمير المؤمنين، أما قيامك إليه فقيامك بالسنة، وقد عدك من الخلفاء.[3]

وقد رأى أبو عبدالله أحمد بن العلاء[4] الخليفة المتوكل في المنام بعد قتله بأشهر كأنه بين يدي الله تعالى، فقال له أبو عبدالله: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بقليل من السنة تمسكت بها.[5]

وقد كتب الخليفة المتوكل إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة، لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد، فكتب إليه الإمام أحمد رحمه الله رسالة حسنة، فيها آثار عن الصحابة وغيرهم، وأحاديث مرفوعة.[6]

وكذلك كان الخليفة المهتدي بالله قال عنه الخطيب البغدادي:"وكان المهتدي بالله من أحسن الخلفاء مذهبا، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعا، وأكثرهم عبادة".[7]

---

(١) أخبار القضاة، وكيع، ٢/١٨٠.

(٢) هو علي بن الجهم بن بدر السامي الشاعر، من ناقلة خراسان، له ديوان شعر مشهور، وكان جيد الشعر، عالما بفنونه، وله اختصاص بجعفر المتوكل، وكان متدينا فاضلا، توفي سنة(٢٤٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/٣٦٧.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٧/١٧٠.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١١/٣٥٩.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣٤٠، وينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٩/٢١٦.

(٧) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣/٣٤٨.

وقال جعفر بن عبدالواحد[1]: ذاكرت المهتدي بشيء، فقلت له: كان أحمد بن حنبل يقول به، ولكنه كان يخالف. كأني أشرت إلى من مضى من آبائه. فقال: رحم الله أحمد ابن حنبل، والله لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه. ثم قال لي: تكلم بالحق وقل به، فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني.[2]

وقام بنفي جعفر بن محمود[3] إلى بغداد، وكره مكانه، لأنه نسب إلى الرفض.[4]

والخليفة القادر بالله كان من الستر، والديانة، وإدامة التهجد بالليل، وكثرة البر، والصدقات على صفة اشتهرت عنه، وعرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، وكان صنف كتابا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة، والقائلين

---

(١) هو جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ولي قضاء القضاة بسرَّ من رأى سنة(٢٤٠ه)، قال عبدالله بن عدي الحافظ: جعفر بن عبد الواحد الهاشمي منكر الحديث عن الثقات، وكان يتهم بوضع الحديث، وسئل الدار قطني عنه فقال: كذاب يضع الحديث. وفي سنة(٢٥٠ه) نفي جعفر بعد أن صرف عن قضاء القضاة إلى البصرة، وكان سبب ذلك كلاما رقي عنه إلى المستعين، توفي سنة(٢٥٨ه). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧/١٣٧-١٣٨.

(٢) تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام٢٥١هـ-٢٦٠هـ)، الذهبي، ص٣٢٧.

(٣) هو جعفر بن محمود، أبو الفضل الإسكافي، ولي الوزارة للمعتز حين خرج المستعين إلى بغداد، وبايع الأتراك المعتز بسرّ من رأى في المحرم سنة(٢٥١ه) ولم يكن للوزير أدب، وكان ثقيلاً على قلب المعتز، وكان يصبر عليه لميل الأتراك إليه، وكان وزيره أيام الفتنة، وبعد أن صحَّت له الخلافة أشهراً، وكان المغاربة يبغضونه لحب الأتراك إياه، فوقعت بينهم حروب، وشكوه إلى المعتز، فقال: جعفر يضرّب بينكم؟ فعزله في شهر ربيع الآخر سنة(٢٥٢ه)، ونفاه إلى تكريت، وكان جعفر من كبار الشيعة، ثم إنه ولي الوزارة للمهتدي حين ولي الخلافة، وأخذ له البيعة على الناس، فوزر له مديدة، ثم إن الهاشميين دخلوا على المهتدي وقالوا له: إنه رافضي، وإن أصحابه يكاتبون العلوية بخراسان بأخبار المملكة. فنفاه إلى بغداد وحبسه، وتوفي في المحرَّم سنة(٢٦٨ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١١/١١٨-١١٩.

(٤) تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام٢٥١هـ-٢٦٠هـ)، الذهبي، ٣٢٧.

بخلق القرآن، وكان الكتاب يقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس سماعه.(1)

والخليفة الظاهر قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمح نفس ببعضها، فقال لهم: أنا فتحت الدكان بعد العصر، فاتركوني أفعل الخير، فكم أعيش؟ وتصدق ليلة عيد الفطر من عام(٦٢٢هـ)، وفرّق في العلماء وأهل الدين مائة ألف دينار.(2)

والخليفة المستنصر بالله صار يدمن المشي إلى الجمعة رغبة في التواضع والخشوع، ويجلس قريبا من الإمام، ويستمع الخطبة، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والنفقات على العلماء والفقراء والمحاويج، إعانة لهم على الصيام وتقوية لهم على القيام، وبعث يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاما جزيلا إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد.(3)

والخليفة المستعصم بالله كان متديناً متمكناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة على ما كان عليه والده المستنصر وجده الظاهر.(4)

وبهذا يتبين مدى تمسك الخلفاء العباسيين على اختلاف العصور التي مروا بها في القوة والضعف بالسنة ولزومهم إياها واتباعهم لها مهما كانت الظروف والأحوال.

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٧/٤.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٥٥/١٠.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١٤/١٣.

(٤) ينظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيني، ٢٥٤/١-٢٥٥.

المبحث الرابع
العناية بالسنة ونشرها

اعتنى الخلفاء العباسيون بالسنة الشريفة عناية كبيرة، وأولوها جل اهتمامهم، وقاموا بنشرها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فقد ظهرت منهم عدة أمور تدل على ذلك منها:

أولا: روايتهم للحديث الشريف:

اهتم الخلفاء العباسيون برواية الحديث الشريف، فقد رأيت من خلال استقرائي لسير الخلفاء العباسيين أن أكثرهم كان له حديث مسند إليه أو أكثر، وسأذكر فيما يلي الخلفاء الذين كانت لهم أحاديث مسندة إليهم:

أولا: روى الخليفة أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن جده علي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمين.[١]

وروى المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور هذا الحديث.[٢]

ثانيا: الخليفة المهدي روى عنه يحيى بن حمزة[٣] فقال: صليت خلف محمد بن عبدالله المهدي أمير المؤمنين المغرب، فجهر بـــ((بسم الله الرحمن الرحيم)) فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين؟! فقال: حدثني أبي —المنصور– عن جدي —محمد– عن أبيـــه –علي السجاد– عن

(١) هذا الحديث رواه الترمذي بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الخاتم في اليمين، رقم الحديث ١٧٤٢، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي، ٢٧٥/٢.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٩٩/٣٢.

(٣) هو يحيى بن حمزة الإمام الكبير الثقة، أبو عبد الرحمن الحضرمي مولاهم البتلهي الدمشقي، قاضي دمشق، ولد سنة(١٠٣ه) وقيل (١٠٨ه) قرأ القرآن على يحيى الذماري، كان كثير الحديث صالحه، قال يحيى: ثقة، قدري. استعمله المنصور سنة(١٥٣ه) لما قدم دمشق على القضاء، وقال له: يا شاب، أرى أهل بلدك قد أجمعوا عليك، فإياك والهدية. دام على القضاء ثلاثين عاما، وكان ثبتا في الحديث، وكان يميل إلى القدر، ولكنه لم يكن داعية. توفي سنة(١٨٣ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٥٤/٨-٣٥٥.

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بــ((بسم الله الرحمن الرحيم))[١]فقلت: يا أمير المؤمنين فآثره عنك؟ قال: نعم.[٢]

ورواه غير واحد عن يحيى بن حمزة، ورواه المهدي عن المبارك بن فضالة[٣]، ورواه عنه جماعة.[٤]

وقال المهدي في خطبة له:"حدثنا شعبة عن علي بن زيد[٥] عن أبي نضرة[٦] عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة من العصر إلى مغرب الشمس، حفظها من حفظها، ونسيها من نسيها فقال:((ألا إن الدنيــا حــلوة خضرة...)).[٧]

---

(١) قال الترمذي: وكان الشافعي يرى أن يبدأ بــ(بسم الله الرحمن الرحيم) وأن يجهر بها إذا جهر بالقراءة، ينظر: سنن الترمذي، أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في افتتاح القراءة بــ(الحمد لله رب العالمين)، رقم الحديث (٢٤٦)، وروى ابن أبي شيبة بسنده أن عمر رضي الله عنه جهر بــ(بسم الله الرحمن الرحيم)، ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٣٦٢/١.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤١١/٥٣.

(٣) هو المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة، مولى زيد بن الخطاب، من أهل البصرة، قدم على أبي جعفر المنصور بغداد، وحدث بها، قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، مات سنة(١٦٤ه) وقيل(١٦٦ه). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢١١/١٣-٢١٦.

(٤) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤١١/٥٣.

(٥) هو علي بن زيد بن جدعان التيمي الإمام، العالم الكبير، أبو الحسن القرشي التيمي البصري الأعمى، ولد في دولة يزيد، قال أحمد بن حنبل: ضعيف. وقال البخاري وغيره: لا يحتج به. وله عجائب ومناكير، لكنه واسع العلم، مات سنة(١٣١ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠٦/٥-٢٠٨.

(٦) هو المنذر بن مالك بن قطعة، أبو نضرة العبدي ثم العوقي البصري، والعوقة بطن من عبدالقيس، أدرك طلحة ابن عبيدالله، قال عنه أحمد بن حنبل: ما علمت إلا خيرا. وذكره ابن حبان في"الثقات"، وكان من فصحاء الناس، فلج في آخر عمره، مات سنة(١٠٨ه) وقيل(١٠٩ه) وأوصى أن يصلي عليه الحسن، فصلى عليه، وذلك في إمارة عمر ابن هبيرة على العراق، وكان ممن يخطئ، استشهد به البخاري في"الصحيح"وروى له في"القراءة خلف الإمام"وفي"الأدب"وروى له الباقون. ينظر: تهذيب الكمال، المزي، ٥٠٨/٢٨-٥١١.

(٧) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢١، والحديث رواه الإمام مسلم بن الحجاج قال: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد ابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي مسلمة قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم الحديث(٢٧٤٢).

وقال أيضا:"حدثني أبي عن أبيه عن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه، أن وفدا من العجم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد أحفوا لحاهم وأعفوا شواربهم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((خالفوهـــم، أعفوا لحاكم، وأحفوا شواربكم))[1] وإحفاء الشارب أخذ ما سقط على الشفة منه. ووضع المهدي يده على أعلى شفته.[2]

ثالثا: الخليفة الهادي قال: سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد ابن عـــلي عن أبيه علي بن عبدالله عن أبيه عبدالله بن عباس— رضي الله عنهما -قال:"من أراد هوان قريش أهانه الله".[3]

رابعا: الخليفة الرشيد كانت له رحلة في طلب العلم، فرحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ، وأصل الموطأ بسماع الرشيد على مالك في خزانة المصريين.[4]

وقد روى عنه جماعة.[5]

وقد روى الرشيد عن أبيه المهدي عن أبيه المنصور عن محمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحسن والحسين:((من

---

(١) روى ابن حبان في صحيحه قال: أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن عبدالله بن أبي مريم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و ســـلم قـــال:((إن فطرة الإسلام الغسل يوم الجمعة والاستنان وأخذ الشارب وإعفاء اللحى فإن المجوس تعفي شواربها وتحفي لحاها، فخالفوهم، حدوا شواربكم، واعفوا لحاكم)). ينظر: صحيح ابن حبان، ٢٣/٤، وصححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة، ١٣٠/٨.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢١.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٤٦١/٥. ورواه الترمذي بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني صالح بن كيسان عن الزهري عن محمد بن أبي سفيان عن يوسف بن الحكم عن محمد بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من يرد هوان قريش أهانه الله)) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ثم قال: حدثنا عبد بن حميد قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب بهذا الإسناد نحوه. كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش، رقم الحديث ٣٩٠٥. قال عنه الألباني: صحيح، ينظر: صحيح سنن الترمذي، ٥٨٢/٣.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات ٥٧١هـ-٥٨٠هـ) الذهبي، ٤١.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٣/١٠.

أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني))[1]، وسمعه صلى الله عليه وسلم يقول في فاطمة رضي الله عنها:((فاطمة سيدة نساء العالمين، ما خلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم)).[2]

وحدث هارون الرشيد عن جده المنصور عن أبيه محمد بن علي عن أبي هاشم عبدالله ابن محمد بن علي بن أبي طالب عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا نكاح إلا بولي، وما كان بغير ولي فهو مردود)).[3]

ومما رواه الرشيد في خطبة له، قال: حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((اتقوا النار ولو بشق تمرة)).[4]

وقال أيضا: حدثني محمد بن علي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((نظفوا أفواهكم، فإنها طريق القرآن)).[5]

خامسا: الخليفة الأمين قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن المنصور، عن أبيه، عن علي ابن عبدالله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن أبيه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:((من مات محرماً حشر ملبياً)).[1]

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعن أبويهما، رقم الحديث ٨١٦٨، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: السلسلة الصحيحة، ٩٦/٧.

(٢) نثر الدر، الآبي، ٧٠/٣، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٣٨٨/٦، ورواه الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في الكبير ٤١٥/١١، والأوسط ٢٣/٢، بلفظ:((سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امـــرأة فرعون))، وقال الهيثمي: ورجال الكبير رجال الصحيح. ينظر: مجمع الزوائد، ٣٢٤/٩.

(٣) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٢٧/٥، ورواه أبو داود بسنده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلفظ((لا نكاح إلا بولي)) فقط، كتاب النكاح، باب في الولي، رقم الحديث ٢٠٨٥، قال عنه الألباني: صحيح، ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٥٨٤/١.

(٤) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٢٧/٥، ورواه البخاري بسنده إلى عدي بن حاتم رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، رقم الحديث (١٤١٧).

(٥) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٣٤.

سادسا: الخليفة المأمون روى عن أبيه وجماعة وروى عنه جماعة.[٢]

منها ما رواه بسنده في خطبة يوم عيد الأضحى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((من ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم قدمه لأهله، ومن ذبح بعد أن يصلي فقد أصاب السنة)).[٣]

وروى بسنده قوله صلى الله عليه وسلم:((الخلق كلهم عيال الله عز وجل فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله)).[٤]

وقوله صلى الله عليه وسلم:((الحياء من الإيمان)).[٥]

وقوله صلى الله عليه وسلم:((الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاءة من الجفاء، والجفاء في النار)).[٦]

وقوله صلى الله عليه وسلم:((امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النـــار)).[٧]

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٣٨/٣. قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: السلسلة الضعيفة، ١٦٢/١٠.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٧٥/٣٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٧٦/٣٣. قال ابن عساكر: قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر، عن أبي بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ قال: سمعت أبا أحمد فذكر هذا الحديث، وزاد قال الحاكم: هذا حديث لم نكتبه إلا عن أبي أحمد، وهو عندنا ثقة مأمون، ولم يزل في القلب منه حتى ذاكرت به أبا الحسن علي بن عمر الحافظ فقال: هذه الرواية عندنا صحيحة عن جعفر. فقلت: هل من متابع ثقة فيه لشيخنا أبي أحمد؟ فقال: نعم. ثم قال: حدثني الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الفرات، حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن الروذباري، نا محمد ابن عبدالملك التاريخي قال: أبو الحسن وما فيهم إلا ثقة مأمون، نا جعفر الطيالسي قال: سمعت المأمون فذكر خطبته وحديثه عن هشيم بن شبرمة، عن الشعبي، عن البراء بن عازب في الأضحية.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٧٧/٣٣. قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: السلسلة الضعيفة، ٣٧٢/٤، ٩٢/٨.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٢٧٨/٣٣. ورواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم الحديث (٢٤).

(٦) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٥٨. ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ٣٣٨/٤ قال: أخبرنا أبو بكر أحمد ابن محمد بن محمد بن إبراهيم الأشناني بنيسابور، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا أحمد بن أبي غالب البغدادي، وسعيد بن أبي سليمان الواسطي، عن هشيم، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار)). قال الألباني عنه: صحيح. ينظر: السلسلة الصحيحة، ٨٩٣/١.

(٧) ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار البغدادي، ١٨٤/٤، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٨/٢) بنفس السند عن هشيم. والحديث إسناده ضعيف جدا، ينظر: مسند الإمام أحمد –ط الرسالة–، ٢٧/١٢.

وقوله صلى الله عليه وسلم:((من عال ابنتين أو ثلاثاً، أو أختين أو ثلاثاً، حتى يمتن أو يموت عنهن، كان معي كهاتين في الجنة)) وأشار بالمسبحة والوسطى.[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم:((سيد القوم خادمهم)).[2]

سابعا: الخليفة المعتصم روى عن أبيه الرشيد، وعن أخيه المأمون، وروى عنه جماعة.[3]

وقد روى المعتصم عن أبيه الرشيد فقال: حدثني أبي الرشيد، عن جدي المهدي، عن أبيه المنصور، عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى قوم من بني فلان يتبخترون في مشيتهم فعرف الغضب في وجهه ثم قرأ ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ فقيل له: أي الشجرة هي يا رسول الله حتى نجتثها؟ فقال:((ليست بشجرة نبات إنما هم بنو فلان، إذا ملكوا جاروا، وإذا ائتمنوا خانوا)) ثم ضرب بيده على ظهر العباس، فقال:((فيخرج الله من ظهرك يا عم رجلا يكون هلاكهم على يديه)).[4]

وروى المعتصم أيضا، عن المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن المنصور، عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((لا تحتجموا يوم الخميس، فإنه من يحتجم فيه فيناله مكروه فلا يلومن إلا نفسه)).[5]

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٨٩/٣٣، وقال ابن عساكر: قال لنا أبو محمد طاهر بن سهل: قال أنا أبو بكر الخطيب فيما أجازه لنا: في هذا الخبر غلط فاحش، ويشتبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمادين، وذلك أن مولد المأمون كان في سنة(١٧٠ه)، ومات حماد بن سلمة في سنة(١٦٧ه)، قبل مولده بثلاث سنين، وأما حماد بن زيد فمات في سنة(١٧٩ه).

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٨٧/١٠. قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: السلسلة الضعيفة، ٩/٤.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٩٤/٥.

(٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٤٣/٣-٣٤٤. قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: السلسلة الضعيفة، ١٩٤/٣.

(٥) المصدر السابق، ٣٤٤/٣. و لم أجد حكما للعلماء على هذا الحديث.

ثامنا: الخليفة المتوكل روى بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((من حرم الرفق حرم الخير)).[1]

وقال المتوكل: حدثني المعتصم، حدثني المأمون، حدثنا الرشيد، حدثنا المهدي، حدثنا المنصور، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة إلى شحمة أذنيه،كأنها نظام اللؤلؤ، وكان من أجمل الناس، وكان أسمر رقيق اللون، لا بالطويل ولا بالقصير، وكان لعبد المطلب جمة إلى شحمة أذنيه، وكان لهاشم جمة إلى شحمة أذنيه.[2]

تاسعا: الخليفة المهتدي بالله روى عنه حديثا رواه بسنده عن ابن عباس قال: قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله ما لنا في هذا الأمر؟ قال:((لي النبوة، ولكم الخلافة، بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم)) وروي بطريق آخر وفيه زيادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس رضي الله عنه:((من أحبك نالته شفاعتي، ومن أبغضك فلا نالته شفاعتي)).[3]

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٦٦/٧، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم الحديث (٢٥٩٢).

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٧٧، والحديث رواه الإمام مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه بلفظ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم. كتاب الفضائل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان من أحسن الناس وجها، رقم الحديث (٢٣٣٧).

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٤٩/٣. قال الوادعي في(الشفاعة) ٢٣٧: محمد بن الحسن بن سعدان المروزي ومحمد بن عبدالكريم بن عبيدالله السرخسي لم أجد ترجمتهما. ومحمد بن الحسن الفقيه هو الشيباني وهو ضعيف. وابن أبي ليلى هو محمد ضعيف، والحديث ضعيف جدًا.

عاشرا: أنه ورد سند طويل فيه الخليفة المقتفي لأمر الله والخليفة المستعصم بأمر الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا يزداد الناس إلا شحًا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس))[1].[2]

قال ابن رجب:"وفي هذا الإسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك".[3]

الحادي عشر: الخليفة المستعصم بالله استجاز[4] له الحافظ ابن النجار[5]من جماعة من مشايخ خراسان منهم: المؤيد الطوسي[6]، وأبو بكر القاسم بن عبدالله بن الصفار[7]وغيرهم، الصفار[7]وغيرهم، وحدث عنه جماعة: منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، رقم الحديث (٤٠٣٩)، قال عنه الألباني: ضعيف جدا إلا جملة((ولا تقوم الساعة...)) فصحيحة. ينظر: ضعيف سنن ابن ماجه، ٣٢٨.

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٢/١٨٣-١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ٢/١٨٤.

(٤) الإجازة: هي أن يجيز العالم لأحد أن يروي لأحد عنه شيئا من حديثه فله أن يروى عنه. ينظر: العلل الصغير، الترمذي، ٧٥٢.

(٥) هو ابن النجار محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي الإمام، الحافظ، البارع، محدث العراق، مؤرخ العصر، محب الدين، أبو عبدالله، ولد سنة(٥٧٨هـ) كان أول سماعه في سنة(٥٨٨هـ) وهو قليل، وأول دخوله في الطلب وهو حدث سنة(٥٩٣هـ) قال في أول تاريخه: كنت وأنا صبي عزمت على تذييل (الذيل) لابن السمعاني، فجمعت في ذلك مسودة، ورحلت وأنا ابن ثمان وعشرين سنة، فدخلت الحجاز والشام ومصر والثغر وبلاد الجزيرة والعراق والجبال وخراسان، وقرأت الكتب المطولات، ورأيت الحفاظ، وكنت كثير التتبع لأخبار فضلاء بغداد ومن دخلها. وكان مع حفظه فيه دين وصيانة ونسك، توفي سنة(٦٤٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٣/١٣١-١٣٤.

(٦) هو المؤيد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد بن أبي صالح الطوسي، ثم النيسابوري، أبو الحسن، الشيخ، الإمام، المقرئ، المعمر، مسند خراسان، رضي الدين، ولد سنة(٥٢٤هـ)، وسمع صحيح مسلم، صحيح البخاري، وكان ثقة، خيرا، مقرئا، جليلا، توفي سنة(٦١٧هـ). ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٠٤-١٠٧.

(٧) هو شهاب الدين القاسم بن عبدالله بن عمر النيسابوري الإمام، الفقيه، المسند الجليل، أبو بكر القاسم ابن الشيخ أبي سعد عبدالله ابن الفقيه عمر بن أحمد النيسابوري، ابن الصفار، الشافعي، مفتي خراسان، ولده سنة(٥٣٣هـ) قال الإسفراييني: ما رأيت في خراسان من المشايخ مثل شهاب الدين هذا حلما وعلما ومعرفة بالمذهب، سمعت أنه درس (الوسيط) للغزالي أربعين مرة درس العامة سوى درس الخاصة. مات سنة(٦١٠هـ) وقد شاخ. ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٠٩-١١١.

علي بن محمد بن النيار[1]، وأجاز هو للإمام محيي الدين ابن الجوزي[2]، وللشيخ نجم الدين البادرائي[3]، وحدثا عنه بهذه الإجازة.[4]

ثانيا: ثناؤهم على أهل الحديث:

كان لأهل الحديث وطلبة العلم شأن كبير عند خلفاء بني العباس، فقد أثنوا عليهم جميل الثناء، وكانوا يتمنون الجلوس معهم لجلالة قدرهم بما يحملون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل للمنصور:هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث فيقول المستملي: من ذكرت رحمك الله؟ قال فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر، فقال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق، ونقلة الحديث.[5]

---

(١) هو علي بن محمد بن الحسين شيخ الشيوخ أبو الحسن بن النيار المقرئ البغدادي، صدر الدين، هو الذي لقن المستعصم بالله، ونال في خلافته الحشمة والجاه والحرمة، روى عنه الدمياطي وغيره، وذبح بدار الخلافة مع الجملة في من قتله التتار سنة(٦٥٦ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٨٣/٢١.

(٢) هو محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج القرشي الصاحب، العلامة، أستاذ دار الخلافة، ابن الجوزي، البكري، الحنبلي، ولد سنة(٥٨٠ه) ثمانين درّس، وأفتى، وناظر، وتصدر للفقه، ووعظ، وكان صدرا كبيرا، وافر الجلالة، ذا سمت وهيبة، وعبارة فصيحة، روسل به إلى الملوك، وبلغ أعلى المراتب، وكان محمود الطريقة، محببا إلى الرعية، بقي في الأستاذ دارية سائر أيام المستعصم، ضربت عنقه صبرا عند هولاكو سنة(٦٥٦ه) في نحو من سبعين صدرا من أعيان بغداد، منهم أولاده. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٧٢/٢٣-٣٧٤.

(٣) هو نجم الدين البادرائي الشافعي عبدالله بن محمد بن أبي الوفاء بن الحسن بن عبدالله بن عثمان الإمام أبو محمد البغدادي الشافعي الفرضي، ولد سنة(٥٩٤ه) ودرّس بالنظامية، وحدث بحلب ودمشق ومصر وبغداد، وبنى بدمشق المدرسة الكبيرة المشهورة به، وكان صدراً محتشماً، جليل القدر، وافر الحرمة، قال الشيخ شرف الدين الدمياطي: أحسن إلي ولقيت منه أثرةً وبراً في السفر والحضر ببغداد ودمشق والموصل ومصر وحلب، وصحبته تسع سنين. وولي قضاء القضاة ببغداد خمسةً وعشرين يوماً، وتوفي سنة(٦٥٥ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣١٣/١٧.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠٤/١٣.

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٣٠/٣٢.

وقال المنصور لابنه المهدي يوما: يا أبا عبدالله لا تجلس مجلسا إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك، فإن محمد بن شهاب الزهري قال: الحديث ذكر، ولا يحبه إلا ذكور الرجال، ولا يبغضه إلا مؤنثوهم. وصدق أخو زهرة.(١)

ويذكر شيخ الإسلام أن الخليفة أبا جعفر المنصور لما بنى بغداد جعلها دار ملكه، وكان يعلم أن أهل الحجاز حينئذ كانوا أعنى بدين الإسلام من أهل العراق، ويروى أنه قال ذلك لمالك أو غيره من علماء المدينة، قال: نظرت في هذا الأمر فوجدت أهل العراق أهل كذب وتدليس أو نحو ذلك، ووجدت أهل الشام إنما هم أهل غزو وجهاد، ووجدت هذا الأمر فيكم. ويقال: إنه قال لمالك: أنت أعلم أهل الحجاز. أو كما قال، فطلب أبو جعفر علماء الحجاز أن يذهبوا إلى العراق وينشروا العلم فيه، فقدم عليهم هشام بن عروة، ومحمد ابن إسحاق، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وغير هؤلاء.(٢)

أما عن الخليفة الرشيد فقد قال عنه يحيى بن أكثم: قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين. قال: فتعرف أجلّ مني؟ قلت: لا. قال: لكني أعرفه، رجل في حلقة، يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: يا أمير المؤمنين هذا خير منك، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي عهد المسلمين؟! قال: نعم، ويلك هذا خير مني، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا، ونحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر.(٣)

يقول شيخ الإسلام:"قد كان المنصور والمهدي والرشيد وهم سادات خلفاء بني العباس يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء أهل العراق".(٤)

---

(١) تاريخ الطبري، ٥٢٣/٤.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٠٧/٢٠-٣٠٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ١٣/٢٧.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣١٩/٢٠.

وجيء المأمون برجل مقيد ليقتل أمامه، وكان عمر بن حبيب العدوي[1] جالسا – قبل توليته قضاء البصرة– فقال العدوي: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي. فقال له: قل. فقال: إن أباك حدثني، عن جدك، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:((إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ من بطنان العرش: ليقم من أعظم الله أجره. فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه))[2] فاعف عنه عفا الله عنك يا أمير المؤمنين. فقال له: آلله إن أبي حدثك، عن جده، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: آلله إن أباك حدثني، عن جدك، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: صدقت إن أبي حدثني، عن جدي، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، يا غلام أطلق سبيله. فأطلق سبيله، وأمر أن يولى عمر بن حبيب القضاء، ثم قال له: عمن كتبت؟ قال: أقدم من كتبت عنه داود ابن أبي هند. فقال: تحدث؟ فقلت: لا. قال: بلى فحدث، فإن نفسي ما طلبت مني شيئا إلا وقد نالته، ما خلا هذا الحديث، فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي، ويقال لي: من حدثك؟ فأقول: حدثني فلان قال. قال عمر: يا أمير المؤمنين، فلم لا تحدث؟ قال: لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس.[3]

وقال المأمون أيضا: ما أشتهي من لذات الدنيا إلا أن يجتمع أصحاب الحديث عندي، ويجيء المستملي فيقول: من ذكرت أصلحك الله؟.[4]

ثالثا: حرصهم على السنة الصحيحة ورجوعهم إليها:

كان أبو جعفر المنصور من أحرص خلفاء بني العباس على السنة الصحيحة، والوسطية التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك قال لمالك بن أنس قبل تصنيفه

(١) هو عمر بن حبيب العدوي من بني عدي بن عبد مناة من أهل البصرة، قدم بغداد وولي بها قضاء الشرقية، وولي قضاء البصرة أيضا، قال يحيى بن معين عمر بن حبيب ضعيف، توفي سنة(٢٠٧هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/١٩٦-١٩٩.

(٢) قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: السلسلة الضعيفة، ٦/٨٤.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١١/١٩٨-١٩٩.

(٤) ينظر: أدب الإملاء والاستملاء، السمعاني، ١٩.

الموطأ:"يا أبا عبدالله ضم هذا العلم، ودون كتباً، وجنِّب فيها شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة".[١]

ويروى أن أبا جعفر قال لمالك: ضع للناس كتاباً أحملهم عليه. فكلمه مالك في ذلك فقال: ضعه فما أحد أعلم منك. فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر، وروي أيضا أن أبا جعفر قال: ولئن بقيت لأكتبن كتابك بماء الذهب. وفي رواية: كما تُكتب المصاحف، ثم أعلقها في الكعبة، وأحمل الناس عليها.[٢]

ويروى أن أبا جعفر قال له: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث، فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم. فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم. فقال أبو جعفر: لو طاوعتني على ذلك لأمرت به.[٣]

وفي رواية أن الخليفة المهدي هو الذي طلب من الإمام مالك أن يضع كتابا ليحمل الأمة عليه.[٤]

والخليفة المهدي اشتهر عنه أنه كان يحب اللعب بالحمام والسباق بينها، فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم عتاب بن إبراهيم[٥]، فحدثه بحديث أبي هريرة:"لا سبق إلا في خف

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ٧٣/٢.

(٢) المصدر السابق، ٧١/٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٧٢/٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٧٣/٢.

(٥) لم أجد له ترجمة مستقلة، وقد ضعفه أهل العلم، ووصفه ابن تيمية بأنه ممن يتعمدون الكذب في الحديث. ينظر: العدة في أصول الفقه، أبو يعلى، ٩٢٢/٣، ومنهاج السنة، ابن تيمية، ٤٢١/٧، وميزان الاعتدال، الذهبي، ٢٣٢/٣، ومجمع الزوائد، الهيثمي، ٥٥١/٢.

أو نعل أو حافر"[1] وزاد في الحديث"أو جناح"فأمر له بعشرة آلاف، ولما خرج قال: والله إني لأعلم أن عتّابا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أمر بالحمام فذُبح، ولم يذكر عتّابا بعدها.[2]

ولما حصل جدال حول مسألة في مجلس الرشيد، فتنازعها الحضور، وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فرفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام، حتى قال قائلون منهم: لا يحل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أبا هريرة متهم فيما يرويه. وصرحوا بتكذيبه، قال عمر بن حبيب: ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل، صدوق فيما يرويه عن نبي الله وغيره. فنظر إليّ الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس، فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل عليّ فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنّط، وتكفّن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك صلى الله عليه وسلم أن يطعن على أصحابه، فسلّمني منه، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بَصُر بي قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقّاني أحد من الرد والدفع لقولي ليس بمثل ما تلقيتني به. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلت عليه فيه إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول. فرجع إلى نفسه، ثم قال لي: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله. وأمر لي بعشرة آلاف درهم.[3]

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السبق، رقم الحديث (٢٥٧٤)، قال عنه الألباني: صحيح، ينظر: صحيح سنن أبي داود، ١١٧/٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٥٣/١٠.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٩٧/١١.

رابعا: نصرهم للسنة:

كان لأكثر خلفاء بني العباس جهود عظيمة في نصر السنة وإحيائها، لذلك فقد ذكر علماء أهل السنة ومؤرخوهم هذه الجهود وأثنوا عليهم بها، ومثال ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن المتوكل وغيره من خلفاء بني العباس فقال:"وكان في أيام المتوكل قد عز الإسلام، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم، وكذلك في أيام المعتضد والمهدي والقادر وغيرهم من الخلفاء، الذين كانوا أحمد سيرة، وأحسن طريقة من غيرهم، وكان الإسلام في زمنهم أعز، وكانت السنة بحسب ذلك".(١)

وقال في موضع آخر في معرض حديثه عن فتنة خلق القرآن:"ثم إن الله تعالى كشف الغمة عن الأمة في ولاية المتوكل على الله، والذي جعل الله عامة خلفاء بني العباس من ذريته، دون ذرية الذين أقاموا المحنة لأهل السنة، فأمر المتوكل برفع المحنة، وإظهار الكتاب والسنة، وأن يروى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والتابعين من الإثبات النافي للتعطيل".(٢)

وكذلك ما قاله ابن كثير رحمه الله عن الخليفة المتوكل:"فلما ولي المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته، فإنه كان محبا للسنة وأهلها، ورفع المحنة عن الناس، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن، ثم كتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه".(٣)

وقال في موضع آخر:"وكان المتوكل محببا إلى رعيته، قائما في نصرة أهل السنة، وقد شبهه بعضهم بالصدِّيق في قتله أهل الردة، لأنه نصر الحق ورده عليهم حتى رجعوا إلى

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٢/٤.

(٢) المصدر السابق، ٤٧٩/١١.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٧/١٠.

الدين، وبعمر بن عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية، وهو أظهر السنة بعد البدعة، وأخمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها، فرحمه الله".[1]

وقد كتب المتوكل إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد، فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم، وأحاديث مرفوعة، وقد أوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها، وهي مروية عنه، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ.[2]

وكذلك ما ذكره البغدادي عن الخليفة القادر بالله من أنه كان من الستر والديانة، وإدامة التهجد بالليل، وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عنه وعرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، وكان صنف كتابا في الأصول، ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القران، وكان الكتاب يقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس سماعه.[3]

وقد ذكر ابن تيمية أن هذا الكتاب ألفه أبو أحمد الكرجي[4] وكتبه القادر بالله.[5]

وهذا هو نص الكتاب كما أورده ابن الجوزي في منتظمه:"يجب على الإنسان أن يعلن أن الله عز وجل وحده لا شريك له، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لم يتخذ صاحبة، ولا ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وهو أول لم يزل، وآخر لا يزال،

---

(١) المصدر السابق، ٣٥١/١٠.

(٢) المصدر السابق، ٣٣٧/١٠، وينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٢١٦/٩.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٧/٤.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الإمام، العالم، الحافظ، أبو أحمد الكرجي الغازي المجاهد، وعرف بالقصاب لكثرة ما قتل في مغازيه، ومن مصنفاته: ثواب الأعمال-عقاب الأعمال-السنة-تأديب الأئمة، وعاش إلى حدود سنة(٣٦٠هـ) وهو القائل:كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله فليست صفة مجاز، ولو كانت صفة مجاز لتحتم تأويلها، ولقيل: معنى البصر كذا، ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل، علم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢١٣/١٦-٢١٤.

(٥) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (نقض التأسيس)، ٣٣١/٢، والصفدية، ١٦٢/٢، ودرء تعارض العقل والنقل، ٢٢٩/٣.

قادر على كل شيء، غير عاجز عن شيء، إذا أراد شيئاً قال له: كن. فيكون، غني غير محتاج إلى شيء، لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، يطعم ولا يطعم، لا يستوحش من وحدة، ولا يأنس بشيء، وهو الغني عن كل شيء، لا تخلقه الدهور والأزمان، وكيف تغيره الدهور والأزمان وهو خالق الدهور والأزمان، والليل والنهار، والضوء والظلمة، والسماوات والأرض وما فيها من أنواع الخلق والبر والبحر وما فيهما، وكل شيء حي أو موات أو جماد، كان ربنا وحده لا شيء معه، ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا لحاجته إليه، فاستوى عليه كيف شاء وأراد لا استقرار لراحة كما يستريح الخلق، وهو مدبر السماوات والأرضين، ومدبر ما فيهما، ومن في البر والبحر، ولا مدبر غيره، ولا حافظ سواه، يرزقهم، ويمرضهم، ويعافيهم، ويميتهم، ويحييهم، والخلق كلهم عاجزون، والملائكة، والنبيون، والمرسلون، والخلق كلهم أجمعون، وهو القادر بقدرة، والعالم بعلم أزلي غير مستفاد، وهو السميع بسمع، والمبصر ببصر، يعرف صفتهما من نفسه، لا يبلغ كنههما أحد من خلقه، متكلم بكلام لا بآلة مخلوقة كآلة المخلوقين، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه عليه السلام، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فهي صفة حقيقية لا مجازية، ويعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق، تكلم به تكليماً، وأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم، على لسان جبريل، بعدما سمعه جبريل منه، فتلاه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، وتلاه محمد على أصحابه، وتلاه أصحابه على الأمة، ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقاً، لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به، فهو غير مخلوق، فبكل حال متلواً، ومحفوظاً، ومكتوباً، ومسموعاً، ومن قال: إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه.

ويعلم أن الإيمان قول، وعمل، ونية، وقول باللسان، وعمل بالأركان، والجوارح، وتصديق به، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو ذو أجزاء وشعب، فأرفع أجزائه لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والإنسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله، ولا بماذا يختم له، فلذلك يقول: مؤمن إن شاء الله، وأرجو أن أكون مؤمناً، ولا يضره الاستثناء والرجاء، ولا يكون بهما شاكاً، ولا مرتاباً، لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن أمر آخرته وخاتمته، وكل شيء يتقرب به إلى الله تعالى ويعمل لخالص وجهه من أنواع

الطاعات فرائضه، وسننه، وفضائله فهو كله من الإيمان منسوب إليه، ولا يكون للإيمان نهاية أبدا، لأنه لا نهاية للفضائل، ولا للمتبوع في الفرائض أبداً.

ويجب أن يحب الصحابة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم، ونعلم أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وأن خيرهم كلهم وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، ويشهد للعشرة بالجنة، ويترحم على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن سب سيدتنا عائشة رضي الله عنها فلا حظ له في الإسلام، ولا يقول في معاوية رضي الله عنه إلا خيراً، ولا يدخل في شيء شجر بينهم ويترحم على جماعتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1] وقال فيهم: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها فإنه من تركها من غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر، وإن لم يجحدها لقوله صلى الله عليه وسلم:((بين العبد والكفر ترك الصلاة))[3] فمن تركها فقد كفر، ولا يزال كافراً حتى يندم ويعيدها، فإن مات قبل أن يندم ويعيد أو يضمر أن يعيد لم يصل عليه، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف، وسائر الأعمال لا يكفر بتركها وإن كان يفسق حتى يجحدها.

ثم قال: هذا قول أهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق المستقيم، ورجا به النجاة من النار ودخول الجنة إن شاء الله تعالى، وقال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم:((الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال:

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء، رقم الحديث (٤٦٧٨)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/١٤٠.

لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم))[1]، وقال عليه السلام:((أيما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثماً ويزداد بها من الله سخطاً))[2] جعلنا الله لآلائه من الشاكرين، ولنعمائه ذاكرين، وبالسنة معتصمين، وغفر لنا ولجميع المسلمين".[3]

فالكتاب فيه رد على المعطلة، والمشبهة، والمعتزلة القائلين بخلق القرآن، والمرجئة، والروافض، والخوارج الوعيدية المكفرة.

وقد ذكر المؤرخون أنه كان أكثر من كتاب، ويظهر أنه جمع مع بعضه البعض وتألف منه الاعتقاد القادري، وقد قرئ هذا الكتاب عدة مرات في زمن القادر بالله وابنه من بعده الخليفة القائم بأمر الله، منها:

١) في عهد القادر بالله قرئ الكتاب في شهر شعبان من سنة(٤٢٠هـ)، حيث جمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل عمله الخليفة القادر بالله يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة، وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.[4]

٢) وفي رمضان من نفس السنة جمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرأ عليهم أبو الحسن بن حاجب النعمان[5] كتاباً طويلاً عمله الخليفة القادر بالله، وذكر فيه أخباراً من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وما روي عنه في عدة أمور من الدين وشرائعه، وخرج من ذلك إلى الطعن على من يقول بخلق القرآن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث ٩٥.

(٢) ينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ١٣٦/٦، قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، ٥٠٦.

(٣) المنتظم، ابن الجوزي، ٢٨٠/١٥-٢٨٢.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٩٧/١٥.

(٥) هو على بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود أبو الحسن، المعروف بابن حاجب النعمان، كاتب القادر بالله، ولد سنة(٣٤٠هـ)، صنف كتباً، وأنشأ رسائل، وله ديوان شعر، وكان له لسان وعارضة وبلاغة، وخوطب برئيس الرؤساء، ومات سنة(٤٢١هـ) وقيل (٤٢٣هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣١/١٢، والوافي بالوفيات، الصفدي، ١٦١/٢١-١٦٢.

وتفسيقه، وحكاية ما جرى بين عبد العزيز المكي وبشر المريسي فيه، ثم ختم القول بالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذت في آخر الكتاب خطوط الحاضرين وسماعهم بما سمعوه.[1]

٣) وفي ذي القعدة أيضا من نفس السنة جمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل جداً يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما، ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والطعن على من يقول بخلق القرآن، وأعيد فيه ما جرى بين بشر المريسي وعبد العزيز المكي في ذاك، ويخرج من هذا الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الناس إلى بعد العتمة حتى استوفيت قراءته، ثم أخذت خطوطهم في آخره بحضورهم وسماع ما سمعوه.[2]

٤) وفي عهد القائم بأمر الله قرئ الاعتقاد القادري بالديوان، وذلك سنة(٤٣٣هـ)، فقد أخرجه القائم وحضر الزهاد والعلماء، وممن حضر الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني[3] فكتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه: أن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر.[4]

٥) وفي يوم السبت النصف من جمادى الأولى من سنة(٤٦٠هـ) في عهد القائم أيضا، قرئ الاعتقاد القادري بمحضر من الفقهاء وأعيان أصحاب الحديث، بعدما اجتمعوا وسألوا إخراج الاعتقاد القادري وقراءته، فأجيبوا، وقرىء هناك بمحضر من الجمع، وكان

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٩٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٥/١٩٧-١٩٨.

(٣) هو على بن عمر بن الحسن أبو الحسن الحربي المعروف بابن القزويني، كان أحد الزهاد المذكورين من عباد الله الصالحين، يقرأ ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته إلا للصلاة، وكان وافر العقل، صحيح الرأي، ولد سنة(٣٦٠هـ)، ومات سنة(٤٤٢هـ)، قال البغدادي: حضرت الصلاة عليه، وكان الجمع متوافرا جدا يفوت الإحصاء، لم أر جمعا على جنازة أعظم منه، وغلق جميع البلد في ذلك اليوم. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٢/٤٣.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٢٧٩.

السبب أن ابن الوليد المعتزلي[1] عزم على التدريس، وحرضه على ذلك جماعة من أهل مذهبه.[2]

٦) وفي يوم الأحد سابع جمادى الآخرة من نفس السنة، قرئ الاعتقاد القادري، قرأه الشريف أبو الحسين بن المهتدي[3] بباب البصرة، وحضر الخاص والعام، وكان قد سمعه القادر.[4]

خامسا: المدرسة المستنصرية:

كان الخليفة المستنصر ذا سيرة طيبة ودين قويم، وهو الذي أمر ببناء المدرسة المستنصرية: يقول عنه ابن الطقطقي:"كان المستنصر شهماً جواداً، يباري الريح كرماً وجوداً، وكانت هباته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها، وأعظم من أن تحصى، ولو قيل: إنه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل، وله الآثار الجليلة، منها وهي أعظمها المستنصرية، وهي أعظم من أن توصف، وشهرتها تغني عن وصفها".[5]

وقد شرعوا في بنائها سنة(٦٢٥هـ)، وتكامل بناؤها في جمادى الآخرة سنة(٦٣١هـ)، وأنفق المستنصر عليها الأموال الكثيرة، وجاءت في غاية الحسن ونهايته،

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الوليد أبو علي المعتزلي شيخ المعتزلة، الداعية إلى مذهبهم، كان يدرس الاعتزال والحكمة، فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته، فكان خمسين سنة لا يتجاسر على الظهور، ولم يكن عنده من الحديث سوى حديث واحد رواه عن شيخه أبي الحسين البصري المعتزلي ولم يرو غيره وهو قوله صلى الله عليه وسلم:((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) فكأنهما خوطبا بهذا الحديث لأنهما ما استحيا من بدعتهما، توفي سنة(٤٧٨هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٦١/٢-٦٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٠٥/١٦.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبيدالله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله، أبو الحسين الهاشمي الخطيب المعروف بابن الغريق، كان فاضلا نبيلا ثقة صدوقا، ولى القضاء بمدينة المنصور وما اتصل بها، وهو ممن اشتهر ذكره وشاع أمره بالصلاح والعبادة، حتى كان يقال له راهب بني هاشم، وولد سنة(٣٧٠هـ)، مات سنة(٤٦٥هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٠٨/٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٤١/١٨.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٠٦/١٦.

(٥) الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، ٣٣٠.

ونقل إليها الكتب وهي مائة وستون حملاً، وعدة فقهائها مائتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة، وأربعة مدرسين، وشيخ حديث، وشيخ نحو، وشيخ طب، وشيخ فرائض، ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم، وكانت لها أوقاف تخصها، وقد بلغ ارتفاع أوقافها في بعض الأعوام نيفاً وسبعين ألف مثقال.(١)

وشُرط أن يكون في دار الحديث التي بها شيخ عالي الإسناد، وقارئان، وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي، وأن يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع.(٢)

قال ابن واصل(٣):"بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة مدرسة ما بني على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر وقفاً، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وعمل فيها بيمارستاناً كبيراً ورتب فيها مطبخاً للفقهاء، ومزملة للماء البارد، ورتب لبيوت الفقهاء الحصر، والبسط، والفحم، والأطعمة، والورق، والحبر، والزيت، وغير ذلك".(٤)

وقال الذهبي عنها في أثناء تعريفه بالمستنصر:"واقف المستنصرية التي لا نظير لها".(٥)

وهذا يدل على أن المستنصرية كانت بمثابة الجامعات الآن.

---

(١) ينظر: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ابن الفوطي، ٨٠-٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث عام ٦٣١هـ-٦٤٠هـ)، الذهبي، ٦-٩.

(٢) ينظر: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ابن الفوطي، ٨٥.

(٣) هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل القاضي، جمال الدين قاضي حماة، الشافعي، الحموي، أحد الأئمة الأعلام، ولد بحماة سنة(٦٠٤هـ) وعمّر دهراً طويلاً، وبرع في العلوم الشرعية والعقلية والأخبار وأيام الناس، وصنف، ودرس، وأفتى، واشتغل، وبعد صيته، واشتهر اسمه، وكان من أذكياء العالم، ولي القضاء مدة طويلة، وما زال حريصاً على الاشتغال، وغلب عليه الفكر إلى أن صار يذهل عن أحوال نفسه وعمن يجالسه، قيل أنه كان يشتغل في حلقته في ثلاثين علماً وأكثر، توفي سنة(٦٩٧هـ) عن أربع وتسعين سنة. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣/٧١-٧٢.

(٤) تاريخ الإسلام(حوادث عام ٦٣١هـ-٦٤٠هـ)، الذهبي، ٤٥٣.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٣/١٥٦.

المبحث الخامس

تعظيم مكانة الصحابة رضوان الله عليهم والقيام بحقوقهم

الصحابي: هو من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم مطلق الصحبة ولو ساعة أو لحظة، ورآه مع الإيمان به ومات على ذلك، لأن الإيمان شرط في إطلاق اسم الصحابي.(1)

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم ثناءً مجَّد ذكرهم، وعطَّر سيرهم، وجعلهم مشعلاً يقتدى به بعد رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.(2)

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.(3)

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾.(4)

---

(١) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٢/١٨٥.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الفتح: ١٨.

وكذلك أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا رأى منهم من صدق الصحبة، وعظم التضحية بالمال والأهل من أجل نصرته ونصرة دعوته، ومن أقواله صلى الله عليه وسلم في مدحهم والثناء عليهم ما يأتي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثلَ أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)).[(١)]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)).[(٢)]

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)).[(٣)]

هذا من ثناء الله ورسوله على الصحابة الكرام، وهذا يدل على سلامة قلوبهم وعقولهم وفطرهم من المفسدات المؤثرة على العقل والفطرة، والتي تؤدي إلى فساد العقيدة والأخلاق.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:((إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه...)).[(٤)]

لذا فقد كان من أصول أهل السنة والجماعة حب الصحابة رضوان الله عليهم، والاقتداء بهم، والترضي عنهم، واعتقاد فضلهم، وعدالتهم، وأن أفضلهم أبوبكر، ثم عمر، ثم

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:((لو كنت متخذاً خليلاً))، رقم الحديث(٣٦٧٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث(٢٦٥١-٢٦٥٢).

(٣) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن الرسول صلى الله عليه وسلم، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم الحديث(٣٨٦٠) وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني، ٥٦٨/٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ٣٧٩/١، إسناده حسن، انظر: النسخة المحققة، ٨٤/٦.

عثمان، ثم علي، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام أحمد بن حنبل:"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم...وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد، وطلحة -الباقون غير عثمان رضي الله عنه- كلهم للخلافة، وكلهم إمام، ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر:"كنا نعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي وأصحابه متوافرون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت"ثم من بعد أصحاب الشورى، أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الهجرة والسابقة أولا فأولا، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة ورآه فهو من أصحابه، له الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظر، فأدناهم صحبة أفضل من القرن الذي لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير".(١)

وقال الإمام الطحاوي:"ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهتدون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبشرهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقوله الحق،

---

(١) أصول السنة، الإمام أحمد، ٣٥-٨٠.

وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين، ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق".[(١)]

وقال شيخ الإسلام:"ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[(٢)] وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[(٣)] ويقبلون ما جاء به الكتاب، والسنة، والإجماع من فضائلهم ومراتبهم".[(٤)]

لذا فقد كان لخلفاء بني العباس نصيب كبير في تطبيق هذا الأصل المهم من أصول أهل السنة والجماعة، لأن الصحابة هم الذين نقلوا لنا العلم الصحيح السليم من شوائب البدع والأهواء، فهذا الخليفة السفاح يدافع بذكائه وفطنته عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، فقد كان يخطب يوما فقام رجل من آل علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه، والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٦٨٩-٧٣٧.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:((لو كنت متخذاً خليلاً))، رقم الحديث (٣٦٧٣).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥٢/٣.

الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب إليه.[1]

هذا الحدث لا يدل على دفاع السفاح عن أبي بكر رضي الله عنه فحسب، بل هو دفاع عن الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة الذين أمرنا بالاقتداء بهم وبسنتهم، والعض عليها بالنواجذ.

والخليفة المنصور كان يقول:"الخلفاء أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والملوك أربعة: معاوية، وعبد الملك، وهشام، وأنا".[2]

وعن مالك بن أنس قال: دخلت على أبي جعفر الخليفة فقال: من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فهجم علي أمر لم أعلم رأيه. قلت: أبو بكر، وعمر. قال: أصبت، وذلك رأي أمير المؤمنين.[3]

وسأل الخليفة المهدي عبدَالله بن مصعب[4] فقال: يا أبا بكر ما تقول فيمن ينقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: زنادقة. قال المهدي: ما سمعت أحدا قال هذا قبلك. قال عبدالله: هم قوم أرادوا رسول الله بنقص فلم يجدوا أحدا من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء. فقال المهدي: ما أراه إلا كما قلت.[5]

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٦٠٤.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٥٥/١٠.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٠٩/٣٢.

(٤) هو عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام، أبو بكر الأسدي، وكان من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتصل بالمهدي أمير المؤمنين لما قدم المدينة، وصحبه وصار أحد خواصه، وقدم بغداد مرات، وولاه الرشيد إمارة المدينة واليمن، وكان محمودا في ولايته، جميل السيرة، مع جلالة قدره، وعظم شرفه، توفي بالرقة في صحبة الرشيد سنة(١٨٤ه) وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٧٣/١٠-١٧٥.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٧٥/١٠.

أما الخليفة هارون الرشيد فقد قال له بعض أهل العلم: يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم يعز سلطانك. فقال الرشيد: أو لست كذلك؟! أنا والله كذلك أحبهما، وأحب من يحبهما، وأعاقب من يبغضهما.(1)

ولما سأل الرشيد مالك بن أنس عن منزلتهما من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه في مماته –يقصد قرب قبريهما من قبره صلى الله عليه وسلم– فقال الرشيد: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك.(2)

والخليفة المتوكل الذي تميز بنصرة السنة وقمع البدعة، أمر بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم فضرب ضربا شديدا مبرحا، يقال: إنه ضرب ألف سوط حتى مات، وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلا عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي(3) أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فرفع أمره إلى الخليفة، فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد، يأمره أن يضربه بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت، ويلقى في دجلة، ولا يصلى عليه، ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة، ففعل معه ذلك.(4)

ويعلق ابن كثير على هذه القصة بعد ذكره لها فيقول:"ومثل هذا يُكَفَّر –إن كان قد قذف عائشة– بالإجماع، وفيمن قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان، والصحيح أنه يكفر أيضا، لأنهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهن".(5)

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥.

(2) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٧/٥٠٦.

(3) هو الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد أبو حسان الزيادي، كان أحد العلماء الأفاضل ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة، ولي قضاء الشرقية في خلافة المتوكل سنة(٢٤١ه) وكان صالحا دينا فهما قد عمل الكتب، وكانت له معرفة بأيام الناس، وله تاريخ حسن، وكان كريما واسعا مفضالا، ومات سنة(٢٤٢ه) وله تسع وثمانون سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧/٣٥٦-٣٦٠.

(4) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٢٠.

(5) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣٢٤.

أما الخليفة المعتمد فقد أُخِذ في عهده رجل يعرف بأبي فقعس، وضرب ألف سوط حتى مات، وذلك لأنه كان يسب السلف.[1]

وها هو الخليفة المعتضد يقول بقول أكثر الصحابة برد الباقي من المواريث إلى أولي الأرحام، أخذا بقول عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فأمر المعتضد بالكتاب إلى جميع النواحي، فنفذت الكتب بذلك.[2]

وكان المعتضد قد سأل أبا حازم القاضي عن هذه المسألة، فقال: أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير زيد بن ثابت على توريث ذوي الأرحام، ولا يعتد بقوله بمقابلة إجماعهم. فقال المعتضد: أليس أنه يروى ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان. فقال: كلا، وقد كَذَب من روى ذلك عنهم، فأمر المعتضد برد ما كان في بيت المال مما أُخذ من تركة من كان ورثه من ذوي الأرحام[3]، وقد قام بعده ابنه الخليفة المقتدر بمثل ذلك.[4]

وعرف الخليفة المقتدر أن الرافضة تجتمع في مسجد براثا[5] فتشتم الصحابة، فأمر بالقبض على من فيه، وكان ذلك في يوم الجمعة، فوجدوا فيه ثلاثين إنساناً يصلون وقت الجمعة، ويعلنون البراءة ممن يأتم بالمقتدر، فقُبض عليهم، وفُتشوا فوجدوا معهم خواتيم من طين أبيض يختم عليها لهم رجل يقال له الكعكي -ينزل في الجانب الغربي من بغداد وهو رئيس الرافضة ومن الدعاة إلى مذهب القرامطة-: محمد بن إسماعيل الإمام المهدي ولي الله، فأُخذوا وحبسوا، وتجرد الوزير الخاقاني[6] لهدم مسجد براثا، وأحضر رقعة فيها فتوى جماعة

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٤٩٣.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ١٢/٣٦٠.

(٣) ينظر: المبسوط، السرخسي، ٣٠/٢.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٢٠.

(٥) براثا: بالثاء المثلثة والقصر، محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٣٦٢.

(٦) هو عبدالله بن محمد الخاقاني الوزير الكبير، أبو القاسم، ابن الوزير أبي علي محمد، ابن الوزير أبي الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان الخاقاني، من بيت وزارة، وكان ذا لسان، وبلاغة، وآداب، وحسن كتابة، وجود، وإفضال، وثروة وأموال، ولي الوزارة للمقتدر في ربيع الأول سنة(٣١٢هـ) بإشارة مؤنس الخادم، وكان سائسا ممارسا، خبيرا بالأمور، =

جماعة من الفقهاء أنه مسجد ضرار وكفر وتفريق بين المؤمنين، وذكر أنه إن لم يهدم كان مأوى الدعاة والقرامطة، فأمر المقتدر بهدمه فهدمه نازوك، وأمر الخاقاني بتصييره مقبرة يدفن فيه الموتى، وأحرق باقيه.[1]

وبناء على هذه الحادثة فقد أخذ الكعكي رئيس الرافضة يشنع على الوزير الخاقاني أنه يكاتب القرمطي ويتدين الإسماعيلية، فتقدم إلى نازوك بالقبض عليه، فمضى ليقبض عليه فتسلق من الحيطان وهرب، ووقع برجل في دار الكعكي وكان خليفته، ووجد في الدار رجالاً يجرون مجرى المتعلمين، فضرب الرجل ثلثمائة سوط وشهره على جمل، ونودي عليه هذا جزاء من يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وحبس الباقين.[2]

والخليفة القادر قام بجمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل جداً يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما، وغيرها من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة.[3]

أما الخليفة المقتفي لأمر الله فإنه خرج إلى الحلة[4] والكوفة، والجيش بين يديه، وسلَّم على مشهد علي رضي الله عنه وسلم بأصبعه، وكان معه سليمان شاه[5] قال ابن

ثم قبض عليه بعد ثمانية عشر شهرا، ثم تعلل، ومات في شهر رجب سنة(٣١٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤/٤٧٤.

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٣/٢٤٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٥/١٩٧-١٩٨.

(٤) الحلة: الحلة علم لعدة مواضع، وأشهرها حلة بني مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى الجامعين، وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلما قوي أمره واشتد أزره وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه ابن ألب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب، انتقل إلى الجامعين موضع في غربي الفرات، ليبعد عن الطالب وذلك في محرم سنة(٤٩٥هـ) وكانت أجمة تأوي إليها السباع، فنزل بها بأهله وعساكره، وبنى بها المساكن الجليلة، والدور الفاخرة، وتأنق أصحابه في مثل ذلك، فصارت ملجأ، وقد قصدها التجار، فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها، فصارت قصبة تلك المنطقة، وللشعراء فيها أشعار كثيرة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٢٩٤.

(٥) هو سليمان بن محمّد بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي المدعوّ شاه أخو السلطان مسعود، قدم بغداد أيّام المقتفي، وخطب لَهُ بالسلطنة عَلَى منابر العراق، ونثر عَلَى الخطباء الذهب، ولُقّب غياث الدنيا والدين، وأُعطي =

كثير:"وكأنه خاف عليه غائلة الروافض، أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئا، أو غير ذلك، والله أعلم".[1]

ولما بلغ الخليفة المستضيء بالله خبر الشاعر الرافضي الذي كان يذم الصحابة رضي الله عنهم في أشعاره، ويسبهم، ويجوِّرهم، ويهجن من أحبهم، أمر بعقد مجلس له ثم استنطق، فإذا هو رافضي خبيث داعية إليه، فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه، ففعل به ذلك، ثم اختطفته العامة فما زالوا يرمونه بالآجر، حتى ألقى نفسه في دجلة، فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات.[2]

وبهذا يتبين مدى تعظيم الخلفاء العباسيين للصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وقيامهم بحقوقهم من الترضي عنهم، والدفاع عنهم، خاصة الخلفاء الراشدين المهديين، لأن هذا الحق تابع لحق الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن سبهم فكأنه سب الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سب الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنه سب الله سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

الأعلام، وخرج متوّجاً نحو الجبل، فلقي ملكشاه بن محمّد وجرت بينهما حرب نصر فِيهَا سليمان، وعاد إلى بغداد عَلَى طريق شهرزور، فخرج إليه عسكر من الموصل فظفروا بِهِ وحُبس إلى أن مات في حدود (٥٥٠). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٥/٢٥٩.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٢٣٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٨/٢٥١.

المبحث السادس

إكرام علماء السنة والاحتفاء بهم

لعلماء السنة مكانة عظيمة ودرجة عالية من الفضل والعلم يتمتعون بها، فوجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله أن يوفيهم حقهم من التعظيم والتقدير والإجلال وحفظ الحرمات، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾.[1]

وقد فضلهم الله سبحانه بالعلم الذي ورثوه من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[2]، وكونهم أخشى الناس لله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[3] لذلك رفعهم الله وأحيا ذكرهم بعد مماتهم ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.[4]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرا يفقه في الدين))[5]وقال أيضا:((فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، فقد أخذ بحظ وافر)).[6]

لذا فقد كان من عقيدة أهل السنة والجماعة احترام علماء السنة، وتوقيرهم، ومعرفة فضلهم، والثناء عليهم، والتواضع لهم وخدمتهم، لما يحملون في صدورهم من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الطحاوي:"وعلماء السلف من السابقين، ومن

---

(١) الحج: ٣٠.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم الحديث (٧١).

(٦) رواه أبو داود، كتاب العلم، باب في فضل العلم، رقم الحديث (٣٦٤١)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٢/٤٠٧.

بعدهم من التابعين -أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر- لا يُذْكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".[1]

وعندما ذكر الشيخ السعدي أصول أهل السنة والجماعة قال:"ويدينون الله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين".[2]

وابن عباس رضي الله عنهما مع جلالة قدره، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلو مرتبته كان يأخذ بركاب زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وهو ممن أخذ عنه ابن عباس العلم، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك. فأخرج يده فقبلها. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.[3]

فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يكرم العلماء، وهكذا كان أبناؤه الخلفاء من بعده، فقد ساروا على طريقة جدهم، فأكرموا العلماء، ووقروهم، وبجلوهم، وسمعوا لهم بإنصات.

ومن علماء السنة الذين عاصروا الدولة العباسية: ربيعة الرأي (ت١٣٤هـ)، وعطاء الخراساني (ت١٣٥هـ)، والأوزاعي (ت١٥٧هـ)، وأئمة المذاهب الأربعة: أبو حنيفة (ت١٥٠هـ)، ومالك (ت١٧٩هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، وأحمد (ت٢٤٠هـ)، وغيرهم كثير.

أما عن مواقف خلفاء بني العباس من علماء السنة فهي كما يأتي:

الخليفة أبو جعفر المنصور نزل عند كتاب الإمام الأوزاعي في فداء أسرى المسلمين الذين كانوا عند الروم، بعد أن كان يأبى الفداء، وهذا هو نص كتاب الأوزاعي للخليفة المنصور:"أما بعد، فإن الله تعالى استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما، وبنبيه صلى الله عليه وسلم في خفض الجناح والرأفة متشبها، وأسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سايحة المشركين غلبت عام أول، وموطؤهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل والحصون، وكان ذلك بذنوب

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٢/٧٤٠.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ابن سعدي، ٣٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٩/١٢١.

العباد، وما عفا الله عنه أكثر، فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرا، ولا عنهم مدافعا، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه وإعراضهم عنه، فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفاداة بهم من الله سبيلا، وليخرج من محجة الله تعالى، فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾[1]، والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدى خراجا إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:((إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتتن أمه))[2] فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم مالا نستحله نحن إلا بنكاح، وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك ومستوف منك يوم يضع ﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[3]"فلما وصل إليه كتابه أمر بالفداء.[4]

وبعث[5] أبو جعفر المنصور إلى الأوزاعي يريد الأخذ عنه والاقتباس منه، فقال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين انظر ولا تجهل شيئا مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه، وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له. قال الأوزاعي: أن تسمعه ولا تعمل به. فصاح الربيع بالأوزاعي، وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبة لا عقوبة. فطابت نفس الأوزاعي وانبسط في الكلام.[6]

---

(١) النساء: ٩٨.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((إني لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأخفف))، رقم الحديث (٣٧٦)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي، ٢١٨/١.

(٣) الأنبياء: ٤٧.

(٤) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٣٥/٦-١٣٦.

(٥) هذه القصة ذكرتها في المبحث الثالث من هذا الفصل وهو (لزوم السنة واتباعها) ص ٢٦-٢٨ لذا سأذكرها هنا مختصرة تفاديا للإطالة.

(٦) ينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٣٦/٦.

ولما اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام ووعظه، أحبه المنصور وعظمه، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد، فأذن له، فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب: الحقه فاسأله لم كره لبس السواد؟ ولا تعلمه أني قلت لك. فسأله الربيع، فقال: لأني لم أر محرما أحرم فيه، ولا ميتا كفن فيه، ولا عروسا جليت فيه، فلهذا أكرهه.[1]

وكان المنصور يسأل مالك بن أدهم[2] كثيرا عن حديث عجلان بن سهيل[3] أخي حوثرة بن سهيل[4]، قال: كنا جلوسا مع عجلان إذ مر بنا هشام بن عبد الملك، فقال رجل رجل من القوم: قد مر الأحول. قال: من تعني؟ قال: هشاما. قال تسمي أمير المؤمنين بالنبز! والله لولا رحمك لضربت عنقك. فقال المنصور: هذا والله الذي ينفع مع مثله المحيا والممات.[5]

وكان أبو جعفر المنصور يقول عن مالك بن أنس:"إنه أعلم أهل الأرض"[6]، وكان يقبل الموعظة منه بصدر رحب[7]، وقال له مرة:"إن رابك ريب في عامل المدينة، أو عامل مكة، أو أحد من عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك، أو سوء سيرة في الرعية، فاكتب إلي بذلك أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت إلى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد إليهم، فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك، وأنت حقيق أن

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/١٢٠.

(٢) هو مالك بن أدهم بن محرز بن أسيد بن أخشن بن رياح الباهلي، وقد بلغ مالك مائة سنة، وكان من صحابة المنصور. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ٢٤٦-٢٤٧، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٦/٣٤٦.

(٣) هو عجلان بن سهيل، ويقال: ابن سهل بن عجلان بن سهيل بن كعب بن عامر الباهلي، من أهل قنسرين، قال يحيى بن معين: عجلان ليس بشيء. وذكره أبو زرعة الرازي في الضعفاء. ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤٠/٤٤-٤٧.

(٤) هو حوثرة بن سهيل بن العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر، أبو المثنى الباهلي، أمير مصر لمروان بن محمد، من أهل قنسرين، كان مع مروان بن محمد يوم غلب على دمشق في جنده، كان رجل سوء، سفاكا للدماء، يحكى عنه حكايات في خطبه، قتل سنة(١٣٢ه) مع من قتل من أتباع الأمويين. ينظر: المصدر السابق، ١٥/٣٣٧.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٣٨.

(٦) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ١/٧٧.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ١/١٢٦، ٢/٩٧.

تطاع ويسمع منك". ثم لما خرج مالك من عنده تبعه بصلة له وكانت خمسة آلاف وكسوة حسنة ولابنه محمد ألف[1]، وكان إذا دخل عليه الإمام مالك يجلسه مجلسا قريبا منه.[2]

ولما أتى الخليفة المهدي إلى المدينة جاءه الإمام مالك مسلما عليه، فرحب به وأدناه وأجلسه بجانبه[3]، وكان يشير عليه في بعض الأمور فيأخذ المهدي بمشورته برحابة صدر واقتناع تام[4]، وكان يوصيه فيقبل وصيته ويحافظ عليها.[5]

وكذلك الخليفة هارون الرشيد كان له شأن كبير في إكرام العلماء وتوقيرهم لعلمهم، فقد رفع إليه في قاض كان قد استقضاه يقال له عافية[6]، فكبر عليه، فأمر بإحضاره، وكان في المجلس جمع كثير، فجعل الرشيد يخاطبه ويوقفه على ما رفع إليه، وطال المجلس، ثم إن الخليفة عطس فشمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه فإنه لم يشمته، فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال له عافية: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله فلذلك لم أشمتك، هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان فشمت أحدهما و لم يشمت الآخر، فقال: يا رسول الله مالك شمت ذلك و لم تشمتني، قال: لأن هذا حمد الله فشمتناه، وأنت لم تحمده فلم أشمتك[7]. فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، أنت لم تسامح في عطسة، تسامح في غيرها؟! وصرفه منصرفا جميلا، وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه.[8]

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٩٨/٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٠١/٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٩٨/٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٠٢/٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٠٩/٢-١١٠.

(٦) هو عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب، الكوفي، ولاه أمير المؤمنين المهدي القضاء ببغداد في الجانب الشرقي سنة(١٦١ه)، وكان أصحاب أبي حنيفة يخوضون في المسألة، فإن لم يحضر عافية، قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية. فإذا حضر عافية فإن وافقهم، قال أبو حنيفة: أثبتوها. وإن لم يوافقهم، قال أبو حنيفة: لا تثبتوها. وكان عافية عالما زاهدا، ولكنه ضعيف في الحديث. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٠٧/١٢-٣٠٩.

(٧) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد، رقم الحديث (٦٢٢٥).

(٨) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٠٩/١٢.

وقال أبو معاوية الضرير: أكلت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين طعاما يوما من الأيام، فصب على يدي رجل لا أعرفه. فقال هارون الرشيد: يا أبا معاوية تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا. قال: أنا. قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم، إجلالا للعلم.[1]

ومن محاسنه أنه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء، وأمر الأعيان أن يعزوه في ابن المبارك[2]، وكان يحب أن يسمع الموعظة من العلماء، فقد سمع من الفضيل بن عياض[3]، وابن السماك[4]، والشافعي[5]، وأبي معاوية الضرير[6]، وغيرهم.

وكان يثني على أبي حنيفة رحمه الله، وذلك أنه لما حكى له القاضي أبو يوسف قصته مع الفالوذج[7]، قال الرشيد: لعمري إن العلم ليرفع وينفع دينا ودنيا. وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.[8]

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ١٤/٨.

(٢) تاريخ الإسلام(حوادث عام ١٩١هـ-٢٠٠هـ)، الذهبي، ٤٢٧.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥.

(٤) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٢٧/٢٠، وشعب الإيمان، البيهقي، ٦/٣٩، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢١٥.

(٥) ينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٩/٩٠.

(٦) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/٧-٨.

(٧) قال أبو يوسف:"توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيرا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه. فقال لها أبو حنيفة: مري يا رعناء، هذا هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق. فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة، فقال لي هارون: يا يعقوب كل منه فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق. فضحكت، فقال لي: مم ضحكت؟ فقلت: خيرا، أبقى الله أمير المؤمنين. قال: لتخبرني. وألح علي، فخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال...". ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤/٢٤٤-٢٤٥.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ١٤/٢٤٥.

ولما تولى المتوكل الخلافة عام(٢٣٢هـــ) همَّ بإنزال أحمد بن نصر الخزاعي[1]–الذي امتحنه الواثق في خلق القرآن فثبت فقتله[2]– عن خشبته، فحدثت بعض الأمور التي منعت المتوكل من إنزاله وتسليمه لأهله، فترك إنزاله، ثم لما كان عام(٢٣٧هـــ)، أمر بإنزال جثته وتسليمها إلى أوليائه ليدفنوه، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا.[3]

أما موقفه من الإمام أحمد بن حنبل فقد أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه، فاجتمع به، وأكرمه، وأمر له بجائزة سنية، فلم يقبلها، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه، فاستحيا منه أحمد كثيرا، فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه، ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي –رحمه الله تعالى–، وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص، ويظن أنه يأكل منه، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما، بل كان صائما مواصلا طاويا تلك الأيام، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام أحمد، وكانت ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة موضع ابن أبي دؤاد عن مشورته، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر.[4]

وكتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول: يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة. فكتب فيها المتوكل: أما المأمون فإنه خلّط، فسلط الناس على نفسه، وأما أبي المعتصم فإنه كان رجل حرب، ولم يكن له بصر بالكلام، وأما أخي الواثق فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط، فأخذه عبدالله بن

---

(١) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة، أبو عبدالله الخزاعي، كان من أهل الفضل والعلم، مشهورا بالخير، أمارا بالمعروف، قوالا بالحق، وقتل سنة(٢٣١ه) وكان قتله في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٧٣/٥–١٧٩.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٨٣/٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣١٤/٥–٣١٥.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣١٦/١٠، وينظر للاستزادة: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٢٠٦/٩–٢٢٠.

إسحاق ابن إبراهيم[١] فضربه خمسمائة سوط، فقال له المتوكل: لم ضربته خمسمائة سوط؟ فقال: مائتين لطاعتك، ومائتين لطاعة الله، ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل.[٢]

ولما وجه المتوكل إلى أحمد بن المُعَذَّل وغيره من العلماء، فجمعهم في داره ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعذَّل، فقال المتوكل لعبيدالله: إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا. فقال له: بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء. فقال أحمد بن المعذّل: يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم:((من أحب أن يَتَمثّل الرجال له قِياماً فليتبوأ مقعده من النار))[٣]فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.[٤]

أما الخليفة المقتدي بأمر الله فقد كان أول من صلى على أبي إسحاق الشيرازي[٥] عند وفاته.[٦]

---

(١) هو عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، أحد قواد المتوكل، قدم معه دمشق، توفي سنة(٢٦٦هـ). ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٧/٨٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣٤٠.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، أبواب السلام، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه، رقم الحديث(٥٢٢٩)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/٢٨٣.

(٤) ينظر: المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ٢١٣.

(٥) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ، الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، الفيروزآبادي، الشيرازي، الشافعي، نزيل بغداد، قيل: لقبه جمال الدين، ولد سنة(٣٩٣هـ)، قدم بغداد سنة(٤١٥هـ)، فلزم أبا الطيب وبرع وصار معيده، وكان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته، رحل الناس إليه من البلاد، وقصدوه، وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة والطريقة المرضية، جاءته الدنيا صاغرة، فأباها، واقتصر على خشونة العيش أيام حياته، صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب، وكان زاهدا، ورعا، متواضعا، ظريفا، كريما، جوادا، طلق الوجه، دائم البشر، مليح المحاورة، من مصنفاته: المهذب–التنبيه–اللمع في أصول الفقه–شرح اللمع–المعونة في الجدل–الملخص في أصول الفقه– وغير ذلك، توفي سنة(٤٧٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٨/٤٥٢–٤٦٤.

(٦) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/٢٣٠.

والخليفة المقتفي لأمر الله كان معجبا بالوزير ابن هبيرة[1] العالم العامل، وكان لا يلبس الحرير، فعرض عليه الخليفة المقتفي لبس الحرير فرفض وقال: أنا والله ما ألبس هذا. فقال المقتفي لما بلغه رفضه: قد والله قلت: إنه ما يلبس. وكان يقول عنه: ما وزر لبني العباس مثله.[2]

وكان الخليفة المستنجد بالله أيضا معجباً به، وقد ذكر أنه لما ولي المستنجد بالله دخل عليه، فقال له ابن هبيرة: يكفي في إخلاصي أني ما حابيتك في زمن من أبيك. فقال المستنجد: صدقت.[3]

وكان المستنجد ينشد وزيره أبا المظفر ابن هبيرة، وقد مثل بين يديه في أثناء مفاوضة ترجع إلى تقرير قواعد الدين، وإصلاح أمر المسلمين، وأنشده لنفسه مادحاً له:

صفت نعمتان خصـــــتاك وعمتـــا	فذكـــرهما حتى القيــــامة ينــــشر
وُجُودُكَ والدنيا إلــــيك فقــــيرة	وَجُودُكَ والمعروف في النــاس ينكـــر
فلو رام يا يحيى مكانــك جــــعفر	ويحيى لكفَّـــا عنه يحـــيى وجـــــعفر[4]
ولم أر من ينوي لك السوء يا أبـــا	المظــفر إلا كنت أنت المــــظفر.[5]

---

(١) هو يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني الدوري، العراقي، الحنبلي، صاحب التصانيف، الوزير، الإمام، العالم، العادل، عون الدين، يمين الخلافة، ولد سنة(٤٩٩هـ) ودخل بغداد في صباه، وطلب العلم، وجالس الفقهاء، وتفقه بأبي الحسين ابن القاضي أبي يعلى والأدباء، وسمع الحديث، وتلا بالسبع، وشارك في علوم الإسلام، ومهر في اللغة، وكان يعرف المذهب والعربية والعروض، سلفيا أثريا، ثم إنه أمضّه الفقر، فتعرض للكتابة، وتقدم وترقى، وصار مشارف الخزانة، ثم ولي ديوان الزمام للمقتفي لأمر الله، ثم وزر له في سنة(٥٤٤هـ)، واستمر، ووزر من بعده لابنه المستنجد، وكان دينا، خيرا، متعبدا، عاقلا، وقورا، متواضعا، جزل الرأي، بارا بالعلماء، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كبير الشأن، حسنة الزمان، ومن مصنفاته: الإفصاح عن معاني الصحاح شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم في عشر مجلدات—العبادات على مذهب أحمد–وأرجوزة في المقصور والممدود–وأخرى في علم الخط–واختصر كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، توفي سنة(٥٦٠هـ) مسموما. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠/٤٢٦-٤٣٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٨/١٦٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٨/١٦٧.

(٤) يقصد بهما الوزيرين يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر بن يحيى، اللذين وزرا لهارون الرشيد.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٨/١٦٧.

أما الخليفة المستضيء بالله فقد أمر بكتابة لوح على قبر الإمام أحمد بن حنبل فيه آية الكرسي وبعدها: هذا قبر تاج السنة، وحبر الأمة، العالي الهمة، العالم العابد، الفقيه الزاهد. وذكروا تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.[1]

والخليفة المستنصر بالله لما تولى الخلافة أمر في أول ليلة من رمضان بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والنفقات على العلماء وغيرهم إعانة لهم على الصيام وتقوية لهم على القيام، وبعث في يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاما جزيلا إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد.[2]

وبهذا يتبين مدى احترام أكثر الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء، أي العلم الشرعي وحملته من أهل السنة والجماعة المشهورين بالعدالة والمروءة.

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٨/٢٤٨-٢٤٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/١١٤.

الفصل الثاني

أثر خلفاء بني العباس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثرهم في الأمر بالمعروف.

المبحث الثاني: أثرهم في النهي عن المنكر.

تمهيد

الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصل عظيم من أصول الإسلام، حتى ألحقه بعض العلماء بأركان الإسلام التي لا يقوم بناؤه إلا عليها، ولا غرو فإن صلاح العباد في معاشهم متوقف على طاعة الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتمام الطاعة متوقف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾.[2]

وعندما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام للناس كافة، قام بواجب الأمر بالمعروف بنفسه، وكلف بعض أصحابه بالقيام به، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾.[3]

ومن أمثلة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر صلى الله عليه وسلم، ما رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:"أمرني رسول الله أن آتيه بمُدْيةٍ –وهي الشفرة– فأتيته بها فأرسل بها، فأُرهفت، ثم أعطانيها، وقال:((اغدُ علي بها)) ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة، وفيها زقاق خمر قد جلبت من الشام، فأخذ المُدْية مني، فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطانيها، وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي،

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) لقمان: ١٧.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

وأن يعاونوني، وأمرني أن آتي إلى الأسواق كلها فلا أجد زق خمر إلا شققته، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته". [1]

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، قام خلفاؤه وأصحابه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير قيام، وامتد اهتمام المسلمين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرونا طويلة، وكان من نتائج القيام بهذا الواجب العظيم أن عاش المجتمع الإسلامي في أنقى حياة، وأسعدها، وآمنها، لا يكاد يقع فيه منكر حتى يتتابع الإنكار له، ويتداعى المسلمون إليه، فيقضى عليه في مهده، وبهذا عاش مجتمعا مهيبا، طاهرا، لا يتوقح فيه أهل الفساد، ولا يتجرأ فيه أهل المعصية، وكانت العزة فيه لله ولرسوله وللمؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله.

قال ابن العربي المالكي:"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أصل الدين وخلافة المسلمين". [2]

وقال شيخ الإسلام:"جميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". [3]

وعلى هذا فقد كان لخلفاء بني العباس أثر كبير في تطبيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على اختلاف عصورهم، وهذا ما سيتبين في المبحثين الآتيين، وهما:

المبحث الأول: أثرهم في الأمر بالمعروف.

المبحث الثاني: أثرهم في النهي عن المنكر.

ولكن قبل ذلك يجب تعريف المعروف والمنكر لغة وشرعا، وكذلك تعريف مصطلح الحسبة باعتباره تابعا وشاملا لهما.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ١٣٢/٢، والحديث حسن، وإسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم الغساني وبقية رجاله ثقات. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل –ط الرسالة–، ٣٠٧/١٠.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٢٢٦/٢.

(٣) مجموع الفتاوى (قاعدة في الحسبة)، ابن تيمية، ٦٦/٢٨.

أولا: تعريف المعروف لغة وشرعا:

المعروف لغة: ضد المنكر، أي أمرٌ معروفٌ بين الناس، إذا رأوه لا ينكرونه.[١]

المعروف شرعا: هو اسم جامعٌ لكُلِّ ما عُرف من طاعة اللّه، والتقرّب إليه، والإحْسَان إلى النَّاس، وكُلّ ما ندَب إليه الشَّرع من المحسَّنات، ونَهى عنه من المُقَبَّحات.[٢]

وقيل: هو كل ما يحسن في الشرع.[٣]

ثانيا: تعريف المنكر لغة وشرعا:

المنكر لغة: خلاف المعروف.[٤]

وشرعا: وهو كلُّ ما قَبَّحه الشرع وحَرَّمه وكَرِهه.[٥]

وقيل: ما ليس فيه رضا الله من قول أو فعل.[٦]

ثالثا: تعريف الحسبة لغة وشرعا:

الحسبة لغة: مصدر احْتِسابِكَ الأَجر على اللّه، تقول فَعَلْته حِسْبةً، واحْتَسَبَ فيه احْتِساباً، والاحْتِسابُ طَلَبُ الأَجْر، والاسم الحِسْبَةُ بالكسر، وهو الأَجْرُ، واحْتَسَبَ فلان ابناً له أَو ابْنةً له إِذا ماتَ وهو كبير، وافْتَرَطَ فَرَطاً إِذا مات له ولد صغير لم يَبْلُغِ الحُلُمَ.[٧]

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥٥/٩.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث، الجزري، ٤٢٢/٣.

(٣) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٨٣.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٨٢/١٤.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث، الجزري، ٢٤٠/٥.

(٦) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ٣٠٣.

(٧) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٦٤/٣.

الحسبة شرعا: هي ولاية منبثقة عن رئيس الدولة، ومتصلة به مباشرة، وقد عرفها الماوردي فقال:"هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله".[1]

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ٣١٥.

المبحث الأول
أثرهم في الأمر بالمعروف

كان لخلفاء بني العباس الأثر الكبير في الأمر بالمعروف، واتخذوا أساليب وطرقا شتى لتطبيق هذه الشعيرة العظيمة، فمن تلك الأساليب:

أولا: وعظ الناس وتذكيرهم بالله عن طريق الخطب:

فقد قام الخليفة المنصور بأمر الناس بالتوجه لله وحده دون سواه في خطبته يوم عرفة، وقيل: إنه خطب في أيام منى، فقال:"أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلا، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم، وقسم فيئكم، وأرزاقكم، فتحني، وإذا شاء أن يقفلني، أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه، إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[١] أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم، والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم، وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم، إنه سميع قريب".[٢]

فهو يأمرهم بدعاء الله وحده دون سواه أن يسخره لهم، حتى لا يكون تعلقهم بغير الله سبحانه وتعالى، فالأمر بدعاء الله وحده لا شريك له هو التوحيد، وهو أعرف المعروف، كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله.[٣]

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/٥٣٣.

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ٢/٤٨٧.

ووصى وليَّ عهده من بعده وهو ابنه المهدي، فقال له:"يا أبا عبدالله إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعدل أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه".[(١)]

وقال له أيضا:"يا أبا عبدالله استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتألف، والنصر بالتواضع، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله".[(٢)]

وكان شغل المنصور في صدر نهاره بالأمر والنهي، والولايات والعزل، وشحن الثغور والأطراف، وأمن السبل، والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم، والتلطف لسكونهم وهدوئهم، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق، وشاور سماره من ذلك فيما أرب.[(٣)]

وأول من جعل الحسبة ولاية من الدولة هو الخليفة أبو جعفر المنصور –حسب اطلاعي– حيث ولَّى عاصم بن سليمان الأحول[(٤)] حسبة الكوفة[(٥)]، وهذه الولاية كانت تسمى ولاية السوق، لأنها تكون بمراقبة البائعين في السوق في المكاييل، والأوزان، وغير ذلك.[(٦)]

ولهذا قال ابن تيمية:"والولايات كلها الدينية مثل إمرة المؤمنين، وما دونها من ملك، ووزارة، وديوانية، سواء كانت كتابة خطاب، أو كتابة حساب المستخرج، أو مصروف أرزاق المقاتلة أو غيرهم، وبكل إمارة حرب، وقضاء، وحسبة، وفروع هذه الولايات إنما شرعت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".[(٧)]

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣١٤/٣٢.

(٢) تاريخ الطبري، ٥٢٢/٤.

(٣) المصدر السابق، ٥٢٢/٤.

(٤) هو عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن الأحول البصري، مولى بني تميم، ويقال مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقال: مولى آل زياد، بصري تابعي ثقة، وكان يتولى الولايات، فكان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان، وكان قاضيا بالمدائن لأبي جعفر، مات سنة(١٤١ه) أو (١٤٢ه). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢٤٣/١٢–٢٤٧.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢٤٧/١٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٢/٤.

(٧) مجموع الفتاوى، (قاعدة في الحسبة)، ابن تيمية، ٨١/٢٨.

وكذلك الخليفة المهدي كان حريصا على الأمر بالمعروف ويتبين هذا في خطبته للناس حيث قال:"...أوصيكم عباد اللّه بتَقوى اللّه، فإنّ الاقتصار عليها سَلامة، والتركَ لها ندامة، وأَحثّكم على إجلال عَظمته، وتوقير كِبريائه وقدُرته، والانتهاء إلى ما يُقَرِّب من رَحمته، ويُنَحِّي من سُخطه، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب، وجزيل المآب، فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العِقاب، وأليم العذاب، ووَعيد الحساب، يوم تُوقفون بين يدي الجَبَّار، وتعرضون فيه على النار، يومَ لا تَكَلّم نفس إلا بإذنه، فمنهم شَقِيّ وسَعيد...إنّ وَعْدَ اللّه حق، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، ولا يغُرنكم بالله الغَرور، فإن الدُّنيا دارُ غُرور، وبلاءٌ وشُرور، واضمحلال وزَوال...وبادِرُوا بالأعمال الزاكية في هذه الأيام الخالية، قبل أن يُؤخذ بالكَظم، وتندموا فلا تقالون بالنَّدم...إن أحسنَ الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ اللّه، يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[1] أعوذ باللّه العظيم من الشَيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾[2] إلى آخر السورة، أُوصيكم عبادَ اللّه بما أوصاكم اللّه به، وأَنهاكم عما نهاكم اللّه عنه، وأرضى لكم طاعة اللّه، وأستغفر اللّه لي ولكم".[3]

وكذلك كان حريصا على مصالح الناس وعدم ظلمهم، وذلك أنه لما استعفاه القاضي عافية من القضاء، ظن الخليفة المهدي أن بعض الأولياء قد غض منه، أو أضعف يده في الحكم، فقال القاضي عافية: ما جرى من هذا شيء. قال المهدي: فما سبب استعفائك؟ فقال: كان يتقدم إلي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة، وكل يدعي بينة وشهودا ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا، أو يعن لي وجه فصل ما بينهما. قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أول أوقات الرطب، إلى أن جمع رطبا سكرا لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلا لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي جملة دراهم، على أن

---

(١) الأعراف: ٢٠٤.

(٢) التكاثر: ١-٢.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ١٨٩/٤-١٩٠.

يدخل الطبق إلي، ولا يبالي أن يرد، فلما أُدخل إلي، أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت برد الطبق فرد، فلما كان اليوم تقدم إلي مع خصمه، فما تساويا في قلبي ولا في عيني، وهذا يا أمير المؤمنين و لم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت؟! ولا آمن أن يقع على حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني أقالك الله وأعفني. فأعفاه الخليفة المهدي.[1]

وهو أول خليفة عباسي جلس للنظر في المظالم، وردها على أهلها، ثم جلس بعده الخليفة الهادي، ثم الخليفة هارون الرشيد، ثم الخليفة المأمون، وآخر من جلس لها الخليفة المهتدي حتى عادت الأملاك إلى مستحقيها.[2]

والخليفة هارون الرشيد خطب في الناس فقال:"أُوصيكم عبادَ الله بتقوى اللّه، فإن في التَقوى تَكْفيرَ السيّئات، وتَضْعيف الْحَسنات، وفوزاً بالجنّة، ونَجاةً من النار، وأُحذّركم يوماً تَشْخص فيه الأبصار، وتُبلى فيه الأسرار، يومَ البعث، ويومَ التغابن، ويومَ التلاق، ويوم التناد، يومَ لا يُستعتب من سيئة، ولا يُزداد في حسنة، يوم الآزفة، إذ القُلوب لَدَى الحَناجر كاظِمين، ما للظّالمين من حَمِيم ولا شَفيع يُطاع، يُعلم فيه خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، واتّقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله، ثُم توفّى كل نفس ما كَسبت وهم لا يظلمون.

عبادَ اللّه، إنكم لم تُخلقوا عَبثا، ولن تتركوا سُدَى، حَصّنوا إيمانكم بالأمانة، ودِينَكم بالوَرع، وصَلاتكم بالزّكاة، فَقد جاء في الخبر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:((لا إيمانَ لمن لا أمانة له، ولا دِين لَمن لا عهد له، ولا صَلاة لمن لا زكاة له))[3]، إنكم سَفر مُجتازون، وأنتم عنِ قَريب تَنتقلون من دار فَناء إلى دار بقاء، فَسارِعوا إلى المغفرة بالتَّوبة، وإلى الرَّحمة بالتّقوى، وإلى الهُدى بالإنابة، فإن اللّه تعالى ذِكْره أوْجب رَحْمته للمُتَّقين، ومَغْفرته للتائبين، وهُداه للمُنيبين، قال الله عزَّ وجلّ وقولُه الحق: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٢/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الأحكام السلطانية، الماوردي، ١٠٤.

(٣) رواه أحمد في مسند، ٣/١٣٥-١٥٤-٢١٠-٢٥١، والحديث حسن. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل –ط الرسالة–، ١٩/٣٧٦، ٢٠/٣٣و٤٢٣، ٢١/٢٣١.

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[2].

وإياكم والأمانيَ، فقد غرّت وأرْدت وأوبقت كثيراً، حتى أكذبتهم مُناياهم، فتناوشُوا التوبةَ من مكان بعيد، وحِيل بينهم وبين ما يَشْتهون...

إن أحسن الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ الله، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[3] أعوذ بالله العظيم من الشَيطان الرجيم، إنه هو السّميع العليم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[4]

آمرُكم بما أمَركم اللّهُ به، وأنهاكم عما نَهاكم اللّه عنه، وأستغفر اللّه لي ولكم".[5]

وخطب الخليفة الأمين لما أتته الخلافة ببغداد، فقال:"أيها الناس إن المنون تراصد ذوي الأنفاس حتما من الله، لا يدفع حلولها ولا ينكر نزولها، فاسترجعوا قلوبكم عن الجزع على الماضي، إلى البهج للباقي، تعطوا أجور الصابرين، وجزاء الشاكرين".[6]

وخطب الخليفة المأمون في يوم جمعة فقال في خطبته:"...أُوصيكم عبادَ الله ونَفْسي بتَقْوى اللّه وحدَه، والعمل لما عنده، والتنجّز لِوَعْده، والخوفِ لوَعِيده، فإنه لا يَسلم إلا مَن اتقاه ورَجاه، وعَمل لَه وأرضاه.

فاتقُوا اللّهَ عباد الله، وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يَبقى بما يَزُول عنكم ويَفْنى، وترَحَّلوا عن الدُّنيا، فقد جَدَّ بكم، واستعدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وكُونوا كقوم صِيح فيهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدُّنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله عزّ وجلّ لم

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) الأعراف: ٢٠٤.

(٤) الإخلاص: ١-٤.

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ٤/١٩٠-١٩١.

(٦) تاريخ بغداد، البغدادي، ٣/٣٣٨.

يَخْلُقكم عَبَثاً، و لم يترككم سُدًى، وما بَينْ أحدكم وبين الجَنَة والنار إلا الموتُ أنْ ينْزل به..." .[1]

وخطب يوم الأضحى فقال:"...فتقرّبوا إلى اللّه في هذا اليوم بذَبائحكم، وعَظّموا شعائر الله، واجعلوها من طيِّب أموالكم، وبصحَّة التَّقوى من قُلوبكم، فإنه يقول: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[2] "ثم التَّكبير والتّحميد، والصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم، والوصية بالتَقوى، ثم ذكر الموت.

ثم قال:"وما من بعده إلا الجنَّة أو النار، عظمَ قدْرُ الدارين، وارتفع جزاء العَمَلين، وطالت مُدَة الفَريقَيْن، اللّه، فواللّهِ إنه الجدّ لا الّلعِب، والحقّ لا الكَذِب، وما هو إلا الموتُ، والبعثُ، والمِيزان، والحِساب، والصِّرَاط، والقِصاص، والثواب، والعِقاب، فَمَن نجا يومئذٍ فقد فاز، ومَن هَوَى يومئذ فقد خاب، الخيْر كلّهُ في الجنة، والشرّ كله في النار".[3]

وخطب يوم عيد الفطر فقال:"...فاطلبُوا إلى اللّه حوائجكم، واستغفروه لتَفريطكم، فإنه يُقال: لا كثيرَ مع نَدَم واستغفار، ولا قَليل مع تَمَادٍ وإصرار"ثم كبَّر وحَمِد، وذكرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وأوصى بالبرّ والتَّقوى.

ثم قال:"اتقوا اللّه عباد الله، وبادرُوا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم، و لم يَحْضر الشك فيه أحداً منكم، وهو الموتُ المكتوب عليكم، فإنه لا تُسْتقال بعده عَثْرة، ولا تُحْظر قبله توبة، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه، ولا شيء بعدَه إلاّ فوقَه، ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزه[4] وكُرَبه، وعلى القبر وظُلْمته وضِيقه ووَحْشَته وهَول مطلعه ومسألة ملكَيْه، إلا العمل الصالح الذي أمر اللّه به، فمن زَلّت عند الموت قدَمُه، فقد ظهرت ندامتُه، وفاتته استقالتُه، ودَعا من الرّجعة إلى مالا يُجاب إليه، وبَذَل من الفِدْية مالا يُقْبَل منه، فاللّه اللّه عباد اللّه، كُونوا قوماً سألوا الرَّجعة فأُعطوها إذ مُنِعها الذين طلبوها، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلَكم إلا هذا الأجل المبسوط لكم، فاحذَروا ما حَذّركم اللّه، واتقوا اليوم الذي

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٢/٤.

(٢) الحج: ٣٧.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٢/٤-١٩٣.

(٤) علزه: هو القلق والكرب عند الموت. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٥٢/٩.

يَجْمعكم الله فيه، لوَضْع موازِينكم، ونشر صُحفكم، الحافظة لأعمالكم، فلينظر عبدٌ ما يَضع في ميزانه مما يَثْقُل به، وما يُمْلى في صحيفته الحافظة لما عليه وله، ألا فَقد حكى اللهّ لكم ما قالَ المفرطون عندها، إذ طال إعراضهم عنها، قال جلّ ذكره: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1] قال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]ولستُ أنهاكم عن الدُنيا بأكثر مما نهتكم به الدُّنيا عن نَفْسها، فإنّ كل ما بها يُحَذِّر منها، وينهى عنها، وكلّ ما فيها يدعو إلى غيرها، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها ذَمُّ كتاب الله لها، والنهيُ عنها، فإنّه يقول تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾[4] فانتفعوا بمَعرفتكم بها، وبإخبار الله عنها، واعلموا أنَّ قوماً مِن عباد اللّه أدركتهم عِصْمَةُ الله فَحَذِروا مَصَارعها، وجانبوا خَدائعها، وآثروا طاعةَ الله فيها، وأدركوا الجنة بما يَتْركون منها".[5]

وخطب الخليفة المسترشد في يوم النحر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكرهم بأن الله وضح لهم سبيل الرشاد، وكيف كانت عقوبة من خالفه، ثم ذكرهم بيوم القيامة وأهواله، وما سيكون فيه من الحساب والجزاء، ثم ذكرهم بحرمة يوم النحر وشرفه، وما شرع فيه للمسلم، ثم جلس بين الخطبتين، ثم قام إلى الثانية فحمد الله وكبر، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم يمينًا وشمالا، ثم قال:"اللهم أصلحني، وأصلح لي ذريتي، وأعني على ما وليتني، وأوزعني شكر نعمتك، ووفقني لما أهلتني له، وانصرني على ما استخلفتني فيه، واحفظني فيما

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) لقمان: ٣٣، فاطر: ٥.

(٤) الحديد: ٢٠.

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ٤/١٩٣-١٩٥.

استرعيتني، ولا تخلني من خفايا لطفك التي عودتني ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].[3]

أما الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء الدولة العباسية في بغداد، فقد أذن لأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي[4]-وكان شابا ظريفا فاضلا- في الوعظ بباب البدرية[5] فتكلم وأجاد وأفاد.[6]

ثانيا: الرفق بالرعية والعطف عليهم ورعايتهم وحفظ أمنهم:

فالخليفة المعتضد بالله لما بلغه أن قوما يجتمعون على الفساد والإفساد، ويجلسون في دكان شيخ تبان[7]، غضب لذلك، واستشار وزيره عبيدالله بن سليمان[8] فيهم، فقال

---

(١) يوسف: ١٠١.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/٢٣٣-٢٣٥.

(٤) هو عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن، وهو ابن الصاحب محيي الدين ابن الإمام ابن الجوزي، ولد سنة(٦٠٠هـ)، وقتل مع والده في نوبة بغداد سنة(٦٥٦هـ)، وكان محتسب بغداد، وترسل عن الخليفة إلى مصر، ووعظ وحدث. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٨/١٨٧.

(٥) باب البدرية: هو أحد أبواب حريم دار الخلافة، وهو بمقدار ثلث بغداد، وهو في وسطها، ويحيط به دور العامة، وله سور يتحيز به ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كهيئة نصف دائرة، وله عدة أبواب، منها باب البدرية هذا. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٢٥٠-٢٥١.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/١٦١.

(٧) أي يبيع التبن.

(٨) هو عبيدالله بن سليمان بن وهب، أبو القاسم، الوزير، وزير المعتضد، ولد سنة(٢٢٦هـ)، كان شهما، مهيبا، شديد شديد الوطأة، قوي السطوة، ناهضا بأعباء الأمور، متمكنا من المعتضد، وهو ولد الوزير الذي مات أيام المعتمد، ووالد الوزير الكبير القاسم بن عبيدالله، وقد عمل الوزارة لأبي العباس قبل أن يستخلف، فوجده فوق ما في النفس، فرد أعباء =

الوزير: تتقدم بأخذهم، وصلب بعضهم، وإحراق بعضهم، وتغريق بعضهم، فإن العقوبة إذا اختلفت، كان الهول أشد، والهيبة أفشى، والزجر أنجع، والعامة أخوف. فقال المعتضد لوزيره:"...لقد عصيت الله بهذا الرأي، ودللت على قسوة القلب، وقلة الرحمة، ويبس الطينة، ورقة الديانة، أما تعلم أن الرعية وديعة الله عند سلطانها؟ وأن الله يسائله عنها كيف سُسْتَها؟ ولعله لا يسألها عنه، وإن سألها فليؤكد الحجة عليه منها، ألا تدري أن أحداً من الرعية لا يقول ما يقول إلا لظلمٍ لحقه أو لحق جاره، وداهيةٍ نالته أو نالت صاحباً له؟ وكيف نقول لهم: كونوا صالحين أتقياء مقبلين على معايشكم، غير خائضين في حديثنا، ولا سائلين عن أمرنا، والعرب تقول في كلامها: غلبنا السلطان فلبس فروتنا، وأكل خضرتنا، وحنق المملوك على المالك معروف، وإنما يحتمل السيد على صروف تكاليفه، ومكاره تصاريفه، إذا كان العيش في كنفه رافعاً، والأمل فيه قوياً، والصدر عليه بارداً، والقلب معه ساكناً...".[١]

يقول أبو حيان التوحيدي[٢] بعد ذكره لهذه الحادثة:"وفارق الوزير حضرة الخليفة، وعمل بما أمر به على الوجه اللطيف، فعادت الحال ترف بالسلامة العامة، والعافية التامة، فتُقدم إلى الشيخ التبان برفع حال من يقعد عنده حتى يواسى إن كان محتاجاً، ويصرف إن كان متعطلاً، وينصح إن كان متعقلاً".[٣]

ويعلّق ابن كثير رحمه الله على هذه الحادثة فيقول:"ولم يقابلهم بما قال الوزير، ولهذه النية لما ولي الخلافة كان بيت المال صفرا من المال، وكانت الأحوال فاسدة، والعرب تعيث

الأمور إليه، وبلغ من الرتبة ما لم يبلغه وزير، وكان عديم النظير في السياسة والتدبير والاعتناء بالصديق، مات سنة(٢٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/٤٩٧-٤٩٨.

(١) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ٣/٨٨-٩١.

(٢) هو علي بن محمد بن العباس، أبو حيَّان التوحيدي، شيرازي، وقيل: نَيْسابوري، وقيل: واسطي، صوفي السَّمْت والهيئة، قال ياقوت: كان يتألَّه، والناس على ثقة من دينه. وقال محبُّ الدين بن النجَّار: كان صحيح العقيدة. وكذا قال غيره، والمتأخّرون حكموا بزندقته، قال الشيخ شمس الدين: كان سيِّئ الاعتقاد، نفاه الوزير المهلَّبي. ومن تصانيفه: الصديق والصداقة-الردّ على ابن جنّي في شعر المتنبي-الإمتاع والمؤانسة-الإشارات الإلهية-وغيرها كثير، مات في حدود(٣٨٠هـ) أو ما بعد الثمانين. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٢/٢٧-٢٩.

(٣) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ٣/٩١.

في الأرض فسادا في كل جهة، فلم يزل برأيه وتسديده، حتى كثرت الأموال، وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والآفاق".[١]

وعندما سألت أمُّ الشريف[٢] شعبةَ بن شهاب اليشكري[٣] عن الخليفة المعتضد: كيف خلّفت أمير المؤمنين؟ قال:"خَلَّفْتُه واللّه ملكاً جذلاً، وحكماً عدلاً، أمّاراً بالمعروف، فعّالاً للخير، متعززاً على أهل الباطل، متذللاً للحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. فقالت له: هو واللّه أهل لذلك ومستحقه ومستوجبهم، وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهو ظل اللّه الممدود على بلاده، وخليفته المؤتمن على عباده، أعزَّ به دينه، وأحيا به سُنّته، وثبَّت به شريعته".[٤]

أما الخليفة المستنجد بالله فقد كان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلاً فيهم، كثير الرفق بهم، وأطلق كثيراً من المكوس، ولم يترك بالعراق منها شيئاً، وكان شديداً على أهل العيث والفساد، والسعاية بالناس.[٥]

قال ابن الأثير:"بلغني أنه قبض على إنسان كان يسعى بالناس، فأطال حبسه، فشفع فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته، وبذل عنه عشرة آلاف دينار، فقال: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، وتحضر لي إنساناً آخر مثله، لأكف شره عن الناس. ولم يطلقه، ورد كثيراً من

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٩١-٩٢.

(٢) هي أخت أحمد بن عيسى بن الشيخ عبدالرزاق، وعمة أحمد ابنه، وكان أحمد هذا قد تحصن في آمد بعد وفاة أبيه، وكانت عمته أم الشريف لا ترضى على أفعاله وفسقه، فقد كانت امرأة عاقلة شاعرة، وكان المعتضد معجبا بعقلها وشعرها، فلما فتح المعتضد آمد شفع لها في كثير من قومها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه، ومنهم ابن أخيها أحمد، وأكرمها وأرسل لها بالهدايا ولابن أخيها. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٤/٢٤٢-٢٤٣.

(٣) هو (شعبة) كما في مروج الذهب ٤/٢٤٠، أو(شعلة) كما في المنتظم ١٢/٣٩٩، ومختصر تاريخ دمشق ٣/١١٩، وغيرهما، وهو أعرابي فصيح كان بصحبة المعتضد وكان يأنس به.

(٤) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٤/٢٤١.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٢٩.

الأموال على أصحابها، وقبض على القاضي ابن المرخم[1]، وأخذ منه مالاً كثيراً، فأعاده على أصحابه أيضاً، وكان ابن المرخم ظالماً جائراً في أحكامه".[2]

وقال ابن كثير:"وكان أمّاراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر".[3]

كذلك الخليفة المستنصر الذي قال عنه ابن النجار:"فنشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام، وحفظ الثغور، وافتتح الحصون".[4]

وقال الموفق عبد اللطيف[5]:"بويع أبو جعفر، وسار السيرة الجميلة، وعمر طرق المعروف الداثرة، وأقام شعائر الدين، ومنار الإسلام، وعمر بسخائه وبذله، واجتمعت القلوب على حبه والألسنة على مدحه، ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معاباً، وقد أطبقوا عليه،

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن مظفر، القاضي، أبو الوفا البغدادي، عرف بابن المرخم، اشتغل بالطب والنجوم ومذهب الأوائل، حتى انطفأ نور إيمانه، وتقدم، ورأس إلى أن ناب في القضاء عن علي بن الحسين الزينبي، وعلا شأنه، ثم ولي أقضى القضاة في بغداد، وظلم، وعسف، وارتشى، وكان من سيئات المقتفي، وكان يتظاهر بالفلسفة، فلما مات المقتفي، واستخلف المستنجد سجنه مدة مديدة، ثم أخرج من السجن ميتاً سنة(٥٥٥هـ) وله نظم جيد. ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام٥٥١هـ-٥٦٠هـ) الذهبي، ١٨٧.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن لأثير، ٢٩/١٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٦٢/١٢.

(٤) تاريخ الإسلام(حوادث عام ٦٣١-٦٤٠)، الذهبي، ٤٥٣.

(٥) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد، العلامة موفق الدين، البغدادي الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف، المعروف بابن اللباد، وابن نقطة، لقبه تاج الدين الكندي بالجدي المطجن لرقة وجهه وتجعده ويبسه، ولد ببغداد سنة(٥٥٥هـ)، حدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداد، وكان أحد الأذكياء المضلعين من الآداب والطب وعلم الأوائل، إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه، وكان يتنقل في البلاد، ومن تصانيفه: غريب الحديث-والمجرد منه-الواضحة في إعراب الفاتحة-كتاب الألف واللام-شرح بانت سعاد-وغيرها كثير، توفي ببغداد سنة(٦٢٩هـ). ينظر: فوات الوفيات، ٣٨٥/٢، والأعلام، ٦١/٤-٦٢.

وكان جده الناصر يقربه، ويحبه، ويسميه القاضي، لعقله، وهديه، وإنكاره ما يجد من المنكر".[1]

وقال عنه ابن كثير:"حسن السريرة، جيد السيرة، كثير الصدقات والبر والصلات، محسنا إلى الرعية بكل ما يقدر عليه، وكان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة، فكان يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أملأها. وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أنفقها كلها. فكان يبني الربط، والخانات، والقناطر في الطرقات من سائر الجهات، وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء، لا سيما في شهر رمضان، وكان يتقصد الجواري اللائي قد بلغن الأربعين، فيشترين له، فيعتقهن، ويجهزهن، ويزوجهن، وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات، والأرامل، والأيتام، وغيرهم، تقبل الله تعالى منه وجزاه خيرا".[2]

ثالثا: إعمار المساجد والمحافظة عليها:

فالخليفة المهدي أمر أن يجعل على أفواه السكك في الكوفة خشبا حتى لا يصل الناس إلى الجامع إلا مشاة، وذلك بسبب أن عيسى بن موسى[3]، وكان ولي العهد بعد المهدي، فسأله المهدي أن يخلع نفسه، فامتنع في بداية الأمر، وذهب إلى الكوفة في ضيعة له، وكان

(١) تاريخ الإسلام(حوادث عام ٦٣١-٦٤٠)، الذهبي، ٤٥٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٥٩/١٣.

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بن عبد المطّلب الهاشميّ، وليّ عهد أمير المؤمنين، الأمير، ولد بالحميّمة سنة(١٠٣ه)، كان أحد الشجعان المذكورين، ولما احتضر السّفّاح، كتب له بولاية العهد بعد المنصور، فكان ذا عظمة وجلالة، وهو الذي انتدب لقتال محمد بن عبدالله بن حسن، ولقتال أخيه حتى ظفر بهما، ثّم إنّ المنصور لما تمكّن، أقبل على عيسى بن موسى بالرّغبة والرّهبة، فما زال به حتى ألزمه بتقديم ابنه المهديّ على نفسه في ولاية العهد، وقد ولي إمرة الكوفة مدّة، وقد بذل المنصور لعيسى أموالاً حتّى نزل عن منصبه، ثّم إنّ المهديّ لما استخلف لم يزل به حتّى خلعه عن ولاية العهد بعده لولده موسى بن المهديّ، توفّي عيسى سنة(١٦٨ه). ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات١٦١ه-١٧٠ه) الذهبي، ٣٨٤-٣٨٥.

واليها روح بن حاتم[1]، فاشتكى إلى المهدي بأن عيسى بن موسى إذا أتى المسجد، دخل بدوابه، فتروث حيث يصلي الناس، فأمر المهدي بذلك لهذا السبب، حفاظا على نظافة المساجد، وراحة المسلمين.[2]

والخليفة القادر بالله في عام(٣٨٣هـ) أمر بتعمير جامع الحربية[3] والذي بناه أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي[4] في أيام المطيع لله ليكون جامعا يخطب فيه، فمنع المطيع من ذلك، ومكث المسجد على تلك الحال حتى استخلف القادر بالله، فاستفتى الفقهاء في أمره، فأجمعوا على وجوب الصلاة فيه، فرسم أن يعمر، ويكسى، وينصب فيه منبر، ورتب إماما يصلي فيه الجمعة.[5]

وفي ربيع الآخر من سنة(٤٠٢هـ) أمر أيضا بإعمار مسجد الكفّ بعد خرابه بسبب زيادة دجلة.[6]

وفي رمضان من سنة(٤٩٤هـ) تقدم الخليفة المستظهر بفتح جامع القصر –قصر الخلافة– وأن يصلى فيه صلاة التراويح، ولم تكن العادة جارية بذلك، وجعل فيه إماما راتبا،

---

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، يكنى بأبي حاتم، كان من الكرماء الأجواد، ولي لخمسة من الخلفاء: السفاح، والمنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، ويقال: إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فإنه ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وكان روح والياً على السند، ولاه إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة(١٥٩ه)، وكان قد ولاه في أول خلافته الكوفة، وقيل: إنه ولاه السند، ثم عزله، وولاه البصرة، توفي سنة(١٧٤ه) في أفريقية. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢/٣٠٥-٣٠٧.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٥١.

(٣) الحربية: محلة كبيرة، مشهورة ببغداد، عند باب حرب، قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل وغيرهما، تنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي، ويعرف بالراوندي، أحد قواد أبي جعفر المنصور. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٢٣٧.

(٤) هو محمد بن الحسن بن عبد العزيز بن أبي بكر عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس الهاشمي العباسي، يكنى أبا بكر، ولي قضاء مصر مضافاً إلى قضاء الرَّمْلَة وطَبَرِيَّة والإسكندرية وغير ذلك، فاستخلف أوّلاً ابن وليد، ثم استخلف أخاه عمر بن الحسن، وكان خطيب الجامع العَمْريّ بمصر وإمامه، وإليه إقامة الحج، وإمامة الحرمين. ينظر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر، ٣٥٥.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١/١١٠.

(٦) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/ ٧٧و٨٢.

وأمر بالجهر بالبسملة، والقنوت على مذهب الشافعي، وبُيِّض الجامِع، وعُمِّر، وكُسِي، وحُمِلت إليه الأضواء، وأمر المحتسب أن ينهى النساء عن الخروج ليلاً للتفرج.[1]

رابعا: مناصحة الولاة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

ولى المنصور رجلا من عرب حضرموت، فكتب إليه والي البريد أنه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها، فعزله وكتب إليه:"ثكلتك أمك، وعدمتك عشيرتك، ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش، إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين، ولم نستكفك أمور الوحش، سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان، والحق بأهلك ملوما مدحورا".[2]

وكتب الخليفة القادر بالله إلى والي جيلان ويدعى محمد بن عبدالله بن الحسن، كتاباً اختصره ابن الجوزي في منتظمه، وفيه:"بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبدالله بن الحسن، حين بلا حقائق أخباره، واستشعر مواقع آثاره، وأُنْهي إلى أمير المؤمنين رسوخه في العلم، وسمته بالفهم، فاستخار الله عز وجل فيما يعتمده عليه، وسأله التسديد فيما يفوضه إليه، فقلّده الصلاة، والخطابة على المنابر، والقضاء، والحكم ببلاد جيلان، أسودها، وأبيضها، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه توكله، وإليه في كل حال موئله، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل، أمره بخشية الله، فإنها مزية العلماء، ومراقبته فإنها خاصة الأدباء، وتقواه ما استطاع، فإنها سكة من أطاع، وجنة من تجاذبه الأطماع، وأن يأخذ لأمر الله أهبته، ويعد له عدته، ولا يترخص فيه فيفرط، ولا يضيع وظيفة من وظائفه فيتورط، وأن يستعمل نفسه في المهل، ويؤذنها بقرب الأجل، ولا يغرها أنه منتظر، وإن عصى فيغفر، فقد قال الله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾[3]".

---

(١) ينظر: المنتظم: ٦٦/١٧.

(٢) تاريخ الطبري، ٥٢١/٤.

(٣) غافر: ١-٣.

وأمره بقراءة القرآن وتلاوته والمحافظة عليه ودراسته، وأمره بمداومة الطهر فإنه أمان من الفقر، ولا يقنع به في الجوارح، أو أن يكون مثله فيما بين الحوائج.

فإن النقاء هناك هو النقاء الذي يتم به البهاء، وحينئذ تكمل الطهارة، وتزول الأدران، وأمره بمراقبة مواقيت الصلاة للجمع(1)، فإذا حانت سعى إليها، وإذا وجبت جمع عليها بالأذان الذي يسمع به مؤذنوه الملأ، والإقامة الذي يقوم به فرض الله عز وجل، وأمره بالإحسان في الموعظة مستقصياً للمناصحة، وأمره بالنداء على المنابر، وفي سائر المحافل، والمعاقل بالشعار الأعلى، والفرض الأوفى، من ذكر دولة أمير المؤمنين، وحث الأمة على طاعته أجمعين، قال الله عز وجل: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(2).

وأن يديم التصفح لأحوال البلاد التي ولي فيها ما وليه من قواعد الشريعة، وليقابل نعمة الله بشكر الصنيعة، فإن وجد فيها نافراً عن فريضة الدعوة الشريفة القادرية اجتذبه إليها بالموعظة الحسنة، والدلالة الصريحة، فإن استبصر لرشده، وراجع المفروض بجهده، فقد فاز وغنم، وإن تشاوس وعَنِد، استنفر عليه الأمم، وقمعه بما يوجبه الحكم.

وأمره بصلوات الأعياد والخسوف والاستسقاء، وأمره أن يكون لأمر الله متأهباً، ولنزول الموت مترقباً ولطروقه متوقعاً، وأمره أن يخلي من فوضه إليه من ظهير يستنيبه، وأمره أن يتبع شرائع الإسلام، وأن يواصل تلاوة القرآن، ويستنبط منه، ويهتدي به، فإنه جلاء للبصائر، ومنار الحكم، ولسان البلاغة، وأمره أن يخلي ذهنه إذا انتدب للنظر، ويقضي أمامه كل وطر، ويأخذ لجوارحه بحظ يعينها، فإن القلب إذا اكتنفته المآرب يعرض له التعب، وأمره بالجلوس للخصوم في مساجد الجوامع ليتساووا في لقائه، وأن يقسم لحظه ولفظه بين جمهورهم.

وأمره بالنظر في الأمور بالعدل، وأمره بانتخاب الشهود والفحص عن أحوالهم، وأمره بالتناهي في تفقد الأيتام، فإنهم أسراء الإسلام، وأمره بتعهد الوقوف، وإجراء أحوالها على ما يوجبه التوقيف من أربابها.

---

(1) أي جمع الناس إليها.

(2) النساء: ٥٩.

ثم قال:"هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته المنعم بها عليك، وتذكرته المستودعة فوائد توفيقه، فانصب لمحاورته، وأصغ لمخاطبته، واغرس مواعظه في قلبك، تجن من ثمرها الفوز عند ربك".[1]

أما الخليفة المسترشد بالله فقد دخل عليه السلطان محمود السلجوقي[2]، وأمر له الخليفة بكرسي، فجلس عليه، فوعظه الخليفة وتلا عليه قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3]"وأمره بالإحسان إلى الرعية، وعقد له لواءين، وقلده الملك.[4]

خامسا: الأمر بالجهاد ومحاربة المفسدين:

فالخليفة المستظهر بالله ندب الفقهاء للخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج جماعة من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، إلا أن جهودهم لم تكلل بالنجاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[5]

ولما زاد أمر العيارين في الجانب الغربي من بغداد، تقدم الخليفة المستظهر إلى أحد الأمراء بتهذيب البلد، فأخذ جماعة منهم فقتلهم.[6]

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٨-١٩.

(٢) هو محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، أبو القاسم، الملقب أولاً سيف الدولة، ثم لقبه الخليفة القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه يمين الدولة وأمين الملة واشتهر به، ولما تمكن واستحكم شرع في الغزاة والإغارة على أطراف الهند، فافتتح قلاعاً كثيرة منها، وعمرت أرض خزانته، وأشفقت النفوس من هيبته، وفي سنة(٣٨٩هـ) استتب له الملك، وسير له القادر بالله خلعة السلطنة، ولقبه بالألقاب المذكورة، وتبوأ سرير المملكة، وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة، ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل به قط سورة ولا آية، فرحض عنها أدناس الشرك، وبنى بها مساجد وجوامع، توفي سنة(٤٢١هـ)أو(٤٢٢هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٥/١٧٥-١٨٢.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/١٩٦.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩/٢٠، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٥٦.

(٦) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/٥٤.

المبحث الثاني

أثرهم في النهي عن المنكر

وردت مواقف كثيرة تبين مدى حرص الخلفاء العباسيين على إقامة شعيرة النهي عن المنكر فها هو الخليفة المنصور لما بلغه أن أحد غلمانه قد جلس بين الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور[١] وهن يضحكن، فأمر أن يضرب رأس هذا الغلام بطنبوره، فضرب به حتى انكسر الطنبور، ثم أمر ببيع الغلام صاحب الطنبور.[٢]

ولما قدم بختيشوع الأكبر[٣] على المنصور أمر له بطعام يتغذى به، فلما وضعت المائدة بين يديه، قال: شراب[٤]. قيل له: إن الشراب لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين. فقال: لا آكل طعاما ليس معه شراب. فأخبر المنصور بذلك، فقال: دعوه. فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك فطلب الشراب، فقيل له: لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب. فتعشى وشرب ماء دجلة.[٥]

وقتل الخليفة الهادي جاريتين من جواريه اجتمعتا على الفاحشة، فلما شهد عليهما بنفسه أمر بذلك في الحال.[٦]

---

(١) الطنبور: هو آلة من آلات المعازف والملاهي، ولها أوتار يضرب عليها أو يلعب بها. ينظر: كتاب العين، الخليل ابن أحمد، ٧٨/٦، ٤٧٢/٧، والمحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٢٤٥/٩.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥١٨/٤.

(٣) المقصود ببختيشوع الأكبر هذا هو جورجيوس بن جبرائيل الطبيب النصراني الذي أقدمه المنصور من بلده جنديسابور لعلة أصابته في معدته، وكان جورجيوس هذا له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة، وأنواع العلاج، وكان قائما على البيمارستان في جنديسابور، وكان من ضمن تلامذته ابنه بختيشوع بن جورجيوس، وقد استطاع جورجيوس هذا بتقدير الله سبحانه وتعالى أن يعالج المنصور فبرأ من علته، فأعجب به إعجابا شديدا، وأبقاه عنده مدة من الزمن، ومنعه من الرجوع إلى بلده، حتى أصيب جورجيوس بعلة، فأذن المنصور له بالرجوع إلى بلده فرجع، أما بختيشوع بن جورجيوس فإنه لم ير المنصور ولم يلتق به، بل طلبه الخليفة موسى الهادي لما اعتل، فمات قبل قدوم بختيشوع، فخدم هارون الرشيد وتميز في أيامه، وكان يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها، ومعنى بختيشوع أي عبد المسيح. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ١٨٣-١٨٧.

(٤) يقصد الخمر.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٣١/٤.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٦١٣/٤.

وكان يقول:"أخبرني أبي عن جدي أن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس قال: ما أصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني، والعفو عن الزلات القريبة، ليقل الطمع في الملك".[1]

وأنكر الخليفة هارون الرشيد على ابن أبي مريم المدني[2]-وكان يُضحك الرشيد- لما أضحك الرشيد أثناء الصلاة، فقطع الرشيد الصلاة، ثم التفت عليه وهو كالمغضب، فقال:"إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما".[3]

والخليفة المهتدي أمر بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامرا، ونفيهم منها إلى بغداد، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان، وطرد الكلاب، وإبطال الملاهي، ورد المظالم، وجلس لذلك للعامة.[4]

والخليفة المعتضد عندما كان وليا للعهد منع من بيع كتب الفلاسفة والجدل، وتهدد على ذلك، واستحلف الوراقين ألا يبيعوها، ومنع القصاص والمنجمين من الجلوس في الطريق للناس.[5]

وعندما صار خليفة للمسلمين أمر بتحريق كتاب جمع له فيه الرخص من زلل العلماء.[6]

وكان مهتما بتطبيق الحدود وإقامتها على المخالفين الذين يعيثون في الأرض باسم الخليفة، أو غيرهم من عامة الشعب، فلما كان المعتضد في بعض متصيداته جاز بعسكره على إحدى مزارع القثاء، فصاح حارس في تلك المزرعة، فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش من القثاء شيئاً. فقال المعتضد: اطلبوهم. فجاؤوا بثلاثة

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٢٣/١٣.

(٢) هو عبدالله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم القرشي التيمي، أبو شاكر المدني، مولى بن جدعان. ينظر: تهذيب الكمال، المزي، ٤٤٥/١٤-٤٤٦.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ١٨/٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٤٣٩/٥.

(٥) ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي،٤٠٠/١، وتاريخ الإسلام(حوادث عام٢٦١-٢٨٠هـ)، الذهبي، ٢٣٧-٢٣٨.

(٦) ينظر: سنن البيهقي الكبرى، ٢١١/١٠.

أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الرجل: نعم. فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد ضرب أعناقهم في نفس المزرعة وسار، فأنكر الناس ذلك وتحدثوا به، ومضت على ذلك مدة طويلة، فقال له أبو محمد عبدالله بن حمدون[١]: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في القراح[٢]. فقال: والله ما كان أولئك الذين أخذوا القثاء، وإنما كانوا لصوصاً حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر القثاء، فأردت أن أصول[٣]على الجيش بأن من عاث من عسكري في هذا القدر كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مغطي الوجوه، ليقال: إنهم أصحاب القثاء، فقال أبو محمد: كيف تعلم العامة هذا؟ قال: بإخراج القوم الذين أخذوا القثاء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة. ثم قال: هاتوا القوم. فجاؤوا بهم وقد تغيرت حالهم من الحبس والضرب، فقال: ما قصتكم؟ فقصوا عليه قصتهم، فقال: أتتوبون من مثل هذا الفعل حتى أطلقكم؟ قالوا: نعم. فأخذ عليهم التوبة، وخلع عليهم، وأمر بإطلاقهم، ورد أرزاقهم عليهم، فانتشرت الحكاية، وزالت عنه التهمة.[٤]

ولما قام أحد ملاحي السفن بتغريق امرأة، وكان قد طمع في حليها وجواهرها وثيابها الفاخرة، فغرقها وأخذ سلبها، فرأى المعتضد في منامه كأن شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب فناداه، فقال: يا أحمد! خذ أول ملاح ينحدر الساعة، فاقبض عليه، وقرره خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها، وأقم عليه الحد. فقام من نومه فزعا، وأمر بالملاح فأحضر، وقرر فاعترف، فأمر بتغريقه كما فعل مع المرأة، وسلم المعتضد إلى أهل المرأة حليها وجواهرها وثيابها.[٥]

---

(١) وكان نديمه وخاصته، وممن كان يأنس به في خلواته، نادم المعتضد بعد ابن السرخسي. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٢٣٢، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٢٨٧/١.

(٢) القَراح: المزرعة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩٢/١١.

(٣) أصول: بمعنى أسطو وأقهر. ينظر: المصدر السابق، ٤٤٤/٧.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٠٨/١٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٣١٢/١٢.

ولما أخذ مؤنس[1] صاحب الشرطة عقدا ثمينا من الجوهر من دكان أحد التجار، ووصل الأمر إلى المعتضد، أرسل إلى مؤنس رسالة بخطه يقول فيها:"يا مؤنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر، وفتحت صندوقه، وأخذت منه عقد جواهر، وأنا في الدنيا، والله لولا أنها أول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة، اركب بنفسك إلى دكان الرجل حتى ترد العقد بيدك في الصندوق ظاهراً. فركب مؤنس بنفسه ورد العقد مكانه.[2]

وذلك الخياط المحتسب الذي أنكر على التركي الذي أرغم امرأة بالدخول إلى بيته، فأخذت المرأة تصيح، وتقول: إن زوجها سيطلقها إن باتت خارج بيتها، فحاول الخياط إنقاذها فلم يفلح، فقام بالأذان في منتصف الليل قبل طلوع الفجر، لعل هذا التركي إذا سمع الأذان أن يخرجها، فتذهب إلى بيتها فلا تطلق من زوجها، فسمع المعتضد بذلك، فأمر أن يحضر الخياط، فلامه ووبخه على ما فعل، فبين له الأمر، فأمر المعتضد بمعاقبة التركي ثم قتله، ثم أمر بإلقائه في دجلة، ثم أمر المعتضد الخياط بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن لم يستطع التغيير، فعليه أن يأتي المعتضد، فإن حجب عنه، فعليه أن يؤذن في نفس الوقت الذي أذن فيه في حادثة المرأة لكي يعلم الخليفة بالأمر، فصار الناس يخافون من الخياط التقي المحتسب إذا جاء يطالب بحقوق أحد المظلومين.[3]

وكان حرص المعتضد شديدا في إشاعة العدل بين الناس، وكف الإشاعات التي يطلقها العامة، فقد أدخل عليه قطانا[4] سُمِعَ في السوق وهو يقول: ليس للمسلمين من ينظر في أمورهم. فوبخه المعتضد على هذه المقولة، وسأله عن سببها، فبين أنه اجتاز به رجل ابتاع منه، وكان ميزانه ووزنه تطفيفاً، وأنه كان يعني بقوله هذا المحتسب، وليس أمير المؤمنين،

---

(١) هو مؤنس الخادم الأكبر الملقب بالمظفر المعتضدي، أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، وكان خادما أبيض فارسا شجاعا سائسا داهية، ندب لحرب المغاربة العبيدية، وولي دمشق للمقتدر، ثم جرت له أمور، وحارب المقتدر، فقتل يومئذ المقتدر، فسقط في يد مؤنس، وقال: كلنا نقتل. وكان معظم جند مؤنس يومئذ البربر، فرمى واحد منهم بحربته الخليفة فما أخطأه، ثم نصب مؤنس في الخلافة القاهر بالله، فلما تمكن القاهر، قتل مؤنسا وغيره في سنة(٣٢١ه)، وبقي مؤنس ستين سنة أميرا، وعاش تسعين سنة، وخلف أموالا لا تحصى. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥/٥٦-٥٧.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٢/٣١٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٢/٣١٧-٣٢١.

(٤) هو الذي يبيع القطن.

فأمر بأن يحضر المحتسب، وينكر عليه في ترك النظر في هذه الأمور، ورسم له اعتبار الصنج[1] والموازين على السواقة والطوافين[2]ومراعاتهم حتى لا يبخسوا، فكلّم القاضي الحسن بن إسماعيل[3] الخليفة في أنه لو جعل أحد رجال المعونة يصيحون عليه، وينتهي الأمر، ولا حاجة لاستدعاء الرجل العامي. فقال المعتضد:"يا حسن، أنت تعلم ما يجره هذا القول إذا تداولته الألسن، ووعته الأسماع، وحصل في القلوب، لأنه متى ألف، ولقنه هذا عن هذا، لم يؤمن أن يولد لهم في نفوسهم امتعاضاً للدين أو السياسة، يخرجون فيه إلى إثارة الفتن، وإفساد النظام، وليس شيء أبلغ في هذا من قطع هذه الأسباب، وحسم موادها من إزالة دواعيها وموجباتها، وقد طارت روح هذا القطان بما شاهد وسمعه، وسيحدث به، ويزيد فيه، ويعظم الأمر ويفخمه، وسمع تقدمنا به في أمر المحتسب، وما نحن عليه من مراعاة الكبير والصغير، وينشر بين العامة بما يكف ألسنتها، ويقيم الهيبة في نفوسها، وليكون ما تكلفت من هذا التعب القليل قد كفاني التعب الكثير. فأقبلوا يدعون له.[4]

وأُتي له بغلام أسود قد أخذ عذقا من بسر فتأمله طويلا ثم أمر بضرب عنقه، ثم برر لأصحابه قتل هذا الغلام الأسود، مع أن الذي فعله لا يستحق حتى القطع، فبيّن أن هذا

---

(١) الصنج: جمع صنجة وسنجة وهي نوع من الموازين توضع في كفة الميزان كالرطل والأوقية. ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك،محمد بن علي الصبان،٢٩٣/٢، المعجم الوسيط، لجماعة من المؤلفين، ٩٣٩/١و١٠٨٨.

(٢) أي حدد له أن يعتبر الصنجة هي الأساس في الموازين على التجار المارة.

(٣) هو الحسن بن إسماعيل بن محمد بن سعيد بن أبان، أبو عبدالله الضبي القاضي المحاملي، ولد في سنة(٢٣٥هـ) وسمع الحديث وله عشر سنين، وشهد عند الحكام وله عشرون سنة، وكان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان صدوقاً أديباً فقيهاً، مقدماً في الفقه والحديث، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها، ثم استعفى فأعفي، وعقد في داره مجلساً للنظر في الفقه في سنة(٢٧٠هـ)، فلم تزل تتردد إليه الفقهاء إلى أن توفي سنة(٣٣٠هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢١/١٤.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٥/١٢.

الغلام كان من الزنج، وكان قد استأمن في حياة والد المعتضد(الموفق)[1]، فحدثت شحناء بينه وبين أحد المسلمين، فقتل المسلم، فأهدر الموفق دم المسلم تأليفا للزنج، فآلى المعتضد على نفسه لئن قدر عليه ليقتلنه، فما وقعت عينه عليه إلا هذه الساعة، فقتله بذلك الرجل.[2]

وكذلك إقراره للشيخ أبي الحسين النوري[3] عندما كسر دنان خمر كانت مع ملاح في زورقه، فصاح الملاح، فأخذت الشرطة الشيخ النوري وأوقفوه بين يدي المعتضد، فدار بينهما حوار كان الشاهد منه أن المعتضد قال للنوري:"اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر".[4]

---

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله، ولد سنة(٢٢٩ه)، يكنى أبا أحمد، ولقبه الموفق بالله، كان أخوه المعتمد قد عقد له ولاية العهد بعد ابنه جعفر، فمات الموفق قبل موت المعتمد بسنة وأشهر، ويقال: إن اسمه كان طلحة، فلم يزل أمر أبي أحمد يقوى ويزيد، حتى صار الجيش كله تحت يديه، والأمر كله إليه، وكان قتل صاحب الزنج بالبصرة على يديه، فملك الأمر، وأحبه الناس وأطاعوه، وتسمى بعد قتل البصري الخارجي بالناصر لدين الله مضافا إلى الموفق بالله، فكان يخطب له على المنابر بلقبين، يقال: اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين. فلم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة(٢٧٨ه) وله من السن يومئذ تسعة وأربعون سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٢٧/٢-١٢٨.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٢٤/١٢.

(٣) هو أحمد بن محمد، أبو الحسين النوري، شيخ الصوفية في وقته، كان مذكورا بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة، بغدادي المولد والمنشأ، كان يعرف بابن البغوي قديما، وأصله من خراسان من ناحية بغ، كان الجنيد يعظم شأنه، قال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أحد قط أعبد من النوري. قيل: ولا جنيد؟ قال: ولا جنيد. وقال أبو جعفر الفرغاني: مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق، فيتصدق بالرغيفين، ويدخل إلى المسجد فلا يزال يركع، حتى يجيء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق، فيظن أستاذه أنه قد تغدى في منزله ومن في بيته عندهم أنه أخذ معه غداءه وهو صائم، مات سنة(٢٩٥ه). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٣٠/٥-١٣٥.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨٩/١١.

وقال القاضي أبو عمر محمد بن يوسف[1]: قُدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي في حكم، فجاء فارتفع في المجلس فأمره الحاجب بموازاة خصمه، فلم يفعل إدلالاً بعظم محله من الدولة، فصاح أبي عليه، وقال: قفاه، أتؤمر بموازاة خصمك فتمتنع! يا غلام عمرو ابن أبي عمرو النخاس الساعة، لأتقدم إليه ببيع هذا العبد، وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين. ثم قال لحاجبه: خذ بيده وسو بينه وبين خصمه. فأُخذ كرهاً، وأجلس مع خصمه، فلما انقضى الحكم انصرف الخادم، فحدث المعتضد بالله، وبكى بين يديه، فصاح عليه المعتضد، وقال: لو باعك لاخترت بيعه، وما رددتك إلى ملكي أبداً، وليس خصوصك بي يزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان، وقوام الأديان.[2]

والخليفة المقتدر قام بعزل وزيره أبا العباس الخصيـــبي[3]، والقبض عليه، وحبسه، وذلك أنّ الخصيبي أضاف إضافة شديدة[4]، ووقفت أمور السلطان لذلك، واضطرب أمر الخصيبيّ، وكان حين ولي الوزارة قد اشتغل بالشرب كلّ ليلة، وكان يصبحُ سكرانا لا قصد فيه لعمل وسماع حديث، وكان يترك الكتب الواردة للدواوين لا يقرؤها إلاّ بعد مدة،

---

(١) هو محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو عمر القاضي الأزدي، مولى آل جرير ابن حازم، كان ثقة فاضلا، ولد سنة(٢٤٣هـ)، وفي سنة(٢٨٤هـ)، ولي قضاء مدينة المنصور والأعمال المتصلة بها، والقضاء بين أهل بزرج سابور والراذانين وسكرود وقطربل، وجلس في المسجد الجامع بالمدينة، وهو في الحكام لا نظير له عقلا وحلما وذكاء وتمكنا واستيفاء للمعاني الكثيرة باللفظ اليسير، مع معرفته بأقدار الناس ومواضعهم، وحسن التأني في الأحكام والحفظ لما يجري على يده، وكان يضرب المثل بعقله وحلمه، وانتشر على لسان الخطير والحقير ذكر فضله، حتى إن الإنسان كان إذا بالغ في وصف رجل قال: كأنه أبو عمر القاضي. وإذا امتلأ الإنسان غيظا قال: لو أني أبو عمر القاضي ما صبرت. سوى ما انضاف إلى ذلك من الجلالة والرياسة، والصبر على المكاره، واحتمال كل جريرة إن لحقته من عدوه، وغلط إن جرى من صديقه، وتعطفه بالإحسان إلى الكبير والصغير، واصطناع المعروف عند الداني والقاصي، ومداراته للنظير والتابع، ولم يزل على طول الزمان يزداد جلالة ونبلا حتى توفي سنة(٣٢٠هـ) وله ثمان وسبعون سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣/٤٠١-٤٠٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٣/١١٥.

(٣) هو أحمد بن عبيدالله بن أحمد بن الخصيب الجرجرائي، أبو العباس، الوزير، الكاتب، معرق في الوزارة، وزر للمقتدر، ثم للقاهر، وكان مهيبا شديد الوطأة، مخوف الجانب، وكان أديبا شاعرا مترسلا فصيحا، مليح الخط، ذا عفة، وكان يشرب النبيذ، ويتنعم، ثم عزل وصودر وضاق ذات يده، مات بالسكتة سنة(٣٢٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥/٢٩٢-٢٩٣.

(٤) بمعنى مال ميلا شديدا. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٨/١٠٨.

ويهمل الأجوبة عنها، فضاعت الأموال، وفاتت المصالح، ثمّ إنّه لضجره وتبرُّمه بها وبغيرها من الأشغال، وكَل الأمورَ إلى نوابه، وأهمل الاطلاع عليها، فباعوا مصلحته بمصلحة نفوسهم.(١)

وكذلك الخليفة القاهر أحضر رجلا كان يقطع الطريق بدجلة، فضرب بين يديه ألف سوط ثم ضربت عنقه، وقطعت أيدي أصحابه وأرجلهم.(٢)

وتقدم بالمنع من القيان والخمر والنبيذ، ومنع أصحاب الناطف(٣) أن يعيروا قدورهم لمن يطبخ فيها التمر والزبيب للأنبذة، وقبض على المغنين من الرجال والنساء والحرائر والإماء، وقبض على جماعة من الجواري المغنيات، وتقدم ببيعهن في النخاسين على أنهن سواذج.(٤)

وفي زمن الخليفة القادر بالله قام وزيره فخر الملك(٥) بسجن أمير خفاجة أبي فليتة، وجماعة من رؤوس قومه، ومنعهم الماء، ثم صلبهم تلقاء دجلة يرون صفاء الماء، ولا يقدرون على شيء منه، حتى ماتوا، وذلك لأنهم اعترضوا الحجيج وهم راجعون، وغوروا المناهل التي يردونها، ووضعوا فيها الحنظل، فمات نحو من خمسة عشر ألفا من الحجاج من العطش، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم في أسوأ حال، وأخذوا ما كان معهم من الأحمال والجمال، فكان ما فعل بهم جزاء وفاقا لفعلتهم الشنيعة.(٦)

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٨/٧.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٦/١٣.

(٣) الناطف: ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق. ينظر: المعجم الوسيط، ٩٣٠-٩٣١.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٧/١٣-٣١٨.

(٥) هو محمد بن علي بن خلف، أبو غالب، الملقب فخر الملك، ولد سنة(٣٥٤هـ)، وهو وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه، وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو، وكان فخر الملك من أعظم وزراء آل بويه، أصله من واسط، وأبوه كان صيرفياً، وهو الذي أعاد اللطم في عاشوراء، فثارت الفتن لذلك، ولأجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي كتاب"الفخري"في الجبر والمقابلة، وكتاب"الكافي"في الحساب، قتل سنة(٤٠٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١٢٤/٥-١٢٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٨٢/١٧-٢٨٣.

(٦) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٩٠/١٥.

وفي زمن الخليفة القائم بالله طالب الحنابلة ومعهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بقلع المواخير، وتتبع المفسدات، ومن يبيع النبيذ، وضرب دراهم تقع المعاملة بها عوض القراضة[1]، فتقدم أمير المؤمنين بذلك، فهرب المفسدات، وكبست الدور، وارتفعت الأنبذة، ووعد بقلع المواخير، والتقدم بضرب دراهم يتعامل بها.[2]

ولما تولى الخليفة المقتدي الخلافة عام(٤٦٧هـ) تقدم فخر الدولة إلى المحتسب في الحريم بأمر من الخليفة بنفي المفسدات، وبيع دورهن، فشهر جماعة منهن على الحمير مناديات على أنفسهن، وأبعدهن إلى الجانب الغربي من بغداد، ومنع الناس من دخول الحمامات بلا مآزر، وقلع الهوادي[3] الأبراج، ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح الناس، ومنع الحماميين من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وألزمهم أن يحفروا لها آباراً تجتمع المياه فيها، ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين.[4]

وفي عام(٤٦٩هـ) في ذي القعدة منه أزيلت المواخير، ودور الفسق ببغداد ونقضت، وهرب الفواسق، وذلك كله بأمر من الخليفة المقتدي.[5]

لذا يقول ابن كثير عن المقتدي:"كان المقتدي شهما شجاعا، أيامه كلها مباركة، والرزق دارّ، والخلافة معظمة جدا، وتصاغرت الملوك له، وتضاءلوا بين

---

(١) القراضة: وهي القطع التي تقرض من الدينار والدرهم للمعاملة في الحوائج اليسيرة، أو التي تقرض من الدنانير والفضة. ينظر: حواشي الشرواني، الشرواني والعبادي، ٢٨٨/٤.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣٩/١٦.

(٣) الهوادي: الهادِيةُ والهادي العُنُقُ لأَنها تَتَقَدَّم على البدَن، ولأَنها تَهْدي الجَسَد، والهادِيةُ من كل شيء أَوَّلُه وما تقَدَّمَ منه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور،٦١/١٥، فيكون المقصود بها هنا علامات مرتفعة توضع للدلالة على موضع ما، وهذه الهوادي بما أنها مرتفعة فقد يُرقى عليها ويُطلع من خلالها على عورات المسلمين، وكذلك الأبراج.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦٦/١٦.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٨٤/١٦.

يديه، وخطب له بالحرمين، وبيت المقدس، والشام كلها، واسترجع المسلمون الرها[1]، وأنطاكية[2]، من أيدي العدو، وعمرت بغداد، وغيرها من البلاد،واستوزر ابن جهير[3]، ثم أبا شجاع[4]، ثم أعاد ابن جهير، وقاضيه الدامغاني[5]، ....

---

(١) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دعر، والنسبة إليها رهاوي، وقد نسب إليها جماعة من المتقدمين والمتأخرين، وهي اليوم من بلاد تركيا وتسمى أورفة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٠٦/٣، وتعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ١٨١/١.

(٢) أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخففة، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه، وسعة الخير، منها غادر هرقل سورية بعد وقعة اليرموك، فأضحت إسلامية من أهم بلاد الشام، وفي سنة(٣٥٨هـــ)أخذها الروم، ثم أضحت إمارة صليبية سنة(٤٩١هـــ)، ثم عادت إلى أيدي المسلمين بعد تصفية الإمارات الصليبية في الشام، ولما استقلت سورية عن الدولة العثمانية دخلت في الأراضي السورية، ثم سلخت عنها سنة(١٩٣٨م)وضمت إلى تركيا مع لواء أسكندرونة، يقال: إن بها قبر حبيب النجار الذي ورد ذكره في سورة يس من سور القرآن الكريم. ينظر: المصدر السابق، ٢٦٦/١-٢٧٠، وتعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير،٧٢/١.

(٣) هو محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، الوزير، فخر الدين، أبو نصر، مؤيد الدين محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، كان ناظر ديوان حلب، ثم وزر لصاحب ميافارقين، ثم وزر للخليفة القائم، في سنة(٤٥٤هـ)، وامتدت دولته إلى أن استخلف المقتدي، فاستوزره عامين، ثم عزله، ثم في سنة(٤٧٦هـ)استدعاه السلطان ملكشاه، واستنابه على ديار بكر، فافتتح ابنه أبو القاسم آمد بعد حصار يطول، وافتتح هو ميافارقين، وكان جوادا، ممدحا، فاضلا، مهيبا، عاش نيفا وثمانين سنة، مات على إمرة الموصل سنة(٤٨٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٦٠٨/١٨-٦٠٩.

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم، أبو شجاع، الملقب ظهير الدين، الروذراوري الأصل، ولد في الأهواز سنة(٤٣٧هـ)، قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وقرأ الأدب، وولي الوزارة للإمام المقتدي بأمر الله بعد عزل ابن جهير وذلك في سنة(٤٧٦هـ)وعزل عنها سنة(٤٨٤هـ)، وأعيد ابن جهير، وخرج بعد عزله ماشياً يوم الجمعة من داره إلى الجامع، فانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له، وكان ذلك سبباً لإلزامه بالقعود في داره، ثم خرج إلى روذراور وهي موطنه قديماً، فأقام هناك مدة، ثم خرج إلى الحج سنة(٤٨٧هـ)، وخرجت العرب على الركب الذي هو فيه بقرب الربذة، وجاور بعد الحج بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أن توفي سنة(٤٨٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١٣٤/٥-١٣٨.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسنويه، قاضي القضاة، أبو عبدالله الدامغاني، الحنفي، شيخ زمانه، حصل العلم على الفقر والقنوع، وآل به الأمر إلى أن ولي قضاء القضاة للمقتدي بأمر الله، ولأبيه، بعد أن كان يحرس في درب الرياح، وانتشر ذكره وكان مثل القاضي أبي يوسف في أيامه حشمة وسؤدداً وعقلاً ووجاهة، توفي سنة(٤٧٨هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٠٢/٤-١٠٣.

ثم أبو بكر الشاشي[1]، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء، ولله الحمد".[2]

أما الخليفة المسترشد فقد أخرج أتراك دارية لقتال العيارين الذين خرجوا على أهل السواد[3]، وعاثوا في الأرض فسادا، فحاصروهم مدة خمسة عشر يوما، فأظهر فريق منهم التوبة، وفريق آخر انحدروا لقطع الطريق، فتمكن منهم أهل السواد فقتلوهم، وأرسلوا برؤوسهم إلى بغداد.[4]

وأمر أيضا بإراقة الخمور التي بالسوق، ونقض بيوتهم.[5]

والخليفة الناصر بالله قبض على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلاني، فاستأصله لما بلغه من فسقه وفجوره[6]، وكان يتهم بمذهب الفلاسفة، وأخذت كتبه قبل موته بعدة سنين، وأظهرت في ملأ من الناس، ورؤي فيها الكفر، والشرك، ومخاطبة زحل بالإلهية، فأحرقت[7]، وأصبح يطلب الناس.[8]

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل، أبو بكر، المعروف بالمستظهري، الملقب فخر الإسلام، الفقيه الشافعي، ولد سنة(٤٢٩ه)، كان فقيه وقته، رحل إلى بغداد، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية، وصنف تصانيف حسنة من ذلك: حلية العلماء في المذهب: وذكر فيه مذهب الشافعي، ثم ضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها، وجمع من ذلك شيئا كثيرا، وسماه المستظهري لأنه صنفه للإمام المستظهر بالله، وصنف أيضا في الخلاف، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد سنة(٥٠٤ه)إلى حين وفاته سنة(٥٠٧ه). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/٢١٩-٢٢١.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١١١.

(٣) السواد: موضعان أحدهما: نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها، والثاني: يراد به سواد العراق وضياعها، وهي المقصودة هنا، والتي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، لأنه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، وكانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سوادا، وهم يسمون الأخضر سوادا، والسواد أخضر، وحد السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/٢٧٢-٢٧٥.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/١٨٥.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٧/١٨٧.

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث عام ٦٠١-٦١٠هـ)، الذهبي، ١٣.

(٧) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٣٦٣.

(٨) ذيل الروضتين، أبو شامة المقدسي، ٥٥.

و لم يلتفت الخليفة الناصر لصدر جهان[١] بعد رجوعه من الحج و لم يكرمه[٢]، بعدما بعدما أكرمه أول قدومه إلى بغداد، لما أصاب الحجيج من العطش بسببه، فقد كان غلمانه يسبقون الناس إلى المناهل فيأخذون الماء، ويرشونه حول خيمته، ويسقون أحواض البقل على الجمال، فمات أكثر الناس عطشا، فخرج من بغداد والناس يتبعونه بالسب واللعن، وسموه صدر جهنم.[٣]

وفي عهد الخليفة الناصر أيضا، أمر الشيخ محيي الدين بن الجوزي محتسب بغداد بإزالة المنكر، وكسر الملاهي.[٤]

ولما ولي الخليفة الظاهر أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين، فلو قيل إنه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً [٥]، فقد كان نعم الخليفة، الخليفة، جمع الخشوع مع الخضوع لربه، والعدل والإحسان إلى رعيته، ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والإحسان إلى الرعية.[٦]

فإنه أعاد الخراج القديم في جميع العراق، وأمر أن يسقط جميع ما جدده أبوه الناصر، وكان كثيراً لا يحصى.[٧]

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن مارة البخاري، برهان الدين، صدر جهان، رأس الحنفية ببخارى، وهو كان صاحبها على الحقيقة، يؤدي الخراج إلى الخطا – وهي أمة من أمم الترك – وينوب عنهم في البلد، فلما حج لم تحمد سيرته في الطريق، ولم يصنع معروفاً، وكان قد أكرم ببغداد عند قدومه من بخارى، فلما عاد لم يلتفت إليه لسوء سيرته مع الحاج، وسماه الحجاج صدر جهنم، وكان ذلك سنة(٦٠٣هـ). ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٣١/١٠.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٣١/١٠.

(٣) ينظر: ذيل الروضتين، أبو شامة المقدسي، ٥٩.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨٢/١٣.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٥٣/١٠.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٤٦٤/١٠.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ٤٥٣/١٠.

فمن ذلك أن قرية بعقوبا[1] كان يحصل منها قديماً نحو عشرة آلاف دينار، فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون ألف دينار، فحضر أهلها واستغاثوا، وذكروا أن أملاكهم أخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ، فأمر أن يؤخذ الخراج القديم وهو عشرة آلاف دينار، فقيل له: إن هذا المبلغ يصل إلى المخزن، فمن أين يكون العوض؟ فأقام لهم العوض من جهات أخرى، فإذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين ألف دينار، فما الظن بباقي البلاد؟!.[2]

ومن أفعاله الجميلة أنه أمر بأخذ الخراج الأول من باقي البلاد جميعها، فحضر كثير من أهل العراق، وذكروا أن الأملاك التي كان يؤخذ منها الخراج قديماً يبس أكثر أشجارها وخربت، ومتى طولبوا بالخراج الأول لا يفي دخل الباقي بالخراج، فأمر أن لا يؤخذ الخراج إلا من كل شجرة سليمة، وأما الذاهب فلا يؤخذ منه شيء، وهذا عظيم جداً.[3]

ومن ذلك أيضاً أن المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط، يقبضون بها المال، ويعطون بالصنجة التي للبلد يتعامل بها الناس، فسمع بذلك فخرج خطه إلى الوزير، وأوله ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾[4] قد بلغنا أن الأمر كذا وكذا، فتعاد صنجة المخزن إلى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون، واليهود، والنصارى، فكتب بعض النواب إليه يقول: إن هذا مبلغ كثير، وقد حسبناه فكان

---

(١) بعقوبا: بالفتح ثم السكون وضم القاف وسكون الواو والباء موحدة، ويقال لها باعقوبا أيضا، وهي قرية كبيرة كالمدينة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، من أعمال طريق خراسان، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، واسعة الفواكه، متكاثفة النخل، وبها رطب وليمون، يضرب بحسنها وجودتها المثل، وهي راكبة على نهر ديالي من جانبه الغربي، ونهر جلولاء يجري في وسطها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٤٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٥٣.

(٣) المصدر السابق، ١٠/٤٥٤.

(٤) المطففين: ١-٥.

في السنة الماضية خمسة وثلاثين ألف دينار، فأعاد الجواب ينكر على القائل، ويقول: لو أنه ثلاث مائة ألف وخمسون ألف دينار يُطْلَق، وكذلك أيضاً فعل في إطلاق زيادة الصنجة التي للديوان، وهي في كل دينار حبة.[1]

وتقدم إلى القاضي أن كل من عرض عليه كتاباً صحيحاً بملك يعيده إليه من غير إذن، وأقام رجلاً صالحاً في ولاية الحشري[2]، وبيت المال، وكان الرجل حنبلياً، فقال: إنني من مذهبي أن أورث ذوي الأرحام، فإن أذن أمير المؤمنين أن أفعل ذلك وليت، وإلا فلا. فقال له: أعط كل ذي حق حقه، واتق الله، ولا تتق سواه.[3]

ومنها أن العادة كانت ببغداد أن الحارس بكل درب يبكر، ويكتب مطالعة إلى الخليفة بما تجدد في دربه من اجتماع بعض الأصدقاء ببعض على نزهة، أو سماع، أو غير ذلك، ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير، فكان الناس من هذا في حجر عظيم، فلما ولي الظاهر، أتته المطالعات على العادة، فأمر بقطعها، وقال: أي غرض لنا في معرفة أحوال الناس في بيوتهم؟ فلا يكتب أحد إلينا إلا ما يتعلق بمصالح دولتنا. فقيل له: إن العامة تفسد بذلك، ويعظم شرها. فقال: نحن ندعو الله أن يصلحهم.[4]

ومنها أنه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط، وكان قد سار إليها أيام الناصر لتحصيل الأموال، فأصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة ألف دينار، وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه، ويستخرج الأمر في حمله، فأعاد الجواب بأن يعاد إلى أربابه، فلا حاجة لنا إليه، فأعيد عليهم.[5]

ومنها أنه أخرج كل من كان في السجون، وأمر بإعادة ما أخذ منهم، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال،

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٥٤.

(٢) الحشري: هي الأموال المجهول أربابها، وأول من قام بضمها وتسميتها بهذا الاسم هو سوار بْن عَبْدِاللهِ بْن قدامة القاضي في عهد أبي جعفر المنصور. ينظر: أخبار القضاة، وكيع، ٢/٥٨.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٥٤.

(٤) المصدر السابق، ١٠/٤٥٤.

(٥) المصدر السابق، ١٠/٤٥٥.

ومن حسن نيته للناس أن الأسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية، فرخصت، وقيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمح نفس ببعضها، فقال لهم: أنا فتحت الدكان بعد العصر، فاتركوني أفعل الخير، فكم أعيش؟.[١]

وكان قبل وفاته قد أخرج توقيعا[٢] إلى الوزير بخطه ليقرأه على أرباب الدولة، فإذا في أوله بعد البسملة:"اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالاً، ولا إغضاؤنا إغفالاً، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملاً، وقد عفونا لكم ما سلف من إخراب البلاد، وتشريد الرعايا، وتقبيح السمعة، وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل، وأنياب أسد مهيب، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد، وأنتم أمناؤه وثقاته، فتميلون رأيه إلى هواكم، وتمزجون باطلكم بحقه، فيطيعكم وأنتم له عاصون، ويوافقكم وأنتم له مخالفون، والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمناً، وبفقركم غنى، وبباطلكم حقاً، ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ويقبل المعذرة، ولا يؤاخذ إلا من أصر، ولا ينتقم إلا ممن استمر، يأمركم بالعدل، وهو يريده منكم، وينهاكم عن الجور، وهو يكرهه لكم، يخاف الله تعالى، فيخوفكم مكره، ويرجو الله تعالى، ويرغبكم في طاعته، فإن سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه، وأمنائه على خلقه، وإلا هلكتم، والسلام".[٣]

ولما توفي وجدوا في بيت في داره، ألوف رقاع كلها مختومة لم يفتحها، فقيل له ليفتحها، فقال: لا حاجة لنا فيها، كلها سعايات.[٤]

قال ابن الأثير:"ولم أزل، عَلِم الله سبحانه، مذ ولي الخلافة، أخاف عليه قصر المدة لخبث الزمان، وفساد أهله، وأقول لكثير من أصدقائنا: وما أخوفني أن تقصر مدة خلافته، لأن زماننا وأهله لا يستحقون خلافته، فكان كذلك".[٥]

---

(١) المصدر السابق، ١٠/٤٥٥.

(٢) أي خطابا.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٦٤-٤٦٥.

(٤) المصدر السابق، ١٠/٤٦٥.

(٥) المصدر السابق، ١٠/٤٦٥.

الباب الثاني

أثر خلفاء بني العباس في قمع المبتدعة والزنادقة والكفار

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: أثر خلفاء بني العباس تجاه الفرق الإسلامية.

الفصل الثاني: أثر خلفاء بني العباس تجاه الزنادقة.

الفصل الثالث: أثر خلفاء بني العباس في إقامة حكم الله على أهل الكتاب.

الفصل الرابع: أثر خلفاء بني العباس تجاه سائر طوائف الكفر.

الفصل الخامس: أثر خلفاء بني العباس تجاه مظاهر الشرك.

الفصل الأول

أثر خلفاء بني العباس تجاه الفرق الإسلامية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم تجاه الخوارج.

المبحث الثاني: أثرهم تجاه الشيعة الرافضة.

المبحث الثالث: أثرهم تجاه المعتزلة.

المبحث الرابع: أثرهم تجاه المرجئة.

المبحث الأول

أثرهم تجاه الخوارج

الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد صفين[١]، وكانت لهم أفكار ومفاهيم خاطئة، اختصوا بها، وميزتهم عن باقي الفرق، من أبرزها تكفير المؤمن مرتكب الكبيرة إن مات عليها، والخروج على ولي أمر المسلمين الجائر، وتكفيره، وكل من رضي بحكمه فهو كافر أيضا، ويجب قتله.[٢]

وبهذا استحل الخوارج دماء المسلمين، وخرجوا على ولاة الأمور، وانتشرت الفوضى والفساد بسببهم، وهذا يعتبر خروجا عن مذهب أهل السنة والجماعة الذي يقوم أساسه على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتي فيها الأمر بطاعة ولاة الأمور، ومناصحتهم، وأنه واجب على المسلم، وإن استأثروا عليه، والنهي عن معصيتهم، فهو محرم عليه، وإن أكره عليه.[٣]

وبناء على مذهبهم هذا فهم يرون إكفار أصحاب الجمل وعلي وعثمان والحكمين: أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وكل من رضي بتحكيم الحكمين.[٤]

والخوارج افترقوا إلى فرق كثيرة، إلا أن أصول هذه الفرق تعود إلى أربعة فرق، وهم: الأزارقة[٥]، النجدات[٦]، الصُفْرية[٧]، الإباضية[٨].

---

(١) صفين: وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤١٤/٣.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ٧٣.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله، ابن تيمية، ٥/٣٥-١٧.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ٧٣.

(٥) الأزارقة: هم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، نسبة إلى بني حنيفة، المكنى بأبي راشد، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشد منهم شوكة. ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ٨٢.

(٦) النجدات: هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، نسبة إلى بني حنيفة. ينظر: المصدر السابق، ٨٧.

(٧) الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر وقولهم في الجملة كقول الأزارقة. ينظر: المصدر السابق، ٩٠.

(٨) الإباضية: هم أتباع عبدالله بن إباض المري. ينظر: المصدر السابق، ١٠٣.

قال أبو الحسن الأشعري:"وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية".[١]

أما الشهرستاني فإنه يرى أن كبار فرق الخوارج ستة: الأزارقة، والنجدات، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية، والباقون فروعهم.[٢]

ولقب الخوارج من أشهر ألقابهم، لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذلك أيضا لقب الحرورية، وسموا به لأنهم بعد خروجهم نزلوا قرية حروراء[٣].[٤]

ومن أشهر ألقابهم أيضا الشراة، وهو لقب يحبونه ويفتخرون به ويتلقبون به، لأنهم يقولون شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة.[٥]

وعندما قاتلهم أمير المؤمنين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان[٦]، لم يبق منهم إلا نفر قليل، يقول الشهرستاني:"فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا

---

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١٠١.

(٢) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١٠٧/١.

(٣) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة في العراق. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٤٥/٢.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١٢٧-١٢٨. وقد ركزت على هذين اللقبين لأنهما سيتكرران في الحديث عن مواقف خلفاء بني العباس تجاه الخوارج.

(٥) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ١١٢.

(٦) النهروان: وهي منطقة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٢٥/٥.

أقل من عشرة، فانهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كرمان[1]، واثنان إلى سجستان[2]، واثنان إلى الجزيرة[3]، وواحد إلى تل موزن باليمن، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم"ومن المعلوم أن الشهرستاني توفي عام(٥٤٨هـ).[4]

وقد سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم المارقة وأمر بقتلهم، وذلك عندما اعترض أحدهم على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم، فاستأذن أحد الصحابة في ضرب عنقه، فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ((إن من ضئضئ هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)).[5]

لذا فقد كان لخلفاء بني العباس مواقف عدة مع الخوارج الإباضية والصُفْرية بالذات لأنهم كان لهم تواجد في عهد الخلافة العباسية. فقد قام الخليفة أبو العباس السفاح بإرسال

---

(١) كرمان: بالفتح ثم السكون وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع، تشبه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٤٥٤.

(٢) سجستان: بكسر أوله وثانيه، وهي ناحية كبيرة، وولاية واسعة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها حارة لا تسكن أبدا، بها نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل. ينظر: المصدر السابق، ٣/١٩٠.

(٣) الجزيرة: وتسمى جزيرة أقور بالقاف، وهي التي بين دجلة والفرات، مجاورة الشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم(تركيا اليوم)حتى يلتقيا قرب البصرة، ثم يصبان في البحر، وهي صحيحة الهواء جيدة الربيع والنماء واسعة الخيرات، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة. ينظر: المصدر السابق، ٢/١٣٤.

(٤) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٠٩.

(٥) رواه البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ ،رقم الحديث(٣٣٤٤).

خازم بن خزيمة[1] على رأس جيش قوامه سبعمائة مقاتل إلى الخوارج الذين كانوا بعمان، ورئيسهم يقال له الجلندى[2]، وكانوا من الخوارج الإباضية، وإلى الخوارج الذين كانوا في جزيرة ابن كاوان[3] ورئيسهم يقال له شيبان ابن عبدالعزيز اليشكري[4]، وكانوا من الخوارج الصفرية، فأمر أبو العباس السفاح خازم بن خزيمة بالتوجه إلى والي البصرة سليمان بن علي[5] ليحملهم في السفن من البصرة إلى جزيرة كاوان وعمان، فسار إليهم خازم، وأوقع بهم، وقتل منهم خلقا كثيرا، وقُتل أيضا شيبان، والجلندى، وعاد منتصرا.[6]

وفي عهد أبي جعفر المنصور خرج ملبد بن حرملة[7] في الجزيرة(الموصل)-وكان حميد بن قحطبة[8] عامل أبي جعفر عليها-، فأرسل له أبو جعفر الجيش تلو الجيش للقضاء

---

(١) هو خازم بن خزيمة النهشلي من قواد الدولة العباسية، وأحد الجبابرة قتل في وقعة سبعين ألفا، وأسر بضعة عشر ألفا فضرب أعناقهم، وذلك بخراسان. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٨٩/١.

(٢) هو الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزدي، أمير عمان، وعظيم الأزد فيها، كان إباضيا، من الشجعان، قتل سنة(١٣٤هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٣٣/٢.

(٣) جزيرة كاوان، ويقال جزيرة بني كاوان، جزيرة عظيمة، وهي جزيرة لافت، وهي من بحر فارس بين عمان والبحرين، افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد غزو فارس في البحرين(الأحساء حاليا)، مر بها في طريقه، وكانت من أجل جزائر البحر عامرة آهلة، وفيها قرى ومزارع. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٣٩/٢.

(٤) هو شيبان بن عبد العزيز اليشكري الحروري، أبو الدلف، من أمراء الحرورية وقادتهم وشجعانهم، ولوه إمارتهم سنة(١٢٨هـ)، وأقام يقاتل مروان بن محمد في جهات كفر توثا من أعمال ماردين ومعه أربعون ألفا، ثم انصرف إلى الموصل، وانضم إليه أهلها، وتبعه مروان، فتراجع الحرورية إلى البصرة بعد معارك، ثم قتل في عمان سنة(١٣٤هـ). ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٥/٥، والأعلام، الزركلي، ١٨٠/٣.

(٥) هو سليمان بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، أبو أيّوب، ويقال أبو محمد الهاشمي، أحد أعمام السفاح والمنصور، وولي الموسم فِي خلافة السفّاح، ولي البصرة لَهُ وللمنصور، ولد سنة(٨٢هـ)، وكان كريماً جواداً، توفيّ سنة(١٤٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٤٨/١٥.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٦٩/٤.

(٧) هو ملبد بن حرملة الشيباني، شجاع من كبار الثوار في صدر أيام العباسيين. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٨٧/٧.

(٨) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي، أمير مصر، وليها من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور سنة(١٤٣هـ)، ثم خرج حميد من مصر وتوجه إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، فأكرمه الخليفة، وجعله من جملة أمرائه. ثم نقله إلى عمل خراسان، فأقام بها مدة طويلة إلى أن مات في خلافة المهدي سنة(١٥٩هـ)، وكان أميراً شجاعاً مقداماً =

عليه، لكنهم لم يفلحوا، فلما كانت سنة(١٣٨هـــ) أرسل إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة على رأس جيش قوامه ثمانية آلاف مقاتل، فتمكن خازم من الملبد بعد عناء طويل فقتله.[١]

لذا فقد جعل الخليفة المنصور حربا الراوندي[٢] في ألفي فارس للمرابطة في الجزيرة لقتال الخوارج فيها.[٣]

ولما خرجت الخوارج الصفرية والإباضية في بلاد أفريقية (المغرب) عام (١٥٣هـــ) وكانوا خمسين ألفا وثلاثمائة ألف، الخيل منهم خمسة وثلاثون ألفا، وكان قوادهم أبا حاتم الإباضي[٤] وأبا عاد[٥] وأبا قرة الصفري[٦] في أربعين ألفا، وكان يسلم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوما، وقاموا بقتل عمر بن حفص بن أبي صفرة[٧] نائب أفريقية، جهز

عارفاً بأمور الحروب والوقائع، وتنقل في الأعمال الجليلة، معظماً عند بني العباس. ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٤٤٢/١-٤٤٣.

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٨٨/٤-٣٩١.

(٢) هو حرب بن عبدالله البلخي الراوندي، من أكابر قواد المنصور العباسي، كان يتولى شرطة بغداد، ثم ولي شرطة الموصل، وسيره المنصور من الموصل لقتال الترك، وكانوا قد دخلوا تفليس، فقاتلهم حرب فقتل في إحدى وقائعه معهم سنة(١٤٧ه)، والحربية ببغداد محلة منسوبة إليه. ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٧٢/٢-١٧٣.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٤٦٧/٤.

(٤) هو يعقوب بن حبيب الكندي بالولاء، أبو حاتم الإباضي، خرج في جمع كبير من البربر في طرابلس الغرب جعلوا أمرهم إليه سنة(١٥١ه) وكان شجاعا، فهزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية، وحصر القيروان، وفيها عمر ابن حفص، فقاتله عمر حتى قتل، واستمر أبو حاتم يغزو ويقتل معتصما بجبل نفوسة، حتى قتل سنة(١٥٥ه). ينظر: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، الأنصاري، ٥٥-٥٨.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المهلبي، أمير من الأبطال، كانت العجم تسميه(هزار مرد) أي ألف رجل، ولي إمارة السند في أيام المنصور العباسي مدة، ثم وجهه المنصور أميرا على إفريقية، فدخل القيروان سنة(١٥١ه) والفوضى قائمة فيها، فقضى على بعض أصحاب الفتنة، فتكاثرت عليه جموعهم، وثبت لهم فيمن معه من الجند، وقاتلهم زمنا وحصروه في القيروان، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل سنة(١٥٤ه). ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري، ٥٨/١، والأعلام، الزركلي، ٤٤/٥.

المنصور جيشا بقيادة يزيد ابن حاتم[1] في خمسين ألفا، وولاه بلاد أفريقية، وأمره بقتال الخوارج، وأنفق على الجيش نحوا من ثلاثة وستين ألف ألف درهم، فدخلها يزيد عام(١٥٥هــ)، وقتل من كان تغلب عليها من الخوارج، وقتل أبا عاد، وأبا حاتم، ومن كان معهما، واستقامت بلاد المغرب.[2]

أما الخليفة المهدي فقد أرسل عدة قواد إلى الخارجي عبد السلام بن هاشم اليشكري[3] الذي خرج بالجزيرة(الموصل)، وكلهم يُهزمون أمامه، حتى أرسل إليه شبيب شبيب بن واج المروروذي[4] الذي هزم في بادئ الأمر، ثم ندب إليه المهدي ألف فارس، وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، وألحقهم بشبيب فوافوه، فخرج شبيب في أثر عبد السلام، فهرب منهم حتى أتى قِنّسرين[5]، فلحقه بها، فقتله.[6]

---

(١) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، أمير من القادة الشجعان في العصر العباسي، ولي الديار المصرية سنة(١٤٤ه) للمنصور، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر، وصرفه المنصور سنة(١٥٢ه)، ثم ولاه إفريقية سنة(١٥٤ه) فتوجه إليها، وقاتل الخوارج، واستقر واليا بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، قضى في خلالها على كثير من فتن البربر وغيرهم، وكان جوادا ممدوحا شديد الشبه بجده"المهلب"في الدهاء والشجاعة، توفي بالقيروان سنة(١٧٠ه). ينظر: الاستقصا، ١/٥٨-٥٩، والأعلام، ٨/١٨٠-١٨١.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٠٤-٥٠٧.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) شبيب بن واج المروروذي، لم أعثر له على ترجمة سوى أنه كان من الحرس الأربعة الذين ندبهم المنصور العباسي لقتل أبي مسلم الخراساني، فأمرهم المنصور أن يكونوا خلف الرواق، وقال لهم: فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه. ففعلوا، وكان بعد ذلك من قواد المهدي. ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٣٨٤.

(٥) قنسرين: كسر أوله وفتح ثانيه وتشديده، وهي مدينة في الشام، تقع قرب حلب وفي جنوبها، وكانت هي وحمص شيئا واحدا، وكان فتحها على يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سنة(١٧ه). ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٤٠٣-٤٠٤، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ٢/٢٣٩.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٦٤.

أما الرشيد فقد أرسل أبا خالد المروروذي[1] إلى الفضل بن سعيد الحروري[2] فقتله[3]، وقام بهدم سور الموصل بسبب كثرة الخوارج فيها[4]، وأرسل إلى أبي عمرو الشاري[5] الذي خرج بالجزيرة(الموصل)زهيرا القصاب[6] فقتل أبا عمرو بشهرزور[7].[8]

وخرج الخارجي ثروان بن سيف[9] بناحية حولايا[10] وكان يتنقل في أرض السواد، فأرسل إليه الرشيد طوق بن مالك[11]، فهزمه طوق، وجرحه، وقتل عامة أصحابه، وهرب ثروان وهو جريح.[12]

ولما خرج بلال الضبابي الشاري[13]، أرسل إليه الخليفة المأمون ابنه العباس[14] في جماعة من القواد منهم هارون بن محمد بن أبي خالد[1]، فقتل هارون بلالا.[2]

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٦٢١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٤/٦٤٤.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) شهرزور: بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة، وهي منطقة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، وهي عبارة عن مدن وقرى. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/٣٧٥.

(٨) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٦٤٨.

(٩) لم أقف له على ترجمة.

(١٠) حولايا: بفتح الحاء وسكون الواو، قرية كانت بنواحي النهروان. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٣٢٢-٣٢٣.

(١١) هو طَوْق بن مالك بن عتاب بن زُفَرَ بن مرَة بن شريح بن عبدالله، من بني تغلب، أمير من أمراء العرب، إليه تنسب (رحبة طوق بن مالك)والتي عرفت بـــ(فرضة نُعْم) على شاطئ الفرات، توفي سنة(٢١٦ه). ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ٣٠٤، وتاريخ اليعقوبي، ٢/٦١٩.

(١٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣.

(١٣) لم أقف له على ترجمة.

(١٤) هو العباس بن عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، أمير عباسي، ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة(٢١٣ه) ولما مات المأمون سنة(٢١٨ه) وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤوساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه =

وفي زمن الواثق خرج محمد بن عمرو الخارجي[3] من بني زيد بن تغلب في ثلاثة عشر رجلا في ديار ربيعة، فخرج إليه غانم بن أبي مسلم بن حميد الطوسي[4] وكان على حرب الموصل في مثل عدته، فقتل من الخوارج أربعة، وأخذ محمد بن عمرو أسيرا، فبعث به إلى سامرا، فبُعث به إلى مطبق بغداد[5]، ونصبت رؤوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك[6].[7]

وفي زمن الخليفة المعتز حكم بالبوازيج[8] محكم من الشراة يدعى مساور ابن عبدالحميد[9]، فوجه المعتز إليه الجيوش عدة مرات، إلا أنهم لم يظفروا به، واستمر هذا الخارجي إلى عهد الخليفة المعتمد، والجيوش ترسل إليه من خلفاء بني العباس، ولكنهم لم يظفروا به.[10]

العباس ابن المأمون، فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس، وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة(٢٢٣هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٦٢/٣.

(١) هو هارون بن محمد بن أبي خالد المروروذي، من القواد في الدولة العباسية، وهو أخو عبدوس بن محمد الذي قاتل أبا السرايا الطالبي في جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل، فهزم، وذهب جميع الجيش ما بين قتيل وأسير، وكان من ضمن الأسرى محمد، ثم تخلص من الأسر، وظفروا بأبي السراي وتولى ضرب عنقه بنفسه. ينظر: تاريخ الطبري، ١٢٣/٥و١٢٦و٢٦٨.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ١٨٠/٥.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) كان واليا على الموصل عندما تولى المتوكل الخلافة. ينظر: تاريخ ابن خلدون، ٢٧٨/٣.

(٥) أي سجن بغداد.

(٦) سيأتي الحديث عنه في مطلب الخرمية.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٨٤/٥.

(٨) البوازيج: بلد قرب تكريت على الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ويقال لها بوازيج الملك. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي،٥٠٣/١.

(٩) هو مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي، من أهل الموصل، كان يتولى شرطتها، وخرج سنة(٢٥٢هـ) ثائرا، فأقام في البوازيج وكثر جمعه من الأعراب والأكراد، توفي سنة(٢٦٣هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢١٣/٧.

(١٠) ينظر: تاريخ الطبري، ٤٢٢/٥-٥١٣.

والخليفة المعتضد خرج من بغداد قاصدا بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي[1]، فظفر به، وهزم أصحابه، وكتب بذلك إلى بغداد، فلما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الشاري، وكان صفريا، فلما صلب قال: لا حكم إلا لله، ولو كره المشركون.[2]

وفي زمن الخليفة المقتدر خرج خارجي يقال له: صالح بن محمود البجلي[3] من أهل البوازيج، واجتمع إليه جماعة من بني مالك، وخطب بسنجار[4]، فذكّر بأمر الله، وحذّر، وأطال في هذا، ثمّ قال: نتولّى الشيخَيْن –يقصد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما–، ونبرأ من الخبيثَيْن –يقصد عثمان وعليا رضي الله عنهما–، ولا نرى المسح على الخفّيْن. فسار إليه نصر ابن حمدان[5]، ففارقها صالح إلى البوازيج، فطلبه نصر، فأدركه بها، فحاربه حرباً شديدة قُتل فيها من رجال صالح نحو مائة رجل، وقُتل من أصحاب نصر جماعة، وأُسر صالح ومعه ابنان له، وأُدخلوا إلى الموصل، وحُملوا إلى بغداد، فأُدخلوا مشهورين.[6]

---

(١) هو هارون بن عبدالله الشاري الصفري، مقدم الصفرية في أيام المعتمد والمعتضد العباسيين، كان شجاعاً مغوارا، خرج في أطراف الموصل، وتبعه عدد كبير، قتل سنة(٢٨٣ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٦١/٨.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٦١٣/٥.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) سنجار: بكسر أوله وسكون ثانيه، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في لحف جبل عال. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٦٢/٣.

(٥) هو نصر بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي، أبو السرايا، من أمراء بني حمدان، فيه شجاعة وبأس، ولي الموصل سنة(٣١٨ه) وقاتل الخوارج، وكان أصغر إخوته سنا، وقتله القاهر بالله العباسي ببغداد، من أجل جارية. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢/٨.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦١/٧.

وخرج خارجيٌّ آخر اسمه الأغر بن مطرة الثعلبي[1]، وكان خروجه بنواحي رأس العين[2]، وقصد كفر توثا[3]، وقد اجتمع معه نحو ألفَيْ رجل، فدخلها ونهبها وقتل فيها، وسار إلى نَصِيبين[4]، فنزل بالقرب منها، وصالحه أهل نصيبين على أربعمائة ألف درهم، وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان[5]، وهو أمير ديار ربيعة، فسيّر إليه جيشاً، فقاتلوه، فظفروا به وأسروه، وسيّره ناصر الدولة إلى بغداد.[6]

(١) يذكر أنّه من ولد عتّاب بن كلثوم التغلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر. ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) رأس العين أو رأس عين: وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهي إلى دنيسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ، وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٣/٣-١٤.

(٣) كفر توثا: بضم التاء، قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ، وهي بين دارا ورأس عين. ينظر: المصدر السابق، ٤٦٨/٤.

(٤) نصيبين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبين دنيسر يومان، وعليها سور كانت الروم قد بنته. ينظر: المصدر السابق، ٢٨٨/٥.

(٥) سيأتي الحديث عنه في مبحث الحمدانيين.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦١/٧-٦٢.

المبحث الثاني

أثرهم تجاه الشيعة الرافضة

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين، والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء، والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي، والتبرؤ قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية.[1]

وقد ظهر التشيع في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، وبداية عهد علي رضي الله عنه، وكان ظهوره على يد عبدالله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام ليفسده، كما أفسد بولس اليهودي دين النصارى عندما دخل فيه[2]، وكان بذرة التشيع الأولى لعلي رضي الله عنه وآله.

وكانت أول بدعة أطلقها هي القول بالرجعة، يقصد رجعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أطلق بدعة الوصاية، وهي أن لكل نبي وصيا، وقد كان أثناء يهوديته يقول بوصاية موس ليوشع بن نون عليهما السلام، ثم قال بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بالخلافة من بعده.[3]

ثم قال أتباعه من بعده برجعة علي بن أبي طالب أيضا، فيذكر الأشعري أن السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ يزعمون: أن عليا لم يمت، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة،

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٤٤-١٤٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/٥١٨.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٢/٦٤٧.

فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[1]، وزعموا: أن عليا حي لم يمت، ففيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه.[2]

وذكر الطبري أنه هو السبب في الفتنة التي قتل بسببها عثمان رضي الله عنه مظلوما، وكانت أفكاره تبث بين الناس بسرية تامة.[3]

هذه هي بذرة التشيع الأولى التي تطورت فيما بعد فأصبحت فرقا شتى.

والشيعة الذين كانوا في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة أصناف، وكان لعلي رضي الله عنه مع كل صنف منهم موقف يبين عدم رضاه بما يقولون ويفعلون، هذه الأصناف هي:

١) المؤلهة: الذين قالوا بألوهية علي رضي الله عنه، فأمر بإحراقهم.

٢) السبابة: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما بلغ عليا رضي الله عنه ذلك طلب ابن سبأ الذي قال بهذه البدعة ليقتله، فهرب إلى قرقيسيا[4].

٣) المفضلة: وهم الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي عنه أنه قال:"لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري"[5]، بمعنى أن هؤلاء لم يشتموا أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم.

وأبرز فرق الشيعة التي بقيت واستمرت فرقتان:

الأولى: الإمامية الإثنا عشرية، وهم الذين يقولون بإثني عشر إماما، وهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن بن علي رضي الله عنه، والحسين بن علي رضي الله عنه، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن ابن علي العسكري، ومحمد بن الحسن العسكري المزعوم.

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٣٢.

(٢) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٧٧.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٢/٦٤٧.

(٤) قرقيسيا: بالفتح ثم السكون، بلد على نهر الخابور، قرب رحبة مالك بن طوق، على ستة فراسخ، وعندها مصب الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٣٢٨.

(٥) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ١/٣٠٧.

الثانية: الإسماعيلية الباطنية السبعية، وهم الذين يقولون بسبعة أئمة فقط، وهم يتفقون مع الاثني عشرية في الأئمة الستة الأُول، ويختلفون معهم في السابع، فهم يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر[1] وقد تشعبت إلى عدة فرق، وكلها تتفق على نفس المبادئ، وسيأتي الكلام عنها، وعن موقف خلفاء بني العباس منها إن شاء الله.

واشتهر الشيعة بلقب الرافضة، وذلك لرفضهم زيد بن علي[2] عندما خرج في خلافة هشام بن عبد الملك بعد عام(١٢٠هـ)، فإنه لما سألوه عن أبي بكر وعمر ترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال لهم: رفضتموني. فسُموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه.[3]

وقد كان لأهل السنة والجماعة مع هؤلاء الشيعة منذ ظهورهم إلى يومنا هذا جهود ضدهم بالسيف، واللسان، والقلم، ومن الذين كانت لهم جهود كبيرة ضد الرافضة خلفاء بني العباس، الذين تنوعت جهودهم في الرد عليهم، وعلى فسادهم بما أوتوا من قوة.

فالخليفة هارون الرشيد قام بأخذ عباد بن العوام الواسطي[4]، وحبسه زمانا، لأنه كان متشيعا، ثم خلى عنه[5]، وتشيعه كان بمبالغته بحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتقديمه على باقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وإلا فعبّاد رحمه الله كان من المحدثين وكان ثقة.[6]

ويظن الإمام الذهبي أن سبب حبس الرشيد لعباد خروجه مع إبراهيم بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.[7]

---

(١) سيأتي الحديث عنه في مطلب العبيديين.

(٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، وفد على هشام بن عبد الملك، فرأى منه جفوة، فكانت سبب خروجه وطلبه الخلافة، وسار إلى الكوفة فقام إليه منها شيعة، فظفر به يوسف بن عمر الثقفي، فقتله وصلبه وحرقه، وذلك سنة(١٢٢ه). ينظر: فوات الوفيات، الكتبي، ٢/٣٥-٣٨.

(٣) ينظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ١/٣٥.

(٤) هو عباد بن العوام بن عبدالله بن المنذر بن مصعب بن جندل الكلابي، مولاهم، أبو سهل الواسطي، وثقه علماء الحديث، توفي سنة(١٨٥ه). ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٥/٨٦.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١١/١٠٤.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١١/١٠٤.

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/٥١٢.

وفي زمن الخليفة المأمون[١] خرج الحسن الهرش[٢] يدعو إلى الرضى من آل محمد بزعمه في سفلة الناس، وجماعة كثيرة من الأعراب، حتى أتى النيل فجبى الأموال، وأغار على التجار، وانتهب القرى، واستاق المواشي، فأرسل إليه المأمون أزهر بن زهير بن المسيب[٣] إلى الهرش فقتله.[٤]

وخرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب يدعو إلى الرضى من آل محمد، والعمل بالكتاب والسنة -وهو الذي يقال له: ابن طباطبا- وكان القيم بأمره في الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا[٥]، فأُرسل إليهم زهير بن المسيب في عشرة آلاف فارس، فهزموه، فأحرز ابن طباطبا ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك، ومنع أبا السرايا من ذلك، وحظره عليه، وكان الناس له مطيعين، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه، فسمَّه، فلما مات ابن طباطبا، أصبح أبو السرايا هو الذي ينفذ الأمور، ويولي من رأى، ويعزل من أحب، وإليه الأمور، وعاث في الأرض فسادا، وخاض حروبا كثيرة مع عمال العباسيين، حتى جرح

(١) مع أن المأمون كان متشيعا تشيع المفضلة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) من بني ضبة. ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري، ٢٧١/٤.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ١٢١/٥-١٢٢.

(٥) هو السري بن منصور الشيباني، أحد الثوار، ويذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني، كان في أول أمره يكري الحمير، وقوي حاله، فجمع عصابة كان يقطع بها الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بأرمينية، ومعه ثلاثون فارسا، فجعله في القواد، فاشتهرت شجاعته، ولما نشبت فتنة الأمين والمأمون، انتقل إلى عسكر هرثمة بن أعين، وصار معه نحو ألفي مقاتل، وخوطب بالأمير، ولما قتل الأمين نقص هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه، فخرج في نحو مائتي فارس، فحصر عامل عين التمر، وأخذ ما معه من المال ففرقه في أصحابه، ثم استولى على الأنبار، وذهب إلى الرقة، وقد كثر جمعه، فلقيه بها ابن طباطبا، فبايعه أبو السرايا وتولى قيادة جنده، واستوليا على الكوفة، فضرب بها أبو السرايا الدراهم، وسير الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وعمل على ضبط بغداد، وامتلك المدائن وواسطا، واستفحل أمره وأرسل العمال والأمراء إلى اليمن والحجاز وواسط والأهواز، وتوالت عليه جيوش العباسيين، فلم تضعضعه، إلى أن قتله الحسن بن سهل سنة(٢٠٠ه)، وبعث برأسه إلى المأمون، ونصبت جثته على جسر بغداد. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٨٢/٣.

وهرب، فتمكن منه حماد الكندغوش[1]، فسلّمه للحسن بن سهل[2] والي العراق فضرب عنقه، وبعث برأسه، فطيف به في العسكر، وبعث بجسده إلى بغداد، فصلب نصفين على الجسر، في كل جانب نصف، وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر.[3]

أما الخليفة المعتصم فقد ذكر أكثر المؤرخين[4] في أثناء حديثهم عن سيرته، أنه قتل ثمانية من أعدائه منهم: قائد الرافضة، إلا أني لم أجد أحدا من المؤرخين فصل في هذا الأمر.

أما المتوكل فقد أمر بضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم[5] صاحب خان عاصم ببغداد بالسياط، فإذا مات رمى به في دجلة، ولم تدفع جيفته إلى أهله، وذلك أنه شهد عليه عند أبي حسان الزيادي قاضي الشرقية سبعة عشر رجلا شهاداتهم فيما ذكر مختلفة أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد[6] إلى عبيدالله بن يحيى بن خاقان، فأنهى عبيدالله ذلك إلى المتوكل، فكتب عبيدالله إلى صاحب البريد جواب كتابه إليه في عيسى:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعنهم، وإكفارهم، ورميهم بالكبائر، ونسبتهم إلى النفاق، وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هو الحسن بن سهل، الوزير، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، كان أبوهما سهل من المجوس، فأسلم زمن البرامكة، ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل، فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في صعود إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، وعاش بعد المأمون في أوفر عز وحرمة، وكان يدعى بالأمير، وكان جوادا، مات سنة(٢٣٦ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/١٧١-١٧٢.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/١٢٢-١٢٦.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣/٣٤٣، مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٢٣/٣٠١،المنتظم،ابن الجوزي، ١١/٢٦،تاريخ الإسلام(حوادث عام٢٢١-٢٣٠هـ)، الذهبي، ٣٩٤، الوافي بالوفيات، الصفدي، ٥/٩٤، فوات الوفيات، الكتبي، ٤/٤٨.

(٥) وقيل: أحمد بن محمد بن عاصم. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧/٣٥٧.

(٦) وهو الحسن بن عثمان.

وسلم، وتثبتك في أمر أولئك الشهود، وما شهدوا به، وما صح عندك من عدالة من عدل منهم، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به، وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك، فعرضت على أمير المؤمنين أبقاه الله بما قد نفذ إليه مما يشبه ما عنده أبقاه الله في نصرة دين الله، وإحياء سنته، والانتقام ممن ألحد فيه، وأن يضرب الرجل حدا في مجمع الناس حد الشتم، وخمسمائة سوط بعد الحد للأمور العظام التي اجترأ عليها، فإن مات ألقي في الماء في غير صلاة، ليكون ذلك ناهيا لكل ملحد في الدين، خارج من جماعة المسلمين، وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".[1]

وقام الخليفة المعتضد بحبس صقيل أمة الحسن العسكري-الإمام الحادي عشر عند الرافضة الاثني عشرية- بعد موت الحسن بنيف وعشرين سنة، وذلك بأنها ادعت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها، فوُقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر ابن علي[2]، وتعصب لها جماعة من أرباب الدولة، وتعصب لجعفر آخرون، ثم زال ذلك الحمل، فأخذ الميراث جعفر أخوه، وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها، وقد وُجِدت في بيت الحسن بن جعفر النوبختي[3]، وحملت إلى قصر المعتضد، فبقيت هنالك إلى أن ماتت في القصر في أيام المقتدر.[4]

وفي زمن المتقي لما كثر الرفض في بغداد بسبب سيطرة بني بويه الروافض، نودي بها: من ذكر أحدا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة.[5]

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٢٠-٣٢١.

(٢) هو جعفر بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الحسيني، أخو الحسن الذي يقال له العسكري، وهو الحادي عشر من الأئمة الإمامية، ووالد محمد صاحب السرداب المزعوم، وكان جعفر منابذا لأخيه الحسن، فسماه شيعة الحسن جعفر الكذاب، واشتهر بذلك لكون الذي لقبه بذلك من شيعتهم، وقد ذكر ابن حجر ذلك لينبه على السبب في نسبته إلى الكذب، وأنها لا أصل لها لأنهم لا يوثق بنقلهم. ينظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٢/١١٩.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) ينظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ٣/١٢.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٢٠٦.

ثم من ذلك الوقت إلى نهاية عهد الخليفة القائم -تقريبا من عام(٣٣١هـ) إلى (٤٧٦هـ)- كثرت الفتن بين أهل السنة والروافض، ولكن في أكثر الأحيان تكون الغلبة لأهل السنة، بسبب نصرة الخليفة القادر وبعده ابنه القائم لأهل السنة.

وفي عهد الخليفة القادر بالله، قام الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي المعلم[1] بمنع أهل الكرخ، وباب الطاق من النوح في عاشوراء، وتعليق المسوح، وذلك في عام(٣٨٢هـ).[2]

وفي عام(٣٩٣هـ) منع عميد الجيوش[3] -في عهد القادر- الشيعة من النوح على الحسين في يوم عاشوراء، ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النوح على مصعب ابن الزبير، بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع الفريقان.[4]

وقام الخليفة القادر بالله عام(٣٩٨هـ) بقتل الرافضي الذي سب أبا حامد الإسفراييني والفقهاء الذين كانوا معه، وذلك لأنهم قاموا بحرق مصحف أخرجته الشيعة، قالوا عنه: إنه مصحف ابن مسعود، وكان مخالفا للمصاحف، وقصد أحداث الشيعة دار أبي

---

(١) لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكره الذهبي في حوادث سنة(٣٨٢ه) من أن الوزير الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة البويهي الرافضي كلها، فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء، ومن تعليق المسوح فيه، وكان ذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة، ثم إنه في نفس السنة شغبت الجند، وخرجوا بالخيم إلى باب الشماسة، وراسلوا بهاء الدولة يشتكون من أبي الحسن بن المعلم، وتعديد ما يعاملهم به، وطالبوه بتسليمه إليهم، وكان ابن المعلم قد استولى على الأمور، فالمقرب من قربه والمبعد من بعده، فثقل على الأمراء أمره، ولم يراعهم هو، فأجابهم السلطان، ووعدهم، فأعادوا الرسالة بأنهم لا يرضون إلا بتسليمه إليهم، فأعاد الجواب بأنه يبعده عن مملكته، فأبوا ذلك، إلى أن قال له الرسول: إنه لأمر شديد، فاختر بقاءه أو بقاء دولتك. فقبض عليه حينئذ وعلى أصحابه، وأخرجوا صلته، فصمم الجند أنهم لا يرجعون إلا بتسليمه، وقد أقاموا على المطالبة به، وترك الرجوع إلا بعد تسليمه إلى أبي حرب خال بهاء الدولة، فسقي السم، فلم يعمل فيه، فخنق بحبل. ينظر: تاريخ الإسلام(حوادث ووفيات عام٣٨١ه-٤٠٠ه) ١٢-١٣.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٦١/١٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٣١١/١١.

(٣) هو عميد الجيوش أبو علي الحسين بن أبي جعفر، الأمير، الوزير، كان أبوه الأمير أبو جعفر حاجبا لعضد الدولة، وخدم أبو علي بهاء الدولة، فاستنابه على العراق، فقدمها في سنة(٣٩٦ه) والفتن ثائرة بها، فضبط العراق بأتم سياسة، وأباد الحرامية، وقتل عدة، وأبطل مآتم عاشوراء، وكان مع فرط هيبته ذا عدل وإنصاف، ولي العراق تسع سنين، توفي سنة(٤٠١ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٣٠/١٧-٢٣١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٢/١١.

حامد، فانتقل عنها ونزل دارا أخرى، وصاح الشيعة: حاكم يا منصور. فبلغ ذلك الخليفة فأحفظه، وأنفذ الخول الذين على بابه لمعاونة أهل السنة، وساعدهم الغلمان، فاجتمع الأشراف والتجار إلى دار الخليفة فسألوه العفو عما فعل السفهاء، فعفا عنهم.(١)

وكان يخطب في جامع براثا من يذكر في خطبته مذهبا فاحشا من مذاهب الشيعة، وذلك عام(٤٢٠هـ)، فقبض عليه من دار الخلافة، وتقدم إلى أبي منصور بن تمام الخطيب(٢) ليخطب بدلا عن الخطيب الذي كان مرسوما به، فلما صعد المنبر دقه بعقب سيفه، على ما جرت به العادة، والشيعة تنكر ذلك، وخطب خطبة قصر فيها عما كان يفعله من تقدمه في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وختم قوله بأن قال: اللهم اغفر للمسلمين، ومن زعم أن عليا مولاه. فرماه العامة حينئذ بالآجر، وأدموه، ونزل من المنبر، ووقف المصلون دونه، حتى صلى ركعتي الجمعة خفيفة، وعرف الخليفة ذلك، فغاظه، وأحفظه، فانتصر للخطيب، وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤوا يعتذرون مما صنعوا، وأنه ما تعاطاه إلا سفهاؤهم وسقطهم، وكتب الخليفة القادر إلى صاحب الجيش كتابا بعد هذه الحادثة يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، إذا بلغ الأمر -أطال الله بقاء صاحب الجيش- إلى الجرأة على الدين، وسياسة الدولة والمملكة -ثبتها الله من الرعاع والأوباش- فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية، وبغير شك أنه قد بلغه ما جرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة، ومن قد تبرأ الله منه، فصار أشبه شيء بمسجد الضرار، وذلك أن خطيباً كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما لو كان حياً فسمعه لقتل قائله، وقد فعل مثل ذلك في الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعون الله ما تكاد السموات يتفطرن منه، فإن كان في بعض ما يورده هذا الخطيب قبحه الله بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشري الإلهي، مكلم فتية أصحاب الكهف، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع الذي تقشعر منه الجلود، ويتحرك منه المسلمون، وتنخلع

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٥٨-٥٩.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

قلوبهم، ويرون الجهاد فيه كجهاد الثغر، فلما ظهر ذلك قبض على الخطيب، وأنفذ ابن تمام ليعتمد إقامة الخطبة القويمة، فأورد الرسم الذي يطرق الأسماع من الخطبة، ولم يخرج عن قوله: اللهم صل على محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وذكر العباس وعلياً عليهما السلام، ثم قال في التفاته المعهود عن يمينه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إمام أئمة الهدى، وعن يساره اللهم صل على محمد الشفيع المشفع في الورى، وأقام الدعوتين الجليلتين، ونزل، فوافاه الآجر كالمطر، فخلع كتفه، وكسر أنفه، وأدمي وجهه، وهو لما به وأشيط بدمه، لولا أنه كان هناك أربعة من الأتراك أيدهم الله، فنفروا واجتهدوا في أن حموه، لكان قد هلك، وهذه هجمة على دين الله، وفتك في شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاعة في ذكر الربوبية، والحاجة صادقة، والضرورة ماسة إلى أن يقصد الامتعاض البالغ في هذه الحال العظيمة الهائلة التي ارتكبها الكفرة الفجرة، وأقدموا على ما أقدموا عليه، وبقي التظافر على اقتناصهم وأخذ البريء بالسقيم، وإباحة الدماء الواجب سفحها، وكسر الأيدي والأرجل التي تجب إبانتها عن أجسادها، والشد على أيدي أصحاب المعونة فيما يقصدونه من ذلك، والعمل على ركوب الجم الغفير، وجمهور كبراء العسكر أدام الله عزهم في يوم الجمعة الآتية ليكون الخطيب أيده الله في صحبتهم، ويجري الأمر في الخطبة الإسلامية على تقويمها، ورغم من رغم، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية تظهر وتعم، فإن هؤلاء الشيع قد درسوا الإسلام، وقد بقيت منه بقية، وإن لم يدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام، وإلا هدم وذهبت هذه البقية، وله أدام الله تأييده سامي رأيه في الوقوف على ذلك، والجري على العادة في كفاية هذا المهم، وإجابتي عن هذه الرقعة بما أنهيه، فيقع السكون إليه، والاعتماد عليه إن شاء الله بعد، فقد لحق تماماً الخطيب في نفسه وولده ما ستنشر معرفته، وقد انهتك محرمه، ويحتاج أن يستدعي صاحب المعونة ليستكشف عن حقيقة الحال، ومن الذي جنى هذه الجناية، ويتعرف من الملاحين الذين في المشارع، من أي جهة وردوا، وإلى أين صاروا، ويتعرف ذلك من حراس الدروب، بعد الإرهاب الذي يعمل في مثله، ويطالع بما ينتهي إليه الاجتهاد إن شاء الله".[(١)]

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٩٨-٢٠٠، وينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٢٦.

وكان لأهل السنة الغلبة في زمن الخليفة القادر بالله، فقد حدث في آخر خلافته عام(٤٢٢هـــ) فتنة بين السنة والروافض، تغلب فيها أهل السنة وقتلوا خلقا من الروافض، بل إنهم قاموا بنهب دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض.[١]

وفي سنة(٤٤٨هـــ) في عهد الخليفة القائم بالله، أقيم الأذان في المشهد بمقابر قريش، ومشهد العتيقة، ومساجد الكرخ، بالصلاة خير من النوم، وأزيل ما كانوا يستعملونه في الأذان بحي على خير العمل، وقلع جميع ما كان علي أبواب الدور والدروب من محمد وعلي خير البشر، ودخل إلى الكرخ منشدو أهل السنة من باب البصرة، فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة.[٢]

قال ابن كثير بعد ذكره لهذا الخبر:"وذلك أن نوء الرافضة اضمحل، لأن بني بويه كانوا حكاما، وكانوا يقوونهم وينصرونهم، فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة، ويوالونهم ويرفعون قدرهم، والله المحمود أبدا على طول المدى".[٣]

وتقدم رئيس الرؤساء إلى ابن النسوي الوالي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل، وصلب على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي، ونهبت داره.[٤]

وأنكر الخليفة القائم على الطاهر أبي الغنائم المعمر[٥] نقيب الطالبيين تمكينه للروافض من النوح على الحسين بن علي رضي الله عنه يوم عاشوراء، وذلك في عام(٤٥٨هـــ)، حيث قاموا بإغلاق الدكاكين، وأحضروا النساء لينحن على الحسين، فاعتذر أبو الغنائم أنه لم يعلم به إلا بعد فعله، وأنه لما علم أنكره وأزاله، فقيل له: لا تفسح بعدها في شيء من

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢١٤/١٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٧/١٦.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٦٨/١٢-٦٩.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٨/١٦.

(٥) هو المعمر بن محمد بن المعمرين أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني الطاهر، ذو المناقب، نقيب الطالبيين، وكان كريم الأخلاق، كثير التعبد، لا يحفظ عنه أنه آذى مخلوقاً، ولا شتم حاجباً، وسمع الحديث ورواه، وتوفي سنة(٥٤٩٠)، ومات عن اثنتين وسبعين سنة، ولي النقابة منها اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر. ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤١/١٧.

البدع التي كانت تستعمل. وخرج توقيع من الخليفة بعد ذلك بلعن من يسب الصحابة، ويظهر البدع.[1]

والسلطان محمد[2] في عهد الخليفة المستظهر قاتل صدقة بن منصور الرافضي[3]، لإظهاره بالحلة سب الصحابة ما لا يقف عند حد، فأخذت عليه الفتاوى فيما يجب على من سب الصحابة، وكتبت المحاضر فيما يجري في بلده من ترك الصلوات، وأنهم لا يعرفون الجمعة والجماعات، ويتظاهرون بالمحرمات، فأجاب الفقهاء بأنه لا يجوز الإغضاء عنهم، وأن من قاتلهم فله أجر عظيم، لا يسمع ببلده أذان ولا قرآن، وهذه المحاضر باعتقاده، والفتاوى بما يجب عليه، وهذا سرخاب[4] قد لجأ إليه، وهو على رأيه في بدعته التي هي مذهب الباطنية، وكانا قد اتفقا على قلب الدولة، وإظهار مذهب الباطنية.[5]

وقاتل الخليفة المسترشد دبيس بن صدقة –وكان رافضيا مثل أبيه– لأنه فعل القبائح، ولقي الناس منه فنون الأذى، وبشؤمه بطل الحج في سنة(٥١٠هـــ)، فانتصر عليه، وهرب دبيس إلى الفرات.[6]

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/٩٤-٩٥.

(٢) هو السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان التركي، صاحب العراق، الملك، غياث الدين، أبو شجاع، السلجوقي، عظم شأنه، وتفرد بالسلطنة، ودانت له البلاد، وقد كان محمد فحل آل سلجوق، وله بر في الجملة، وحسن سيرة مشوبة، فمن عدله أنه أبطل ببغداد المكس والضرائب، ومنع من استخدام يهودي أو نصراني، وكسا في نهار أربع مائة فقير، وكان قد كف مماليكه عن الظلم، وقد حارب الإسماعيلية، وأباد منهم، وأخذ منهم قلعة أصبهان، ثم تعلل مدة، ومات سنة(٥١١هـ) وعاش ثمان وثلاثين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٥٠٦-٥٠٧.

(٣) هو صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد، أبو الحسن الأسدي، سيف الدولة بن أبي كامل بن نور الدولة أبي الأغر ابن سند الدولة أبي الحسن، وكان أول من لقب بالإمرة منهم، وكان ملك العرب، ودار مملكته بالحلة على شاطئ الفرات، وكان يخطب له من الفرات إلى البحر، وكانت فيه أخلاق كريمة، وشيم حسنة، قتل سنة(٥٠١هـ) ومدة إمارته اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٦/١٧١-١٧٣.

(٤) هو أبو دلف سرخاب بن كيخسرو الديلمي، صاحب ساوة وآبة، سخط عليه السلطان محمد، فهرب إلى صدقة واستجار به، فطلب السلطان تسليمه فرفض صدقة. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩/١١٣.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/١٠٨.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١٧/٢١٠.

والخليفة المستنجد بالله أمر بإجلاء بني أسد من الحلة، وكان بهم تشيع، وذلك أن علي بن دبيس[١] لما هرب من بغداد، جمع بني أسد، وسار بهم إلى الحلة، واستولى عليها، وملكها[٢]، وذلك في عام(٥٤٠هـ)-أي في عهد الخليفة المقتفي- فظهر فسادهم في زمن الخليفة المستنجد عام(٥٥٨هـ)، وكان في نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا لما حصر بغداد، فأمر يزدن بن قماج[٣] بقتالهم، وإجلائهم عن البلاد، وصابرهم مدة، فأرسل الخليفة إلى يزدن يعتب عليه، ويعجزه، وينسبه إلى موافقتهم في التشيع، وكان يزدن يتشيع، فجد هو وابن معروف[٤] في قتالهم، والتضييق عليهم، وسد مسالكهم في الماء، فاستسلموا حينئذ، فقتل منهم أربعة آلاف قتيل، ونادى فيمن بقي: من وجد بعد هذا في المزيدية[٥] فقد حل دمه، فتفرقوا في البلاد، ولم يبق منهم في العراق من يعرف، وسلمت بطائحهم وبلادهم إلى ابن معروف.[٦]

---

(١) هو علي بن دبيس الأسدي، أمير العرب، وصاحب الحلة، كان شجاعاً جواداً ممدحاً كبير الشأن، سقي السم فيما قيل فمات سنة(٥٤٥ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٧١/٢١.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤٤/١٨-٤٥.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) يقصد الحلة، وقد سميت بذلك نسبة إلى مزيد الأسدي، وتسمى أيضا حلة بني مزيد. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٩٤/٢.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٦٤/٩.

المبحث الثالث

أثرهم تجاه المعتزلة

المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزّال، وعمرو بن عبيد اللذين اعتزلا حلقة الحسن البصري رحمه الله، وانفردا برأيهما في مرتكب الكبيرة وتبعهما خلق من المسلمين.

وقد ذكر الشهرستاني أنه دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل. فسمي هو وأصحابه معتزلة.(١)

أما البغدادي فقد ذكر أن الحسن البصري طردهما عن مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما: معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر.(٢)

وهي فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة(١٠٥هـــ) وسنة(١١٠هـــ)، متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد أصبحت فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء.(٣)

---

(١) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٤٢/١.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ٢٠-٢١.

(٣) ينظر: فرق معاصرة تنتسب للإسلام، غالب عواجي، ١١٦٣/٣.

ويرى بعض العلماء[1] أن أصل بدء الاعتزال كان في زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حينما اعتزل جماعة من الصحابة كانوا معه السياسة، وتركوا الخوض في تلك الخلافات التي نجمت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهذا القول باطل لا صحة له، وذلك أنه لو صح أن هؤلاء الصحابة المعتزلين للفتنة كانوا أسلافا للمعتزلة لوجب اتفاقهم معهم في أصول مذهبهم، فلما لم يتفقوا دل على بطلان هذا الرأي، فمثلا: مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة واجب بالسيف فما دونه متى ما قدروا على ذلك، فلو كان الصحابة المعتزلون للفتنة أسلافا لهم لأوجب عليهم هذا الأصل قتال معاوية، ونحن نراهم قد توقفوا عن القتال، وابتعدوا عن الفتنة، مما يدل على بطلان القول بأنهم أسلاف للمعتزلة، وعليه يبطل هذا الرأي.[2]

ألقاب المعتزلة:

تنقسم ألقاب المعتزلة إلى قسمين:

١) ألقاب أطلقها عليهم غيرهم.

٢) ألقاب أطلقوها هم على أنفسهم.

أولا: ألقاب أطلقها عليهم غيرهم:

١) المعتزلة: وذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد عن حلقة الحسن البصري.

٢) الجهمية: وذلك لموافقتهم الجهمية في مسائل كثيرة.[3]

---

(١) كالملطي في(التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) ٣٦، والنوبختي في(فرق الشيعة) ١٧-١٨، وعرفات عبد الحميد في(دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية) ١١٠-١١١، ومحمد أبو زهرة في(تاريخ المذاهب الإسلامية) ١١٨-١١٩.

(٢) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد المعتق، ١٩-٢٠.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢/٦٠٤.

٣) القدرية: وذلك لأنهم زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير.[(١)]

٤) الثنوية والمجوسية: لقولهم: الخير من الله، والشر من العبد.[(٢)]

٥) مخانيث الخوارج: لموافقتهم الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار، مع قولهم: إنه ليس بكافر.[(٣)]

٦) الوعيدية: لقولهم بالوعد والوعيد.[(٤)]

٧) المعطلة: لتعطيلهم الصفات وتأويلها كالجهمية، لذا؛ فإن أهل السنة يستعملون في كلامهم عن المعتزلة لفظ المعطلة للدلالة عليهم، فقد وضع ابن القيم كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)، وهو يقصد الرد على المعتزلة بالدرجة الأولى.[(٥)]

ثانيا: ألقاب أطلقوها هم على أنفسهم:

١) المعتزلة: لأنهم رأوا أنه لا خلاص لهم من هذا الاسم فأخذوا يبرهنون على فضله، وأن المراد به الاعتزال عن الأقوال المحدثة والمبتدعة.[(٦)]

٢) أهل العدل والتوحيد والعدلية: لاعتقادهم بأن نفي القدر هو عين العدل، وأن نفي الصفات هو أصل التوحيد.[(٧)]

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ١١٥.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، لأبي العباس المقريزي، ٣٤٨/٢.

(٣)ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ١١٩.

(٤) ينظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين الخياط المعتزلي، ١٢٦.

(٥) المعتزلة، زهدي جار الله، ١٠.

(٦) ينظر: المنية والأمل، أحمد المرتضى، ٢، ٤.

(٧) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٣٨/١-٣٩.

٣) أهل الحق، الفرقة الناجية، والمنزهون لله عن النقص: لأنهم يرون أنفسهم على الحق، ومن سواهم على الباطل.[١]

أصول المعتزلة الخمسة:

أولا: التوحيد: والمقصود به عندهم نفي الصفات عن الله عز وجل، وأثبتوا الأسماء مجردة عن معانيها، وعليه قالوا بخلق القرآن، وأنكروا رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.[٢]

وشبهتهم في ذلك أنهم قالوا: إن القدم أخص وصف لذاته، فلو أثبتنا قدم الصفات وأنها معاني قائمة به لشاركته في القدم الذي هو أخص وصف لذاته، فيلزم من ذلك مشاركتها له في الإلهية[٣]، وأن إثبات الصفات يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق.[٤]

ثانيا: العدل: والمقصود به عندهم ما يتعلق بأفعال الله عز وجل التي يصفونها كلها بالحسن ونفي القبح عنها، بما فيه نفي أعمال العباد القبيحة عن الله عز وجل رضاء وخلقا، لأن ذلك يوجب نسبة الفعل القبيح إلى الله تعالى، وهو منزه عن ذلك.[٥]

فهم يرون أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم هم المحدثون لها.[٦]

وشبهتهم في ذلك: أن إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد فيه نسبة الظلم والجور إليه تعالى، والله منزه عن ذلك.[٧]

---

(١) ينظر: العلم الشامخ، المقبلي، ٣٠٠.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ١١٤، والملل والنحل، الشهرستاني، ٣٨/١، والانتصار والرد على ابن الروندي، للخياط المعتزلي، ٥.

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٣٨/١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٣٩/١، والانتصار والرد، للخياط المعتزلي، ٥.

(٥) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٨١.

(٦) ينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٣٢٣.

(٧) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٨٢.

ثالثا: الوعد والوعيد: والمقصود به عندهم أن الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب.[1]

وعلى هذا فهم يوجبون على ربهم أن ينفذ وعده وأن يعطي العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله، مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده.[2]

أما الوعيد فهو ما يتعلق بأحكام المذنبين من عصاة المؤمنين إذا ماتوا من غير توبة، وقد أوضح المعتزلة رأيهم في هذا، وهو أن أصحاب الكبائر إذا ماتوا من غير توبة، فإنهم يستحقون بمقتضى الوعيد من الله النار خالدين فيها، إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار.[3]

وقد استدلوا لمذهبهم هذا ببعض الآيات التي فسروها تفسيرا خاطئا، وببعض الشبه العقلية، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[4] حيث فسروا هذا الوقوع بمعنى الوجوب، أي فقد وجب ثوابه على الله استحقاقا، لأن العمل في رأيهم من موجبات الثواب.[5]

ومن الشبه العقلية قولهم بأن الله مادام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة فلابد أن يكون لها مقابل من الأجر، وإلا لكان ذلك ظلما، والله منزه عن الظلم، فلا يجوز على الله تعالى -في نظرهم- أن يوجب العمل ولا يوجب له جزاء.[6]

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ١٣٥-١٣٦.

(٢) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٨٨.

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٣٩/١، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٩٠.

(٤) النساء: ١٠٠.

(٥) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ١٤٠/٢، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٨٨.

(٦) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ٦١٥، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٨٨.

أما عن شبههم في إنفاذ الوعيد فقد استدلوا من القرآن الكريم بكل آية يذكر فيها عقاب العصاة بالنار والخلود فيها، وهي آيات كثيرة مثل قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1]وآيات أخرى كثيرة يدل ظاهرها على هذا المفهوم.[2]

رابعا: المنزلة بين المنزلتين: ويلقب المعتزلة هذا الأصل بـــ(مسألة الأسماء والأحكام) والمقصود به عندهم أن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقا، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة عندهم له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما.[3]

وشبهتهم في ذلك أن المكلف لا يخلو حاله من أمرين: إما أن يكون مستحقا للثواب، وإما أن يكون مستحقا للعقاب، فإن كان مستحقا للثواب فهو من أولياء الله، وإن كان مستحقا للعقاب فهو من أعداء الله.[4]

وهذا الأصل هو أول أمر خالف فيه واصل بن عطاء الحسن البصري وانشق عنه.

خامسا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يقول المسعودي:"وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأصل الخامس، فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب، على حسب استطاعتهم في ذلك، بالسيف فما دونه، وإن كان كالجهاد، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق".[5]

---

(١) الانفطار: ١٣-١٦.

(٢) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ١١٩٠-١١٩١.

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ٦٩٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٦٩٧.

(٥) مروج الذهب، المسعودي، ٢٣٥/٣.

ويقول الأشعري عنهم:"فقالت المعتزلة إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا، عقدنا للإمام ونهضنا، فقتلنا السلطان، وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد، وفي قولنا في القدر، وإلا قتلناهم، وأوجبوا على الناس الخروج على السلطان على الإمكان والقدرة، إذا أمكنهم ذلك وقدروا عليه".[١]

فالمعتزلة يبدؤون من الأسهل إلى ما هو أكبر منه، ولو أحوج الأمر إلى السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بأس في ذلك، ثم هم بناء على استعمال السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرون قتال المخالف لهم، سواء كان سلطانا أو غيره من عامة الناس، إذا كانوا جماعة وفي مقدورهم ذلك، ولذا قالوا بوجوب الخروج على السلطان الجائر، وقتال المخالفين لهم، وإلزامهم بقول المعتزلة.[٢]

وعليه فإن المعتزلة لا ترى فرقا بين قتال الكافر والفاسق، وقد استدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٣] قالوا: فالله تعالى أمر بإصلاح ذات البين أولا، ثم بعد ذلك بما يليه، إلى أن انتهى إلى المقاتلة.[٤]

وبناء على ذلك كانت فتنة القول بخلق القرآن، ومحنة الإمام أحمد ومن معه رحمهم الله جميعا، فمن قولهم بالأمر بالمعروف ألزموا الناس بالقول بخلق القرآن بناء على قولهم بنفي الصفات عن الله عز وجل، ثم قاموا باستخدام الشدة والعنف ضد أهل السنة لعدم موافقتهم على هذا الأمر بناء على قولهم في النهي عن المنكر.

كان ذلك تعريفا مختصرا بالمعتزلة وأهم ألقابهم وأهم عقائدهم. ولكن بقي أن نعرف موقف خلفاء بني العباس تجاه المعتزلة، وذلك أنه من المعلوم أن المعتزلة ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة، حيث إن واصل بن عطاء توفي عام(١٣١هـ)[٥] والحسن البصري توفي

---

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٣٤٨.

(٢) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد المعتق، ٢٧٤.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ١٤٤.

(٥) ينظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٦/٢١٤.

عام(١١٠هـــ)[١]، بمعنى أن هناك قرابة عشرين عاما أو أكثر بين انعزال واصل عن حلقة الحسن البصري، وبين وفاته، فكانت هذه الفترة كفيلة بنشر مذهب المعتزلة على نطاق أوسع، خاصة بعد تقعيد المذهب، وابتداع أسسه وأصوله.

ومن المعلوم أيضا أن أكثر خلفاء بني العباس كانوا على السنة إلا ما ظهر من بعضهم من مناصرة للمعتزلة كالمأمون، والمعتصم، والواثق[٢]، أما عن الخليفة أبي جعفر المنصور وصداقته مع عمرو بن عبيد، فقد ذكر المؤرخون أنه كانت هناك صحبة بين عمرو بن عبيد وبين المنصور قبل أن تؤول إليه الخلافة[٣]، وكان المنصور معجبا به ويحترمه لزهده، وكان يطلب منه الموعظة بعد توليه الخلافة، فيعظه عمرو فيبكيه[٤]، وقد رثاه المنصور بعد وفاته.[٥]
وفاته.[٥]

والذي يظهر أن المعتزلة في هذا الوقت لم يكن لهم ظهور علني، أو أنهم كانوا يخشون من إظهار مذهبهم خوفا من الخلفاء العباسيين أن يفعلوا بهم كما فعل الخلفاء الأمويون الذين تتبعوهم بالقتل والاضطهاد[٦]، لذا لم يكن يجرؤ عمرو بن عبيد ولا غيره من المعتزلة على إظهار مذهبهم، واكتفى عمرو بالوعظ والإرشاد للخليفة المنصور فقط، لأن الخليفة المنصور كان من الذين أفتوا فيمن قال: أن القرآن مخلوق[٧]، باستتابتهم أو قتلهم، وصلبهم، أو نفيهم.[٨]

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٧٢/٢.

(٢) وسيأتي ذكر ذلك في الباب الثالث بعون الله.

(٣) ينظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢٠٩/١.

(٤) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ١٠٩/٣.

(٥) ينظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢٠٩/١.

(٦) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٥٨.

(٧) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ٣٤٥/١.

(٨) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤٢٠/١٢.

وعندما أرسل أليون ملك الروم إلى أبي جعفر المنصور يسأله عن أشياء، ويسأله عن لا إله إلا الله أمخلوقة أم خالقة؟ فكتب إليه أبو جعفر: كتبت إلي تسألني عن لا إله إلا الله أخالقة أم مخلوقة؟ وليست خالقة ولا مخلوقة، ولكنها كلام الله عز وجل.[١]

وكان رجل في المدينة يقول بخلق القرآن، فكتب ابن أبي ليلى[٢] إلى أبي جعفر وهو بالمدينة بما قاله ذلك الرجل وشهادته عليه وإقراره. فكتب إليه أبو جعفر: إن هو رجع وإلا فاضرب رقبته وأحرقه بالنار.[٣]

إلا أن هذه الصحبة وهذا الاحترام من المنصور لعمرو بن عبيد جعلت المعتزلة يتقوون قليلا، وينهضون.[٤]

ثم جاء الخليفة المهدي وكان شديدا على الزنادقة والمخالفين، وقد جد سنة(١٦٧هـ) في طلبهم والبحث عنهم في الآفاق، وعين لذلك موظفا خاصا، فقتل عددا منهم.[٥]

أما الخليفة هارون الرشيد فقد ذكر صاحب كتاب(المعتزلة)[٦] أن المعتزلة تنفسوا الصعداء في عهده وبدؤوا يرفعون رؤوسهم ثانية، وأنه قد تولى بعضهم مناصب رفيعة في دولة الرشيد، وكانوا يتمتعون بشيء من السلطة تمكنهم من نفي أعدائهم والانتقام منهم.[٧]
منهم.[٧]

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/٢٧١-٢٧٢.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، ابن أبي ليلى، العلامة، الإمام، مفتي الكوفة، وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي، ولد سنة نيف وسبعين، ومات أبوه وهو صبي فلم يأخذ عن أبيه شيئا، بل أخذ عن أخيه عيسى، عن أبيه، كان فقيها، صاحب سنة، صدوقا، جائز الحديث، وكان قارئا للقرآن، عالما به، مات سنة(١٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٦/٣١٠-٣١٦.

(٣) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/٢٧٢.

(٤) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٦٠.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٨٠.

(٦) زهدي جار الله.

(٧) ص ١٦١.

إلا أن المعتزلة لم يجرؤوا على إظهار مذهبهم في عهد الرشيد، لأنه كان يكره المراء في الدين، ويقول: هو شيء لا نتيجة له، وبالحري ألا يكون فيه ثواب.[١]

بل إنه كان شديدا على الذين أظهروا القول بخلق القرآن — الذي هو أبرز شعار للمعتزلة – فقد ذكر ابن كثير أن أحدهم دخل على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق، والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق، فقتلته على ذلك قربة إلى الله عز وجل.[٢]

وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه.[٣]

ولما تولى معاذ بن معاذ[٤]قضاء البصرة رد شهادة الجهمية والقدرية، فلم يقبل شهادة شهادة المعتزلة، ورفعوا عليه عند الرشيد، فلما اجتمع به حمده على ذلك وعظمه.[٥]

وذكر ابن القيم أن الخليفة الرشيد كان قد أقصى الجهمية وتبعهم بالحبس والقتل.[٦]

والقتل.[٦]

ثم كانت فتنة خلق القرآن على يد المأمون، والمعتصم، والواثق، وكان امتحانهم للعلماء، واشتد الكرب على الناس، حتى جاء عهد الخليفة المتوكل، الذي نصر الإسلام والسنة نصرا مؤزرا، وأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل عطاياهم، وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، وجلس علماء السنة يعلمون الناس في الجوامع علنا، فاجتمع لهم

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ١٦/٥.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٥/١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢٥.

(٤) هو معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحر بن مالك بن الخشخاش التميمي، القاضي، الإمام، الحافظ، أبو المثنى العنبري، البصري، ولد سنة(١٢٠ه) ولي قضاء البصرة لهارون الرشيد، ثم عزل، قال أحمد بن حنبل عنه: إليه المنتهى في التثبت. مات سنة(١٩٦ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٤/٩-٥٧.

(٥) ينظر: التسعينية، ابن تيمية، ٣٧٥/٢.

(٦) ينظر: الصواعق المرسلة، ابن القيم، ١٠٧٢/٣.

خلق كثير، وتوفر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه، والتعظيم له[1]، وكان من خيار الخلفاء، وأحسن الصنيع لأهل السنة، وساءه ما فعل الخلفاء قبله بأهل السنة.[2]

وكان موقفه من المعتزلة يقوم على ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: أنه اكتفى بالأمر بترك النظر والمباحثة في الجدال، والترك لما عليه الناس في أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث، وإظهار السنة والجماعة[3]، وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان، ومن أخذ في خلافة الواثق، فخلاهم جميعا، وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتبا ينهى عن المناظرة والجدل، فأمسك الناس[4]، فكانت هذه هي الخطوة الأولى من موقف الخليفة المتوكل من المعتزلة، إذ منعهم النقاش في خلق القرآن، في الوقت الذي لم يتعرض لأحد منهم بالأذى في هذه المرحلة من ناحية، ووقف منهم موقف المتسامح من ناحية أخرى.[5]

الخطوة الثانية: بدأت هذه الخطوة بالتحديد عام(٢٣٤هـ) فقد تطورت سياسة المتوكل تجاه المعتزلة، فأظهر السنة، ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم العلماء، وأجزل عطاياهم[6]، وأمرهم أن يجلسوا للناس، ويحدثوا بأحاديث الصفات الصفات والرؤية للرد على المعتزلة، وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة' فاجتمع إليه نحو ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور' فاجتمع إليه أيضا نحو ثلاثين ألف نفس.[7]

---

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٧٠.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٧/١٠.

(٣) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٨٦/٤.

(٤) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ٤٨٥/٢.

(٥) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٨٢، والمعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، أحمد العمرجي، ٧٨.

(٦) ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣٣١/٢.

(٧) ينظر: مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، ٤٨٣-٤٨٤، والمعتزلة، زهدي جار الله، ١٨٣، والمعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، أحمد العمرجي، ٧٨-٧٩.

الخطوة الثالثة: وهي الخطوة النهائية والتي بدأت عام(٢٣٧هــ) فأعلن سخطه وغضبه على المعتزلة، وعمد إلى سياسة التشدد معهم تجاههم، فعزل أحمد بن أبي دؤاد[١] عن المظالم، واستدعى يحيى بن أكثم[٢] فولاه القضاء والمظالم، كما حبس الوليدَ بن أحمد بن أبي دؤاد وإخوته، ولم يخل سبيلهم إلا بعد المصالحة على دفع مبلغ ضخم من المال، ثم أبعدوا إلى بغداد، فأقاموا فيها حتى توفي الوليد، ثم لحقه أبوه أحمد بن أبي دؤاد بعد عشرين يوما[٣]، وكتب إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام، والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق[٤] مأواه إلى أن يموت، وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير، وأظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل، واستدعاه من بغداد إليه، فاجتمع به، فأكرمه.[٥]

يقول الإمام البربهاري:"قال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل: الجهمي كافر ليس من أهل القبلة حلال الدم لا يرث، ولا يورث، لأنه قال: لا جمعة، ولا جماعة، ولا عيدين، ولا صدقة، وقالوا: من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر، واستحلوا السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وخالفوا من كان قبلهم، وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأوهنوا الإسلام، وعطلوا الجهاد، وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار، وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا

---

(١) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير، أبو عبدالله القاضي الإيادي، يقال: أن اسم أبي دؤاد الفرج، وأحمد أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، كان جهميا بغيضا، حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ولولا ذلك لاجتمعت الألسنة عليه، توفي مفلوجا سنة(٢٣٣ه) في خلافة المتوكل. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٤١/٤-١٥٦.

(٢) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، من ولد أكثم بن صيفي التميمي، يكنى أبا محمد، وهو مروزي، وكان عالما بالفقه، بصيرا بالأحكام، وولاه المأمون القضاء ببغداد، وهو أحد أعلام الدنيا، ومن قد اشتهر أمره، وعرف خبره، ولم يستر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك، واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن العارضة، قائم بكل معضلة، توفي سنة(٢٤٢ه)، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. ينظر: المصدر السابق، ١٩١/١٤-٢٠٣.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٣١٤/٥ و ٣١٩.

(٤) المطبق: السجن.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣١٦/١٠.

بالمتشابه، فشككوا الناس في أديانهم، واختصموا في ربهم، وقالوا: ليس هناك عذاب قبر، ولا حوضا، ولا شفاعة، والجنة والنار لم تخلقا، وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه، لأنه من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم، فدامت لهم المدة، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك، ووضعوا السيف والسوط على من دون ذلك، فدرس علم السنة والجماعة، وأوهنوها فصاروا مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها، ولكثرتهم، فاتخذوا المجالس، وأظهروا آراءهم، ووضعوا فيها الكتب، وأطمعوا الناس، وطلبوا لهم الرياسة، فكانت فتنة عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم، أو يرى رأيهم على الحق، ولا يدري أنهم على حق أو على باطل، فصار شاكا، فهلك الخلق، حتى كانت أيام جعفر الذي يقال له المتوكل، فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة، وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا".(1)

كان موقف الخليفة المتوكل من أهم الأسباب في ضعف المعتزلة وتراجعهم وأفول نجمهم، ومن المعلوم أن عقيدة المعتزلة في الصفات كانت على النقيض تماما من عقيدة الروافض، فالمعتزلة معطلة، والروافض مشبهة، والروافض لم يهاجموا المعتزلة في بداية نشأتهم ولم يعادوهم، لأن المعتزلة كانوا أعداء لأهل السنة، والروافض يتولون كل من يعادي أهل السنة، إلا أن المعتزلة هم الذين بدؤوا بمهاجمة الروافض، فاضطر الروافض للدفاع عن أنفسهم أمام المعتزلة، فكان بينهما صراع طويل استمر لفترة قرنين من الزمان.(2)

فلما حوصر المعتزلة وحوربوا في عهد المتوكل ومن بعده، وكرههم الناس، وبدؤوا بالتراجع والأفول اضطروا إلى مخالفة مبادئهم التي ساروا عليها في بداية نشأتهم، فانضموا إلى التشيع، والتفوا حوله، وصادقوهم، خاصة وأن الدولة كانت للرافضة في العهد البويهي بداية

---

(1) شرح السنة، البربهاري، ٩٣-٩٥.

(2) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ٢٠٤-٢٠٥، ويرى زهدي جار الله أن هناك أسبابا عديدة أدت إلى تراجع المعتزلة وأفول نجمهم من أهمها ظهور أبي الحسن الأشعري عام(٣٠٠هـ). ينظر: ص ٢٠٠.

عام(٣٣٤هـ)، وكما هو معروف عن المعتزلة أنهم يحاولون التقرب للسلاطين، والخلفاء، والالتفاف حولهم لنصرة مذهبهم، كما فعلوا مع الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق.[١]

وقد استفاد الرافضة من المعتزلة أمورا عديدة من أهمها المذهب الكلامي الذي كانوا يفتقرون إليه، لذا فإن هناك تشابها كبيرا بين أصول المعتزلة وأصول الرافضة، بل إن الروافض تخلوا عن عقيدة التشبيه في الصفات التي كانوا يقولون بها، واعتنقوا عقيدة المعتزلة التي هي على النقيض تماما من عقيدتهم، وذلك للحفاظ على المعتزلة الذين هم من ألد أعداء أهل السنة.[٢]

لذلك انبرى الخلفاء العباسيون لمحاربة الرافضة، ومن ضمنهم المعتزلة الذين تستروا بستارهم، وتدثروا بدثارهم، فأنى وجد الرفض في مكان ما، وجد معه الاعتزال، لأنهما صارا شيئا واحدا، وقد ذكر الحافظ الذهبي أن الرفض والاعتزال تصادقا وتواخيا من حدود عام(٣٧٠هـ)[٣].

وقد اشتدت شوكة الاعتزال في زمن الصاحب بن عباد المعتزلي[٤] وزير البويهيين بالري[٥]، وكان له شأن عظيم في دولتهم[٦]، إلا أنه بعد وفاته تتابعت على المعتزلة الضربات، وتوالت عليهم النكبات، وبدأ بنو بويه بالضعف والانحطاط، لذلك قام الخليفة القادر بتصنيف كتاب في الأصول[٧] ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القران،

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ٢٠٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٠٥.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/١٤٩.

(٤) هو إسماعيل بن عباد بن العباس، الوزير الملقب بالصاحب، أبو القاسم، من أهل الطالقان، كان عباد يلقب الأمين، وكان دينا خيرا، مقدما في صناعة الكتابة، ولده سنة(٣٢٦ه)، وزر لمؤيد الدولة، وفخر الدولة، ومن مصنفاته: المحيط-الوزراء-الكشف عن مساوئ شعر المتنبي-وغيرها كثير، ومات الصاحب سنة(٣٨٥ه). ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٦٦٢، والأعلام، الزركلي، ١/٣١٥-٣١٦.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٣٠٢.

(٦) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٢/٦٦٣-٦٦٤.

(٧) ذكر ابن تيمية أن هذا الكتاب ألفه أبو أحمد الكرجي وكتبه القادر بالله. ينظر: بيان تلبيس الجهمية (نقض التأسيس)، ٢/٣٣١، والصفدية، ٢/١٦٢، ودرء تعارض العقل والنقل، ٣/٢٢٩.

وكان الكتاب يُقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس سماعه.(1)

وفى سنة(٤٠٨هـ) استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام، والتدريس، والمناظرة في الاعتزال والرفض، والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم.(2)

وفي عام(٤٠٩هـ) قرئ في الموكب بدار الخلافة كتاب بمذاهب السنة، وقيل فيه: من قال: إن القرآن مخلوق، فهو كافر حلال الدم.(3)

وفي الثامن عشر من شعبان من عام(٤٢٠هـ) جُمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل عمله الخليفة القادر بالله يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة، وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وفي شهر رمضان من نفس السنة جُمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة أيضا، وقرأ عليهم أبو الحسن بن حاجب النعمان كتاباً طويلاً عمله الخليفة القادر بالله، وذكر فيه أخباراً من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وما روي عنه في عدة أمور من الدين وشرائعه، وخرج من ذلك إلى الطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيقه، وحكاية ما جرى بين عبد العزيز المكي وبشر المريسي فيه، ثم ختم القول بالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذت في آخر الكتاب خطوط الحاضرين وسماعهم بما سمعوه، وفي ذي القعدة من نفس السنة أيضا جمع القضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد إلى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل جداً يتضمن ذكر أبي بكر وعمر وفضائلهما، ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والطعن على من يقول بخلق القرآن، وأعيد فيه ما جرى بين بشر المريسي وعبد العزيز المكي في ذاك، ويخرج من

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٤/٣٧.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٢٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٥/١٢٨.

هذا الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الناس إلى بعد العتمة حتى استوفيت قراءته، ثم أخذت خطوطهم في آخره بحضورهم، وسماع ما سمعوه.[1]

ويظهر مما تقدم أن الذي كتبه القادر لم يكن كتابا واحدا فحسب، وإنما كانت عدة كتب حرص القادر على كتابتها ونشرها وقراءتها على الناس لمحاربة مذهب الاعتزال المتخفي تحت شعار الرفض، ونشر مذهب أهل السنة والجماعة.

واتبع السلطان محمود بن سبكتكين المعروف بيمين الدولة سُنَّة الخليفة القادر تجاه المعتزلة، وذلك لما استولى على الري سنة(٤٢٠هـ) نفى المعتزلة من الري إلى خراسان، وأحرق كتبهم، وسائر كتب الفلسفة والنجوم [2]، وقد كان في الري في عهد الصاحب بن عباد مكتبة عظيمة، فقام يمين الدولة بإخراج كل ما كان فيها من كتب الكلام، وأحرقه.[3]

وكذلك فعل الخليفة القائم بأمر الله فقد حارب المعتزلة وحذر منهم، ونشر ذلك بين الناس، فقد قرئ الاعتقاد القادري بالديوان، وذلك سنة(٤٣٣هـ)، أخرجه القائم وحضر الزهاد والعلماء، وممن حضر الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني فكتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه: أن هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد فسق وكفر.[4]

وقد قام جماعة من أصحاب عبد الصمد[5] في سنة(٤٥٦هـ) بالهجوم على أبي علي ابن الوليد المدرس لمذهب المعتزلة، فسبوه، وشتموه، لامتناعه من الصلاة في الجامع، وتدريسه

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٩٧-١٩٨.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٨/١٧١.

(٣) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٢/٦٩٧.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٢٧٩.

(٥) هم طائفة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ينتسبون إلى عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الواعظ، وكان ثقة صالحا زاهدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، توفي سنة(٣٩٧هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/٤٣.

لهذا المذهب، فأغلق بابه، واتصل اللعن للمعتزلة في جامع المنصور، وجلس أبو سعد بن أبي عمامة[1] فلعن المعتزلة.[2]

ولما عزم أبو الوليد هذا على التدريس وذلك سنة(٤٦٠هـ)، وحرضه على ذلك جماعة من أهل مذهبه، اجتمع الفقهاء وأعيان أصحاب الحديث وسألوا إخراج الاعتقاد القادري وقراءته، وذلك في سنة(٤٦٠هـ)، فأجيبوا، وقرىء هناك بمحضر من الجمع(٣)، وعبر الشريف أبو جعفر(٤) شيخ الحنابلة إلى جامع المنصور، هو وأهل مذهبه، وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث، وبلغوا ذلك، وفرح أهل السنة بذلك، وكان أبو مسلم الليثي البخاري(٥) المحدّث معه كتاب التوحيد لابن خزيمة، فقرأه على الجماعة، وكان الاجتماع يوم السبت في الديوان لقراءة الاعتقاد القادري والقائمي، وفيه قال السلطان: وعلى الرافضة لعنة الله وكلهم كفار. وقال: ومن لا يكفرهم فهو كافر. وكان الشريف أبو جعفر والزاهد

---

(١) هو المعمَّر بن عليّ بن أبي عمامة البغداديّ الحنبليّ، الواعظ، المفتي، أبو سعد، كان يبكي الحاضرين ويضحكهم، وله قبولٌ زائدٌ، وسرعة جوابٍ، وحدّة خاطر، وسعة دائرة، توفي سنة(٥٠٦هـ). ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي، ٣٨٨/٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٨٨/١٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٠٥/١٦.

(٤) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن معبد ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي العباسي، ولد سنة(٤١١هـ)، كان عالمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهداً، قوالاً بالحق، لا يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكان مختصر الكلام، مليح التَّدريس، جيد الكلام في المناظرة، عالمًا بالفرائضِ، وأحكام القرآن والأصول، وكان له مجلسٌ للنظر في كل يوم اثنين، ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين، وكان شديد القول واللسان على أهل البدع، ولم تزل كلمته عالية عليهم، ولا يَردُّ يَده عنهم أحد، وانتهى إليه في وَقتِهِ الرحلة لطلب مذهب الإمام أحمد، توفي سنة(٤٧٠هـ). ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٢٩/١-٥١.

(٥) هو عمر بن علي بن أحمد بن الليث، أبو مسلم الليثي البخاري، كان حافظاً، واسع الرحلة، كثير التصانيف، وكان يحفظ ويفهم، قال الدقاق: كان أحفظ من رأيت للكتابين، جمع بينهما. يعني الصحيحين يعني عمل عليهما مستخرجا، وقال يحيى بن منده: كان أحد من يدعي الحفظ والمعرفة، إلا أنه كان يدلس، مات بالأهواز سنة(٤٦٨هـ). ينظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٣١٩/٤.

أبو طاهر الصحراوي[1] قد سألا أن يسلم إليهم الاعتقاد، فقال لهما الوزير ابن جهير: ليس ها هنا نسخة غير هذه، ونحن نكتب لكم نسخة لتقرأ في المجالس. فقال: هكذا فعلنا في أيام القادر، قرئ في المساجد والجوامع. وقال: هكذا تفعلون فليس اعتقاد غير هذا. وانصرفوا شاكرين.[2]

وقرئ في نفس السنة مرة أخرى، قرأه الشريف أبو الحسين بن المهتدي بباب البصرة، وحضر الخاص والعام، وكان قد سمعه من القادر.[3]

وبناء على هذه الجهود من الخلفاء العباسيين تجاه المعتزلة، أبغض الناس المعتزلة بغضا شديدا لدرجة أنه في عام(٤٦١هـ) نقمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفا بن عقيل وهو من كبراء الحنابلة لتردده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي، واتهموه بالاعتزال، ويقول ابن كثير في ذلك:"وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بمذهبه، ولكن سرقه الهوى، فشرق شرقة كادت روحه يخرج معها، وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة، وتأذى بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين، ثم اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كبير".[4]

ويذكر ابن كثير أنه في سنة(٤٦٩هـ) وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية[5]، وذلك أن ابن القشيرى[6] قدم بغداد فجلس يتكلم في المدرسة النظامية، وأخذ

---

(١) هو عبد العزيز بن طاهر بن الحسين بن علي، أبو طاهر الصحراوي، مات سنة(٤٦٨ه). ينظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٣٢/٤.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٠٦/١٦، وذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٣٨/١، والعبر في خبر من غبر، الذهبي، ٣٢٢/٢.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٠٦/١٦.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٩٨/١٢، وينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١١٣/١٦.

(٥) من المعلوم أن الأشعرية في أول نشأتها كانت ضد المعتزلة في عقائدهم إلا أنه في عهد أبي المعالي الجويني الذي ولد سنة(٤١٩هـ) وتوفي سنة(٤٧٨هـ) اقترب المذهب الأشعري من المذهب المعتزلي كثير، أو كما يذكر الدكتور عبدالرحمن المحمود أن الجويني خطا بالمذهب الأشعري نحو الاعتزال. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٦٢١/٢.

(٦) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، المفسر، العلامة، ابن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم القشيري، اعتنى به أبوه، وأسمعه، وأقرأه حتى برع في العربية والنظم والنثر والتأويل، وكتب الكثير بأسرع خط، وكان أحد الأذكياء، لازم إمام الحرمين، وحصل طريقة المذهب والخلاف، وساد، وعظم قدره، واشتهر ذكره وحج، فوعظ ببغداد، وبالغ =

وأخذ يذمّ الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي[1]، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، واقتتل الناس بسبب ذلك، وثارت الفتنة، وكتب نظام الملك إلى فخر الدولة ينكر ما وقع ويكره أن ينسب إلى المدرسة التي بناها شئ من ذلك، وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر، فأرسل إليه الخليفة المقتدي يسكنه، ثم جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر، وأبي سعد الصوفي، وأبي نصر بن القشيري عند الوزير، فأقبل الوزير على أبي جعفر يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب، وهذه كتبي في الأصول ما أقول فيها خلافا للأشعرية. ثم قبل رأس أبي جعفر، فقال له أبو جعفر: صدقت، إلا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجه بُزُرك – يعني نظام الملك – وشبعت، أبديت ما كان مختفيا في نفسك. وقام الشيخ أبو سعد الصوفي وقبّل رأس الشريف أبي جعفر أيضا وتلطف به، فالتفت إليه أبو جعفر مغضبا، وقال: أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغبير[2]، فمن زاحمك منا

في التعصب للأشاعرة، والغض من الحنابلة، فقامت الفتنة على ساق، واشتد الخطب، وبلغ الأمر إلى السيف، واختبطت بغداد، وظهر مبادر البلاء، ثم حج ثانيا، وجلس، والفتنة تغلي مراجلها، وكتب ولاة الأمر إلى نظام الملك ليطلب أبا نصر بن القشيري إلى الحضرة إطفاء للثائرة، فلما وفد عليه، أكرمه وعظمه، وأشار عليه بالرجوع إلى نيسابور، فرجع، ولزم الطريق المستقيم، ثم ندب إلى الوعظ والتدريس، فأجاب، ثم فتر أمره، وضعف بدنه، وأصابه فالج، فاعتقل لسانه إلا عن الذكر نحوا من شهر، ومات سنة(٥١٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٤٢٤-٤٢٦.

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن محمود بن ماخرة الزوزني، ثم البغدادي، من مشاهير الصوفة، الشيخ، المسند الكبير، ولد سنة(٤٤٩هـ)، كان مسرفا على نفسه، لعابا، منهمكا في الشرب، ينسبونه إلى التسمح في دينه، حافظا للنظم والنادرة، مات سنة(٥٣٦هـ). ينظر: المصدر السابق، ٢٠/٥٧-٥٨.

(٢) التغبير: هو الضرب بالقضيب على جلد من الجلود، وهو ما يغبر صوت الإنسان على التلحين، فقد يُضم إلى صوت الإنسان إما التصفيق بأحد اليدين على الأخرى، وإما الضرب بقضيب على فخذ وجلد، وإما الضرب باليد على أختها، أو غيرها على دف، أو طبل كناقوس النصارى، والنفخ في صفارة كبوق اليهود. ينظر: تحريم آلات الطرب، الألباني، ١٦٧-١٦٨. وقد أفتى العلماء بحرمة التغبير وأنه من البدع المحدثة في الدين. ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر الخلال، ٤٨، ٧٠-٧٢.

على باطلك. ثم قال أبو جعفر: أيها الوزير أنى تصلح بيننا وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون ويكفِّرون، وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس على رؤوس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف، ونحن على ذلك كما وافق عليه العراقيون والخراسانيون، وقرىء على الناس في الدواوين كلها. فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبا جعفر، ثم استدعى الخليفة أبا جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه والتبرك بدعائه.(١)

وهذا الموقف من الخليفة المقتدي يبين مدى تمسكه بالسنة رحمه الله، واحترامه وتقديره لأهلها الداعين لها من العلماء، وهو يسير بذلك بركب آبائه القادر والقائم رحمهما الله تعالى.

وبهذا يتبين مدى قوة الجهود التي قام بها الخلفاء العباسيون السنيون، وعلى رأسهم الخليفة المتوكل رحمه الله ناصر السنة وقامع البدعة ضد المعتزلة والرافضة الذين اتحدوا في المذهب بعد تناقض عجيب.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١١٥.

المبحث الرابع
أثرهم تجاه المرجئة

المرجئة لغة: من الإرجاء، وهو التأخير، يقال: أرجأ الأمر إذا أخره، وقُرئ: أرجه وأرجئه[1]، قال تعالى: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾[2] أي تؤخر من تشاء منهن[3]، وقال سبحانه: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾[4] أي أخره[5].

والمرجئة فرقة نشأت في القرن الأول الهجري، وكان المحور الأساسي في مخالفتها لأهل السنة موضوع الإيمان ودخول الأعمال في مسماه، فالمرجئة بجميع أنواعها ترى عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأن الإيمان مجرد المعرفة، أو التصديق بالقلب، أو اللسان، أو بالقلب واللسان فقط، وعليه قالوا: إن الإيمان لا يضر معه معصية، كما أن الكفر لا تنفع معه طاعة.

قال الشهرستاني:"الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة".[6]

وترجع نشأة المرجئة إلى النصف الأول من القرن الأول، بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانتهاء معركتي الجمل وصفين، فاحتار الناس في أمر عثمان وعلي وطلحة والزبير رضي

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٦٤/٥.

(٢) الأحزاب: ٥١.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٥/٦.

(٤) الأعراف: ١١١.

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير، ٤٥٦/٣.

(٦) الملل والنحل، الشهرستاني، ١٣٧/١.

الله عنهم أجمعين، فخرجت المرجئة الشكاك الذي قال عنهم الحافظ ابن عساكر:"وأما المرجئة فهم الشكاك الذين شكوا، فكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس فيهم اختلاف، فقالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس فيكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوما وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول كان عليّ أولى بالحق وأصحابه، كلهم ثقة، وعندنا مُصَدَّق، فنحن لا نتبرأ منهما، ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله، حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما"[(١)] وهذا الأمر كان بعد عام(٣٨هـ).

ثم ظهرت بدعة عدم تولي عثمان وعلي رضي الله عنهما، وكان أول من تكلم بها الحسن بن محمد بن الحنفية[(٢)] الذي توفي عام(٩٩هـ) وكان قد اجتمع عنده قوم، فتكلموا في أمر عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم أجمعين، فأكثروا فقال حينئذ:"قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئا أمثل من أن يرجأ علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، فلا يتولوا، ولا يتبرأ منهم"[(٣)] فكان هنا المنزلق حيث اتخذ الناس هذا الكلام مدخلا للإرجاء، حتى قال أحد الحاضرين بعد قيام الحسن من مجلسه:"ليتخذن هؤلاء هذا الكلام إماما"[(٤)] وقد بلغ أباه محمد بن الحنفية ما قال، فضربه بعصا فشجه، وقال:"لا تولى أباك عليا؟!"[(٥)] ثم كتب الحسن الحسن رسالة ثبّت فيها الإرجاء بعد ذلك، ثم ندم على كتابة هذه الرسالة، حيث دخل

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٩/٤٩٦.

(٢) هو الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي، أبو محمد الهاشمي، أخو عبدالله، كان الحسن أجل الأخوين، وأفضلهما، وكان من علماء أهل البيت، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدا أعلم بما اختلف فيه الناس من الحسن بن محمد. مات سنة(١٠٠ه) أو في التي قبلها، وهو أحد رواة حديث النهي عن المتعة ولحوم الحمر الأهلية. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/١٣٠-١٣١.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٣/٣٨٠.

(٤) القائل هو عم عثمان بن إبراهيم بن حاطب. ينظر: المصدر السابق، ١٣/٣٨٠.

(٥) المصدر السابق، ١٣/٣٨١.

زاذان[1]وميسرة[2] عليه فلاماه على ذلك، فقال لزاذان:"يا أبا عمر لوددت أني كنت مت ولم أكتبه".[3]

والملاحظ هنا أن الإرجاء الذي قال به الحسن بن محمد ليس هو الإرجاء المتعلق بالإيمان، وإخراج العمل عن مسماه، كما هو حال المرجئة المتأخرين، قال ابن حجر:"المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك إني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور... قال: أما بعد فإنا نوصيكم بتقوى الله. فذكر كلاما كثيرا في الموعظة والوصية لكتاب الله، واتباع ما فيه، وذكر اعتقاده، ثم قال في آخره: ونوالي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ونجاهد فيهما، لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة، ولم تشك في أمرهما، ونرجىء من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فنكل أمرهم إلى الله. إلى آخر الكلام، فمعنى الذي تكلم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين في الفتنة، بكونه مخطئا أو مصيبا، وكان يرى أنه يرجىء الأمر فيهما، وأما الإرجاء الذي تعلق بالإيمان فلم يعرج عليه، فلا يلحقه بذلك عتاب، والله أعلم".[4]

---

(١) هو زاذان أبو عمر الكندي، مولاهم الكوفي، البزاز، الضرير، أحد العلماء الكبار، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد خطبة عمر بالجابية، وكان ثقة، صادقا، روى جماعة أحاديث، قال زاذان: كنت غلاما حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي، وعندنا نبيذ، وأنا أغنيهم، فمر ابن مسعود، فدخل، فضرب الباطية – أي إناء الخمر –، بددها، وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن، كنت أنت أنت. ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود. فأُلقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل علي، فاعتنقني، وبكى، وقال: مرحبا بمن أحبه الله، اجلس. ثم دخل، وأخرج لي تمرا، مات سنة(١٠٢ه). ينظر: المصدر السابق، ٤/٢٨٠-٢٨١.

(٢) ميسرة: هو من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن الذين يروون عنه، واسمه مقترن باسم زاذان دائما، ولكني لم أستطع أن أحدده، فالذين يطلق عليهم ميسرة ورووا عن علي رضي عنه، وهم من الثقات ذكرهم ابن حبان في ثقاته وهم: ميسرة أبو صالح مولى كندة كوفى، ميسرة بن عزيز الكندي، ميسرة المرادي، ميسرة أبو جميلة الطهوي. ينظر: ثقات ابن حبان، ٥/٤٢٦-٤٢٧.

(٣) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٣/٣٨١.

(٤) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٢/٢٧٦.

أما الإرجاء المشهور المخالف لمذهب أهل السنة في مسائل الإيمان، فقد نشأ بعد هزيمة ابن الأشعث[1]حوالي عام(٨٣هــ)[2]قال قتادة:"إنما أحدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث".[3]

وقد صنف شيخ الإسلام هؤلاء المرجئة إلى ثلاثة أصناف، وهي:

أولا: الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب، وهؤلاء على قسمين:

منهم من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة.

ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم بن صفوان ومن اتبعه كالصالحي[4]، وهذا هو الذي نصره أبو الحسن الأشعري وأكثر أصحابه.

ثانيا: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.[5]

ثالثا: من يقول: إنه تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم، وهم حماد بن أبي سليمان وتلميذه أبو حنيفة وأصحابه.[6]

وقد ذكر الدكتور ناصر العقل هذه الأصناف التي ذكرها شيخ الإسلام وزاد عليها صنفين آخرين وهما:

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير، من القادة الشجعان الدهاة، وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي، سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان، فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصونا وغنائم، وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك وأنه يرى ترك التوغل في بلاد رتبيل إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها، فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز، فخرج ابن الأشعث على إثر ذلك على الحجاج وعبدالملك بن مروان، وكانت بينهم وقائع انتهت بهزيمة ابن الأشعث وقتله سنة(٨٥ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٣٢٣-٣٢٤.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٣/٦٣٥.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ابن بطة، كتاب الإيمان، ٨٨٩.

(٤) هو محمد بن مسلم أبو الحسين الصالحي، من أهل البصرة، أحد المتكلمين على مذهب الإرجاء، ورد بغداد حاجاً، واجتمع إليه المتكلمون، وأخذوا عنه، وله من المصنفات كتاب الإدراك الأول - وكتاب الإدراك الثاني. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٥/١٩.

(٥) الكرامية: هم أصحاب محمد بن كرام، يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له. ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١٢٠-١٢١.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى، الإيمان الكبير، ابن تيمية، ٧/١٩٥.

أولا: الذين أرجؤوا الحكم في صاحب الكبيرة وتارك الفرائض في الآخرة، فلا يحكمون له لا بجنة ولا بنار، وهذا الصنف مذموم، لأن أصحابه يرون أن العمل والترك لا يضر مع المعرفة والتصديق[1]، وهذا القول فرع عن قول الجهمية، إلا أن الجهمية يحكمون لمن عرف الرب بالجنة مطلقا مهما عمل أو ترك، أو هو لازم قولهم.

ثانيا: الذين أرجؤوا أمر المختلفين في صفين والجمل، ومنهم طوائف من القدرية والمعتزلة والجهمية، والذين أرجؤوا أمر علي وعثمان، وهؤلاء وإن كان رأيهم مرجوحا فإن عثمان أفضل من علي، وطائفة علي أفضل من طائفة معاوية، لكن القائلين بهذا النوع من الإرجاء لم يذمهم السلف[2]، وهذا الصنف هو المذكور في بداية هذا المبحث.

وقد هب السلف رضوان الله عليهم بالرد على المرجئة، لإخراجهم العمل عن مسمى الإيمان، وقولهم: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وتحريمهم الاستثناء فيه، فمنهم من صنف كتابا مستقلا للرد عليهم وسماه (الإيمان) مثل: الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، والإمام ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، والإمام أبي عبدالله العدني (ت٢٤٣هـ)، والإمام ابن منده (ت٣٩٥هـ).

ومنهم من صنف في عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين عامة، وذكر المرجئة من ضمنهم ورد عليهم: كالإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) في كتابه (أصول السنة)، والكتب التي عنونت بـ (السنة) للأئمة: ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ) وعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ) ومحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ) وغيرهم.

أما الخلفاء العباسيون فإنني-حسب إطلاعي-لم أجد في سيرهم شيئا يدل على موقفهم تجاه المرجئة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن السلف بالرغم من ردودهم على

---

(١) مقدمة فتح الباري (هدي الساري)، ابن حجر، ٤٥٩.

(٢) ينظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ناصر العقل، ١٨٩/٢.

المرجئة، وهجرهم لهم، وتبديعهم إياهم، إلا أنهم لم يكفروهم[١]، خاصة وأن أكثر الذين قالوا بإرجاء الفقهاء كانوا من الثقات كأبي حنيفة (ت١٥٠هـ)[٢] وسالم بن عجلان الأفطس (ت١٥٣هـ)[٣]ومسعر بن كدام (ت١٥٥هـ)[٤] وعمر بن ذر (ت١٥٦هـ)[٥] وعبدالعزيز بن أبي رواد (ت١٥٩هـ)[٦] وغيرهم.

أما عن خالد بن سلمة المخزومي[٧] المعروف بالفأفاء[٨] والذي قتل من قبل جيوش بني العباس عام(١٣٢هـ)[٩] وكان قد رمي بالإرجاء، وبالنصب[١٠]، فإن قتلهم له لم يكن من أجل قوله بالإرجاء والنصب، إنما كان من أجل أمور سياسية.[١١]

والخليفة المأمون وردت عنه مقولة في ذم المرجئة، وذلك عندما دخل عليه النضر بن شميل، فقال له المأمون: كيف أصبحت يا نضر. قال النضر: بخير يا أمير المؤمنين. قال: أتدري ما الإرجاء؟ قال: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقص من دينهم. قال

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٥٠٧/٧.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٩٠/٦-٤٠٣.

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٣٨٢/٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٠٣/١٠.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٨٦/٦.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١٨٤/٧-١٨٧.

(٧) هو خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي، المخزومي، الكوفي، الإمام، الفقيه، أبو سلمة، الفأفاء، هرب إلى واسط من بني العباس، فقتل بها مع الأمير ابن هبيرة، كان مرجئا، ينال من علي رضي الله عنه، وهو من عجائب الزمان، كوفي، ناصبي، ويندر أن تجد كوفيا إلا وهو يتشيع. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٧٣/٥-٣٧٤.

(٨) الفأفاء: على فَعْلالٍ، وهو الذي يُكْثِر ترْدادَ الفاء إِذا تَكلَّم، والفَأْفَأَةُ حُبْسةٌ في اللسان وغَلَبةُ الفاءِ على الكلام. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٦٧/١٠.

(٩) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٦٧/١٣.

(١٠) ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، ٢٥٩/١، والنصب: أي مناصبة العداء لآل البيت.

(١١) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٦٧/١٣.

المأمون: صدقت. ثم قال: تدري ما قلت في صبيحة يومي هذا؟ قال النضر: أنى لي بعلم الغيب؟ قال: أصبحت وأنا أقول:

أصبح ديني الــذي أديـــــن بـــه ... ولســـت منـــه الغـــداة معتـــذرا

حـــب عليٍّ بعـــد النـــــبي ولا ... أشـــــتم صـــــديقنا ولا عمـــــرا

وابن عفان في الجنان مع الأبــــــ ... ـــرار ذاك القتيـــل مصـــــطبرا

لا لا ولا أشـــــــتم الــــــزبير و ... لا طلحة إن قـــال قائـــل غـــدرا

وعـــــائش الأم لســـت أشـــتمها ... من يفتريها فـــنحن منـــه بـــرا[1]

ويتضح من هذا الموقف أن المأمون يقصد بذم الإرجاء هنا الإرجاء الذي قال به الحسن ابن محمد بن الحنفية، وليس الإرجاء بالمعنى الذي استقر عليه أخيرا، ومن الممكن أن يكون قصده الإرجاء بالمعنى الأخير لأن المأمون كان معتزليا، والمعتزلة كانوا أعداء للمرجئة بسبب اختلافهم في الإيمان، وفي مرتكب الكبيرة.

والذي أراه أن المأمون لم يكن يقصد الإرجاء بمعناه الأخير، لأن بشرا المريسي كان من حاشية المأمون والمقربين إليه، وهو الذي ناظر عبدالعزيز الكناني في خلق القرآن بحضرة المأمون[2]، وبشرٌ هذا كان من المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق، والتصديق يكون بالقلب واللسان جميعا[3]، وفرقة المريسية المرجئة تنتسب إليه.[4]

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٨٦/٣٣.

(٢) وهذه المناظرة موجودة في: كتاب الحيدة، لعبدالعزيز الكناني.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١٢٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٢٠.

أما عن محمد بن كرام[1] الذي قال بأن الإيمان قول باللسان فقط، فقد ذكر ابن عساكر أنه لما قال بهذا القول في مجلسه الذي كان يعلِّم فيه، قام الذين كانوا يكتبون عنه بحرق ما كتبوا عنه، ونفاه والي الرملة[2]عنها لذلك[3]، وكان والي نيسابور قد حبسه قبل ذلك على بدعته.[4]

وذكر ابن الجوزي أن ابن كرام مكث في نيسابور أربع عشرة سنة، ثمانية منها في السجن، ثم خرج من نيسابور في شوال سنة(٢٥١هـ)، وتوفي ببيت المقدس في صفر سنة(٢٥٥هـ)[5]، وهذا يعني أنه عاصر الخليفة المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وكانت نيسابور وبيت المقدس تابعة للعباسيين في ذلك الوقت.

(١) هو محمد بن كرام بن عراق بن حزابة بن البراء، أبو عبدالله السجستاني، شيخ الطائفة المعروفة بالكرامية، ولد بقرية من قرى زريح، ونشأ بسجستان، ثم دخل بلاد خراسان، وسمع الحديث، وأكثر الرواية عن أحمد بن عبدالله الجوبياري، ومحمد بن تميم الفاريابي، وكانا كذابين، قال ابن الجوزي: وقد صرح في كتبه بأن الله جسم تعالى عن ذلك، ومن مذهب الكرامية: أن الله سبحانه مماس لعرشه، وأن ذاته محل للحوادث، في هذيانات، فلا هو سكت سكوت الزاهدين، ولا تفلق بكلام المتكلمين. وقال ابن حبان: كأنه خذل حتى التقط من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أوهاها. توفي سنة(٢٥٥هـ). ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥٥/١٢٧-١٣٠، والمنتظم، ابن الجوزي، ٩٧/١٢.

(٢) الرملة: واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٦٩/٣.

(٣) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٣٠/٥٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٢٨/٥٥.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٩٨/١٢.

الفصل الثاني

أثر خلفاء بني العباس تجاه الزنادقة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم ضد الباطنية.

المبحث الثاني: أثرهم ضد الشعوبية.

المبحث الثالث: أثرهم ضد الصوفية الاتحادية.

المبحث الرابع: أثرهم ضد سائر الزنادقة.

الفصل الثاني

أثر خلفاء بني العباس تجاه الزنادقة

الزنديق: مأخوذ من الزندقة، وجمعه زنادقة، وأصلها بالفارسية زنده[١]، أو زندكر[٢]، أو زَنْدِ كِراي[٣]، والزنديق: هو الذي يقول ببقاء الدنيا[٤] أو الدهر[٥]، أو هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، وكان يسمى منافقا، ثم تحول إلى زنديق[٦]، أو هو الذي لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق[٧]، أو القائل بالنور والظلمة[٨]، وهم الثنوية[٩].

وقد ظهر اسم الزندقة في أيام ماني بن فاتك[١٠]، وذلك أن الفرس حين أتاهم زَرَادشت ابن أسبيمان[١١] بكتابهم المعروف بالبستاه' وعمل له تفسيرا أسماه الزند' وعمل لهذا التفسير شرحاً سماه البازند، وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل، وكان مَنْ أورد في

(١) ينظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٩٠/٦.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٦١٦/٦.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩١/٦.

(٤) ينظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٩٠/٦.

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٦١٦/٦.

(٦) ينظر: المطلع على أبواب الفقه، أبو الفتح البعلي الحنبلي، ٣٧٨.

(٧) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩١/٦.

(٨) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢٣٥/٣.

(٩) ينظر: الصحاح في اللغة، الجوهري، ١٤٨٩/٤.

(١٠) هو ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢٦٨/٢-٢٦٩.

(١١) هو زرادشت بن بورشف بن فذراسف بن أريكدسف بن هجدسف بن حجيش بن باتير بن أرحدس بن هردار بن أسبيمان بن واندست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشهر الملك، وكان من أهل أذربيجان، والأشهر من نسبه أنه زرادشت بن أسبيمان، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس، واسمه عند المجوس بستاه، وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات، والكليات: هي الأشياء العامة، والجزئيات: هي الأشياء الخاصة. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٢٢٩/١.

شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه، وعَدَل إلى التأويل الذي هو الزند، قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويلٍ هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق، وعَّربوه، والثنوية هم الزنادقة، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد قدم العالم وأبى حدوثه[1]، ثم توسع في لفظ لفظ الزنديق، فصار يطلق على كل شاك، أو ضال، أو ملحد.[2]

وقد قال منصور بن المعتمر[3]:"ما هلك دين قط حتى تخلف فيهم المنانية"فقال الحجاجُ بن دينار[4]:"وما المنانية؟"قال:"الزنادقة".[5]

ديوان الزنادقة:

وقد كان الخليفة المهدي من أبرز الخلفاء العباسيين وأحرصهم على استئصال الزنادقة في جميع الآفاق، وذلك لأنه رأى أن تيارات الزندقة لم يقتصر ظهورها على شكل الثورة المسلحة، بل امتدت إلى مدينة بغداد وكثير من مدن بلاد العراق وفارس، وتزندق عدد من عامة الناس فضلا عن بعض وجوه القوم، والشعراء، والأدباء، فأدرك المهدي أن تعاليم الزندقة تهدد الإسلام بخطر عظيم، فضلا عن تهديدها لكيان الدولة العباسية التي قامت على أساس ديني، وتهديدها للمجتمع المسلم.

لذا أنشأ الخليفة المهدي (ديوان الزنادقة)، واجتهد في طلب الزنادقة في الآفاق والبحث عنهم، وأصبح رئيس هذا الديوان يطلق عليه اسم (صاحب الزنادقة) وعهد إليه المهدي بتتبع الزنادقة وقتلهم، والعمل على محو تعاليمهم من النفوس بالتوعية والنصح

---

(١) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ١٠٨/١.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، جماعة من المؤلفين، ٤٠٣.

(٣) هو منصور بن المعتمر بن عبدالله السلمي، أبو عتاب، من أعلام رجال الحديث، من أهل الكوفة، ولم يكن فيها أحفظ للحديث منه، وكان ثقة ثبتا، وكان من الزهاد العباد، توفي سنة(١٣٢ه). ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ١٢١ه-١٤٠ه) الذهبي، ٥٤٦.

(٤)حجاج بن دينار السلمي الواسطي، وثقه العلماء. ينظر: الجرح والتعديل، الرازي، ١٥٩/٣-١٦٠.

(٥) الرد على الجهمية، الدارمي، ٢٥.

والإرشاد، يقول ابن الطقطقي:"كان المهدي شهماً فطناً كريماً، شديداً على أهل الإلحاد والزندقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم، وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه في الفتوق، والحوادث، والخوارج".[1]

وكذلك فعل ابنه من بعده الخليفة الهادي، فشرع في تطلب الزنادقة في الآفاق، فقتل منهم طائفة كثيرة، واقتدى في ذلك بأبيه.[2]

وأيضا قام الخليفة هارون الرشيد بعدهما بذلك، فتتبع خلقا منهم، وقتل منهم طائفة كثيرة[3]، واهتم بوظيفة صاحب الزنادقة للقضاء عليهم.[4]

وقد بيَّن المسعودي سبب كثرة الزندقة في العهد العباسي بأنه:"لما انتشر من كتب ماني، وابن دَيْصَان[5]، ومرقيون[6] مما نقله عبدالله بن المقفع[7] وغيره، وترجمت من الفارسية الفارسية والفهلوية[8] إلى العربية، وما صنفه في ذلك ابن أبي العرجاء[9]، وحماد عَجْرَدٍ[10]،

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ابن طباطبا، ١٧٩، وينظر: تاريخ الطبري، ٥٨٠/٤، والزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما، سميرة الليثي، ١٣١-١٣٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٥٧/١٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٦١/١٠.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٣٧/٣، والوافي بالوفيات، الصفدي، ٤٧/٩.

(٥) هو ميمون بن ديصان القداح، جد الفاطميين، وسيأتي الحديث عنه في مطلب العبيديين.

(٦) الملك مرقيون هو الذي اجتمع إليه الأساقفة النصارى بعد المجمع الخامس، وقرروا أن المسيح إله وإنسان، في المكان مع الله باللاهوت، وفي المكان معنا بالناسوت، ويعرف بطبيعتين تام باللاهوت، وتام بالناسوت، ومسيح واحد، وقرروا أيضا أن الآلهة ثلاثة لم تزل صالح، وطالح، وعدل بينهما. ينظر: هداية الحيارى، ابن القيم، ٣٤١، ٣٥٠-٣٥١.

(٧) سيأتي ذكره في مبحث الشعوبية.

(٨) الفهلوية: وهي اللغة الفارسية الأولى قبل تحولها إلى الثانية. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٣٦٦/١.

(٩) سيأتي ذكره في مبحث أثر خلفاء بني العباس ضد سائر الزنادقة.

(١٠) هو الشاعر حماد بن عمر بن يونس بن كليب مولى لبني سوأة بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا عمرو، وهو كوفي، كان من أهل واسط، ويقال: إن أعرابيا مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان، فقال له: تعجردت يا غلام. فسمي عجرد، والمتعجرد المتعري، وكان خليعا ماجنا ظريفا، وهاجى بشار بن برد وهو فحل الشعراء المجيدين فانتصف منه، وكان بشار يضج منه، وقدم بغداد في أيام المهدي، قال علي بن الجعد: قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم: حماد عجرد، ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى بن زياد، فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون =

ويحيى ابن زياد[1]، ومطيع بن إياس[2] من تأييد المذاهب المانية، والدَّيْصَانية، والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس، وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شُبَهَ الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين".[3]

وفي هذا الفصل سيتبين بإذن الله موقف الخلفاء العباسيين من الزنادقة المعاصرين لهم من الباطنية والشعوبية والاتحادية وسائر أنواع الزنادقة.

خبثا ومجانة. وقال عمر بن شبة: كان مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ويحيى بن حصين، ويحيى بن زياد، يقولون بالزندقة، مات سنة(١٦١هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٤٨/٨، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢١٣/٢.

(١) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن عبدالله بن عبد المدان وهو عمرو بن الديان وهو يزيد بن قطعن بن زياد بن الحارث ابن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب، يكنى أبا الفضل، وكان شاعراً أديباً ظريفاً ماجناً خليعاً، ومنزله الكوفة، وكان صديق مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ورمي بالزندقة، مات سنة(١٦٠هـ). ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، ٥٦١، والأعلام، الزركلي، ١٤٥/٨-١٤٦.

(٢) هو مطيع بن إياس الكناني، من بني ليث بن بكر، وقيل هو من بني الديل بن بكر، يكنى أبا سلم، وهو من ظرفاء أهل الكوفة ومجانهم، وكان في صحابة المنصور، ثم انقطع إلى ابنه جعفر بن أبي جعفر، وهو يتهم بالزندقة، مات سنة(١٦٦هـ). ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، ٥٢٥، والأعلام، الزركلي، ٢٥٥/٧.

(٣) مروج الذهب، المسعودي، ٣١٥/٤.

المبحث الأول

أثرهم ضد الباطنية

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: البابكية (الخرمية).

المطلب الثاني: الإسماعيلية.

المطلب الثالث: العبيديون.

المطلب الرابع: القرامطة.

المطلب الخامس: الدروز.

المطلب السادس: النصيرية.

المبحث الأول

أثرهم ضد الباطنية

الباطنية فرقة متسترة بالتشيع وحب آل البيت مع إبطان الكفر المحض، وسميت بذلك لأنها ترى أن لكل ظاهر باطناً، والظاهر هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والباطن هو علم التأويل الذي يزعمون أنه لا يعرفه إلا هم، وهو لب الدعوة عندهم، ويرون أن الفرائض والسنن هي عبارة عن رموز وإشارات لا حقيقة لها(١)، وقد كفّر العلماء هذه الفرقة، وعدها مؤرخو الفرق من الفرق الخارجة عن الإسلام.(٢)

والباطني هو الرجل الذي يكتم اعتقاده، فلا يظهره إلا لمن يثق به، وقيل: هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقيل: هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، فلفظ الباطني يدل إذن على ثلاثة معاني.(٣)

قال ابن الجوزي:"الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق، وأن محمدا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر. وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة".(٤)

وقال أبو حامد الغزالي:"أما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا و الأسرار و البواطن و الأغوار، وقنع بظواهرها مسارعا

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ١٩-٢٢.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٨١، والفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ٢٤٧/١ و ٢٨٨-٢٨٩، ١٦٧/٣، التبصير في الدين، الإسفراييني، ٢٢، وفضائح الباطنية، الغزالي، ١٤٦ وما بعدها، والملل والنحل، الشهرستاني، ١٩٣/١، وغيرهم.

(٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١٩٤، وينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢٠١/١.

(٤) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٦٢٢.

إلى الاغترار، كان تحت الأواصر والأغلال معنًى بالأوزار والأثقال، وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية".[1]

وهذه الفرقة من أعظم الفرق خطرا على الإسلام وأهله، لذا يقول البغدادي: "اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوēم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدēا على أربعين يوما، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر".[2]

نشأة الباطنية:

وأصل نشأة الباطنية أن جماعة من اليهود والمجوس وملاحدة الفلاسفة في بلاد الفرس لما قهرهم انتشار الإسلام اجتمعوا وتشاوروا لوضع مذهب، القصد منه تشتيت المسلمين، وبلبلة الأفكار حول معاني القرآن العظيم، حتى يفرقوا بين المسلمين، فوضعوا هذا المذهب الهدّام، ودعوا إليه، وانتسبوا إلى آل البيت، وادعوا أنهم من شيعتهم، ليكون أبلغ في إغواء العوام، فاقتنصوا خلقا كثيرا من الجهال، فأضلوهم عن الحق[3]، وكان ظهورهم في القرن الثالث من الهجرة.[4]

وقد ذكر البغدادي عن أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة، منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق' وكان من

---

(١) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ١١.

(٢) الفرق بين الفرق، الخطيب البغدادي، ٢٨٢.

(٣) ينظر: كشف أسرار الباطنية، الحمادي، ٧١ وما بعدها.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٢/٢٨٧، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/٣٦٣.

الأهواز[١]، ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدندان[٢] اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان في سجن والي العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدعوة من ناحية توز[٣]، فدخل في دينه جماعة من الناس، ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات و لم يعقب كما هو معلوم عند علماء الأنساب.[٤]

ويذكر ابن الأثير أن أعداء الإسلام لما يئسوا من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم، بأمور قد ضبطها المحدّثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه، فكان أوّل من فعل ذلك أبو الخطّاب الأسدي[٥]، وأبو

---

(١) الأهواز: جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة، لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء، ثم تلقفها منهم العرب فقلبت بحكم الكثرة في الاستعمال، وعلى هذا يكون الأهواز اسما عربيا سمي به في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا، منها: خوز بني أسد، وغيرها، فالأهواز اسم للمنطقة بأسرها، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز، وأصل الحوز في كلام العرب مصدر حاز الرجل الشيء يحوزه حوزا إذا حصله وملكه، وهي منطقة بين البصرة وفارس، وسوق الأهواز من مدنها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) هو محمّد بن الحسين بن جهار بخار، ويلقّب بدندان، وكان يتولّى نواحي كرْج وأصبهان، وله نيابة عَظيمة فيها، وكان من كبار الشعوبية، يبغض العرب، ويجمع مساويهم، وهو أول من قام بالدعوة إلى مذهب الباطنية، ابتدأ الدعوة في أكراد جبال توز، حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بدين، وكان كل من طمع في نواله تقرب إليه بذم العرب. ينظر: التبصير في الدين، الإسفراييني، ١٤١، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/٤٤٩، ونهاية الأرب، النويري، ٢٨/٤١.

(٣) تَوَّز: بالفتح وتشديد ثانيه وفتحه، ويقال لها توج، مدينة بفارس، شديدة الحر لأنها في غور من الأرض، ذات نخل، وبناؤها باللبن، بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخا، لكن اسم توج غالب عليه، وقد فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة(٥١٨) أو (٥١٩). ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٥٦ و ٥٨.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ٢٨٢.

(٥) سيأتي الحديث عنه.

شاكر ميمون بن ديصان، صاحب كتاب (الميزان في نصرة الزندقة)، وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أنّ لكلّ شيء من العبادات باطناً، وأنّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه شيئا، ومن عرف الأئمّة والأبواب، فلا صلاة، ولا زكاة، ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئاً، وأباحوا لهم نكاح الأمّهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامّة ساقطة عن الخاصّة.[1]

والذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، و لم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسسا، مَنْ قَبِلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن، وسنن النبي صلى الله عليه وسلم على موافقة أسسهم، فالمجوس من الثنوية يقولون: إن النور والظلمة صانعان قديمان، وزعماء الباطنية في كتبهم يقولون: إن الإله خلق النفس، فالإله هو الأول، والنفس هي الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وربما سموهما العقل والنفس.[2]

وقد حاولوا إظهار عبادة النار، فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تجمر المساجد كلها، وأن تكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال، وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبدا، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة.[3]

ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة، أو إلى مثل أحكام المجوس، والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر، وجميع اللذات.[4]

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/٤٤٨.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ٢٨٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٨٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٨٦.

وللباطنية فرق كثيرة تشعبت منها واشتهرت بها منها: البابكية الخرمية، والإسماعيلية، والعبيديون، والقرامطة، والدروز وهم من الإسماعيلية، والنصيرية، وسيتبين في المطالب التالية موقف الخلفاء العباسيين من هذه الفرق إن شاء الله.[1]

إلا أنه وجد بعض الشخصيات التي انتهجت المذهب الباطني ولم يبين أصحاب التواريخ انتسابهم لأي فرقة من فرق الباطنية منهم:

رستم بن علي الديلمي الذي كان بالري، فقد ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة القادر بالله في سنة(٤٢٠هـ) يبشره بأنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلا ذريعا، وصلبا شنيعا، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثا وثلاثين ولدا بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك[2]، وقد استن يمين الدولة في عمله هذا بسنة الخلفاء العباسيين في الرافضة والباطنية وسائر طوائف الضلالة.

وكان مما ورد في الكتاب قولُ يمينِ الدولةِ أبي القاسم محمود:"وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة، وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة، والمبتدعة الفجرة، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها، وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها، يختلطون بالمعتزلة المبتدعة، والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة، يتجاهرون بشتم الصحابة، ويسرون اعتقاد الكفر، ومذهب الإباحة"وقال أيضا:"وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم، شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة، وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل، والقطع،

---

(١) وقد اكتفيت بهذه الفرق خاصة من دون باقي الفرق الباطنية لأنهم هم الذين وجدتُ للخلفاء العباسيين موقفا تجاههم أثناء استقرائي للتاريخ العباسي.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٢٦.

والنفي على مراتب جناياتهم، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم ولا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن.

وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يعرفون شرائط الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، ويعتقدون ذلك ديانة، والأمثل منهم يتقلد مذهب الاعتزال، والباطنية منهم لا يؤمنون بالله عز وجل، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأنهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال، والفروج، والدماء، وحكموا بأن رستم بن علي كان يظهر التستر"وقال أيضا:"وأن ناحية من سواد الري قد خصت بقوم من المزدكية، يدّعون الإسلام بإعلان الشهادة، ثم يجاهرون بترك الصلاة، والزكاة، والصوم، والغسل، وأكل الميتة، فقضى الانتصار لدين الله تعالى بتميز هؤلاء الباطنية عنهم، فصلبوا على شارع مدينةٍ طالما تملكوها غصباً، واقتسموا أموالها نهباً، وقد كانوا بذلوا أموالاً جمة يفتدون بها نفوسهم، فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض، وحُوِّل رستم بن علي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان، وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنتهم...وحُوِّل من الكتب خمسون حملاً ما خلا كتب المعتزلة، والفلاسفة، والروافض، فإنها أحرقت تحت جذوع المصلوبين، إذ كانت أصول البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض، وانتصرت السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة".[1]

ومن خلال هذا الكتاب تتبين عقائد الباطنية الفاسدة، ويتبين أيضا موقف الخليفة القادر بالله من هذه الطائفة الإباحية.

وقد شجع الخليفة القادر بالله القاضي علي بن سعيد الأصطخري[2] عندما صنف له كتاب (الرد على الباطنية) فأجرى عليه جراية سنية، فلما توفي نقل جرايته إلى ابنته.[3]

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٩٤-١٩٦.

(٢) هو أحد شيوخ المعتزلة، توفي سنة(٤٠٤هـ). ينظر: الملوك الزاهرة، ابن تغري بردي، ٤/٢٣٦.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١٠٠.

ومن هذه الشخصيات الباطنية أيضا أحمد بن عبدالملك بن عطاش وولده اللذين قتلهما السلطان محمد بن مَلِكْشاه عام(٥٠٠هـــ) وكان أحمد بن عبدالملك بن عطاش هذا قد استولى على قلعة[١] على رأس جبل في أصبهان كان قد بناها السلطان ملكشاه[٢] والد السلطان محمد، فكان ابن عطاش يرسل أصحابه لقطع الطريق، وأخذ الأموال، وقتل من قدروا على قتله، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى، وقد استولى على هذه القلعة اثنتي عشرة سنة، فلما سيقت الممالك للسلطان محمد اهتم بأمر الباطنية، فنزل بهذه القلعة، فحاصرها سنة فأرسلوا إليه أن ينفذ إليهم من يناظرهم، فأنفذ فلم يرجعوا، ثم ضاق الأمر بهم فأذعنوا بالطاعة فأخرجهم إلى أماكن التمسوها ونقضها وخربها في ذي القعدة من هذه السنة، وقتل رئيسها ابن عطاش وسلخه، وقتل ابنه، وبعث السلطان محمد برأس ابن عطاش وابنه إلى بغداد إلى الخليفة المستظهر.[٣]

يقول أبو يعلى ابن القلانسي[٤] المؤرخ بعد ذكره لهذه الحادثة:"وما ذاك إلا من بركات عقائدنا الناصعة في موالاة الدولة العباسية ظاهر الله مجدها، وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة والمشايعة فيها نحن نسطو بالأعادي، ونكفي من اعتراض النوائب كل

---

(١) هذه القلعة هي قلعة شاه دز الذي دل على موضعها كلب، وأشار ببنائها كافر. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٦٧/١٢.

(٢) هو ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن جغريبك السلجوقي التركي، السلطان الكبير، جلال الدولة، أبو الفتح، تملك بعد أبيه، ودبر دولته النظام الوزير بوصية من ألب أرسلان إليه، تملك من المدائن ما لم يملكه سلطان، وكان حسن السيرة، لهجا بالصيد واللهو، مغرى بالعمائر، وحفر الأنهار، وتشييد القناطر، والأسوار، وعمر ببغداد جامعا كبيرا، وأبطل المكوس والخفارات في جميع بلاده، وصنع بطريق مكة مصانع، وأمنت الطرق في دولته، وانحلت الأسعار، وتزوج الخليفة المقتدي بابنته، وتزوج المستظهر بالله بخاتون ابنته الأخرى، وكان ملكشاه كثير الجيوش، خفيف الركاب، توفي سنة(٤٨٥ه) عن تسع وثلاثين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٥٤-٥٨.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/١٠١-١٠٢، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩/١٠٧-١٠٩.

(٤) هو حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي العميد الدمشقي، ويعرف بابن القلانسي، أبو يعلى، مؤرخ ثقة، من أهل دمشق، تولى رئاسة كتابها مرتين، وكان فاضلا أديبا مترسلا، له إنشاء جيد، وشعر حسن، وعناية بالحديث، جمع تاريخ دمشق وسماه (ذيل تاريخ دمشق)، وذكر في أوله طرفاً من أخبار المصريين، وبعض حوادث السنين، توفي سنة(٥٥٥ه). ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣١٧/٥، والأعلام، الزركلي، ٢٧٦/٢.

العوادي، ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي، وهذه البشرى التي يهنأ بها الإسلام، وترفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام، أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى، لا سيما الدارة العزيزة ظاهر الله مجدها، فإنها أولى من يبشر بمثلها ويهنأ، وأنهينا بالأمير عز الدولة[1] إلى إيصال هذه البشارة إلى الديوان العزيز النبوي، أعلى الله جده، فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقدر هذه النعمة، وهذا الأمير كان من المندوبين أولاً وأخراً لمحاصرة هذه القلعة، فأبلى فيها بلاءً حسناً جميلاً، وأغنى غنائم نجد له فيه عديلاً...".[2]

وذكر ابن كثير أن السلطان محمد في هذه السنة حاصر قلاعا كثيرة من حصون الباطنية، وافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منها خلقا كثيرا، وجمعا كبيرا، وجما غفيرا، وكانت هذه القلعة من جملة ما افتتح.[3]

وقد عُرِف الباطنية بقتل العوام والخواص غيلة، ففي عام(٤٨٥هـ) قام أحدهم باغتيال الوزير نظام الملك[4] فقُتِل ذلك الباطني[5]، وفي عام(٥٠٢هـ) قاموا بقتل أبي

---

(١) ليس المقصود هنا عز الدولة بختيار البويهي المتوفى سنة(٣٦٧هـ)، بل هو آخر، ولم أقف له على ترجمة.

(٢) ينظر: تاريخ أبي يعلى، المعروف بذيل تاريخ دمشق، ١٥٥.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٦٦.

(٤) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي، ولد سنة(٤٠٨هـ) عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدر على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبعد صيته، وخدم بغزنة، وتنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جنابه، وازدادت رفعته، واستمر عشرين سنة، وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي، وقتل صائما في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك سنة(٤٨٥هـ)، وكان آخر قوله:لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٩٤-٩٦.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٨/٤٧٨.

المحاسن عبدالواحد الروياني[1]شيخ الشافعية[2]، وفي عام(٥٠٣هـــ) قام جماعة منهم بالوثوب على الوزير أبي نصر ابن نظام الملك[3]، فجرحه، ثم أُخِذ الباطني فسُقِي الخمر، فأقر على جماعة من الباطنية، فأخذوا فقتلوا[4]، وفي عام(٥٢٩هـــ) قام جماعة منهم بقتل الخليفة العباسي المسترشد كانوا قد صحبوا جيشه، وقتلوا معه جماعة من أصحابه، فأُخِذ هؤلاء الباطنية وأُحْرِقوا[5]، وقَتلوا خلقا كثيرا غير هؤلاء.[6]

وقد كان الخلفاء العباسيون يؤيدون الفقهاء في حكمهم على الباطنية بالكفر والإلحاد وأنه يجب قتلهم، فقد قتل رجل باطني أتى من قلاع الباطنية بخوزستان[7] في عهد الخليفة المستظهر بفتوى من الفقهاء منهم ابن عقيل وكان من أشدهم عليه، وشهد عليه بمذهبه شاهدان دعاهما هو إلى مذهبه، وكان الباطني يقول لابن عقيل: كيف تقتلوني وأنا أقول لا إله إلا اللّه؟ قال ابن عقيل: أنا أقتلك. قال: بأي حجة؟ قال: بقول اللّه عز وجل: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[8].[9]

---

(١) هو عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الإمام الجليل أبو المحاسن الروياني، ولد سنة(٤١٥هـ) وكان يلقب فخر الإسلام، وله الجاه العريض، والعلم الغزير، والدين المتين، والمصنفات السائرة في الآفاق، يحكى أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي. كان نظام الملك كثير التعظيم له، وكان نادرة العصر، إماما في الفقه، من رؤوس الأئمة والأفاضل لسانا وبيانا، ولي قضاء طبرستان ورويان من قراها، ومن تصانيفه: البحر – الفروق — الحلية – وغير ذلك، قتلته الملاحدة حسدا، ومات شهيدا سنة(٥٠٢هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ١٩٣/٧–٢٠٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، حوادث ووفيات عام(٥٠١هـــ-٥٢٠هـــ)، ص١٥.

(٣) هو أحمد بن الحسن بن علي الطوسي، ابن نظام الملك، أبو نصر، الوزير، نزيل بغداد، وزر للخليفة وللسلطان، وآخر ما وزر للمسترشد بالله، ثم عزل بعد سنة وشهر، ولزم داره، وكان صدرا محتشما، مات سنة(٥٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٣٦/٢٠.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٧١/١٢.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٩٨/١٧–٢٩٩.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٦٣/١٧.

(٧) خوزستان: هي نواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٠٤/٢–٤٠٥.

(٨) غافر: ٨٤–٨٥.

(٩) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٩/١٧.

المطلب الأول

البابكية (الخرّمية)

تنتسب هذه الفرقة إلى بابك[1] الخرّمي الذي ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثر بها أتباعه، واستباحوا المحرمات، وقتلوا الكثير من المسلمين، وجهز إليه خلفاء بني العباس جيوشا كثيرة مع أفشين الحاجب[2]، ومحمد بن يوسف الثغري[3]، وأبي دلف العجلي[4]، وأقرانهم، وبقيت العساكر في وجهه مقدار عشرين سنة، إلى أن أُخذ بابك وأخوه إسحاق بن إبراهيم، وصلبا بسر من رأى في أيام المعتصم، واتهم أفشين الحاجب بممالأة بابك في حربه، وقتل لأجل ذلك.[5]

(١) بابك: ذكر المؤرخون أنه كان لغير رشده — أي ابن زنا – وأن أمه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى أذربيجان، فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبدالله، فحملت منه، وقتل الرجل، وبابك حمل، فوضعته أمه، وجعلت تكتسب عليه، إلى أن بلغ مبلغ السعي، وصار غلامًا حذورًا، واستأجره أهل قريته على سرحه بطعام بطنه وكسوة ظهره، فزعموا أن أمه أتته ذات يوم بطعامه وهو قائل في ظل حائط، فرأت شعر بدنه قد اقشعر يقطر من رأس كل شعرة قطرة دم، فقالت: إن لابني هذا شأنًا عظيمًا. ينظر: البدء والتاريخ، المطهر المقدسي، ١١٤/٦-١١٥.

(٢) سيأتي الحديث عنه في هذا المطلب.

(٣) هو محمد بن يوسف الثغري الطائي الحميدي، أبو سعيد، من أهل مرو، وكان من قواد حميدٍ الطوسي. ينظر: أخبار أبي تمام، الصولي، ٢٢٧.

(٤) هو القاسم بن عيسى، الأمير، أبو دلف العجلي، صاحب الكرج وواليها، وكان فارساً شجاعاً ممدحاً وشاعراً محسناً، ولي حرب الخرمية فدوخهم وأبادهم، وولي إمرة دمشق للمعتصم، وكان شيعياً غالياً في التشيع، وكان حاضر الجواب، وله كتاب البزاة والصيد – وكتاب السلاح – وكتاب النزه – وكتاب سياسة الملوك – وغير ذلك، وتوفي سنة(٢٢٦ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٠٣/٢٤-١٠٤.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٦٧-٢٦٨.

هذا ما ذكره البغدادي وغيره من مؤرخي الفرق عن هذه الفرقة التي صنفوها في الفرق الخارجة عن الإسلام[1]، وذكر البغدادي أيضا أن هذه الفرقة الإباحية تنقسم إلى قسمين:

الأولى: كانت قبل دولة الإسلام كالمزدكية[2] الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنوشروان[3] في زمانه.

الثانية: خرمدينية[4] ظهروا في دولة الإسلام، وهم فريقان: بابكية ومازيّارية، وكلتاهما معروفة بالمحمرة[5].[6]

فالبابكية هم أتباع بابك الخرّمي، وقد لقبوا بالخرمية نسبة إلى حاصل مذهبهم وزبدته، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات، وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات، وخرم لفظ أعجمي ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان إليه بمشاهدته ويهتز

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٦، والسنة، الخلال، ١/١٥٠، والتنبيه والرد، الملطي، ٢٢، والفصل، ابن حزم، ١/٤٩-٥٠، والتبصير في الدين، الإسفراييني، ١٣٦، وفضائح الباطنية، الغزالي، ١٤، والملل والنحل، الشهرستاني ١/١٧٧، وتلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٦٣٨، ومنهاج السنة، ابن تيمية، ١/٣١٦.

(٢) المزدكية: وهم أهل الإباحة من المجوس الذين نبغوا في أيام قباذ، وأباحوا النساء وإن كن من المحارم وأحلوا كل محظور، وكانوا يسمون خرمدينية. ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ١٤.

(٣) هو أنوشروان بن قبّاذ بن فيروز، أحد ملوك الفرس، ملك بعد والده قبّاذ قرابة ثمان وأربعين سنة، ولما ملك أنوشروان قتل مزدك وأتبعه بثمانين ألفاً من أصحابه، وذلك بين حادر والنهروان من أرض العراق، فسمي من ذلك اليوم أنوشروان، وتفسير ذلك جديد الملوك، وجمع أهل مملكته على دين المجوسية، ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل،وسار أنوشروان في بلاده ودار مملكته فأحكم البنيان، وشيد القلاع والحصون، ورتب الرجال، وغدر بقيصر، فسار نحو الجزيرة، فافتتح ما هنالك من المدن، وانتهى إلى الفرات فعبر إلى الشام فافتتح بها المدن. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ١/٢٦٣.

(٤) الخرمدينية: هم قوم شابهوا المزدكية في المذهب وخالفوهم في المقدمات وسوابق الحيل في الاستدراج. ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ١٤.

(٥) سموا بذلك لأنهم كانوا يلبسون الحمرة. ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ١٧.

(٦) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٦٦.

لرؤيته، وقد كان هذا لقبا للمزدكية(١)، والمازيّارية: هم أتباع مازيّار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان(٢).(٣)

وللبابكية في جبلهم ليلة عيد لهم، يجتمعون فيها على الخمر والزمر، وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم، فإذا أطفئت سرجهم تناهب الرجال النساء، فيثب كل رجل إلى امرأة فيظفر بها، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد، فإن الصيد من أطيب المباحات.(٤)

والبابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين، ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بعض بنات ملوك الفرس، ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء، وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون، وهم يعلمون أولادهم القرآن، لكنهم لا يصلون في السر، ولا يصومون في شهر رمضان، ولا يرون جهاد الكفرة.

وكانت فتنة مازيّار قد عظمت في ناحيته، إلى أن أُخذ في أيام المعتصم أيضا، وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرّمي.(٥)

يتبين من ذلك أن الخليفة العباسي المعتصم قد وقف في وجه هذه الطائفة حتى استطاع بعد عناء طويل القضاء عليهم.

---

(١) ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ١٤.

(٢) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه، وبعض يعدها من هذه، وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي، وليس بالمشرق بعد مجاوزة العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان على مقدارها، وذلك أن بها الثلج والنخل، وبها فواكه الصرود والجروم، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة، وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء منهم البرمكي صاحب المأمون. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/١١٩-١٢٠.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٦٨.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٩، وفضائح الباطنية، الغزالي، ١٥.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٦٨-٢٦٩.

إلا أن هؤلاء الخرمية المحمرة كان ظهورهم قبل عهد المعتصم[1] بكثير[2]، فقد ظهر منهم شرذمة بجرجان في عهد الخليفة المهدي عام(١٦٢هـ)، وكان قائدهم يقال له: عبدالقهار إبراهيم بن أدهم، فغلب على جرجان وقتل بشرا كثيرا، فغزاه عمر بن العلاء[3]من طبرستان[4] فقتل عبدالقهار وأصحابه[5]، وهذا يعني أن ظهور المذهب الباطني الإباحي كان قبل حلول القرن الثالث.

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد عام(١٨٠هـ) ظهرت طائفة من المحمرة بجرجان، واتبعوا رجلا يقال له: عمرو بن محمد العَمَرْكي، وكان ينسب إلى الزندقة، فبعث الخليفة هارون الرشيد يأمر بقتله، فقتل بمرو(٦)، وأطفأ الله نارهم في ذلك الوقت، إلا أنهم خرجوا خرجوا في السنة التي بعدها وغلبوا على جرجان مرة أخرى.(٧) وفي عام(١٩٢هـ) تحرك

---

(١) دام حكم المعتصم من عام ٢١٨هـ إلى ٢٢٧هـ.

(٢) أي تقريبا عام(١١٨هـ) وذلك في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك. ينظر: تاريخ الطبري، ١٦٤/٤.

(٣) هو عمر بن العلاء، من الموالي، عامل المهدي العباسي على طبرستان، ومن كبار قواده، كان جوادا حازما، وكان جزارا من أهل الري، وجمع جمعا، وقاتل"سنفاذ"حين خرج بطبرستان، في أيام المنصور، فأبلى البلاء الحسن، فأوفده جمهور بن مرار العجلي على المنصور، فجعله في جملة القواد، وحضنه، ثم إنه ولي طبرستان، واستشهد بها في خلافة المهدي. ينظر: فتوح البلدان، البلاذري، ٤١٦/٢، والأعلام، الزركلي، ٥٤/٥-٥٥.

(٤) طبرستان: وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل وهي قصبتها، وسارية وهي مثلها، وشالوس وهي مقاربة لها، وربما عدت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وتعرف طبرستان بمازندران. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٣/٤.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٦٥/٤.

(٦) مرو: وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، ومعنى مرو بالعربية الحجارة البيض التي يقتدح بها، إلا أن هذا عربي، ومرو ما زالت عجمية، ثم إن هذه الحجارة لا توجد بها، وتسمى أيضا مرو الشاهجان وهي فارسية معناها (نفس السلطان) لأن الجان هي النفس أو الروح، والشاه هو السلطان، سميت بذلك لجلالتها عندهم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١١٢/٥.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٤٤/٤-٦٤٥، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٧٥/١٠.

الخرمية بناحية أذربيجان فوجه إليهم الخليفة هارون الرشيد عبدالله بن مالك[١] في عشرة آلاف فارس، فأسر وسبى ووافاه بقرماسين[٢]، فأمر بقتل الأسارى، وبيع السبي.[٣]

وفي عام(٢٠١هـ) تحرك بابك الخرمي، واتبعه طوائف من السفلة والجهلة، وكان يقول بالتناسخ[٤]، وأن روح جاويذان[٥] صاحب البذ[٦] قد حلت فيه، وأخذ في العيث والفساد.[٧]

والتناسخ من أهم العقائد التي تدين بها فرق الباطنية ومنها الخرمية، والمقصود بالتناسخ انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر[٨]، وأصل هذه المقالة من جماعة من الصابئة يقال لهم: الحرنانية.[٩]

---

(١) هو عبدالله بن مالك الخزاعي، كان على شرطة المهدي، ومن قواد الهادي الذين أجابوه على خلع الرشيد من ولاية العهد ومبايعة جعفر بن الهادي، ثم كان على شرطة الرشيد، ثم ولاه الرشيد سنة(١٨٩ه) طبرستان والري ودنباوند وقومس وهمذان، وكان مع المأمون في حربه ضد الأمين. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٧٠/٥و٢٧٤و٣٣٢ و٣٣٩و٣٦١.

(٢) قرماسين: بالفتح ثم السكون، قال ياقوت: أظنه في طريق مكة وليست قرميسين التي قرب همذان. ولا أرى ذلك لأن همذان كانت تحت ولاية عبدالله بن مالك، وقرميسين بين همذان وحلوان على جادة الحاج. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٣٠/٤.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ١٢/٥.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٤٨/١٠.

(٥) جاويذان بن سهل، أحد الرؤساء في جبال أذربيجان في منطقة البذ، وكان هو ورئيس آخر اسمه عمران يتكافحان ويخالف أحدهما الآخر، فمر جاويذان في بعض حا، ٢٧٩جاته بقرية بابك، فرآه فتفرس فيه الجلادة، فاستأجره من أمه و حمله إلى ناحيته، فمالت إليه امرأة جاويذان، وأفشت إليه أسرار زوجها وأطلعته على دفائنه وكنوزه، فلم يلبث إلا قليلاً حتى وقعت حرب بين جاويذان وعمران، فأصابت جاويذان جراحة فمات منها، فزعمت امرأة جاويذان أن بابك قد استخلف هذا على أمره و تحولت روحه إليه، وإن الذي كان وعدكم من الظفر و النصرة كله صائر إليكم على يدي هذا. ينظر: البدء والتاريخ، المطهر المقدسي، ١١٥/٦-١١٦، وتاريخ الطبري، ١٣٩/٥.

(٦) البذ: بتشديد الذال المعجمة مدينة بين أذربيجان وأران بها كان مخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٦١/١.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ١٣٩/٥.

(٨) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ٥١٢/١.

(٩) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٣٦١/٢.

وعقيدة التناسخ لا يقول بها إلا من أنكر اليوم الآخر، وما يحدث فيه من البعث، والحساب، والجزاء.

أما عن بابك الخرمي فإنه من حين ظهوره عام(٢٠١هـ) إلى عام(٢١٨هـ) – وهي السنة التي توفي فيها الخليفة المأمون – والجيوش ترسل لمحاربة بابك الخرمي فترجع بالهزيمة[١]، فلما تولى الخليفة المعتصم الحكم عام(٢١٨هـ) كان أمر الخرمية قد اشتد، ودخل في مذهبهم خلق كثير، فجهز المعتصم جيوشا كثيرة، فكان آخر من جهز إليهم إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب[٢] في جيش عظيم، فكان له الفتح يوم التروية من نفس السنة، وقهر الخرمية، وقتل منهم ستين ألفا، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم[٣]، وعاد إسحاق بالأسرى والمستأمنة في عام(٢١٩هـ)، وكان قد قتل منهم مائة ألف مقاتل[٤]، إلا أنهم لم يتمكنوا من بابك الخرمي بعد.

فلما كان سنة(٢٢٢هـ) تم القبض على بابك الخرمي وتسليمه إلى الأفشين[٥]، فدخل به الأفشين على المعتصم في سامراء عام(٢٢٣هـ)، فأمر بقطع يديه ورجليه وحز رأسه وشق بطنه، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان، وصلب جثته على خشبة في سامرا، وكان بابك قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره وهي عشرون سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان (٢٥٥٥٠٠).[٦]

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، حوادث عام(٢٠٤هـ) ١٥١/٥، وعام(٢٠٩هـ) ١٦٦/٥، وعام(٢١٢هـ) ١٧٨/٥وفي هذه السنة أُخِذ جماعة من الخرمية وأرسلوا إلى بغداد حيث الخليفة المأمون، إلا أنهم لم يظفروا ببابك الخرمي رئيسهم، وعام(٢١٤هـ) ١٨٠/٥، وعام(٢١٨هـ) ٢٠٦/٥.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن زريق بن أسعد بن زاذان الخزاعي، أمير بغداد، وليها نحوا من ثلاثين سنة، وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون في خلق القرآن، وكان سائسا، صارما، جوادا، ممدحا، له فضيلة ومعرفة ودهاء، وهو ابن عم طاهر بن الحسين، مات سنة(٢٣٥ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧١/١١.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٠٦/٥.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤٢/١١.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٢٠/٥-٢٣٢.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٢٣٤/٥.

المازيَّار:

فلما كان عام(٢٢٤هـ) خرج أحد أعوان بابك الخرمي وهو المازيَّار الذي سبق ذكره في أول هذا المطلب، وهو من الخرمية المحمرة الذين ظهروا في جرجان كما ذكر البغدادي[١]، وكان يكاتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة.[٢]

أما الطبري فإنه ذكر أن خروجه كان في طبرستان[٣]، وذلك أن جرجان تقع بين طبرستان وخراسان فبعضهم يعدها من هذه، وبعضهم يعدها من هذه.[٤]

وكان سبب خروج المازيَّار أنه كان منافرا لعبدالله بن طاهر[٥] نائب خراسان، ولا يرضى أن يحمل إليه الخراج، وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبدالله بن طاهر، فيقول: لا أحمله إليه ولكني أحمله إلى أمير المؤمنين. فكان المعتصم إذا حمل المازيَّار إليه الخراج يأمر إذا بلغ المال همذان[٦] رجلا من قبله أن يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبدالله بن طاهر ليرده إلى خراسان، فكانت هذه حاله في السنين كلها ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم.[٧]

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٦٨.

(٢)ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٢٤٨.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥/٢٤٨.

(٤) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/١١٩.

(٥) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل، أبو العباس، حاكم خراسان وما وراء النهر، تأدب وتفقه، وله يد في النظم والنثر، قلده المأمون مصر وأفريقية، ثم خراسان، وكان ملكا مطاعا، سائسا، مهيبا، جوادا، ممدحا، من رجال الكمال، ولما مرض تاب وكسر الملاهي وافتك الأسرى، ومات سنة(٢٣٠ه) وله ثمان وأربعون سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/٦٨٤-٦٨٥.

(٦) همذان: بالتحريك، أكبر مدينة بالجبال، وهي عذبة الماء وطيبة الهواء، وكان فتح همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة(٣٢ه). ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥/٤١٠.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري / ٥/٢٤٨.

ثم توثب المازيَّار على تلك البلاد، وأظهر المخالفة للمعتصم، وقد كان الأفشين هو الذي يقوي المازيَّار، ليعجز عبدالله بن طاهر، فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه.[1]

فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب[2] في جيش كثيف فجرت بينهم حروب طويلة.[3]

فلما أُسر المازيَّار وحمل إلى عبدالله بن طاهر، استقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين، فأقر بها، فأرسله إلى المعتصم وما معه من أمواله التي احتُفظت للخليفة، وهي أشياء كثيرة جدا من الجواهر والذهب والثياب، فلما أدخل سامرا أوقف بين يدي الخليفة وجمع بينه وبين الأفشين، فسأله الخليفة عن كتب الأفشين إليه، فأقرها[4]، وأقر أيضا بأن الأفشين كان يصوب له الخلاف والمعصية، فأمر بضرب مازيّار، فضرب أربعمائة سوط وخمسين سوطا، وطلب ماء، فسقي، فمات من ساعته، وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد، وقُتِل عيون أصحابه وأتباعه.[5]

الأفشين:

أما الأفشين فبعد أن تأكد الخليفة المعتصم من علاقته بالمازيّار استدعاه إلى مجلسه، وكان قبل ذلك قد قبض عليه وأودع في السجن، فأُحضر الأفشين وكان المازيَّار موجودا لم يقتل بعد، فبدأت المحاكمة للأفشين، وقد اتهم بأشياء تدل على أنه باق على دين أجداده من الفرس المجوس[6]:

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٢٤٨/٥.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق بن أسعد بن زاذان الخزاعي، ابن عم طاهر بن الحسين، وأخو إسحاق بن إبراهيم، من قواد المعتصم والواثق، وولاه الواثق فارس سنة(٢٣٢ه)، وقتل في فارس سنة(٢٣٦ه). ينظر: تاريخ الطبري، ٢٥١/٥ و ٢٩٠ و ٣١١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٤٨/٥-٢٥٩.

(٤) وابن كثير يذكر أنه أنكرها. ينظر: البداية والنهاية، ٢٨٩/١٠.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٨٩/١٠، وتاريخ الطبري، ٢٦١/٥.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٩٢/١٠.

أولها: أنه ضرب رجلين إماما ومؤذنا كل واحد ألف سوط، لأنهما عمدا إلى بيت أصنام في أشروسنة(١) فأخرجا منه الأصنام، واتخذاه مسجدا.(٢)

ثانيها: أنه كان يملك كتاب (كليلة ودمنة) وفيه الكفر، وهو مزيَّن بالذهب والجواهر والديباج(٣)، وأصل هذا الكتاب من الهند ثم ترجم إلى الفارسية فزيد فيه ثم ترجمه عبدالله بن المقفع(٤) إلى العربية، ليكون لهوا في الظاهر ، وتسلية للخواص والعوام باعتباره متحدثا عن الأخلاق والآداب على ألسنة الحيوانات والطير ، ويكون تثقيفا في حقيقته للخاصة أكثر ، حيث أضاف إليه ابن المقفع في العربية باب يسمى"باب برزويه"ليس منه في الأصل الهندي ، بل هو زائد عليه ، وكان مكتوبا بالفارسية ، وهذا الباب به إثارة للبلبلة والاضطراب، حيث يشكك في إمكان الوصول إلى الحق الذي يقنع العقل ويزيل الحيرة(٥)، وأراد به بث سموم المجوسية إلى المسلمين، فهو في هذا الباب ينقد الدين، ويتكلم عن تعارض الأديان، وعن عدم التوصل إلى اليقين إلا بالعقل وحده، الذي يعد في نظره أعظم وسيلة للمعرفة(٦)، فيقول برزويه:"فحينئذ - بعد استعراضه لكثير من الآمال التي تصبح سرابا - صار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملي ، لعلي أصادف في باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هذه الحال".(٧)

وهذا يشكك في أحقية الإسلام بالخاتمية، ووفائه بحاجات الناس، وتقديم الأمن لهم ، وقد نسب إلى ابن المقفع هذا أنه ألف معارضات للقرآن ، أراد بها أن يطعن في إعجاز

---

(١) أشروسنة: بالضم ثم السكون وضم الراء وواو ساكنة، وهي بلدة كبيرة بما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا، والغالب عليها الجبال. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/١٩٧.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٢٦٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥/٢٦٣.

(٤) سيأتي الحديث عنه.

(٥) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، مقال: اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف — ظروفه — وآثاره، أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ١٥/١٨٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق، مقال: رؤية فكرية وتاريخية لرعاية الحرمين الشريفين، محمد محمد إبراهيم زغروت، ٢٤/٣٣٩.

(٧) كليلة ودمنة، ابن المقفع، ٩١.

القرآن، والتحدي الذي وجهه الله إلى الإنس والجن، حيث أخبر الله – سبحانه – أن الإنس والجن يعجزون عن الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.(١)

ثالثها: شهادة شاهد من المجوس عليه وهو الموبذ(٢) المجوسي، الذي أسلم بعد ذلك على يد الخليفة المتوكل(٣) أن الأفشين كان يأكل المخنوقة، ويرغمه على أكلها، وكان يقول يقول له: إن لحمها أرطب من المذبوحة، وكان الأفشين يقول له: إنّي قد دخلت لهؤلاء القوم – يعني خلفاء بني العباس وهو يشير إلى ملة الإسلام – في كلّ ما أكره، حتّى أكلت الزّيت، وركبت الجمل، ولبست النّعل، غير أنّي إلى هذا العام لم أسقط عنّي شعراً، يعني عانته، و لم أختتن.(٤)

وذلك لأن المجوس يدينون باستعمال النجاسات وأكل الميتة.(٥)

وعندما قيل في مسألة عدم اختتانه، قال: خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت. قيل له: أنت تطعن بالرمح، وتضرب بالسيف، فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب، وتجزع من قطع قلفة. قال: تلك ضرورة تعنيني، فأصبر عليها إذا وقعت، وهذا شيء أستجلبه، فلا آمن معه خروج نفسي.(٦)

رابعها: وهو أخطرها حيث كان أهل مملكة الأفشين يكاتبونه بـــــ (يا إله الآلهة من عبده فلان بن فلان) واعتذر عن ذلك عذرا واهيا، فقال: كانت هذه عادة القوم لأبي وجدي ولي قبل أن أدخل الإسلام، فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد عليّ طاعتهم.

---

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، مقال: علماء المسلمين بعقيدة السلف – ظروفه – وآثاره، أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ١٥/١٨٨.

(٢) الموبذ أو الموبذان: وهو القائم بأمور الدين عند المجوس، وهو قاضي القضاة، وهو رئيس الموابذة، ومعناها القُوَّام بأمور الدين في سائر المملكة. ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ١/٢٤٥.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٢٢١-٢٣٠هــ)، الذهبي، ٢٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، وتاريخ الطبري، ٥/٢٦٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/٢٣، وهداية الحيارى، ابن القيم، ٣٥، والكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي، ١/٣٩، وتلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٤٥٩.

(٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٢٦٥.

فقال له محمد بن عبدالملك الزيات[1]: والمسلمون يحتملون أن يقال هذا لهم؟!! فما بقَّيت لفرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى. وقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: ويحك يا خيذر[2] كيف تحلف بالله لنا فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى المسلمين، وأنت تدعي ما ادعى فرعون.[3]

ثم أعيد إلى سجنه، وأمر المعتصم بمنع الطعام منه إلا القليل، فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف حتى مات، فلما ذهب به بعد موته إلى دار إيتاخ أخرجوه فصلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم طرح بباب العامة مع خشبته فأحرق وحمل الرماد وطرح في دجلة.[4]

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجه سليمان بن وهب الكاتب[5] يحصي جميع ما في في دار الأفشين ويكتبه، فوجد في داره بيتا فيه تمثال إنسان من خشب عليه حلية كثيرة وجوهر وفي أذنيه حجران أبيضان مشتبكان عليهما ذهب، فأخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين وظن أنه جوهر له قيمة، وكان ذلك ليلا فلما أصبح ونزع عنه شباك الذهب وجده حجرا شبيها بالصدف، وأخرج من متاعه أصنام وكتب لدين المجوسية منها كتاب يسمى (زراوة).[6]

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات، كان قد اتصل بأمير المؤمنين المعتصم بالله، وخص به، فرفع من قدره، ووسمه بالوزارة، وكذلك الواثق بالله استوزره، وكان ابن الزيات أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة، مات سنة(٢٣٣هـ) في تنور من الحديد فيه مسامير إلى داخله كان قد أعده محمد ليعذب من كان في حبسه من المطالبين، فأدخله المتوكل فيه، وعذب إلى أن مات. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٤٣/٢.

(٢) وهو اسم الأفشين.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٦٤/٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٧/٥.

(٥) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال، أبو أيوب، كتب سليمان للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة، ثم لإيتاخ، ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله، ثم للمعتمد على الله، وله ديوان رسائل، توفي سنة(٢٧١هـ) وقيل (٢٧٢هـ) في حبس الموفق طلحة والد المعتضد. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤١٥/٢-٤١٨.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٧/٥-٢٦٨.

هذا ما كان من موقف الخليفة العباسي المعتصم ضد البابكية المحمرة الإباحية، رغم موقفه السلبي في فتنة خلق القرآن وموقفه السلبي من أهل السنة، فقد نصر الإسلام بموقفه المضاد للبابكية الخرمية.

المطلب الثاني

الإسماعيلية

سبق ذكر الإمامية الاثني عشرية الذين يقولون باثني عشر إماما من آل البيت، وأن إمامتهم كانت بالنص، إلا أنه انشقت منهم فرقة قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه وهو الإمام السابع عندهم – لا كما تقول الاثنا عشرية بأن السابع هو موسى الكاظم – لذا سموا بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق[1].

وسموا أيضا بالسبعية لقولهم بسبعة أئمة.[2]

أو لأمرين، أحدهما: اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور، وهو المراد بالقيامة، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط.

والثاني: قولهم إن تدابير العالم السفلي – أي ما يحويه مقعر فلك القمر – منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر، وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين، وملتفت إلى مذهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاؤه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة.[3]

وقد احتجوا لقولهم أن الدور التام سبعة: بالسموات والأرضين أنها سبع، وأيام الأسبوع سبع، والأعضاء سبع، ثم قالوا: والدور التام للأنبياء أيضا سبعة: فالأول آدم عليه السلام ووصيه شيث، والثاني نوح ووصيه سام، والثالث إبراهيم ووصيه إسماعيل وإسحق، والرابع موسى ووصيه هارون، والخامس عيسى ووصيه شمعون، السادس محمد ووصيه علي،

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٦٢.

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢٧٦/٣.

(٣) ينظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ١٦/١، وتلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٦٢٨.

والإمام الأول علي، والثاني الحسن، والثالث الحسين، والرابع زين العابدين، والخامس محمد الباقر، والسادس جعفر الصادق، والسابع إسماعيل بن جعفر.[1]

وقالوا إن المقصود من البعثة والرسالة هو أن يلحق الجثمانيون من نوع الإنس بالروحانيين، فلما انتهت النبوة من الابن إسماعيل بن محمد إلى محمد بن إسماعيل ارتفع التكليف الظاهر من الناس، فبهذا الطريق يخرجون الخلق من الشريعة، والحقيقة إن جميع ما يذكرون من هذا الجنس فإنما يذكرونه من طريق التلبيس، وذلك بأنهم لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا بالإمام، ولكنهم يضلون الخلق بهذا الطريق.[2]

وقد اختلفت الإسماعيلية في إسماعيل بن جعفر على فرقتين:

الأولى: منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه[3]، فقالوا: إن إسماعيل لم يمت، ولكنه أُظهر موته تقية من خلفاء بني العباس.[4]

والثانية: قالت: إن الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إن جعفرا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، وإلى هذا القول مالت أغلب الإسماعيلية من الباطنية.[5]

---

(١) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، ٨٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٨١.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٦٣، وقد ذكر المقريزي في (اتعاظ الحنفا) ص ١٥ أن إسماعيل ابن جعفر الصادق مات في حياة أبيه جعفر سنة(١٣٨هـ)، وخلف من الأولاد محمداً، وعلياً، وفاطمة، وذكر الزركلي في أعلامه ٣١١/١ نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية ١٨٨/٢ أن إسماعيل توفي في المدينة سنة(١٤٣هـ) أي قبل وفاة أبيه بخمسة أعوام، ولكن الإسماعيلية يزعمون أنه رئي في سوق البصرة بعد خمس سنوات من موت أبيه.

(٤) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١٧٠/١.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٦٣، والملل والنحل، الشهرستاني، ١٧٠/١-١٧١.

والإسماعيلية تعتبر امتدادا للخطابية[١]، فأبو الخطاب الأسدي[٢] كان من أصحاب جعفر الصادق ورواته، وادعى أنه جعله قيمه ووصيه من بعده[٣]، وقد ذكر النوبختي[٤] في(فرق الشيعة) الخطابية مرتين: الأولى كفرقة مستقلة، والثانية ضمن الفرق التي افترقت بعد وفاة أبي عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر، حيث قال:"الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب".[٥]

أما إسماعيل بن جعفر فقد ذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير — بناء على ما روته كتب الشيعة أنفسهم — أنه كان ممن استهوته الخطابية وأضلته وخدعته وأغوته وافترسته وأوقعته في حبائلها وشراكها، وكان على اتصال وثيق مع أبي الخطاب نفسه، كما كان يعيش في كنف الخطابية وحجرهم، ينهج منهجهم، ويسلك مسلكهم، ويرى رأيهم، ويأتي أعمالهم وأفعالهم، لذلك تبرأ منه جعفر والده، كما تبرأ من أبي الخطاب والخطابيين الآخرين.[٦]

---

(١) الخطابية: أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب، وهم خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسل الله وحججه على خلقه، لا يزال منهم رسولان واحد ناطق، والآخر صامت، فالناطق محمد صلى الله عليه وسلم، والصامت علي بن أبي طالب، يعلمون ما كان، وما هو كائن، وزعموا أن أبا الخطاب نبي، وأن أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبي الخطاب، وقالوا: الأئمة آلهة، وقالوا في أنفسهم مثل ذلك، وقالوا: ولد الحسين أبناء الله وأحباؤه، ثم قالوا ذلك في أنفسهم، وتأولوا قول الله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قالوا: فهو آدم، ونحن ولده، وعبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله، وهم يتدينون بشهادة الزور لموافقيهم. ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٢٩/١.

(٢) أبو الخطاب الأسدي مولى جعفر الصادق، وكان يقول في أيامه: إن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه، وأن جعفرا إله، فلما بلغ ذلك جعفرا لعنه وطرده، وكان أبو الخطاب يدعي بعد ذلك الإلهية، وكان أتباعه يقولون: إن جعفرا كان إلها، إلا أن أبا الخطاب كان أفضل منه. ينظر: التبصير في الدين، الإسفراييني، ١٢٦-١٢٧.

(٣) ينظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، ٤٧.

(٤) هو الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، أبو محمد، فلكي عارف بالفلسفة، كانت تدعيه المعتزلة والشيعة، وهو من أهل بغداد، نسبته إلى جده (نوبخت) بضم النون وفتحها، من كتبه: فرق الشيعة – الآراء والديانات – اختصار الكون والفساد، وغير ذلك، توفي سنة(٣١٠هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢٣/٢-٢٢٤.

(٥) ينظر: فرق الشيعة، النوبختي، ٥٢ و ٧٩.

(٦) الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، ٥٦.

وذكر أيضا أن بعضهم استدل على أن أبا الخطاب لم يكن يكنى بأبي إسماعيل إلا لأنه كان مربيا لإسماعيل بن جعفر، ومتبنيا له بالأبوة الروحية[١]، وقالوا: إن الاختيار الإلهي بالتبني الروحي هو وحده المعتبر.[٢]

وقد خرج أبو الخطاب هذا على أبي جعفر المنصور، فقتله عيسى بن موسى والي الكوفة في سبخة الكوفة، وأمر بصلبه.[٣]

وأما ميمون القداح وابنه عبيدالله وأصحابهما من الميمونية' فإنهم هم المؤسسون الحقيقيون للإسماعيلية مباشرة، وكانوا من أتباع أبي الخطاب الأسدي.[٤]

وقد ذكر العلماء أن عبيدالله هذا ليس هو عبدالله بن ميمون بن داود القداح مولى بني الحارث بن مخزوم المكي من رجال الترمذي رحمه الله ، وهو متوفى سنة(١٨٠هـــ)، وهو منكر الحديث متروك[٥]، بل هو عبيدالله بن ميمون بن ديصان القداح المولود

---

(١) نظرية التبني الروحي عند الروافض: هي إحدى النظريات التي أخذها الروافض من الصوفية، وهي أن الوالد المعنوي الذي هو الشيخ أرفع رتبة وأولى بالبر والتوقير، وأحق رعاية، وآكد دراية، وأقرب حسباً، وأوصل نسباً من الوالد الحسي، ويقولون: إنه في يوم القيامة يدعى المريدون بأسماء مشايخهم دون أسماء آبائهم، وهذا دليل كاف على ارتفاع رتبة المشيخة التي هي الولادة المعنوية، على رتبة الولادة الجسمية، لذا فهم يرون أن جزاء المشايخ لا يكاد يبلغه أحد، ويقولون: إنه من نسب تلميذاً إلى غير أستاذه، كمن نسب ولداً إلى غير أبيه. ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، ٩٣٥-٩٣٦.

(٢) ينظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، ٦٢، نقلا عن مقال ماسينيون ترجمة عبدالرحمن بدوي المدرج في كتاب (شخصيات قلقة في الإسلام) ص١٩، وأيضا (أصول الإسماعيلية) لبرنارد لويس ترجمة عربية ص١١٠.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٢٩/١، والتبصير في الدين، الإسفراييني، ١٢٧.

(٤) ينظر: الفهرست، لابن النديم، ٢٣٨.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء الذهبي، ٣٢٠/٩ ، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٤٦/٦-٤٥٠ ، وتهذيب الكمال، المزي، ١٩٨/١٦، والمجروحين، ابن حبان، ٢١/٢.

سنة(٢٥٩هـ)، والهالك سنة(٣٢٢هـ)، وهو من أهواز العراق من مدينة سَلَمْيَة[1]، كان أبوه يهودياً فمات، فتزوجت أمه أحد العلويين الذي رباه ، ثم لما كبر وعى العلوية، وهو الذي أسس الدولة العبيدية بالمغرب سنة(٢٩٧هـ).[2]

ويذكر الحمادي[3] أن ميمون القداح كان يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سَلَمْيَة، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، وكان صانعا يخدم شيعة إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة الإسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ير وجها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، وخرج مع ابنه عبيد إلى الكوفة فأقاما فيها مدة طويلة، حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان، وإلى أن أجاهما إلى ذلك تسعة

---

(١) سلمية: بفتح أوله وثانيه وسكون الميم، وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية، وقيل: سلمية قرب المؤتفكة، فيقال: إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائه نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها، فسميت سلم مائة، ثم حرف الناس اسمها، فقالوا: سلمية، ثم إن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس اتخذها منزلا، وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها، وبها المحاريب السبعة يقال: تحتها قبور التابعين، وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/٢٤٠.

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، حاشية المحقق رقم ٥: محمد رشاد سالم، ٤/٩٩-١٠٠، ومسألة في الكنائس، ابن تيمية، حاشية المحقق رقم ٢: علي الشبل، ١٠٨، والتبصير في الدين، الإسفراييني، ١٤١ ، والفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٨٢-٢٨٩.

(٣) هو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي المعافري اليماني، وقيل ابن أبي القبائل، فقيه باحث، من أهل السنة في اليمن، أدرك أيام علي بن محمد الصليحي، وسمع ما يقال عن دعوته (الباطنية) فدخل في مذهبه، مختبرا، فاطلع على بعض كتبه، وصنف كتاب (كشف أسرار الباطنية) وفيه شيء من تاريخهم ونزغاتهم، توفي سنة(٤٧٠هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٧/١٦-١٧.

(٤) ينظر: كشف أسرار الباطنية، الحمادي، ٧٢-٧٣.

رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون منهم: عليّ بن الفضل[1]، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور[2]، وأبو سعيد الجنابي[3]، وأبو عبدالله الشيعي[4]، والحسن بن بهران[5]، ومحمد بن زكريا[6].[7]

ومن أهم العقائد التي ورثها الإسماعيلية من الخطابية:

١) أن لكل ظاهر باطنا، وأن ظاهر القرآن يحتاج للفهم الصحيح إلى التأويل.[8]

---

(١) هو علي بن الفضل بن أحمد القرمطي، أحد المتغلبين على اليمن، أظهر الدعوة للمهدي المنتظر، سنة(٢٩٠هـ) فتبعه كثير من القبائل، وملك ملكا ضخما، وقتل خلقا كثيرا، واستولى على الجبال والتهائم، ثم دخل زبيدا وصنعاء، وادعى النبوة وأباح المحرمات، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه فيقول:"وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله"ثم امتد به عتوه، فجعل يكتب إلى عماله:"من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل، إلى عبده فلان"واتخذ"المذيخرة"من أعمال صنعاء دارا لملكه، ومات مسموما سنة(٣٠٣هـ)، ومدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣١٩/٤.

(٢) هو الحسن بن زاذان، أبو القاسم، المنصور، كان ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكان ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية، وكان من أهل الضلال، وكان من أهل الكوفة، وقد ظفر به ميمون لمعرفته بالنجوم، حتى جعله من دعاته، وكان له دولة ورجال حتى مات سنة(٣٠٢هـ). ينظر: كشف أسرار الباطنية، الحمادي، ٨٢-٩٣.

(٣) هو الحسن بن بهرام الجنابي، أبو سعيد، كبير القرامطة ومعلن مذهبهم، كان دقاقا، من أهل جنابة (بفارس) ونفي منها، فأقام في البحرين تاجرا، وجعل يدعو العرب إلى نحلته، فعظم أمره، فحاربه الخليفة المقتدر العباسي، فظفر الحسن، وكان أصحابه يسمونه السيد، استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، وكان شجاعا، داهية، قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر سنة(٣٠١هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٨٥/٢.

(٤) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبدالله، المعروف بالشيعي، ويلقب بالمعلم، ممهد الدولة للعبيديين، وناشر دعوتهم في المغرب، كان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية وأعلامهم، من أهل صنعاء، دعا إلى عبيدالله المهدي، فلما استتب لعبيدالله الأمر قتل الشيعي سنة(٢٨٩هـ). ينظر: المرجع السابق، ٢٣٠/٢.

(٥) هو الحسن بن بهران المعروف بالمقنع، خرج فيما وراء النهر، وله أخبار شنيعة، وكان حكيما فيلسوفا، وذكروا أنه عمل قمرا بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة، وذكروا أنه بنى حصنا، وعمل فيه لوالب فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قُذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون، فأُمر المسلمون أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على اللوالب، فأخرجوها، ودخلوا عليه فقتلوه. ينظر: كشف أسرار الباطنية، الحمادي، ٧٩-٨٠.

(٦) المشهور والمعروف أن اسمه زكرويه بن مهرويه، وسيأتي الحديث عنه في مطلب القرامطة.

(٧) ينظر: كشف أسرار الباطنية، الحمادي المعافري، ٧٧-٧٨.

(٨) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٣٧٢/١-٣٧٣.

٢) القول بالتناسخ.[١]

٣) الأئمة مفترض طاعتهم على جميع الخلق.[٢]

أما عن موقف خلفاء بني العباس من طائفة الإسماعيلية، فإنه في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة(٣١٢هـ) ظهر بين الكوفة وبغداد رجل يدعي أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجمع جمعاً عظيماً من الأعراب، واستفحل أمره في شوال، فأنفذ أبو القاسم الخاقاني وزير الخليفة حاجبه[٣]، وضم إليه خمسمائة رجل من الفرسان وألف راجل، وأمره بمحاربته، فظفر بجماعة من أصحابه وانهزم الباقون[٤]، و لم يظفروا برئيسهم المدعي أنه محمد بن إسماعيل.

وذكر ابن كثير أن هذا المدعي المذكور هو رئيس الإسماعيلية وأولهم[٥]، وقد يكون هذا أحد الدعاة التسعة السابق ذكرهم والذين التفوا حول القداح وابنه، لأن عبيدالله في هذا الوقت كان في المغرب حيث أعلن الخلافة العبيدية عام(٢٩٧هـ).

وفي عهد الخليفة المستظهر عام(٤٩٤هـ) قام السلطان بركيارق[٦] بقتل خلق من الباطنية الإسماعيلية ممن تحقق من مذهبه ومن اتهم به، فبلغت عدتهم ثمانمائة ونيفا، ووقع التتبع لأموال من قتل منهم، فوُجِدَ لأحدهم أموال طائلة، وكتب بذلك إلى الخليفة المستظهر.[٧]

---

(١) ينظر: فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ٤٦.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٢٩.

(٣) واسمه أحمد بن سعيد.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٤٠.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/١٥١.

(٦) هو السلطان بركيارق بن ملكشاه ركن الدولة السلجوقي، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة، خطب له ببغداد ست مرات، ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد، مات سنة(٤٩٨ه)، وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٦٤-١٦٥.

(٧) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٧/٦٢، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩/٣٦.

وفي عهد الخليفة المقتفي عام(٥٤٦هـــ) قام السلطان سنجر[١]بتسيير الأمير قجق[٢] في طائفة من عسكر السلطان إلى طريثيث[٣] بخراسان، وأغار على بلاد الإسماعيلية، فنهب وسبى وخرب، وأحرق المساكن، وفعل بهم أفاعيل عظيمة، وعاد سالماً.[٤]

وفي عهد الخليفة الناصر عام(٦٠٠هـــ) ضُيق على الإسماعيلية في مدينة قاين[٥] بخراسان وحوصر أهلها، فصولح أهلها على ستين ألف دينار، ثم توجه الجيش إلى حصن كاخك' وهو للإسماعيلية فأخذه وقتل المقاتلة، وسبى الذرية.[٦]

---

(١) هو السلطان سنجر بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن جغريبك بن ميكائيل بن سلجوق الغزي التركي السلجوقي، ملك خراسان، معز الدين، صاحب خراسان وغزنة، وبعض ما وراء النهر، خطب له بالعراق وأذربيجان والشام والجزيرة وديار بكر والحرمين، ولد سنة(٤٧٩ه) كان في أيام أخيه يلقب بالملك المظفر إلى أن توفي أخوه محمد بالعراق في آخر سنة(٥١١ه)، فتسلطن، وورث الملك عن آبائه، وزاد عليهم، وملك البلاد، وقهر العباد، وخطب له على أكثر منابر الإسلام، وكان وقورا حييا، كريما سخيا، مشفقا، ناصحا لرعيته، كثير الصفح، جلس على سرير الملك قريبا من ستين سنة، مات سنة(٥٥٢ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠/٣٦٢-٣٦٥.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) طريثيث: بضم أوله وفتح ثانيه، وهي ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور وطريثيث قصبتها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٣٣.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٩/٣٧١.

(٥) قاين: بلد قريب من طبس بين نيسابور وأصبهان. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٣٠١.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٢٨٨.

المطلب الثالث

العبيديون

في المطلب السابق جاء ذكر عبيدالله بن ميمون بن ديصان القداح المولود سنة(٢٥٩هـ) والهالك سنة(٣٢٢هـ) والذي أسس الدولة العبيدية بالمغرب سنة(٢٩٧هـ).(١)

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن عبيدالله هذا ادعى المهدية ، ولكن لم يوافق في الاسم ولا اسم الأب ، وادعى أيضا أنه ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر-أي جعفر الصادق- ، وأن ميموناً هذا هو محمد بن إسماعيل، وأهل المعرفة بالنسب وغيرهم من علماء المسلمين يعلمون أنه كذب في دعوى نسبه ، وأن أباه كان يهودياً ، ربيب مجوس ، فله نسبتان: نسبة إلى اليهود ، ونسبة إلى المجوس ، وهو وأهل بيته كانوا ملاحدة ، وهم أئمة الإسماعيلية ، الذين قال فيهم العلماء: إن ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض، وقد صنف العلماء كتباً في كشف أسرارهم ، وهتك أستارهم، وبيان كذبهم في دعوى النسب، ودعوى الإسلام، وأنهم بريئون من النبي صلى الله عليه وسلم نسباً وديناً.(٢)

ويذكر ابن تغري بردي أن القداح جد عبيدالله كان مجوسياً، ودخل عبيدالله المغرب وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم الفقه والعلم ليتمكن من إغراء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه، فأباحوا الخمر، والفروج، وأشاعوا الرفض، وبثوا دعاة، فأفسدوا عقائد جبال الشام، كالنصيرية، والدروز، وكان القداح كاذباً مخرقاً، وهو أصل دعاة القرامطة.(٣)

وعبيدالله هذا هو مؤسس الدولة العبيدية الفاطمية وأول خلفائها، حيث تولى الخلافة في عام(٢٩٧هـ)، وكان يدعي أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، فقال: أنا عبيدالله بن

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، حاشية المحقق رقم ٥: محمد رشاد سالم، ٤/٩٩-١٠٠، ومسألة في الكنائس، ابن تيمية، حاشية المحقق رقم ٢: علي الشبل، ١٠٨، والتبصير في الدين، الإسفراييني، ١٤١ ، والفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٨٢-٢٨٩.

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٤/٩٩-١٠٠.

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ٤/٨٠.

محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وقيل بل قال: أنا عبيدالله بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل: لم يكن اسمه عبيدالله، بل إنما هو سعيد بن أحمد، وقيل: سعيد بن الحسين.[1]

وكثرة الأقوال هذه في اسمه، والتذبذب في نسبه تدل على زيف وبطلان نسبه المزعوم.

وذكر شيخ الإسلام أيضا أن بني عبيدالله القداح، الذين أقاموا بالمغرب مدة، وبمصر نحو مائتي سنة باتفاق أهل العلم والدين كانوا ملاحدة، ونسبهم باطل، فلم يكن لهم بالرسول اتصال نسب في الباطن، ولا دين، وإنما أظهروا النسب الكاذب، وأظهروا التشيع ليتوسلوا بذلك إلى متابعة الرافضة، إذ كانت أقل الطوائف عقلاً وديناً، وأكثرهم جهلاً، وإلا فأمر العبيدية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر أظهر من أن يخفى على كل مسلم.[2]

ووالد عبيدالله المهدي هذا كان يهوديا صباغا بسَلَمْية، وقيل كان اسمه سعد، وإنما لقّبه بعبيدالله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح، وسمي القداح لأنه كان كحالا يقدح العيون، وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبدالله الشيعي ثم استدعاه، فلما قدم عليه من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سِجِلْماسة[3] فسجنه، فلم يزل الشيعي يحتال له حتى استنقذه من يده، وسلم إليه الأمر، ثم ندم الشيعي على تسليمه الأمر، وأراد قتله ففطن عبيدالله لما أراد به، فأرسل إلى الشيعي من قتله، وقتل أخاه معه، ويقال: إن الشيعي لما دخل السجن الذي قد حبس فيه عبيدالله هذا وجد صاحب سجلماسة قد قتله، ووجد في السجن رجلا مجهولا محبوسا، فأخرجه إلى الناس لأنه كان قد أخبر الناس أن المهدي كان محبوسا في سجلماسة، وأنه إنما يقاتل عليه، فقال للناس هذا هو المهدي، وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما يأمره به، وإلا قتله، فراج أمره.[4]

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤١/١٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٣٤٢/٦.

(٣) سجلماسة: بكسر أوله وثانيه وسكون اللام، مدينة في جنوبي المغرب، في طرف بلاد السودان(وهي ليست بلاد السودان الحالية)، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٩٢/٣.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١١٨/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٨٠/١١.

أما المقريزي فقد ذكر أن عبدالله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له، وأصله من موضع بالأهواز يعرف بقورج العباس، ثم نزل عسكر مكرم[1] وسكن ساباط أبي نوح فنال بدعوته مالا، وكان يتستر بالرفض والعلم، وصار له دعاة، فظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة، فثارت به الرافضة والمعتزلة، وكسروا داره، ففر إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، ثم اشتهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب إلى سَلَمْية ليخفى أمره بها، فولد بها ابن له يقال له أحمد، ومات عبدالله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة، وولد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ولدان، هما: الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعلع، ثم هلك أحمد، فخلفه ابنه الحسين في الدعوة، فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع، وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر، وكان قد بعث محمد هذا داعيين إلى المغرب، وهما: أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد، وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد، فنزلا في قبيلتين من البربر، وأخذا على أهلها، فتوالت الأحداث حتى أصبح سعيدا هو صاحب الأمر، وتسمى بعبيدالله، وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي، وصار إماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، ولم يلبث إلا يسيرا حتى قتل أبا عبدالله الداعي، وتملك البربر.[2]

ثم توالى الخلفاء من أبناء المدعي عبيدالله المهدي بعد وفاته عام(٣٢٢هـ) فكانوا كالتالي:

- القائم بأمر الله. (ت ٣٣٤هـ)
- المنصور بنصر الله. (ت٣٤١هـ)
- المعز لدين الله – فاتح مصر -. (ت٣٦٥هـ)
- العزيز بالله. (ت٣٨٦هـ)

---

(١) عسكر مكرم: بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء، وهو مفعل من الكرامة، وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان، منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٢٣/٤.

(٢) ينظر: اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ٢٥/١-٢٨.

- الحاكم بأمر الله. (ت٤١١هـ)
- الظاهر لإعزاز دين الله. (ت٤٢٧هـ)
- المستنصر بالله. (ت٤٨٧هـ)
- المستعلي بالله. (ت٤٩٥هـ)
- الآمر بأحكام الله. (ت٥٢٤هـ)
- الحافظ لدين الله. (ت٥٤٤هـ)
- الظافر بأمر الله. (ت٥٤٩هـ)
- الفائز بنصر الله. (ت٥٥٥هـ)
- العاضد لدين الله. (ت٥٦٧هـ)[١]

فكانت عدهم أربعة عشر، وكانوا يموهون على الجهال والأتباع بهذه الألقاب الرنانة حتى يضفوا على أنفسهم وحكمهم ودولتهم ومذهبهم الشرعية الإسلامية وهم أبعد الناس عنها.

وقد ذكر الذهبي أن المحققين[٢] ذهبوا إلى أنهم أدعياء، بحيث أن المعز منهم لما سئل عن نسبه، قال: غدا أخرجه لك، ثم أصبح وقد ألقى عَرَمَة[٣] من الذهب، ثم جذب نصف سيفه من غمده، فقال: هذا نسبي. وأمرهم بنهب الذهب، وقال: هذا حسبي.[٤]

وقد أثبت الحمادي عدم انتسابهم لآل البيت بقوله:"وقد زعموا أنهم من ولد محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحاشا لله ما كان لمحمد بن إسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد، بل هم ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥] والدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون: معد

---

(١) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقريزي.

(٢) ذكرهم ابن كثير في (البداية والنهاية) ١٨٠/١١ مثل أبي حامد الإسفراييني، والقاضي الباقلاني في (كشف الأسرار وهتك الأستار)، والقدوري، وابن خلكان في (وفيات الأعيان) ١١٧/٣.

(٣) العَرَمة: بالتحريك هو مجمع الرمل، وهنا معناها الكومة. ينظر: ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٧٣/٩.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤٢/١٥.

(٥) إبراهيم: ٢٦.

المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد بن ميمون، ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب، وقالوا: هم أئمة قُهِروا فتستروا، ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد، وهذا من أكبر الشواهد على إبطال ما ذكروه وانتسبوا إليه، والدليل على أنهم من أولاد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة ما زالوا يُحَكِّمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم ذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد".[1]

وكذلك ابن كثير أثبت عدم انتسابهم لآل البيت بقوله:"ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة كما ذكر هؤلاء السادة العلماء والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه، فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم، فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خير بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت، ولا أحد من خلفك، ولا من أهل بيتك. فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول من هذا الصحابي الجليل يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبدالله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدنسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت كما نص عليه سادة الفقهاء".[2]

أما بالنسبة لجهود خلفاء بني العباس ضد هؤلاء الأدعياء فقد تركزت في الخليفتين العباسيين القادر بالله (٣٨١هـ-٤٢٢هـ) وابنه القائم بالله (٤٢٢هـ-٤٦٧هـ)، مع أن الدولة العبيدية قامت في عام(٢٩٧هـ) أي في بداية عهد الخليفة المقتدر تقريبا (٢٩٥هـ-٣٢٠هـ) وهو الخليفة الثامن عشر، وسقطت عام(٥٦٧هـ) أي في نهاية عهد الخليفة المستنجد (٥٥٥هـ-٥٦٦هـ) وهو الخليفة الثاني والثلاثون، بمعنى أنها عاصرت خمسة

(١) كشف أسرار الباطنية، الحمادي المعافري، ٧٦-٧٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٣٤٦.

عشر خليفة من خلفاء بني العباس، ومع ذلك لم تظهر جهود ضد العبيديين إلا من هذين الخليفتين، وقد يرجع السبب إلى طول فترة حكمهما الذي استمر (٨٦) سنة فالقادر حكم (٤١) والقائم (٤٥)، كانت هذه الفترة هي نفس الفترة التي بلغت فيها الدولة العبيدية في مصر والمغرب أوج قوتها وعظمتها، فبدأت تتطلع أطماعها إلى ما تحت يد الدولة العباسية، فوقف القادر والقائم في وجه المد العبيدي الباطني الرافضي عقديا وسياسيا.

إلا ما ذكره أصحاب التواريخ أنه في عام(٤٦٧هـــ) استولى الأقسيس[١] على دمشق، وطرد العامل العبيدي منها، فخطب بها للمقتدي بأمر الله.[٢]

وأما مسألة نسبهم الباطل الدعي، ففي عام(٤٠٢هـــ) قام الخليفة القادر بالله بكتابة محاضر تتضمن بيان بطلان نسب العبيديين، وأخذ على هذه المحاضر توقيعات وجهاء الدولة وغيرهم، فيقول ابن الجوزي في ذلك:"وفي هذا الشهر – ربيع الآخر - كُتب في ديوان الخلافة محاضر في معنى الذين بمصر، والقدح في أنسابهم، ومذاهبهم، وكانت نسخة ما قرئ منها ببغداد، وأخذت فيه خطوط الأشراف، والقضاء، والفقهاء، والصالحين، والمعدلين، والثقات، والأماثل بما عندهم من العلم والمعرفة بنسب الديصانية، وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، أحزاب الكافرين، ونطف الشياطين، شهادة متقرب إلى الله جلت عظمته، وممتعض للدين والإسلام، ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، شهدوا جميعاً أن الناجم[٣] بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبدالله[٤]، وتلقب بالمهدي، ومن

---

(١) الإقسيس هو أتسز بن أوف الخوارزمي، ويلقب بالملك المعظم، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين، وأزال الأذان منها بحي على خير العمل بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين، وكان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل، وأظهر السنة، وهو أول من أسس القلعة بدمشق، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو. ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١١٣.

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ٢٣/١٣٩، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١١٢.

(٣) أي المنجم وهو الخليفة العبيدي السادس، ومعروف عن العبيديين أنهم كانوا منجمين.

(٤) يقصد الخليفة العبيدي الأول.

تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس، عليه وعليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين، أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون منه بسبب، وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع من أن يتدلس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم إلى تصديقهم، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية،... وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير من العلويين... والقضاة... والشهداء... وقرئ بالبصرة وكتب فيه خلق كثير".[1]

وفي عهد القائم بالله العباسي عام(٤٤٤هـ) كتبت محاضر في الديوان ذكر فيها صاحب مصر ومن تقدم من أسلافه بما يقدح في أنسابهم التي يدعونها، وجحد الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعلي وفاطمة رضي الله عنهما، وعزوا إلى الديصانية من المجوس، والقداحية من اليهود، وأنهم خارجون عن الإسلام، كما حدث في أيام القادر بالله، وأخذت خطوط الأشراف والقضاة والشهود والعلماء بذلك.[2]

ثم إن العبيدين أخذوا بمناوأة الدولة العباسية في بغداد، حيث قام الحاكم بأمر الله العبيدي بمكاتبة قرواش بن مُقَلَّد أبي منيع[3] صاحب الموصل، وترددت المكاتبات بينهما وأرسل الحاكم له بالهدايا يستميله إليه، وليقبل بوجهه عليه، حتى قام قرواش بالخطبة بالموصل للحاكم العبيدي في يوم الجمعة من المحرم عام(٤٠١هـ)، وقهر قرواش رعيته على

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٥/٣٣٦.

(٣) هو قرواش بن مقلد بن المسيب بن رافع، الأمير، صاحب الموصل، أبو المنيع، معتمد الدولة، ابن صاحب الموصل حسام الدولة أبي حسان العقيلي، تملك بعد موت أبيه في سنة(٣٩١ه)، فطالت أيامه، واتسع ملكه، فكان له الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات، وكان أديبا شاعرا، جوادا ممدحا، نهابا وهابا، فيه جاهلية وطبع الأعراب، توفي سنة(٤٤٤ه) ذبحه ابن أخيه قريش صبرا، وقيل: بل مات موتا. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/٦٣٣-٦٣٤.

ذلك، وفي آخر الخطبة صلوا على آبائه من الخلفاء، وبالغوا في الدعاء لهم، ولا سيما الحاكم صاحب الوقت، وكذلك بقية أعماله من الأنبار والمدائن وغيرها، فلما بلغ الخليفة القادر بالله العباسي، كتب يعاتب قرواش بن مُقَلَّد على ما صنع، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لمحاربة قرواش، فلما بلغ ذلك قرواشا رجع عن رأيه، وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، وخطب للقادر على عادته.(١)

وقد استن يمين الدولة السلطان محمود بسنة الخلفاء العباسيين في محاربة الروافض والباطنية وأتباعهم، فقد ورد كتابه للخليفة القادر بالله، يذكر فيه أنه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر، ومعه كتاب يدعوه إلى طاعته، فبصق فيه، وأمر بتحريقه، وأسمع رسوله غليظ ما يقال.(٢)

وبعث بالهدايا التي أرسلت إليه من العبيديين إلى بغداد، فأحرقها الخليفة القادر بالله.(٣)

وفي عام(٤٢٨هـ) بعث المستنصر بالله العبيدي بمال لإصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي القائم بالله في ذلك، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال، فأفتوا بأن هذا المال فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم، فأذن في صرفه في مصالح المسلمين.(٤)

ولما مدح الشريفُ الرضي(٥) الحاكمَ بأمر الله العبيدي بقصيدة أولها:

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٣٤٣، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٧٤-٧٨.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٣٤٨، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٩٢.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٢/٤٠، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٢٥٦.

(٥) هو الشريف الرضي محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى، أبو الحسن، الحسيني، الموسوي، البغدادي، الشاعر، صاحب الديوان، له نظم في الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبيين، ولي النقابة بعد أبيه، وله كتاب (معاني القرآن) ممتع يدل على سعة علمه، مات سنة(٤٠٦هـ) وله سبع وأربعون سنة، وكان شيعيا. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/٢٨٥-٢٨٦.

ألبس الذل في بـــلاد الأعـــادي وبمصـــــر الخليـــــــفة العلـــــوي

مـــن أبـــوه أبي ومـــولاه مـــولا ي إذا ضــــامني البعيـــد القصـــي

سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة، فانزعج، وبعث إلى أبيه الموسوي[1] يعاتبه فأرسل إلى ابنه الرضي، فأنكر أن يكون قالها بالمرة، والروافض من شأنهم التزوير، فقال له أبوه: فإذا لم تكن قلتها فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعي لا نسب له. فقال: إني أخاف غائلة ذلك. وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم في ذلك، وهم ينكرون ذلك، حتى بعث الشيخ أبا حامد الإسفراييني[2] والقاضي أبا بكر محمد بن الطيب[3] إليهما، فحلف لهما بالأيمان المؤكدة أنه ما قالها.[4]

وبهذا يتبين موقف القادر والقائم العباسيين من هذه الفئة الدعية، التي تنتسب زورا وبهتانا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) هو الحسين بن موسى الحسيني العلوي الطالبي، أبو أحمد، نقيب العلويين في بغداد، ووالد الشريفين الرضي والمرتضى، ولي نقابة العلويين، وإمارة الحاج سنة(٣٥٤هـــ)، وكتب له منشور من ديوان الخليفة، ثم قبض عليه عضد الدولة البويهي سنة(٣٦٩هـــ) وأطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة سنة(٣٧٢ه) وعزل عن النقابة سنة(٣٨٤ه) وأعيد إليها سنة(٣٩٤ه) وأضيف إليه الحج والمظالم، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي ضريرا سنة(٤٠٠ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢/٢٦٠.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، الشيخ أبو حامد، شيخ طريقة العراق، حافظ المذهب وإمامه، ولد سنة(٣٤٤ه) قدم بغداد شابا، فتفقه على الشيخين ابن المرزبان والداركي حتى صار أحد أئمة وقته، وكان عظيم الجاه عند الملوك، مع الدين الوافر، والورع والزهد، والاستيعاب للأوقات بالتدريس والمناظرة، ومؤاخذة النفس على دقيق الكلام ومحاسبتها على هفوات اللسان وإن بدرت في أثناء الإحسان، توفي سنة(٤٠٦ه). ينظر: طبقات الشافعية، السبكي، ٤/٦١-٧٤.

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، القاضي، أبو بكر، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه، كان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه، توفي سنة(٤٠٣ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧/١٩٠-١٩٣.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٤، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٥/١١٧-١١٩.

المطلب الرابع

القرامطة

سبق أن مرّ في المطلب الثاني من هذا المبحث -مطلب الإسماعيلية- ذكر تسعة الرهط الذين أجابوا ميمون القداح وكان منهم الحسين الأهوازي' وهذا لم يذكره الحمادي في كتابه[1]، بل ذكره المقريزي وهو أن عبيدالله بن ميمون عندما فرَّ إلى البصرة كان معه الحسين الأهوازي' وهو أحد أصحابه ودعاته إلى مذهبه الباطل.[2]

ثم إن عبيدَالله أرسل الحسينَ هذا إلى العراق للدعوة هناك، فالتقى بحمدان بن الأشعث الملقب بقرمط في سواد الكوفة، ودعاه إلى مذهبه، فاستجاب له، وكان الحسين يتظاهر بالورع والزهد والخشوع والأمانة، فوثق به الناس، ووثق هو بحمدان، فلما حضرته الوفاة جعل مقامه حمدان قرمط، فأخذ على أكثر أهل السواد، وكان ذكياً خبيثاً، وصار له أتباع ودعاة من أبرزهم عبدان[3]، وزكرويه[4].[5]

ومعني (قَرْمَطَ) القرمطيط المتقارب الخطو، وقرمط في خطوه إذا قارب ما بين قدميه[6]، وسمي حمدان بهذا الاسم لقصر كان فيه، فكان خطوه قصيرا متقاربا.[7]

---

(١) كشف أسرار الباطنية.

(٢) ينظر: اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ١/١٥١-١٥٣.

(٣) وهو صهر حمدان قرمط، وكان فطناً خبيثاً، خارجاً عن طبقة نظرائه من أهل السواد، ذا فهم وحذق، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير أن يتجاوز به إلى غيره، ولا يظهر غير التشيع والعلم، ويدعو إلى الإمام من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن إسماعيل بن جعفر، ثم أنه انقطع عن الدعوة خوفا من صاحب سلمية، ومنع غيره من مواصلة الدعوة فقتل بأمر من زكرويه سنة(٢٨٦ه). ينظر: اتعاظ الحنفا، المقريزي، ١/١٥٥ و ١٦٨.

(٤) هو زكرويه بن مهرويه القرمطي، من زعماء القرامطة ومتألهيهم، من أهل القطيف، اختفى أربع سنين في أيام المعتضد العباسي فلم يظفر به، ولما مات المعتضد أظهر نفسه، واستهوى طوائف من أهل بادية العراق وبث الدعاة، وكان أتباعه يسجدون له، ويسمونه (السيد) و (المولى) و لم يكن يظهر لعسكره، بل يسير وهو محجوب، ويتولى أموره أحد ثقاته، وعاث في الأرض فسادا، حتى أصيب في إحدى المعارك، فمات بعد أيام، وذلك سنة(٢٩٤ه)، وحملت جثته إلى بغداد فأحرقت، وأرسل رأسه إلى خراسان لئلا ينقطع أهلها عن الحج. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٤٥.

(٥) ينظر: نهاية الأرب، النويري، ٢٥/١١٢-١١٤.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١/١٣٤.

(٧) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ١٣٥.

وذكر ابن جرير الطبري أن الحسين الأهوازي[1] عندما بدأ بالدعوة أظهر الزهد والتعبد، ثم بعد فترة أصيب بمرض، فأخذه رجل إلى بيته، وكان هذا الرجل صاحب أثوار ينقل عليها، وكان يسمى (كِرْمِيتَة) لحمرة عينيه، وهو بالنبطية أحمر العينين، فقام على خدمته ورعايته حتى شفي، وبدأ يدعو الناس في بيت كرميتة هذا حتى ظهر أمره، وذلك أن رجلا يقال له: الهيصم له ضياع في تلك الناحية، فرأى سوء أحوال ضياعه، فسأل عن ذلك، فأخبر بأمر الداعي الباطني، فأخذه الهيصم، وحبسه، فخلصته إحدى جواري الهيصم، فهرب، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا: رفع. ثم ظهر في موضع آخر، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم، فسألوه عن قصته فقال: ليس يمكن أحدا أن يبدأني بسوء ولا يقدر على ذلك مني. فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام، فلم يعرف له خبر، وسمي باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميتة، ثم خفف فقالوا: قرمط، وقد شرع للناس شرائع باطنية بعيدة عن الكتاب والسنة.[2]

ثم انتشرت دولة القرامطة في العراق والبحرين (الأحساء) والشام واليمن.

وقد اشتهر القرامطة بادعاء علم الباطن المخالف للظاهر، ودعوى التأويلات الباطنة المخالفة للظاهر المعلوم المعقول من الكتاب والسنة.[3]

وعقائد القرامطة لا تختلف عن العقائد الإسماعيلية، إلا في بعض الأمور التطبيقية، التي استطاعت القرامطة بإرهابها أن تطبقها تطبيقا تاما في مجتمعها، بينما لم تستطع الإسماعيلية أن تظهرها أو تطبقها بعد قيام دولتها العبيدية في المغرب خوفا من ثورة الناس عليها، لذا؛ لا يمكننا القول: إن عقائد القرامطة باطنية، لأن السرية والكتمان مُحِيا من قاموس القرامطة بعد ظهور دولتهم، ولا غرابة في ذلك، فإن الحركة القرمطية في حقيقتها، تعبير حي وفعلي للعقائد الإسماعيلية، ولهذا فقد أخذت هذه الحركة على عاتقها تنفيذ كل الأحلام التي كانت

---

(١) لم يذكر الطبري اسم الحسين الأهوازي وسماه (الداعي) فقط.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٦٠١-٦٠٣.

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ١/١٥٠.

تحلم بها الإسماعيلية، وهي إيجاد مجتمع يعتبر الدين خرافة، والثواب والعقاب والمعاد أمورا لا تصدق، ويرى في اللذة والإباحية الملجأ الوحيد له.[1]

وقد كان بداية تحرك القرامطة عام(٢٧٨هـ) في سواد الكوفة في عهد الخليفة المعتمد، ثم تبعه ظهور أبي سعيد الجنَّابي القرمطي عام(٢٨٦هـ) في نواحي البصرة في عهد الخليفة المعتضد، ويلاحظ أن هذه الفترة – تسع سنوات تقريبا - لا توجد فيها جهود تذكر للخلفاء العباسيين ضد القرامطة، ويظهر أن السبب في ذلك ما ذكره الطبري في أحداث عام(٢٧٨هـ) بقوله:"ثم فشا أمر القرامطة ومذهبهم وكثروا بسواد الكوفة، ووقف الطائي أحمد بن محمد[2] على أمرهم، فوظَّف على كل رجل منهم في كل سنة دينارا، وكان يجبي من ذلك مالا جليلا، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة وأنهم قد أحدثوا دينا غير الإسلام، وأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم على دينهم، وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان، فلم يُلتفت إليهم، ولم يُسمع منهم، فانصرفوا، وأقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام يرفع ويزعم أنه لا يمكنه الرجوع إلى بلده خوفا من الطائي".[3]

فلما ظهر أبو سعيد الجنَّابي في نواحي البصرة التف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير، وقويت شوكته جدا، وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريبا من البصرة، ورام دخولها، فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها، فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت من القرامطة.[4]

وكانت الحروب بين هؤلاء القرامطة وجيوش الخلفاء العباسيين مستمرة ومتوالية، مرة يهزم القرامطة، ومرة ينتصرون، وهكذا.

---

(١) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ١٥٩.

(٢) هو أحمد بن محمد الطائي، أحد القادة الأمراء في العصر العباسي، عقد له المعتمد سنة(٢٧١هـ) على المدينة وطريق مكة، ثم ولاه الكوفة وسوادها، وطريق خراسان وسامراء، وشرطة بغداد، وخراج قطربل ومسكن، وغضب عليه الموفق بالله سنة(٢٧٥هـ) فحبسه ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته في الكوفة، ولم يزل في ولايته إلى أن توفي بالكوفة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٠٥/١.

(٣) تاريخ الطبري، ٦٠٢/٥.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨١/١١.

ففي شهر ربيع الأول من عام(٢٨٧هــ) غلظ أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر[١]، وقرب بعضهم من نواحي البصرة، فوجه أمير المؤمنين المعتضد إليهم جيشاً[٢]، و لم يذكر المؤرخون ماذا حصل مع هذا الجيش.

وفي شهر ربيع الآخر من نفس العام، ولَّى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي[٣] اليمامة والبحرين، ومحاربة أبي سعيد القرمطي، وضم إليه زهاء ألفي رجل، فسار نحو القرامطة فاقتتلوا، فأسر العباس، وقتل أصحابه، فانزعج أهل البصرة وهموا بالجلاء عنها، ثم أطلق العباس.[٤]

وفي عام(٢٨٩هــ) انتشر القرامطة في سواد الكوفة، فظفر أحد[٥] عمال الخليفة المعتضد بجماعة منهم، وظفر أيضا برئيس لهم يعرف بابن أبي فوارس، فوجه به معهم إلى الخليفة فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرم فساءله، ثم أمر به فقلعت أضراسه، ثم خلع بمد إحدى يديه فيما ذكر ببكرة وعلق في الأخرى صخرة وترك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب، ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه، وصلب بالجانب الشرقي، ثم حملت جثته بعد أيام إلى الياسرية[٦]، فصلب مع من صلب هنالك من القرامطة.[٧]

---

(١) هجر: بفتح أوله وثانيه، وتطلق على ناحية البحرين كلها، وقد يطلق على عاصمتها الأحساء، وغلب اسم الأحساء أو (الحسا) على المدينة، وغلب اسم الحسا على كل ما كان يسمى بالبحرين. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٩٣/٥، وتعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، موقع الإسلام، ٤٠١/٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤١١/١٢، وتاريخ الطبري، ٦٣١/٥.

(٣) سيأتي الحديث عنه في الباب الثالث.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤١١/١٢.

(٥) وهو شبل غلام أحمد بن محمد الطائي. ينظر: تاريخ الطبري، ٦٣٨/٥.

(٦) الياسرية: قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان وعليها قنطرة مليحة فيها بساتين. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٢٥/٥.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٣٨/٥، والمنتظم، ابن الجوزي، ٤٢١/١٢.

وفي نفس العام خرج بالشام يحيى بن زكرويه[1] القرمطي[2]، وجمع الأعراب، فقصد دمشق وبها طغج بن جف[3] نائب هارون بن خمارويه[4]، فكانت بينهما حروب، إلى أن قتل في أول سنة تسعين.[5]

وتفصيل ذلك أن الخليفة المعتضد بعث إليهم جيشا كثيفا، فهزموه، ثم اجتازوا بالرصافة[6] فأحرقوا جامعها، ولم يجتازوا بقرية إلا نهبوها، ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق، فقاتلهم نائبها فهزموه مرات، وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا، وانتهبوا من أموالها شيئا كثيرا.[7]

---

(١) هو يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي، أبو القاسم، الملقب بالشيخ، من كبار القرامطة في أيام المعتضد والمكتفي، وكان يركب جملا برحاله، ولا يركب غير الجمل من الدواب، ويلبس ثيابا واسعة، ويعتم عمة أعرابية ويتلثم، وإذا كانت الحرب، جعل يشير بيده إلى ناحية من نواحي الجيش المقاتل له، فيوهم الأعراب، أنه بإشارته يهزم من في تلك الناحية، وكان إذا اصطفت الجموع للقتال يأمر أصحابه ألا يقتحموا المعركة، حتى يتحرك جمله، من تلقاء نفسه، وقتل في موقعة بقرب دمشق، سنة(٢٩٠ه).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (أحداث ووفيات عام ٢٨١هـ-٢٩٠هـ)، الذهبي، ٣٨.

(٣) هو طغج بن جف بن يلتكين بن فوران التركي الفرغاني، أمير الشام، وكانت تابعة لمصر، وطغج بضم الطاء وسكون الغين، وأصله من أولاد ملوك فرغانة، وجف من الترك الذين حملوا للمعتصم فبالغ في إكرامه، وتوفي جف سنة(٢٤٧ه)، واتصل ابنه طغج بابن طولون، وصار من أكبر القواد، ولما قتل خمارويه سار طغج إلى المكتفي، فأكرم مورده، ثم بدا منه تكبر على الوزير، فحبس هو وابنه محمد، فمات طغج في الحبس، وأخرج محمد بعد مدة، وجرت له أمور، وكان ملكاً مطاعاً شجاعاً. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٤٢/٣.

(٤) هو الأمير أبو موسى هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون التركي الأصل المصري المولد، من ملوك الدولة الطولونية، ولي مصر وهو صبي بعد قتل أخيه جيش بن خمارويه سنة(٢٨٣ه)، وتم أمره وكانت بيعته من غير عطاء للجند، وهو من الغرائب، وبايعوه طوعا أرسالا، ولم يمتنع عليه أحد، وسكنت ثائرة الحرب، وقر قرار الناس، ولكن ظهر ضعفه بضياع رجاله في حرب القرامطة، فنزل للمعتضد العباسي عن قنسرين وأطرافها، ولما صار الأمر ببغداد للمكتفي بالله سير جيشا لاستخلاص مصر من بني طولون (سنة ٢٩١) فافتتحت له، وقامت الفوضى في جيش هارون، فتقدم ليجمع الكلمة، فطعنه أحد المغاربة فسقط قتيلا، وقيل: قتله عماه شيبان وعدي ابنا أحمد بن طولون وذلك سنة(٢٩٢ه).

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٤٢/٥-٦٤٥.

(٦) الرصافة: المقصود هنا رصافة الشام وهي غربي الرقة وبينهما أربعة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٧/٣.

(٧) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨٦/١١.

ثم توفي المعتضد، وتولى المكتفي، فوافى القرمطي بن زكرويه المعروف بالشيخ عام(٢٩٠هـــ) الرقة في جمع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان ورئيسهم سبك غلام المكتفي، فواقعوه، فقتل سبك، وانهزم أصحاب السلطان.[١]

وورد الخبر بأن طغج بن جف أخرج من دمشق جيشا إلى القرمطي، وعليهم غلام له يقال له بشير، فواقعهم يحيى القرمطي، فهزم الجيش، وقتل بشيرا، وَوُجِّه أبو الأغر لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى إلى حلب في عشرة آلاف رجل، فَقُتِلَ يحيى القرمطي، قتله المصريون على باب دمشق، وقد كانت الحرب اتصلت بينه وبين من حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر، وكسر لهم جيوشا وقتل منهم خلقا كثيرا.[٢]

ثم انحاز القرامطة لأخيه الحسين بن زكرويه وعاث هو وجيشه في الأرض فسادا، حتى كتب أهل مصر إلى الخليفة المكتفي يشكون ما لقوا من الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة، وأنه قد أخرب البلاد وقتل الناس، وما لقوا من أخيه قبله، وقتلهما رجالهم، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير، فأمر المكتفي بالتأهب لحرب القرمطي، فأمر بإعطاء الجند أرزاقهم، فأطلق للجند في دفعة واحدة مائة ألف دينار، ومضى الخليفة بنفسه بمن معه من الجيش حتى انتهى إلى الرقة فنزلها وسرح الجيوش إلى القرمطي جيشا بعد جيش، حتى توالت هزائم القرامطة، حتى قبض على صاحب الشامة ومعه ثلاثة نفر من أصحابه وذلك في بداية عام(٢٩١هـــ) وبعث بهم إلى الخليفة المكتفي، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميع من قدروا عليه من أولياء القرمطي وأشياعه.[٣]

فلما بُعث القرمطي أسيرا إلى الخليفة في جماعة كثيرة من أصحابه، أُدخل بغداد على فيل مشهور، وأمر الخليفة بعمل دكة مرتفعة فأُجلس عليها القرمطي، وجيء بأصحابه، فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر، وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٦٤٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٥/٦٤٤-٦٤٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥/٦٤٥-٦٥١.

قفاه، ثم أُنزل فضُرب مائتي سوط، ثم قُطعت يداه ورجلاه، وكُوي ثم أُحرق، وحُمل رأسه على خشبة، وطِيف به أرجاء بغداد.[1]

ثم لما كان عام(٢٩٣هـ) نبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن، فحاصر صنعاء فدخلها قهرا، وقتل خلقا من أهلها، ثم سار إلى بقية مدن اليمن، فأكثر الفساد، وقتل خلقا من العباد، ثم قاتله أهل صنعاء، فظفروا به، وهزموه، فانحاز إلى بعض مدنها.[2]

ثم ظهر زكرويه بن مهرويه بعد قتل ابنه الحسين ببغداد مرة أخرى، فأرسل أحد أعوانه على رأس جيش فعاث في الأرض فسادا، حتى دخلوا طبرية[3] وقتلوا أكثر أهلها، ونهبوا منها شيئا كثيرا، ثم ساروا إلى هيت[4] وفعلوا بها مثل ما فعلوا بطبرية، فجهز الخليفة المكتفي جيشا فقاتلوهم، وأخذوا رئيسهم، فضربت عنقه، ونجا بقيتهم.[5]

كل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه، وهو مختف في بلده بين ظهراني قوم من القرامطة، فإذا جاءه الطلب نزل بئرا قد اتخذها ليختفي فيها، وعلى بابه تنور، فتقوم امرأة فتسجره وتخبز فيه، فلا يشعر به أصلا، ولا يدري أحد أين هو، فبعث الخليفة المكتفي إليه جيشا فقاتلهم زكرويه بنفسه، ومن أطاعه، فهَزم جيش الخليفة المكتفي، وغنم زكرويه من أموالهم شيئا كثيرا جدا، فتقوى به، واشتد أمره.[6]

فلما كانت بداية عام(٢٩٤هـ) تعرض زكرويه وأصحابه للحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة، فقتلهم عن آخرهم، وأخذ أموالهم، وسبى نساءهم، فكان قيمة ما أخذه منهم ألفي ألف دينار، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٩٧/١١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ابن كثير، ١٠٠/١١.

(٣) طبرية: وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور الشمالي بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٧/٤.

(٤) هيت: بالكسر، سميت بذلك لأنها في هوة من الأرض، وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية. ينظر: المصدر السابق، ٤٢١/٥.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير / ١٠٠/١١.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١٠٠/١١.

القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج وفي أيديهم الآنية من الماء يزعمن أهن يسقين الجريح العطشان، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه، لعنهن الله ولعن أزواجهن.(١)

فلما بلغ الخليفة المكتفي خبر الحجيج، وما أوقع بهم الخبيث، جهز إليه جيشا كثيفا، فالتقوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا جدا، قُتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل، وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه، وأخذ أسيرا، فمات بعد خمسة أيام، فشقوا بطنه وصبَروه وحملوه في جماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطي، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان لئلا يمتنع الناس عن الحج، وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم.(٢)

ولما ولي الوزارة علي بن عيسى(٣) في عهد الخليفة المقتدر، شاوره الخليفة المقتدر في أمر القرامطة، فأشار بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي المتغلب على هجر، فتقدم إليه بمكاتبته، فكتب كتاباً طويلاً يتضمن الحث على طاعة الخلفاء، ويعاتبه على تركه الطاعة، ويوبخه على ما يحكى عن أصحابه من إعلان الكفر، وإنكارهم على من يسبح الله عز وجل ويقدسه، واطراحهم الصلوات والزكوات، واستهزائهم بأهل الدين، واسترقاقهم الأحرار، ثم تواعده فيه بالحرب إن لم يطع، فوصل الكتاب إليه، وقد قُتل أبو سعيد، فأمرهم الوزير بإيصال الكتاب إلى أولاده ومن قام مقامه، فأوصلوه، فأخذوا يتنصلون مما نسب إليهم، ويعتذرون بأعذار واهية كاذبة، حتى قالوا في آخر الكتاب:"وأما ما ادعي علينا من ترك الصلاة وغيرها، فلا يجوز قبول دعوى إلا ببينة، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ١٠١/١١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٠١/١١.

(٣) الوزير العادل علي بن عيسى بن داود البغدادي الإمام، المحدث، الصادق، الوزير، العادل، أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب، وزر غير مرة للمقتدر وللقاهر، وكان على الحقيقة غنيا شاكرا، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبورا على المحن، ولله به عناية،كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء، صنف كتابا في الدعاء، وكتاب (معاني القرآن) أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ، وآخر، وله ديوان رسائله، وكان من بلغاء زمانه، توفي سنة(٣٣٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥/٢٩٨-٣٠١.

تعالى، فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته؟"فلما وصل كتابهم، كتب الوزير إليهم كتاباً جميلاً يعدهم فيه بالخير.[1]

وفي عام(٣١٢هـ) أمر الخليفة المقتدر بتسيير مؤنس الخادم على رأس جيش إلى الكوفة ثم إلى واسط، وأنفق على هذا الجيش ألف ألف دينار، وذلك بسبب أنه ورد الخبر في محرم هذه السنة بأن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي ورد إلى الهبير[2] ليلتقي حاج سنة إحدى عشرة وثلثمائة في رجوعهم، وأوقع ببعض الحاج، ومضى بعضهم على غير الطريق، فعارضهم أبو طاهر وقاتلهم يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اثنتي عشرة، فقتل منهم قتلاً مُسِفّاً وأسر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان' وكان إليه الكوفة وطريق مكة وبذرقة[3] الحاج، وأسر معه جماعة من خدم السلطان وأسبابه، وأخذ جمال الحاج، وسبى من اختار من النساء والرجال والصبيان، وسار بهم إلى هجر، وترك باقي الحاج في مواضعهم بلا جمال ولا زاد، وكانت سن أبي طاهر في ذلك الوقت سبع عشرة سنة، فمات أكثر الحاج بالعطش والحفاء، وحصل له ما حزر من الأموال ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والطيب وغير ذلك بنحو ألف ألف، وكان جميع عسكره نحواً من ثماني مائة فارس، ومثلهم رجالة.[4]

وفي عام(٣١٣هـ) أقام أبو طاهر القرمطي[5] بظاهر الكوفة سبعة أيام يدخل البلد بالنهار، ويخرج بالليل، فيبيت في معسكره ويحمل ما قدر عليه من الأموال، فحمل من الوشي أربعة آلاف ثوب، ومن الزيت ثلثمائة راوية، ومن الحديد شيئا كثيرا، ثم رحل إلى بلده، فتقدم الخليفة المقتدر إلى مؤنس بالخروج لمحاربة أبي طاهر، وكان الحجاج قد خرجوا

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/١٤٢-١٤٣.

(٢) الهبير: بفتح أوله وكسر ثانيه، وهي في طريق مكة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥/٣٩٢.

(٣) البذرقة: فارسي معرَّب، قال ابن بري: البَذْرقة الخُفارة، يقال بعَثَ السلطان بَذْرَقة مع القافلة بالذال معجمة، والبذرقة، يقال لها: عِصْمة أي يُعْتَصَمُ بها. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/٣٥٢.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٣٨-٢٤٠.

(٥) هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، أبو طاهر القرمطي، ملك البحرين، وزعيم القرامطة، خارجي طاغية جبار، عدو الله، الأعرابي الزنديق، نسبته إلى جنّابة (من بلاد فارس) جاءه كتاب من المقتدر العباسي، فيه رقة ورغبة بإطلاق من عنده من أسرى المسلمين، فأطلق الأسرى، وأكرم حاملي الكتاب، وأعادهم بالجواب، وقد ألهه بعض أصحابه بعد حادثة أخذه للحجر الأسود، وقال قوم منهم إنه المسيح، ومات كهلا بالجدري، في هجر سنة(٣٣٢ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣/١٢٣.

من بغداد، فاعترضهم القرمطي وأصحابه، وقاتلهم جند الخليفة، ولكن لا فائدة، فخاف الحجاج ورجعوا إلى بغداد، و لم يحج أحد من أهل بغداد في هذه السنة.[1]

وفي عام(٣١٥هـ) تقدم أبو طاهر القرمطي نحو الكوفة، فبعث الخليفة المقتدر جيشا لملاقاته بقيادة يوسف بن أبي الساج' إلا أن القرمطي هزم هذا الجيش وأسر ابن أبي الساج، وذلك بسبب إعجابهم بكثرتهم، واستهانتهم بقلة جيش القرمطي، ثم رحل القرمطي عن الكوفة إلى الأنبار، فخاف أهل بغداد منه خوفا شديدا، فأمرت والدة[2] الخليفة بإخراج خمسمائة ألف دينار لتنفق، وأخرج الخليفة ثلاثمائة ألفا، فأخرج ذلك ودبر تفرقته، وبعث عسكراً في أربعين ألفاً، وقطعوا قنطرة عند عقرقوف[3]، فوصل إليها القرمطي، فوجدها مقطوعة، وسبر المخاضة فلم يجد عبراً، ولو وجد لم يثنه عن بغداد، فعاد إلى الأنبار.[4]

وبلغ علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر أن رجلاً يعرف بالشيرازي مقيماً ببغداد يكاتب القرمطي، فقبض عليه واستنطقه، فقال: ما صحبته إلا لأنه على الحق وأنتم مبطلون كفار. فقال: اصدقني عن الذين يكاتبونه. فقال: ولِمَ أصدقك عن قوم مؤمنين حتى تسلمهم إلى أصحابك الكافرين فيقتلوهم، لا أفعل هذا أبداً. فصُفع، وضُرب بالمقارع، وقُيد، وغُل وجُعل في فمه سلسلة، وحُبس فلم يأكل و لم يشرب ثلاثاً فمات.[5]

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٤٨-٢٤٩.

(٢) هي أم ولد يقال لها شغب، صقلبية، كانت لأم القاسم بنت محمد بن عبدالله بن طاهر، فاشتراها المعتضد، وكان الأمر لها في خلافة ابنها المقتدر، وهو يتدبر بتدبيرها، وماتت بعد قتلها في العذاب والمطالبة في يد القاهر بالله سنة(٣٢١ه). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١١/٧٤.

(٣) عقر قوف: وهي قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/١٣٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٣/٢٦٣-٢٦٤.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٦٥.

ووجه الخليفة المقتدر جيشا آخر بقيادة يلبق[1] إلى محاربة القرمطي، فلم يثبت يلبق، وانهزم، وكان يوسف بن أبي الساج أسيراً مع القرمطي، فأخرج رأسه من خيمة يتطلع لينظر إلى الوقعة، فقال له القرمطي: أردت الهرب وظننت أن غلمانك يخلصونك؟ فضرب عنقه.[2]

ولما انصرف القرمطي عن الأنبار تصدق المقتدر والسيدة وعلي بن عيسى بخمسين ألف درهم، ولما صلى الناس بمدينة السلام وسلَّموا، تصدقوا بعشرة آلاف درهم، ولما انصرف القرمطي عن هيت، تصدق المقتدر بالله من بيت مال الخاصة بمائة ألف درهم.[3]

فلما دخلت سنة(٣١٦هـ) ازدادت شرور القرمطي وطغى في البلاد وأكثر فيها الفساد، فبعث الخليفة المقتدر إلى محاربتهم هارون بن غريب إلى واسط، وصافي البصري إلى الكوفة، فقتل هارون منهم جماعة، وحمل مائة وسبعين رأساً وجماعة أسارى، وأوقع صافي بمن خرج إليهم واستأسر منهم، وأدخلوا بغداد على الجمال مشتهرين ومعهم أعلام بيض منكسة، وعليها مكتوب ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ ﴾[4] فقتلوا واستقام أمر السواد.[5]

وفي عام(٣١٧هـ) دخل أبو طاهر الهَجَري[6] إلى مكة يوم التروية، فقتل الحاج في المسجد الحرام، وفي الفجاج من مكة، وقتلهم في البيت قتلاً ذريعاً، وكان الناس في الطواف، وهم يقتلون، واقتلع الهَجَري الحجر الأسود، وقلع قبة بئر زمزم، وعرَّى الكعبة، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً من أصحابه ليقلع الميزاب[7]، فتردى الرجل على رأسه ومات، وقتل أمير مكة، وأخذ أموال الناس، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن باقيهم في مصارعهم وفي

---

(١) هو حاجب القاهر، وذكره ابن الأثير بلفظ (بليق)، قتله القاهر هو وابنه عليا ومؤنسا سنة(٣٢١هـ). ينظر: الكامل قي التاريخ، ابن الأثير، ٨٥/٧.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٦٥/١٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٥/١٣.

(٤) القصص: ٥.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٧٢/١٣-٢٧٣.

(٦) نسبة إلى هجر.

(٧) الميزاب: هو المثعب وهو فارسي معرب. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٨٤/١٥.

المسجد الحرام من غير أن يصلى عليهم، وانصرف إلى بلده، وحمل معه الحجر الأسود، فبقي عندهم أكثر من عشرين سنة إلى أن ردوه.[1]

وكان سبب هذا التمادي من القرمطي تسلط الأتراك على الخلفاء العباسيين، وانشغال الخلفاء بذلك، حيث قاموا بعزل الخليفة المقتدر وتولية أخيه القاهر بالله، ثم أعادوا المقتدر بالله بعد يومين من تولية أخيه إلى عرش الخلافة مرة أخرى.[2]

فلما كانت سنة(٣٢٣هـ) اختل أمر القرامطة، وبدأ فساد حالهم، وقتل بعضهم بعضا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾[3]، وأعادوا الحجر الأسود إلى مكة عام(٣٣٩هـ)[4]، بعث به أخو أبي طاهر الجنابي، إلى الخليفة المطيع، وكان بُجكم قد دفع فيه خمسين ألف دينار، وما أجابوا، فلما ردوه أعطاهم الخليفة المطيع مالا، وبعث به إلى مكة.[5]

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٨١/١٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٢٧٩/١٣-٢٨١.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) ينظر: أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، سهيل زكار، ٥٥-٥٦.

(٥) ينظر: مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، مخطوطة أحمد الثالث، ٣١/١١، نقلا عن: أخبار القرامطة، سهيل زكار، ٥٦.

المطلب الخامس

الدروز

الدروز طائفة من الطوائف الباطنية التي انشقت عن الإسماعيلية في عصرها العبيدي، واتخذت لها مبادئ مخالفة في ظاهرها لمبادئ الإسماعيلية، وإن لم تخالفها في الجوهر.(١)

وقد نشأت الطائفة الدرزية بالتحديد في عهد الخليفة العبيدي الحاكم بأمر الله الذي كان يتصف بصفات متناقضة غريبة، وكانت هذه الصفات تمهيدا لما يعتلج في نفسه من ادعاء الربوبية(٢)، وأصبحت صفاته المتناقضة عندهم أمرا يدل قطعا على ألوهيته.(٣)

وقد بدأت الدعوة إلى ألوهية الحاكم عام(٤٠٠هـ) تقريبا، وكانت سرية في بدايتها، حتى أصبحت جهرية عام(٤٠٨هـ)، وقد تزعم الدعوة ثلاثة من دعاة الإسماعيلية وهم:

١) حمزة بن علي الزوزني.(٤)

٢) محمد بن إسماعيل الدرزي.(٥)

٣) الحسن بن حيدرة الفرغاني(٦).(٧)

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ١٩٩.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣٩/١٥، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧٣/١٥.

(٣) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ٢٠٧.

(٤) هو حمزة بن علي بن محمد الزوزني، المؤسس الفعلي لهذه العقيدة ولد سنة(٣٧٥ه)، وأعلن سنة(٤٠٨ه) أن روح الإله قد حلت في الحاكم، ودعا إلى ذلك، وألف كتب العقائد الدرزية، مات سنة(٤٣٠ه). ينظر: الموسوعة الميسرة، مانع الجهني، ٣٩٧/١.

(٥) هو محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز، إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة(٤٠٧ه) مما أغضب حمزة عليه، وأثار الناس ضده، ففرَّ إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه، وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه، على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة(٤١١ه). ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٦) هو الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع، وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس. ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٧) ينظر: طائفة الدروز، محمد كامل حسين، ٧٥.

فأولهم حمزة بن علي الزوزني الذي وفد على مصر عام(٤٠٥هـــ) وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يترددون على دار الحكمة، ثم أصبح ممثلا لدعاة الفرس وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم بأمر الله[١]، وكون الدعاة لهذا المذهب كانوا من الفرس فإن هذا يبرر تأليههم للحاكم حيث إن الفرس معروف عنهم تقديسهم لملوكهم، ويؤمنون بنظرية الحق الملكي المقدس.[٢]

ثم التف على حمزة الاثنان الآخران وهما: محمد بن إسماعيل الدرزي، والحسن بن حيدرة الفرغاني، وكان حمزة قد اتفق مع دعاته ألا يجهر أحد، أو يكشف عن حقيقة المذهب، إلا بعد تلقي الأوامر منه، ولكن الدرزي تسرع في الكشف عن أسرار الدعوة، مما أثار غضب حمزة، ودفع الناس لمحاربة هذه الدعوة الجديدة المخالفة للعقيدة الصحيحة، وقد حاول الجنود الأتراك قتل الدرزي لولا حماية الحاكم له، حيث فر إلى قصر الحاكم، وهربه من هناك إلى بلاد الشام، فدعا فيها إلى المذهب الجديد، واستمال الكثير من سكان وادي تيم[٣] الذي نزل فيه، ولكنه انحرف بعد ذلك عن مبادئ حمزة، مما دفع حمزة إلى الأمر بقتله.[٤]

أما الحسن بن حيدرة الفرغاني فقد كان وسيلة مهمة من وسائل الإعلام للمذهب الجديد، حتى وثب عليه رجل من أهل السنة فقتله وقتل ثلاثة رجال من أتباعه.[٥]

ثم لما قُتِل الحاكم الذي كان يغذي هذه الدعوة ويساندها، فرَّ حمزة إلى الشام وبقي متواريا فيها عن الأنظار يدير أمر أتباعه عن طريق رجل من أتباعه.[٦]

---

(١) ينظر: الحركات الباطنية في الإسلام، مصطفى غالب، ٢٤١.

(٢) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ٢٠٨.

(٣) وادي تيم: منطقة من سهل البقاع ، بين سلسلتي جبال لبنان. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ٤٥٩/١.

(٤) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، ٢٠٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ٢٠٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ٢١٥.

وبناء على ما سبق فالعقيدة الرئيسية عند الدروز هي ألوهية الحاكم بأمر الله، وأنه كانت له حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام، ولا تعرف بالرأي ولا بالقياس.(١)

ويعتقد الدروز بالتناسخ والتقمص أي انتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر باعتبار أن النفس لديهم لا تموت بل يموت قميصها (الجسم) ويصيبه البلى، فتنتقل النفس إلى قميص آخر.(٢)

والدروز يقولون: إنه ليس هناك يوم للقيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ولا قيامة لها ولا بعث، ولذلك هم يقولون: إن الحياة البرزخية غير موجودة ولا يؤمنون بها.(٣)

ويعتقدون أن معبودهم وهو الحاكم بأمر الله أبدع حدودا خمسة وهي:

١) العقل الكلي وهو حمزة الزوزني.

٢) النفس وهو إبراهيم التميمي صهر حمزة.

٣) الكلمة وهو محمد بن وهب القرشي.

٤) السابق وهو سلامة السامري.

٥) التالي وهو علي السموقي.(٤)

وكذلك كان الزوزني ينكر ويقدح في جميع الأنبياء والرسل وشرائعهم، لأنهم كانوا يدعون إلى إله لم يظهر، وما استطاعوا أن يعرفوا الإله الظاهر أي الحاكم وظهوراته.(٥)

أما عن موقف الخلفاء العباسيين من هذه الطائفة فإنه حسب اطلاعي لم أجد لهم موقفا تجاه الدروز أو جهودا ضدهم، ولعل السبب في ذلك بُعْد عاصمة الخلافة العباسية عن

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ٢٢٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٣٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢٤٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ٣٠٢.

مقر الدعوة الدرزية في مصر والشام، والسرية التامة التي كان يتعامل بها أصحاب هذا المذهب، بل إن مسألة التكتم على مذهبهم أصبحت من أهم عقائدهم.

ولا أرى لضعف العباسيين سببا في ذلك، لأن العباسيين - كما سبق — مهما بلغوا من الضعف فإن مسألة العقائد عندهم كانت في المرتبة الأولى، وكانوا يحاولون القضاء على كل عقيدة مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

المطلب السادس

النصيرية

النصيرية طائفة من الطوائف الباطنية، سميت بهذا نسبة إلى محمد بن نصير النميري[1] الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهو من الشيعة الغلاة، وذلك لأنهم غلوا في علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا بألوهيته، وهم بالإضافة إلى قولهم بألوهية علي يعتقدون بتناسخ الأرواح، والتأويل بالباطن[2]، ويطلق عليهم أيضا النميرية[3]، والعلوية.[4]

وهم يعتقدون أن للأئمة ميزات خصوصية بمعنى أنهم يمتازون على بقية البشر بمزاياهم الروحية، وأن أفعالهم وأقوالهم منطبقة على الإرادة الإلهية انطباقا تاما، وأنهم معصومون ومطهرون، فهم مصدر الإرادة الإلهية بدون وحي ولا واسطة، لأنهم تحت تأثير الإرادة الإلهية، فتكون جميع أعمالهم وأقوالهم ونواياهم أي أعمالهم القلبية موافقة للإرادة الإلهية المؤثرة، وإن الآيات وردت بتطهير الأئمة من الخطأ ولم ترد بتطهير الأنبياء من الخطأ فهم أعلى منزلة من الأنبياء، وأن الإمام عارف بعلوم الأولين والآخرين، وأن مراد العلويين من إثبات المزايا الخاصة لعلي والأئمة هي المزايا الروحية لا المادية، وهم إذا ذكروهم فإنما يريدون ذلك، ولا يريدون الأجسام ولا المواد الطبيعية منهم.[5]

---

(١) هو محمد بن نصير البصري النميري، أبو شعيب، مؤسس هذه الفرقة، عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم: علي الهادي (العاشر)، والحسن العسكري (الحادي عشر)، ومحمد المهدي (الموهوم) (الثاني عشر)، مات ابن نصير سنة(٢٧٠هـ). ينظر: الموسوعة الميسرة، مانع الجهني، ١/٣٩٠.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ٣٢١.

(٣) ينظر: فرق الشيعة، للنوبختي والقمي، ٩٥.

(٤) هذه التسمية حديثة أطلقها عليهم الحزب السياسي المسمى بـــ (الكتلة الوطنية) في سوريا وذلك لرغبته في تقريب النصيرية إليه ليكتسبهم، وصادف هذا الاسم هوى في نفوس النصيرية فهم يحرصون عليه الآن. ينظر: الموسوعة الميسرة، مانع الجهني، ١/٣٩١.

(٥) ينظر: فرق الشيعة، للنوبختي والقمي، ١٧٣-١٧٦.

وكان ابن نصير يزعم أنه الباب إلى الإمام الحادي عشر من أئمة الرافضة الحسن العسكري (٢٣٠هـ_٢٦٠هـ)، فتبعه على ذلك طائفة من الروافض فسمّوا نصيرية، والروافض الاثنا عشرية ينكرون على محمد بن نصير هذه الادعاءات، ويقولون ببطلانها.[١]

وقد كان ابن نصير امتدادا في أفكاره ومعتقداته لمن سبقه من الروافض والباطنية، فالنصيرية تقول بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]، وهذا القول كان يتزعمه أبو الخطاب الأسدي حيث ادعى أن الأئمة آلهة.[٣]

وتزعم النصيرية أن أبا الخطاب هو باب الإمام السابع من أئمة الشيعة وهو (موسى الكاظم) لذا كان أبو الخطاب أول من أخذت عنه النصيرية معتقداتها، وكذلك يعتبرون المفضل بن عمر الجعفي[٤] تلميذ أبي الخطاب المخلص الباب للإمام الثامن علي الرضا.[٥]

وبعد موت محمد بن نصير خلفه في رئاسة الطائفة محمد بن جندب، ثم محمد الجنان الجنبلاني، ثم تلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي.[٦]

وفي بداية أمر ابن الخصيبي توجه إلى بغداد، ثم جهر بدعوته فحبس على إثر ذلك، لذا لجأ إلى سيف الدولة الحمداني في حلب لما استولى عليها[٧]، وهذه الفترة إذا حُسِبت بالتقريب وليس بالتحديد فإنها تكون في عهد الخليفة العباسي المطيع لله الذي بدأ حكمه عام(٣٣٤هـ) وخلع نفسه عام(٣٦٣هـ) - والله أعلم -، وذلك لأن سيف الدولة

---

(١) ينظر: الغيبة للطوسي، ٢٤١، ٢٤٢، نقلا عن كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ٣٢٣، وينظر: فرق الشيعة، للنوبختي والقمي، ٩٥.

(٢) ينظر: فرق الشيعة، النوبختي والقمي، ٩٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥٢.

(٤) هو المفضل بن عمر، أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد، الجعفي الكوفي، كان تلميذ جعفر الصادق، ثم انقطع بعده إلى أبي الخطاب، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به، خطابي، له مصنفات لا يعول عليها، قتل مع أبي الخطاب في الكوفة سنة(١٤٥ه). ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٢٦٠/١، وأحاديث يحتج بها الشيعة، عبدالرحمن دمشقية، ٤٢٧.

(٥) ينظر: تاريخ العلويين، محمد أمين غالب الطويل، ١٩٣.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١٩٤-١٩٥.

(٧) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبدالحليم النجار، ٣٥٧/٣.

الحمداني لم يستقر له الوضع والحكم في حلب إلا في بداية عام(٣٣٣هـ) تقريبا، وذلك لانشغاله بالحروب مع الإخشيديين، وقد توفي سيف الدولة عام(٣٥٦هـ).[١]

وكان الخصيبي قد أنشأ مركزين للنصيرية، أحدهما في مدينة حلب السورية ورئيسه محمد علي الجيلي، والثاني في بغداد العراقية ورئيسه علي الجسري[٢]، ولعل السرية التي اتخذها النصيرية شعارا لهم في دينهم هي التي جعلت الخلفاء العباسيين لا يشعرون بوجودهم في بغداد ولا برئيسهم المذكور.[٣]

ويذكر القمي والنوبختي أن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات كان يقوي أسباب محمد بن نصير ويعضده[٤]، ومحمد بن موسى هذا هو والد الوزير علي بن محمد بن موسى بن الفرات الذي وزر للخليفة العباسي المقتدر ثلاث مرات[٥]، واتهم أيضا بالتعاطف والتأييد والتأييد للنصيرية، وأنه كان على اتصال بالأفكار الشيعية.[٦]

وذكر ابن الأثير أن بني الفرات يدينون بالرفض، ويُعْرَفون بولاء آل علي وولده[٧]، وذكر أيضا أن الشلمغاني[٨] الذي ادعى الربوبية كانت له علاقة بالمحسِّن ابن الوزير ابن الفرات في وزارة أبيه الثالثة[٩]، وقد كان غالبا على الأمور في هذه الوزارة[١٠]، وذكر ابن الأثير أن مقالات الشلمغاني شبيهة بمقالات النصيرية، بل هي هي، وقال بعد ذلك:"فإن النصيرية يعتقدون في ابن الفرات، ويجعلونه رأسا في مذهبهم".[١١]

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٥١هـ-٣٨٠هـ)، الذهبي، ١٤٥-١٤٨.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع الجهني، ١/٣٩٠.

(٣) لأني – بحسب اطلاعي– لم أجد ذكرا لاسم علي الجسري هذا في كتب التاريخ المعتمدة، والله أعلم.

(٤) ينظر: فرق الشيعة، القمي والنوبختي، ٩٥.

(٥)كانت الأولى من عام(٢٩٦هـ) إلى (٢٩٩هـ)، والثانية من عام(٣٠٤هـ) إلى (٣٠٦هـ)، والثالثة من عام(٣١١هـ) إلى (٣١٢هـ) وهي التي قتل فيها. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٤٢١-٤٢٢.

(٦) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة (النصيري).

(٧) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/٤٠.

(٨) سيأتي ذكره.

(٩) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/١٠٣.

(١٠) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٤/٣٠٥.

(١١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/١٠٥.

وذكر ابن الجوزي أمرا عن الوزير ابن الفرات و لم يجزم به، قال:"وادعى عليه أنه كتب إلى الأعراب أن يكبسوا بغداد"[1] وهذا سبب خلعه من وزارته الأولى.

أما وزارته الثانية فقد كان سبب خلعه أنه أخر أرزاق الجند، واعتل بضيق الأموال، فقال المقتدر: أين ما ضمنت من القيام بأمر الجند؟ فقام بعزله.[2]

وكذلك ذكر الزركلي أن الوزير ابن الفرات وابنه المحسِّن كانا يقويان أمر الشلمغاني.[3]

وقد وجدت من خلال اطلاعي ثلاثة حوادث تدل على صلة الوزير علي بن محمد ابن الفرات بالباطنية ومحاولته زعزعة الأمور في دولة الخلافة العباسية وبث الفوضى فيها:

الأولى: اتهام ابن الفرات لعلي بن عيسى بأنه يراسل القرامطة عندما كان وزيرا للخليفة المقتدر، فأتى به ابن الفرات في وزارته الثالثة، وأخذ يحاسبه على كتابين أرسلهما للقرامطة ابتداء وردا، فقال ابن الفرات لعلي بن عيسى في نهاية المحاكمة: يا قرمطي. فرد عليه علي بن عيسى: أنا قرمطي، أنا قرمطي؟ يعرض به.[4]

الثانية: ما ذكره القاضي التنوخي[5] أنه كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك، في في أيام بني العباس، القضاء، فإن ابن الفرات وضع منه، وأدخل فيه قوماً بالذمامات، لا علم لهم ولا أبوة فيهم، فما مضت إلا سنوات، حتى ابتدأت الوزارة تتضع، ويتقلدها كل من ليس لها بأهل،... وكان أول وضع ابن الفرات من القضاء، تقليده إياه أبا أمية الأحوص الغلابي البصري' فإنه كان بزازاً، فاستتر عنده ابن الفرات، وخرج من داره إلى الوزارة، فقال

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ١٢٣/١٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٠١هـ-٣١٠هـ)، الذهبي، ٢٥.

(٣) ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٧٣/٦.

(٤) ينظر: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، الصابئ، ٣١٩، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٩١/١-١٩٣.

(٥) هو المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي، البصري، الأديب، صاحب التصانيف، القاضي، العلامة، أبو علي ولد سنة(٣٢٧ه) وكان إخباريا متفننا، شاعرا، نديما، ولي قضاء رامهرمز، وعسكر مكرم، وغير ذلك، توفي سنة(٣٨٤ه)، من مصنفاته: الفرج بعد الشدة - جامع التواريخ"المسمى"نشوار المحاضرة - المستجاد من فعلات الأجواد - ديوان شعر. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٢٤/١٦-٥٢٦، الأعلام، الزركلي، ٢٨٨/٥.

له في حال الاستتار: إن وليتُ الوزارة، فأي شيء تحب أن أعمل بك؟ قال: تقلدني شيئاً من أعمال السلطان.

قال: ويحك، لا يجيء منك عامل، ولا أمير، ولا صاحب شرطة، ولا كاتب، ولا قائد، فأي شيء أقلدك؟ قال: لا أدري، ما شئت.

قال: أقلدك القضاء.

قال: قد رضيت.

فلما خرج، وولي الوزارة، وهب له، وأحسن إليه، وقلده قضاء البصرة، وواسط، وسبع كور الأهواز.[1]

الثالثة: وهو ما يرويه ابن الجوزي فيقول:"وفي هذه السنة — أي ٣١٢هـ -: ضعف أمر أبي الحسن بن الفرات بعد قوته، وكان السبب أنه ورد الخبر في محرم هذه السنة بأن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي ورد إلى الهبير ليلتقي حاج سنة إحدى عشرة وثلثمائة في رجوعهم، وأوقع ببعض الحاج، ومضى بعضهم على غير الطريق، فعارضهم أبو طاهر وقاتلهم يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اثنتي عشرة، فقتل منهم قتلاً مسفاً، وأسر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان، وكان إليه الكوفة وطريق مكة وبذرقة الحاج، وأسر معه جماعة من خدم السلطان وأسبابه، وأخذ جمال الحاج وسبى من اختار من النساء والرجال والصبيان، وسار بهم إلى هجر، وترك باقي الحاج في مواضعهم بلا جمال ولا زاد، وكانت سن أبي طاهر في ذلك الوقت سبع عشرة سنة، فمات أكثر الحاج بالعطش والحفاء، وحصل له ما حزر من الأموال ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والطيب وغير ذلك بنحو ألف ألف، وكان جميع عسكره نحواً من ثماني مائة فارس، ومثلهم رجالة، فانقلبت بغداد، وخرجت النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه يلطمن ويصرخن في الشوارع، وانضاف إليهن حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات، وكانت صورة شنيعة، فركب ابن الفرات إلى المقتدر وحدثه الحال، فقال له نصر الحاجب: الساعة تقول أي شيء الرأي؟ بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بإبعادك مؤنس المظفر الذي يناضل الأعداء. ومن الذي أسلم رجال السلطان وأصحابه إلى القرمطي سواك؟ وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مؤنس

---

(١) ينظر: نشوار المحاضرة، التنوخي، ١/٢٣٢-٢٣٣.

بالتعجيل إلى الحضرة، فأمر أن يكتب إليه بذلك، ووثب العامة على ابن الفرات، فرجمت طيارته[1] بالآجر، ورجمت داره، وصاحوا: يا ابن الفرات القرمطي الكبير، وامتنع الناس من الصلاة في الجوامع، ثم قبض على ابن الفرات وابنيه وأسبابه، وحمل إلى دار نازوك والعامة يضربونه بالآجر، ويقولون: قد قبض على القرمطي الكبير، وأخذ خطه بألفي ألف دينار، وكان ابنه المحسن يخرج في زي النساء، فغمز عليه فأخذ وكتب خطه بثلاثة آلاف ألف دينار، وقتل ابن الفرات وولده المحسن". [2]

كل هذه الحوادث توضح علاقة ابن الفرات بالباطنية، ودوره الواضح في بث الفوضى في دولة بني العباس، وتقويض أركان الخلافة وسياستها، لكن لم يذكر أحدا من المؤرخين غير ابن الأثير أنه كان له علاقة بالنصيرية.

أما الشلمغاني فهو أبو جعفر محمّد بن عليّ الشَّلمغانيُّ المعروف بابن أبي القراقر أو العزاقر الذي أحدث مذهباً غالياً في التشيع، والتناسخ، وحلول الإلهيّة فيه، وكان من أتباعه أبو القاسم الحسين بن رَوْح، الذي تسمّيه الإمامية الباب، ثم اتّصل أبو جعفر الشلمغانيُّ بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة، ثم إنّه طُلب في وزارة الخاقانيّ فاستتر وهرب إلى الموصل، فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حَمدان في حياة أبيه عبدالله بن حَمدان، ثم انحدر إلى بغداد واستتر، وظهر عنه ببغداد أنّه يدّعي لنفسه الربوبيّة، وقيل: إنّه اتّبعه على ذلك جماعة منهم الحسين بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله، وكانوا يعتقدون ذلك فيه، وظهر ذلك عنهم، وطُلبوا أيّام وزارة ابن مقلة للمقتدر بالله، فلم يوجدوا. [3]

فلمّا كان في عهد الراضي في شوّال سنة(٣٢٢هـ) ظهر الشلمغانيُّ، فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه، وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً مّمن يدّعي عليه أنّه على مذهبه، يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً، وفيها خطّ الحسين بن القاسم، فعُرضت الخطوط فعرفها الناس، وعُرضت على الشلمغانيّ فأقرّ أنّها خطوطهم، وأنكر

---

(١) الطيار أو الطيارة : لم أقف على معنى هذه الكلمة، ولكن يظهر من السياق أنها نوع من السفن الصغيرة الخاصة.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ٢٣٨/١٣-٢٣٩.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠٣/٧.

مذهبه، وأظهر الإسلام، وتبرّأ ممّا يقال فيه، وأُخذ هو واثنين من أتباعه معه، وهما: ابن أبي عون، وابن عبدوس، وأُحضروا عند الخليفة الراضي، وأُمرا بصفعه فامتنعا، فلمّا أُكرها مدّ ابن عبدوس يده وصفعه، وأمّا ابن أبي عون فإنّه مدّ يده إلى لحيته ورأسه، فارتعدت يده، فقبّل لحية الشلمغانيّ ورأسه، ثم قال: إلهي وسيدي ورازقي. فقال له الراضي: قد زعمتَ أنّك لا تدّعي الإلهيّة، فما هذا؟ فقال: وما عليّ من قول ابن أبي عون، والله يعلم أنّني ما قُلتُ له: إنّني إله قط ! فقال ابن عبدوس: إنّه لم يدّع الإلهيّة وإنّما ادّعى أنّه الباب إلى الإمام المنتظر، مكان ابن رَوْح، وكنتُ أظنّ أنّه يقول ذلك تقيّة، ثم أُحضروا عدّة مرّات، ومعهم الفقهاء والقضاة والكتّاب والقوّاد، وفي آخر الأيّام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فصُلب الشلمغانيّ، وابن أبي عون، في ذي القعدة فأُحرقا بالنار، وكان الحسين بن القاسم بالرَّقّة، فأرسل الراضي بالله إليه، فقُتل آخر ذي القعدة، وحُمل رأسه إلى بغداد.[1]

وموقف الشلمغاني عندما تبرأ من فعل ابن أبي عون يذكرنا بقول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾.[2]

وقد أورد ابن الأثير أن الشلمغاني كان يقول: إنّه إله الآلهة يحقّ الحقّ، وإنّه الأوّل القديم الظاهر الباطن الرازق التامّ، المومأ إليه بكلّ معنى، وإنّ الله سبحانه وتعالى يحلّ في كلّ شيء على قدر ما يحتمل، وإنّه خلق الضدّ ليدلّ على المضدود، فمن ذلك إنّه حلّ في آدم لّما خلقه، وفي إبليسه أيضاً، وكلاهما ضدّ لصاحبه لمضادته إيّاه في معناه، وإنّ الدليل على الحقّ أفضل من الحقّ، وإنّ الضدّ أقرب إلى الشيء من شبهه، وإنّ الله عز وجلّ إذا حلّ في جسد ناسوتيّ ظهر من القدرة والمعجزة ما يدلّ على أنّه هو، وإنّه لّما غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتيّة، كلّما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر، وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة، ثم اجتمعت اللاهوتيّة في إدريس وإبليسه، وتفرّقت بعدهما كما تفرّقت بعد آدم، واجتمعت في نوح عليه السّلام وإبليسه، وتفرّقت عند غيبتهما، واجتمعت في هود عليه

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠٣/٧-١٠٥.

(٢) البقرة: ١٦٦.

السلام وإبليسه، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في صالح عليه السّلام وإبليسه عاقر الناقة، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم عليه السّلام وإبليسه نمرود، وتفرّقت لّما غاب، واجتمعت في هارون عليه السلام وإبليسه فرعون، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليسه، وتفرّقت بعدهما، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليسه، فلمّا غابا تفرّقت في تلاميذ عيسى وأبالستهم، ثم اجتمعت في عليّ ابن أبي طالب وإبليسه، ثمّ إنّ الله يظهر في كلّ شيء، وكلّ معنى، وإنّه في كلّ أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصوّر له ما يغيب عنه، حتّى كأنّه يشاهده، وإن الله اسم لمعنى، وإنّ من احتاج الناس إليه فهو إلهٌ، ولهذا المعنى يستوجب كلّ أحد أن يسمّى إلهاً، وإنّ كّل أحد من أشياعه يقول: إنّه ربّ لمن هو في دون درجته، وإنّ الرجل منهم يقول: أنا ربّ لفلان، وفلان ربّ لفلان، وفلان ربّ ربّي، حتّى يقع الانتهاء إلى ابن أبي القراقر فيقول: أنا ربّ الأرباب، لا ربوبيّة بعده، ولا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى عليّ رضي الله عنه، لأنّ من اجتمعت له الربوبيّة لا يكون له ولد ولا والد، وكانوا يسمّون موسى ومحمّداً صلى الله عليه وسلم الخائنين، لأنّهم يدّعون أنّ هارون أرسل موسى، وعليّاً أرسل محمّداً، فخاناهما، ويزعمون أنّ عليّاَ أمهل محمّداَ عدّة سني أصحاب الكهف، فإذا انقضت هذه العدّة، وهي ثلاثمائة وخمسون سنة، انتقلت الشريعة، ويقولون أنّ الملائكة كلّ من ملك نفسه، وعرف الحقّ، وإنّ الجنّة معرفتهم وانتحال مذهبهم، والنار الجهل بهم، والعدول عن مذهبهم، ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات، ولا يتناكحون بعقد، ويبيحون الفروج، ويقولون إنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم بعث إلى كبراء قريش وجبابرة العرب، ونفوسهم أبيّة، فأمرهم بالسجود، وإنّ الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم، وإنّه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه وحرم صديقه وابنه بعد أن يكون على مذهبه، وإنّه لا بدّ للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه، ومن امتنع من ذلك قُلب في الدور الذي

يأتي بعد هذا العالم امرأةً، إذ كان مذهبهم التناسخ، وكانوا يعتقدون إهلاك الطالبيّين والعبّاسيّين، تعالى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.[1]

ثم قال ابن الأثير بعد ذلك:"وما أشبه هذه المقالة بمقالة النصيريّة، ولعلّها هي هي".[2]

إذن يتبين من هذا المطلب أن الخليفتين العباسيين المقتدر والراضي كان لهما موقف مضاد للنصيرية الباطنية المؤلهين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنهم كانوا يرون كفرهم، ووجوب قتلهم.

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠٤/٧-١٠٥.

(٢)ينظر: المصدر السابق، ١٠٥/٧.

المبحث الثاني

أثرهم ضد الشعوبية

الشعوبية: مذهب يصغّر من شأن العرب، فلا يرى لهم فضلا[١]، وأصحاب هذا المذهب طائفة تبغض العرب، وتذكر مثالبها، وتفضل العجم.[٢]

وقد ظهر هذا المذهب كردة فعل للانتصارات التي حققها المسلمون العرب في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، فازداد حقد الفرس المجوس على المسلمين العرب لأنهم كانوا يرون العرب أقل الأمم، قال ابن حزم:"إن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى إنهم كانوا يُسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق".[٣]

فأخذ الشعوبيون يطعنون على العرب ويظهرون مثالبهم حتى وقعوا في الزندقة، وبين الجاحظ سبب ذلك فقال:"وربما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة، فإنَّ عامَّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان أوَّل ذلك رأي الشُّعوبية والتمادي فيه، وطول الجدال المؤدِّي إلى القتال، فإذا أبغض شيئاً أبغضَ أهلَه، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلكَ الجزيرةَ، وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السَّلف والقدوة".[٤]

---

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، ٢٦٣/١.

(٢) ينظر: شرح ابن بطال، ٣٦٢/٩.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٣٧٢/١.

(٤) الحيوان، الجاحظ، ٢٢٠/٧.

وكان الشعوبيون في بداية أمرهم يطلقون على أنفسهم (أهل التسوية) وذلك لأنهم يقولون:"إنا ذَهبنا إلى العَدْل والتّسوية، وإلى أنّ الناس كلَّهم من طِينة واحدة، وسُلالة رَجُل واحد، واحتججنا بقول النبي عليه الصلاةُ والسلام: ((المُؤمنون إخْوة تَتكافأ دِماؤُهم وَيسْعَى بذمتهم أدناهمِ وهمُ يد على مَن سواهم))[1]. وقوله في حِجة الوَداعِ – وهي خُطبته التي ودع فيها أمته وختم بها نُبوته: ((أيها الناس، إنّ الله أذهب عنكم نَخْوة الجاهليّة وفَخْرها بالآباء، كلّكم لآدم وآدم من تُراب، ليس لعربيّ على عَجَمي فَضْل إلا بالتَّقْوى))[2]. وهذا القولُ من النبي عليه الصلاةُ والسلام مُوافق لقَوْل الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]."[4]

وأدلتهم هذه صحيحة، إلا أنهم لم يكونوا يفقهون معناها لأنهم في الأصل لم يكونوا متبعين لمنهج الكتاب والسنة، لذا فقد بيَّن ابن قتيبة الدينوري في كتابه (كتاب العرب أو الرد على الشعوبية)[5]، – وقد اختصر ردوده صاحب العقد الفريد – [6] فقال:"وإنما المعنى في هذا أنَ الناس كلَّهم مِن المؤمنين سَواء في طريقِ الأحكام المنزلةِ من عند الله عزّ وجلّ والدَّار الآخرة، ولَو كان النّاس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فَضْل إلا بأمر الآخرة، لم يكن في الدُنيا شريف ولا مَشْروف، ولا فاضِل ولا مَفْضول، فما مَعْنَى قوله صلى الله عليه

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ، رقم الحديث ٢٧٥١، قال عنه الألباني: حسن صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ١٧٠/٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، ٥٣١.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ٣٥١/٣-٣٥٢.

(٥) ينظر: رسائل البلغاء، جمع: محمد كرد علي، كتاب العرب أو الرد على الشعوبية، ابن قتيبة، ٢٦٩-٢٩٥.

(٦) هو ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه المرواني بن حبيب بن حدير المرواني، مولى أمير الأندلس هشام بن الداخل، الأندلسي، القرطبي، العلامة، الأديب، الأخباري، أبو عمر، وكان موثقا نبيلا بليغا شاعرا، عاش اثنين وثمانين سنة، توفي سنة(٣٢٨ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٨٣/١٥.

وسلم: (إذا أتاكم كريمُ قَوْم فأكْرِموه)[1] وقوله صلى الله عليه وسلم: (أقيلوا ذَوِي الهيئات عَثَراتهم)[2] وقوله صلى الله عليه وسلم في قَيْس بن عاصم: (هذا سيّد الوَبَر)[3]، وكانت العرب تقول: لا يَزال الناسُ بخير ما تَباينوا فإذا تَساوَوْا هَلَكوا. وتقول: لا يَزالون بخَيْر ما كان فيهم أشْراف وأخْيار، فإذا جُمِلوا كلهم جملة واحدة هَلَكوا. وإذا ذَمَّت العربُ قوماً قالوا: سَواسية كأسْنان الحِمار. وكَيف يَستوي الناسُ في فَضَائلهم، والرجلُ الواحد لا تَسْتوي في نَفسه أعضاؤه ولا تَتكافأ مَفاصِله، ولكنْ لبعضها الفضلُ على بعض، وللرأس الفضل على جميع البَدَن بالعَقْل والحواس الخمس. وقالوا: القلبُ أمير الجَسَد، ومن الأعضاء خادمُه، ومنها مَخْدومه".[4]

وقال الإمام أحمد بن حنبل:"ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن (حبهم إيمان، وبغضهم نفاق)[5]، ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي، الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لها فضلا، فإن لهم بدعة ونفاقا وخلافا".[6]

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، رقم الحديث ٣٧١٢، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه، ٢٢٤/٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب الحد يشفع فيه، رقم الحديث ٤٣٧٥، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٨/٣.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ: ((هذا سيد أهل العرب))، ٣٣٩/١٨. قال عنه محمد بن طاهر المقدسي: غريب من حديث المبارك بن فَضَالة عن الحسن , وغريب من حديث الأصمعي عنه. ينظر: أطراف الغرائب والأفراد، ١١٦/٢.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ٣٥٦/٣-٣٥٧.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك، ٩٧/٤، والسيوطي في الجامع الصغير، ١٤٦، والحديث في سنده الهيثم بن حماد، قال عنه الذهبي في التلخيص: متروك. ينظر: هامش المستدرك، ٩٧/٤. وقال الألباني عن الحديث: ضعيف. ينظر: ضعيف الجامع الصغير، ٢٢٧.

(٦) العقيدة، أحمد بن حنبل، ٨١.

أما عن موقف الخلفاء العباسيين من الشعوبيين، فمن المعلوم أن بداية الدعوة للخلافة العباسية كانت من خراسان، و لم تقم الخلافة العباسية إلا بسيوف فارسية بقيادة أبي مسلم الخراساني، و لم يكن هذا تأييدا من الخلفاء العباسيين للشعوبية ومعاداة لجنس العرب أبدا، وإنما كان سبب ذلك ما ذكره محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لدعاته لما أرسلهم إلى خراسان، حيث قال لهم:"أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية ترى الكف، تقول: كن عبدالله المقتول، ولا تكن عبدالله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية، وأما الرقة فمسلمون أحلاف النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون إلا طاعة بني مروان، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك الصدور السليمة، والقلوب الفارغة التي لم تتقسمها الأهواء، و لم تتوزعها النحل".[١]

هذا القول يدل على حرص البيت العباسي على لزوم السرية والتكتم على الأمر حتى يأذن الله بإظهاره، وقد اتبع إبراهيم بن محمد بن علي هذا المنهج بعد وفاته أبيه، حتى إنه قال لأبي مسلم الخراساني في وصيته له لما أمَّره على شيعته في خراسان:"... وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل...".[٢]

بل إن الخليفة الأموي مروان بن محمد –آخر خلفاء بني أمية– عثر على كتاب لإبراهيم بن محمد أرسله لأبي مسلم الخراساني يأمره فيه ألا يدع بخراسان عربيا إلا قتله[٣]، وكل هذا كان تمهيدا لإعلان الدعوة والسيطرة على الأمور، وليقضي الله أمرا كان مفعولا.

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ٥٦/٧.

(٢) تاريخ الطبري، ٣٠٠/٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣١٥/٤.

ومما يدل على أن الخلفاء العباسيين لم يكن في نيتهم الوضع من شأن العرب ولا رفع الفرس، أنهم كانوا ضد الشعوبيين الزنادقة وكانوا يتتبعونهم في الآفاق ليخلصوا المسلمين من شرورهم واعتداءاتهم[1]، وأول هؤلاء:

أبو مسلم الخراساني:

كان للشعوبيين أساليب كثيرة ومتعددة لتهميش العرب، والحط من شأنهم، وتفضيل العجم عليهم منها: السيطرة على الخلفاء لإدارة دفة الحكم دون الرجوع إليهم، وهذا ما كان من أبي مسلم الخراساني، التي قامت الدولة العباسية على أكتافه، فقد قتله الخليفة المنصور عام(١٣٧هـ) لمَّا رأى منه محاولة السيطرة والاستئثار بالحكم، وعدم الاكتراث بالخليفة السفاح، والخليفة المنصور قبل توليه للخلافة وبعدها، وقد كان أبو العباس السفاح قبل ذلك متخوفا من أبي مسلم، وذلك أنه لما استأذن أبو مسلم السفاح في الحج أذن له، وكتب إلى أخيه أبي جعفر المنصور –وكان آنذاك واليا على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان— :"إن أبا مسلم كتب إليّ يستأذن في الحج، وقد أذنت له، وقد ظننت أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أوليه إقامة الحج للناس، فاكتب إلي تستأذنني في الحج، فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك"فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج، فأذن له، فقال أبو مسلم:"أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا"واضطغنها عليه.[2]

وقد كان أبو جعفر المنصور يحذر أخاه الخليفة أبا العباس من أبي مسلم، ويقول له:"يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة"فقال السفاح:"يا أخي

---

(١) ذكر المسعودي أن الخليفة المنصور كان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه في أعماله وصرفهم في مهماته، وقَدَّمهم على العرب، فامتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده، فسقطت وبادت العرب، وزال بأسها، وذهبت مراتبها، وهذا الكلام غير مقبول من المسعودي، لأن التاريخ يكذب ذلك، ولأن المسعودي ذو ميول رافضية، يقول القاضي أبو بكر بن العربي في المسعودي المؤرخ:"إنه مبتدع محتال". العواصم من القواصم، ٢٤٥ و ٢٤٩، وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب في حاشية العواصم إلى أن التدوين التاريخي إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع الباطنية والشعوبية المتلفعة برداء التشيع دور في طمس معالم الخير فيه وتسويد صفحاته الناصعة. ينظر: العواصم من القواصم، الحاشية، ١٧٧.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٨٠/٤.

قد عرفت بلاءه وما كان منه"فقال أبو جعفر:"يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة".[1]

وقد كانت النزعة الشعوبية واضحة عند أبي مسلم منذ البداية في كثير من تصرفاته وأفعاله، فكان معتزا مزهوا باستمداد قوته من الفرس الذين كانوا يدعمونه ويتكاتفون حوله، وذلك عندما واجه المنصور حركة عمه عبدالله بن علي، وعلم أبو مسلم بخوف المنصور من عمه، فقال له أبو مسلم:"لا تخفه فأنا أكفيك أمره إن شاء الله، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصونني".[2]

ولما حدث الخلاف بينه وبين الخليفة المنصور أراد أبو مسلم أن يتوجه إلى خراسان فهي معقل الشعوبية الحصين، فحاول الخليفة المنصور أن يصرفه عنها حتى لا يستعصي عليه أمره، فكتب إليه بولاية الشام ومصر، وقال له:"فهي خير لك من خراسان"[3] فأدرك أبو مسلم ما يخفيه المنصور في نفسه فقال:"هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي"واعتزم بالمضي إلى خراسان.[4]

إلا أن أبا جعفر أخذ يرسل إليه الرسل، ويتلطف به، ويوعده، ويلين له الكلام، حتى رجع أبو مسلم الخراساني إلى أبي جعفر المنصور، ومثل بين يديه، فعاتبه، وشتمه، ثم أمر بقتله، فقتل.[5]

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٤/٣٧٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/٣٧٥، وينظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، زاهية قدورة، ٢١٥-٢١٦.

(٣) المصدر السابق، ٤/٣٨١.

(٤) المصدر السابق، ٤/٣٨١، وينظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، زاهية قدورة، ٢١٥-٢١٦.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٣٨٥.

سنباذ المجوسي:

ثم خرج سنباذ المجوسي في نفس السنة في خراسان يطالب بدم أبي مسلم، فوجه إليه أبو جعفر المنصور جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل بقيادة جمهور بن مرار[1]، فهزموا سنباذ ومن معه، وقتل.[2]

ابن المقفع:

كان ابن المقفع أيضا معروفا بشعوبيته وزندقته فهو رجل فارسي الأصل، وكان أبوه يعتنق الزرادشتية[3] فنشأ زرادشتيا كأبيه، وقد جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي – عم الخليفتين السفاح والمنصور – فقال: قد دخل الإسلام في قلبي، وأريد أن أسلم على يدك. فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس، فإذا كان الغد فاحضر. ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم[4] على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أن أبيت على غير دين. فلما أصبح أسلم على يده.[5]

---

(١) هو جمهور بن مرار العجلي، قائد شجاع، كان من قادة الجيوش في أيام المنصور العباسي، وآخر ما وجهه به المنصور إلى سنباذ، فلما استولى على أمواله، أقام في الري، ولم يوجه ما غنمه إلى المنصور، فطلبه المنصور، فامتنع وخلع الطاعة وجمع جيشا من فرسان العجم، فسير إليهم المنصور محمد بن الأشعث، فقتله وحمل رأسه إلى المنصور، وذلك سنة(١٣٨ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٣٦/٢.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٨٨/٤.

(٣) الزرادشتية: أصحاب زردشت بن يورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢٦٤/٢-٢٦٥.

(٤) الزمزمة: أي قراءة شيء من كتبهم الدينية قراءة خافتة على المأكول تقديساً وشكراً له. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ٦٩٥/٦.

(٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١٥١/٢.

وكان الخليفة المهدي بن المنصور يقول:"ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع".[1]

وجاء في المنتظم عن الجاحظ أن ابن المقفع كان من الذين يتهمون في دينهم.[2]

ومر ابن المقفع ببيت نار للمجوس بعد أن أسلم، فتلمحه ثم قال:

يا بيت عاتكة الذي أتعـــــــــزل	حذر العدى وبه الفـــؤاد موكـــل
إني لأمنحك الصدود وإنـــي قســـماً	إليك مـــع الصـــدود لأميـــل[3]

وقد كانت له رسالة كتبها للخليفة المنصور، وهي رسالة في الصحابة[4]، تصدى فيها لإصلاح المجتمع، واستعان في إصلاحه بالتراث الفارسي، وذلك عندما تكلم عن أصحاب أمير المؤمنين المنصور –أي بطانته– إذ يرجو منه حسن اختياره لهم، فيراعي فيهم الحسب، والنباهة، والمعروف، والرأي، وكان في ذلك متأثرا بتراث بلاد فارس، حيث لم يكن اختيار البطانة من عامة الشعب، بل من الأساورة وأبناء الملوك[5]، حيث يقول:"ومما يذكَّر به أمير المؤمنين أمر أصحابه، فإن من أولى أمر الوالي منه بالتثبت والتحيز أمر أصحابه، الذين هم بهاء فنائه، وزينة مجلسه، وألسنة رعيته والأعوان على رأيه، ومواضع كرامته، والخاصة من عامته، فإن أمر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكتاب قبل خلافة أمير المؤمنين عملا قبيحا، مفرط القبح، مفسد للحسب والأدب والسياسة، داعيا للأشرار، طاردا للأخيار، فصارت صحبة الخليط أمرا سخيفا، فطمع فيه الأوغاد، وتزهد فيه من كان يرغب فيما دونه".[6]

ويَظهر ولاؤه وتعصبه للفرس عندما يتحدث عن الجند، فيقول:"فمن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين أمتع الله به أمر هذا الجند من أهل خراسان، فإنهم جند لم يدرك مثلهم

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ٥٦/٨.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ٥٦/٨.

(٣) المصدر السابق، ٥٦/٨. والأبيات للشاعر الأحوص، ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ٣١٦.

(٤) ليس المقصود بهذه الرسالة الصحابة رضوان الله عليهم، إنما المقصود بها بطانة الملوك.

(٥) ينظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، زاهية قدورة، ١١٩.

(٦) رسالة في الصحابة، ابن المقفع، ضمن رسائل البلغاء، جمع: محمد كرد علي، ١٢٧.

في الإسلام، وفيهم منعة بها يتم فضلهم إن شاء الله، أما هم فأهل بصر بالطاعة، وفضل عند الناس، وعفاف نفوس وفروج، وكف عن الفساد، وذل للولاة، فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم".[١]

وكان مذهب ابن المقفع التشكيك في الإسلام، فقد ذكر البيروني[٢] أنه كان يتمنى لو تمكن من ترجمة كتاب (بنج تنتر)، وهو المعروف بكتاب (كليلة ودمنة)، فإنه تردد بين الفارسية والهندية، ثم العربية والفارسية، على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم إياه، كعبدالله بن المقفع في زيادته باب (برزويه)[٣] فيه قاصدا تشكيك ضعفى العقائد في الدين، وكسرهم للدعوة إلى مذهب (المنانية)[٤]، وإذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل.[٥]

وقد كان برزويه هذا يقول في آخر الباب:"فحينئذٍ صار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملي، لعلي أصادف باقي أيامي زماناً أصيب فيه دليلاً على هداي، وسلطاناً على نفسي، وقواماً لأمري، فأقمت على هذه الحال، وانتسخت كتباً كثيرةً، وانصرفت من بلاد الهند، وقد نسخت هذا الكتاب".[٦]

وقد كان ابن المقفع كثير السخرية بالعرب، فكان هذا سبب قتله، حيث إنه كان يسخر من سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب أمير البصرة، وينال من أمه، وكثر ذلك منه، فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة – وهما عما المنصور – ليكتبا أماناً لأخيهما عبدالله

---

(١) المصدر السابق، ١٢١.

(٢) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتبا كثيرة جدا، منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية – الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب – الجماهر في معرفة الجواهر – وغيرها كثير، توفي سنة(٤٤٠هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣١٤/٥.

(٣) ذكر في فهرس الأعلام من كتاب البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٣، أن برزويه فيلسوف إيراني.

(٤) المنانية: هم الذين يقولون: إن أصلين لم يزالا، وهما نور وظلمة، وإن النور والظلمة حية، وإن كليهما غير متناه، إلا من الجهة التي لاقى منها الآخر، وأما من جهاته الخمس فغير متناه، وإنهما جرمان، ثم لهم في وصف امتزاجهما أشياء شبيهة بالخرافات، وهم أصحاب ماني. ينظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ٥١/١.

(٥) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، ١٢٣.

(٦) كليلة ودمنة، ابن المقفع، ٩١.

بن علي من المنصور، وكان عبدالله المذكور قد خرج على ابن أخيه المنصور، وطلب الخلافة لنفسه، فأرسل إليه المنصور جيشاً مقدمه أبو مسلم الخراساني، فانتصر أبو مسلم عليه، وهرب عبدالله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور، فشفعا له عند المنصور ليرضى عنه، ولا يؤاخذه بما جرى منه، فقبل شفاعتهما، واتفقوا على أن يكتب له أمانا من المنصور، فلما أتيا البصرة قالا لعبدالله ابن المقفع: اكتبه أنت، وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور، وقد كان ابن المقفع كاتباً لعيسى بن علي، فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله:"ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبدالله بن علي، فنساؤه طوالق، ودوابه حبَّس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حل من بيعته".[1]

وكان ابن المقفع يتنوق[2] في الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه، وقال: من كتب هذا؟ فقالوا له: رجل يقال له عبدالله ابن المقفع يكتب لأعمامك، فكتب إلى سفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله، وكان سفيان شديد الحنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره، فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان، فأخَّر إذنه حتى خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة، فقتله فيها.[3]

أستاذسيس:

ثم خرج في عام(١٥٠هـ) أستاذسيس في خراسان على الخليفة المنصور، فوجه المنصور خازم بن خزيمة إلى ابنه المهدي في نيسابور[4]، فولاه المهدي محاربة أستاذسيس وضم وضم القواد إليه، فكانت الحرب بينهما شديدة حتى أظفرهم الله بأستاذسيس ومن معه،

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١٥٢/٢.

(٢) التنوق: هو الإجادة والمبالغة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٣٤/١٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٥٢/٢.

(٤) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، بينها وبين الري مائة وستون فرسخا. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٣١/٥.

فأوثق هو وأهل بيته بالحديد، وكتب خازم بما فتح الله عليه وأهلك عدوه إلى المهدي، فكتب بذلك المهدي إلى أمير المؤمنين المنصور.[١]

البرامكة:

وكذلك كان البرامكة، فقد حاولوا السيطرة في زمن الخليفة هارون الرشيد، وكانوا يكيدون للإسلام وأهله، ويحبون الإلحاد وأهله، كما ذكر ذلك عنهم محمد بن الليث[٢] للرشيد، وصدقه الرشيد في ذلك، بعد ما أغرى البرامكة الرشيد بمحمد بن الليث، فقال يحيى ابن خالد البرمكي للرشيد: إنه متهم على الإسلام. فأمر به الرشيد فوضع في المطبق، فلما اكتشف الرشيد أمر البرامكة أخرجه من السجن.[٣]

وقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور لا يثق بخالد بن برمك، لأنه كان يراه مائلا إلى العجم، وذلك عندما استشاره في نقض بناء إيوان كسرى بالمدائن، وحمل نقضه إلى مدينة بغداد أثناء بنائها، فقال خالد: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين. قال المنصور: ولم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام، يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو على أمر دين، ومع هذا يا أمير المؤمنين فإن فيه مصلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. قال المنصور: هيهات يا خالد! أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم. وأمر أن ينقض القصر الأبيض فنقضت ناحية منه، وحمل نقضه، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور فدعا بخالد بن برمك فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين قد كنت أرى قبل ألا تفعل، فأما إذا فعلت، فإني أرى أن تهدم الآن، حتى تلحق بقواعده، لئلا يقال أنك قد عجزت عن هدمه. فأعرض المنصور عن ذلك، وأمر ألا يهدم.[٤]

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٤٩٥.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٦٥٧.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٤٧٨.

ويذكر أن يحيى بن خالد البرمكي مر ببيت نار للمجوس فقال:

يا بيت عاتكة الذي أتعـــــــــزل　　　حذر العدى وبه الفــؤاد موكــل
إني لأمنحك الصدود وإنــني قســماً　　　إليك مــع الصــدود لأميــل[1]

وقال عنهم الأصمعي:

إذا ذكـــر الشـــرك في مجلـــس　　　أضـــاءت وجـــوه بـــني برمـــك
وإن تليـــت عنـــدهم آيـــــة　　　أتوا بالأحاديث عـــن مـــزدك[2]

بل إن البرامكة كانوا يتصرفون في الحكم بما يشاؤون بدون إذن الخليفة العباسي الرشيد، ومن ذلك ما فعله جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي عندما أطلق يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكان الرشيد قد أودعه جعفرا، فحبسه، ثم أطلقه دون علم الرشيد، ووجه معه من أوصله إلى مأمنه.[3]

وكان البرامكة ينفقون المال الكثير لبناء القصور، وكانوا ينافسون بها قصر الرشيد لمضاهاته في الحكم، وجلب الناس إليهم، وصرفهم عن الخليفة[4]، حتى كانت لهم دولة في الدولة العباسية، يقول المسعودي:"وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما".[5]

وقيل إنه رفعت إلى الرشيد قصةٌ لم يعرف رافعها وفيها:

قـــل لأمـــين الله في أرضـــه　　　مـــن إليـــه الحـــلُّ والعقـــد

---

(١) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ٣١٦. والأبيات للشاعر الأحوص.

(٢) ينظر: المعارف، ابن قتيبة، ٣٨٢.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٥٨/٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٦٥٩/٤.

(٥) مروج الذهب، المسعودي، ٣٨٩/٣.

هذا ابن يحيى قـــد غـــدا مالكـــا		مثلـــك، مـــا بينكمـــا حـــــدُّ
أمـــــرك مــــــردود إلى أمـــــره		وأمـــــره لـــــــيس لـــــــه رد
وقد بنى الدار التي ما بـــنى الـــــ		فـــرس لهـــا مثـــيلاً ولا الهنـــد
الـــدر واليـــاقوت حصـــباؤها		وتربهـــا العـــــنبر والنـــــدُّ
ونحــــن نخشـــــى أنـــــه وارث		ملـــك إن غيبـــك اللـــــحد
ولـــن يبـــاهي العـــــبد أربابـــه		إلا إذا مـــا بطـــــر العـــــبد[1]

قال أحد الباحثين:"لقد تنكب الرشيد للبرامكة بسبب إساءة استعمال السلطة، فقد أطلقوا عدو الرشيد دون علمه، وأنفقوا الأموال على قصورهم وخدمهم وبني ملتهم، وتطاولوا في بنيانهم، وحملوا الشعوبية وكل ما هو فارسي، كل ذلك على حساب الرشيد، كأنهم هم الخلفاء".[2]

وقال أيضا:"لقد شوه الفرس أيضا سيرة الرشيد انتقاما للبرامكة أو دولة البرامكة كما أسموها، فالمؤرخون أصحاب الميول الشعوبية أو الفارسية، أو الذين يميلون، أو الذين يرغبون في الكيد للإسلام وأهله وأعلامه، شوهوا سيرة الرشيد، وروجوا إشاعة العباسة[3] لطمس معالم حركتهم".[4]

وقد اتبع الشعوبيون أسلوب ترجمة الكتب الفارسية لبعث الديانات الفارسية، والسعي إلى نشرها وإشاعتها بين العرب[5]، وهذا ما قام به الفضل بن سهل[6] قبل إسلامه،

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٢٦/١١.

(٢) هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، شوقي أبو خليل، ٢٤٦.

(٣) قصة العباسة بنت المهدي التي ذكر المؤرخون أنها أحد أسباب نكبة البرامكة، يرى الدكتور شوقي أبو خليل أنها لا أساس لها من الصحة، وأنها كذب وافتراء وتشويه لصورة الخليفة المجاهد هارون الرشيد، وقد نقض هذه القصة نقضا علميا دقيقا مقنعا. ينظر: المرجع السابق، ٢٢٨-٢٤١.

(٤)ينظر: المرجع السابق، ٢٥٣.

(٥) ينظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة، محمد أحمد الخطيب، ٢٠.

(٦) هو الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون، وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه، وأسلم على يده سنة(١٩٠ه) وكان مجوسيا، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) مولده ووفاته في سرخس (بخراسان)، قتله جماعة بينما كان في الحمام، قيل: إن =

إسلامه، فقد نقل كتابا من الفارسية إلى العربية[1] ليحيى بن خالد بن برمك، فأعجبه فهمه، وجودة عبارته، وقال له: إني أراك ذكياً، وستبلغ مبلغاً رفيعاً، فأسلم حتى أوصلك بولد أمير المؤمنين. فقال: نعم. فبعثه إلى ولده جعفر، فأدخله على المأمون[2]، وهذا يعني أنهم كانوا يتخذون الإسلام سلما للوصول عن طريقه إلى السلطة والرئاسة، وهذا ما كان يحصل في الواقع.

وقد كان علاَّن الوراق الشعوبي أصله من الفرس، وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، وعمل"كتاب الميدان"في المثالب، والذي هتك فيه العرب، وأظهر مثالبها، ابتدأ ببني هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن، وكان قد عمل كتاباً لم يتمه سماه"الحلية"انقرض أثره.[3]

وقد كانت نكبة البرامكة عام(١٨٧هـ).[4]

بابك الخرمي والأفشين والمازيار:

سبق الحديث عن هؤلاء الثلاثة في مطلب الخرمية من هذا الباب، وكيف أنهم كانوا على مذهب الباطنية الذي ينتمي إلى المجوس الفرس، وأنهم كانوا على دينهم القديم، ومنهم من كان يتظاهر بالإسلام، ويبطن دين آبائه وأجداده، وكيف كان موقف الخليفة المعتصم منهم.

وذكر المازيار أثناء محاكمة الأفشين، أن للأفشين أخا يقال له خاش، وكان خاش هذا يكاتب أخا المازيار قوهيار فيقول: إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك

المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره. وكان حازما عاقلا فصيحا، من الأكفاء، أخباره كثيرة، توفي سنة(٢٠٢هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤١/٤-٤٧.

(١) وقد ذكر ذلك البيروني في كتابه: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ١٢٣.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٥٧/٧.

(٣) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ١١٨، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٦٣١/٤.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٥٧/٤.

وغير بابك، فأما بابك فإنه بحمقه قتيل نفسه، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت، فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيه، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب، والمغاربة، والأتراك، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب - يعني المغاربة - إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين - يعني الأتراك - فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم.[1]

وهذا يبين ما عليه الفرس العجم من التكبر والتعاظم على غيرهم من الشعوب، ورؤيتهم لأنفسهم أفضل الشعوب على الإطلاق.

المقنع:

وهو رجل من أهل مرو، وقد خرج عام(١٦١هـ) وكان قد عرف شيئا من الهندسة والحيل، وكان على دين الرزامية[2] بمرو، ثم ادعى لنفسه الإلهية واحتجب عن الناس ببرقع من حرير[3] واغتر به قوم من السفهاء، ودامت فتنته على المسلمين مقدار أربع عشرة سنة، وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين في أيام المهدي بن المنصور، وكان المقنع قد أباح لأتباعه المحرمات، وحرم عليهم القول بالتحريم، وأسقط عنهم الصلاة والصيام وسائر العبادات، وزعم لأتباعه أنه هو الإله، وأنه كان قد تصور مرة في صورة آدم، ثم

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٤/٥.

(٢) الرزامية: أتباع رزام بن رزم، ساقوا الإمامة من علي إلى ابنه محمد، ثم إلى ابنه هاشم، ثم إلى علي بن عبدالله ابن عباس بالوصية، ثم ساقوها إلى محمد بن علي، وأوصى محمد إلى ابنه، إبراهيم الإمام، وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا إليه، وقال بإمامته، وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم، حتى قيل: إن أبا مسلم كان على هذا المذهب، لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبي مسلم، فقالوا: له حظ الإمامة، وادعوا حلول روح الإله فيه، ولهذا أيده على بني أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم، وقالوا بتناسخ الأرواح. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١٥٢/١.

(٣) ذكر ابن خلكان أنه كان يتخذ وجها من ذهب لأنه كان مشوه الخلق أعور ألكن قصيراً. ينظر: وفيات الأعيان، ٢٦٤/٣.

تصور في وقت آخر بصورة نوح، وفي وقت آخر بصورة إبراهيم، ثم تردد في صور الأنبياء إلى محمد، ثم تصور بعده في صورة علي، وانتقل بعد ذلك في صور أولاده، ثم تصور بعد ذلك في صورة أبي مسلم الخراساني، ثم زعم أنه في زمانه الذي كان فيه قد تصور بصورة هشام بن حكيم، وكان اسمه هاشم ابن حكيم، وقال: إني إنما أنتقل في الصور لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها ومن رآني احترق بنوري.[1]

وجهز الخليفة المهدي إليهم صاحب جيشه معاذ بن مسلم في سبعين ألفا من المقاتلة، ثم أفرد المهدي سعيدا الحرشي بالقتال وبتدبير الحرب فقاتله سنين، وقاتل جند المقنع من وراء خندقه، فاستأمن منهم إليه ثلاثون ألفا، وقُتِل الباقون منهم، وأحرق المقنع نفسه في تنور في حصنه قد أذاب فيه النحاس مع السكر حتى ذاب فيه، وافتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رمادا، قال البغدادي:"وزعموا أنه صعد إلى السماء، وأتباعه اليوم في جبال أبلاق أكره أهلها، ولهم في كل قرية من قراهم مسجد لا يصلون فيه، ولكن يكترون مؤذنا يؤذن فيه، وهم يستحلون الميتة والخنزير، وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره، وإن ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الذي في مسجدهم قتلوه وأخفوه، غير أنهم مقهورون بعامة المسلمين في ناحيتهم، والحمد لله".[2]

وذكر الطبري أن سعيدا الحرشي حصره، فاشتد عليه الحصار، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا فيما ذكر جميعا، ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي وهو بحلب، وكان قتله عام(١٦٣هـ).[3]

---

(١) الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٤/٥٦٦.

بشار بن برد:

وهو من الشعوبيين الزنادقة الذين اتخذ الخلفاء العباسيون نحوهم موقفا حازما، وهو فارسي الأصل مولى بني عقيل، وجده (يرجوخ) من سبي المهلب بن أبي صفرة من طخارستان[1]، وكان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.[2]

وكان بشار كثير التلون في ولائه، شديد التشعب والتعصب للعجم، فمرة يفتخر بولائه في قيس، ومرة يفتخر بولاء بني عقيل، ومرة يتبرأ من ولاء العرب.[3]

ودخل مرة على الخليفة المهدي فقال له: فيمن تعتد يا بشار؟ فقال بشار: أما اللسان والزي فعربيان، وأما الأصل فعجمي، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين:

ونُبِّئْـــتُ قومـــاً بهـــم جِـــنَّةٌ	يقولونَ: مَنْ ذا؟ وكنـــتُ العَلْـــم
ألا أَيُّهـــا الســـائِلي جاهـــداً	لِيَعرِفَنِـــي أنـــا أنـــفُ الكَـــرَمْ
نَمَتْ في الكـــرامِ بَنِـــي عـــامرٍ	فُروعِي وأصْلِي قريشُ العَجَـــمْ[4]

ثم قال له الخليفة المهدي: فمن أي العجم أصلك؟ فقال: من أكثرها في الفرسان، وأشدها على الأقران، أهل طخارستان.[5]

وذكر الجاحظ أن بشارا كان يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة[6]، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وامتناعه من السجود لآدم، وذكر ذلك في شعره، فقال:

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢٧١/١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٤٢٠/١.

(٣) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ١٣١/٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٣٠/٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٣٠/٣.

(٦) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٢٤/١.

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ والنــارُ مُشْــرِقَةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانــتِ النــارُ[1]

وكان كثير السخرية بالدين الإسلامي[2]، حتى شهد عليه أصحابه أنه لم يكن يصلي[3]، وقد بلغ الخليفة المهدي أن بشاراً قد هجاه، وشُهِد أنه زنديق، وكان المهدي من أشد خلفاء بني العباس على الزنادقة، فأمر المهدي بضربه، فضرب ضرب التلف، فمات في سنة(١٦٧هـ)[4]، وقيل غرَّقه وأتباعه في دجلة.[5]

صالح بن عبدالقدوس:

وهو شاعر من موالي الأزد، اتهم بالزندقة فأدخل على الخليفة المهدي، فلما خاطبه أعجب به، لغزارة أدبه وعلمه وبراعته، وبما رأى من فصاحته وحسن بيانه وكثرة حكمته، فأمر بتخلية سبيله، فلما ولّى ردّه، فقال له: ألست القائل:

وإن مــن أدبتــه في الصــبا كالعود يسقي المــاء في غرســه

حتى تراه مورقــاً ناضــراً مــن بعد مــا أبصــرت مــن يبســه

والشــيخ لا يتــرك أخلاقــه حتى يــوارى في ثــرى رمســه

إذا ارعــوى عــاد إلى جهلــه كذي الضــنا عــاد إلى نكســه

قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وأنت تترك أخلاقك؟ ونحن نحكم في نفسك بحكمك. فأمر به فقتل.[6]

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ١/١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ١٦١هـ-١٧٠هـ)، الذهبي، ٩١.

(٢) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٣/١٥٣-١٥٤-١٥٥، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ٢/٣٦-٣٧.

(٣) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ٣/٢٢٠.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٨/٢٩٠.

(٥) ينظر: التبصير في الدين، الإسفراييني، ٣٥.

(٦) طبقات الشعراء، ابن المعتز، ٩٠.

ويروي ابن المعتز[1] رواية أخرى من غير هذا الوجه بما هو عنده أثبت من الرواية الأولى، وهي أنه بلغ الخليفة الرشيد عنه أبياتٌ يعرِّض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم، فيقول:

غصـــب المســـكين زوجتـــه	فجـــرت عينـــاه مـــن درره
ما قضى المســـكين مـــن وطـــرٍ	لا ولا المعشـــار مـــن وطـــره
عـــذت بـــالله اللطيـــف بنـــا	أن يكـــون الجـــور مـــن قـــدره

- عليه لعنة الله إن كان قالها - فقال له الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: لا، والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، ولا تسفك دمي على الشبهة، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله:"ادرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم"[2] وأخذ يرقق قلبه، ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه، ويتلو القرآن، حتى رقّ له، وأمر بتخلية سبيله، فلما أراد أن يخرج من بين يديه قال: أنشدني قصيدتك السينية، فأنشده حتى إذا بلغ قوله:

والشـــيخ لا يتـــرك أخلاقـــه	حتى يـــوارى في ثـــرى رمســـه

قال: يا شيخ، هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشعر - يعني الأبيات التي نسبت إليه - ونحن نتمثل وصيتك، ثم أمر، فضربت عنقه، وصلب على الجسر.[3]

وروى ابن المعتز عنه أيضا أنه اجتمع قوم من أهل الأدب في مجلس فيهم صالح بن عبد القدوس، يتناشدون الأشعار، إلى أن حانت الصلاة، فقام القوم إلى ذلك، وقام صالح

---

(١) هو عبدالله بن المعتز بالله أمير المؤمنين، واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن أبي إسحاق المعتصم بالله، يكنى أبا العباس، كان متقدما في الأدب، غزير العلم، بارع الفضل، حسن الشعر، ولد سنة(٢٤٧هـ) تولى الخلافة يوما واحدا، ثم قتل في اليوم الثاني، وذلك سنة(٢٩٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٠/٩٥-١٠٠.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود، رقم الحديث ١٤٢٤، ولفظه: ((... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة))، قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: ضعيف سنن الترمذي، ١٥٧.

(٣) طبقات الشعراء، ابن المعتز، ٩٠-٩١.

فتوضأ، وأحسن، ثم صلى أتم صلاة وأحسنها، فقال بعضهم: أتصلي هذه الصلاة ومذهبك ما تذكر؟ فقال: إنما هو رسم البلد، وعادة الجسد.(١)

ومع ذلك فإن ابن المعتز يعتذر له، ويذكر أن الرجل له في الزهد في الدنيا، والترغيب في الجنة، والحث على الطاعة لله عز وجل، والأمر بمحاسن الأخلاق، وذكر الموت والقبر، ما ليس لأحد، وكان شعره كله أمثالاً وحكماً.(٢)

وروى ابن المعتز عن أحمد بن إبراهيم المعبر قال: رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكاً مستبشراً، فقلت له: ما فعل الله بك؟ وكيف نجوت مما كنت فيه؟. فقال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته. وقال: قد علمت براءتك مما كنت تعرف به، وترمى باعتقاده(٣). والله أعلم بالصواب.

ومع ذلك فإن الخلفاء العباسيين قد عملوا على تحقيق المساواة الاجتماعية والسياسية بين العناصر المختلفة في الدولة العباسية، وعملوا على تكوين دولة إسلامية تعيش فيها جميع الشعوب على قدم المساواة، وتمسك الخلفاء بقواعد الإسلام، فقربوا الفقهاء، وأظهروا اعتمادهم عليهم، وأعلنوا عن استنادهم إلى الشريعة في الحكم، وحاولوا فهم متطلباتهم وتطبيقها أحيانا في الحياة العامة، وجعلوا حماية الإسلام من أهدافهم الأساسية، وهم يدركون أن الإسلام قاعدة السلطان، وأن التهجم عليه، أو المروق منه ينطوي على تهديد للكيان القائم، ومن هنا جاء موقف العباسيين الحازم من الشعوبية والزنادقة.(٤)

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٩١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٩١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٩٢.

(٤) ينظر: الجذور التاريخية للشعوبية، عبدالعزيز الدوري، ٦١، والزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما، سميرة الليثي، ١٨٨.

المبحث الثالث

أثرهم ضد الصوفية الاتحادية

نشأ المجتمع الإسلامي الأول نشأة طبيعية متكاملة، غير متكلفة، جمعت بين الفطرة السليمة والوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، كان العرب يومها وخاصة أهل المدن كقريش والأوس والخزرج أقرب إلى الفطرة من الأمم الأخرى، فقد اختار الله لنبيه أفضل الأجيال، رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنفه ورعايته فكانوا: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[١]، وعندما يبدر من أحدهم أي اجتهاد يخالف الحنيفية السمحة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحح لهم الطريق، ويعود بهم إلى الجادة المستقيمة، وعندما همّ ثلاثة من الصحابة بترك الدنيا من نساء وأموال بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم بردهم إلى الطريق الوسط قائلاً لهم:((أما أنا فأصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٢].

وكان التابعون وكثير من تابعي التابعين على مثل ذلك، يجمعون بين العلم والعمل، وبين العبادة والسعي على نفسه وعياله، وبين العبادة والجهاد...ثم بدأ ظهور طبقة يغلب عليها جانب العبادة والبعد عن الناس مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة، ولأسباب معينة قد يغلب على أحدهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، فهؤلاء وإن كانت أحوالهم عالية جداً، ولكن أحوال الصحابة ومن اقتفى أثرهم من التابعين أفضل، فكان ظهور طبقة العباد هذه تمهيدا لظهور فرقة الصوفية، والتي مرت بثلاث مراحل تطورت فيها حتى وصلت إلى درجة الغلو، وانتقلت من البدع العملية إلى البدع القولية الاعتقادية بعد أن

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٥٠٦٣).

دخلت عليها عناصر خارجية، وهي كأي تفرق يبدأ بسيطاً ساذجاً، ثم ينتقل إلى التأصيل والتفريع، ثم الإيغال في الضلال.

ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وتشمل القرنين الأول والثاني، وقد شهدت ظهور عباد وزهاد ونساك كانت السمة البارزة فيهم التمسك بالمنهج الرباني ، والسير على نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم، ما عدا بعض المغالاة والتشدد في أمور العبادة، والتي ظهرت من البعض من غير قصد.[1]

المرحلة الثانية: وتشمل القرون الثالث والرابع والخامس، وهذه المرحلة هي امتداد لأفكار المرحلة الأولى، ولكنها تتميز عنها بأنها أخذت منحى آخر عني فيه المتصوفة عناية شديدة بالدراسة والبحث، حيث اتجهت أفكارهم إلى التعمق في النفس بكشف أسرارها، والكلام عن معان لم تكن موجودة من قبل، واختلط التصوف بالفلسفة، واستعملت لغة الرموز والغموض، وظهرت مصطلحات تمهد لظهور الطرق الصوفية.[2]

المرحلة الثالثة: وتشمل القرون السادس والسابع وما بعدها، وقد نحى فيها التصوف منحا خطيرا، فقد ارتبطت أفكاره بالفلسفة الغنوصية[3]، ونظريات الاتحاد ووحدة الوجود،

---

(١) ينظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية ، محمد الجوير ، ٣٧-٣٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق ، ٤٤-٤٥.

(٣) الغنوصية: من الكلمة اليونانية غنوصيص، ومعناها علم أو معرفة أو حكمة أو عرفان، وفي التراث العربي الإسلامي، تُستخدَم كلمة عرفان عند المتصوفين لتدل على نوع أسمى من المعرفة يُلقَى في القلب في صورة كشف أو إلهام، والعرفان حسب تعريف المؤرخين له: هو العلم بأسرار الحقائق الدينية والخصائص الإلهية، وبكل ما هو سري وخفي كالسحر والتنجيم والكيمياء، وهو من وجهة نظر صاحب العرفان أرقى من العلم الذي يحصل لعامة المؤمنين البسطاء، أو لأهل الظاهر من العلم الديني الذين يعتمدون النظر العقلي. والعرفاني هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل يغوص في باطنها لمعرفة أسرارها، وهي معرفة تقوم على تعميق الحياة الروحية واعتماد الحكمة في السلوك وهو ما يمنح القدرة على استعمال القوى التي هي من ميدان الإرادة، ومن ثم تصبح الإرادة بديلاً للعقل، فالمعرفة هنا لا تعني العلم، أي اكتساب معارف، بل بذل مجهود متواصل بقصد التطهير والتخلص من الأدران والتوصل للصيغة =

وعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية، مستخدمين في التعبير عنها مصطلحات فلسفية.[1]

هذه المراحل أو الطبقات ليست منفصلة عن بعضها، وغير محددة بزمن معين تنتهي إليه، بحيث أن كل مرحلة تسلّم إلى المرحلة التي تليها ، ولكن هذا التطور حصل في العصور الإسلامية، فكان الغالب على بدايات التصوف عدم الغلو ، ثم إن التصوف بلغ قمة الانحراف في القرن السابع على يد ابن عربي[2] وابن الفارض[3] وأمثالهما.

والمهم في هذا المبحث هم أصحاب المرحلة الثالثة الذين ظهروا في عهد الدولة العباسية وموقف خلفاء بني العباس منهم، وأبرز من يمثل هذه المرحلة في هذه الحقبة من الزمن هو: الحسين بن منصور الحلاج الذي يكنى بأبي مغيث، وكان جده مجوسيا، وقد ادعى الألوهية والربوبية، وكانت له أقوال وأشعار تدل على مذهبه منها قوله:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[4]

الغنوصية اللازمة لرحلة العودة للاندماج من جديد في العالم الإلهي الذي جاء منه الإنسان. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٥/٣٨.

(١) ينظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، ٥٤.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية، وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، واستقر في دمشق، له مصنفات كثيرة منها: الفتوحات المكية – فصوص الحكم – مفاتيح الغيب — وغيرها كثير، توفي سنة(٦٣٨هـ). ينظر: فوات الوفيات، الكتبي، ٣/٤٣٥-٤٤٠.

(٣) هو عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض،أبو حفص وأبو القاسم، صاحب القصيدة التائية التي يعلن فيها وحدة الوجود، مات سنة(٦٣٢هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٤٥٤-٤٥٦، والأعلام، الزركلي، ٥/٥٥-٥٦.

(٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/١٢٩.

ولما قدم بغداد أخذ يدعو الناس إلى مذهبه، فاستغوى كثيرا منهم، وكان طمعه في الرافضة لدخوله من طريقهم، وكان يدعو كل قوم إلى مذهبه على حسب ما يستبله طائفة طائفة.[1]

وقد وجدت كتب في داره من قوم تدل مخاطبتهم له أنهم دعاته في الأطراف يقولون فيها: وقد بذرنا لك في كل أرض ما يزكو فيها، وأجاب قوم إلى أنك الباب -يعنون للإمام- وآخرون أنك صاحب الزمان - يعنون الإمام الذي تنتظره الإمامية - وقوم إلى أنك صاحب الناموس الأكبر -يعنون النبي صلى الله عليه وسلم- وقوم إلى أنك أنت هوهو - يعنون الله عز وجل- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.[2]

وكان يشرع لأتباعه شرائع تسقط شعائر الدين، فقد وجد كتاب له يحكي فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد في داره بيتا لا يلحقه شيء من النجاسة، ولا يدخله أحد، ومنع من تطرقه، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه حول البيت، فإذا انقضى ذلك، وقضى من المناسك ما يقضى بمكة مثله، جمع ثلاثين يتيما، وعمل لهم ما يمكنه من الطعام، وأحضرهم إلى ذلك البيت، وقدم إليهم ذلك الطعام، وتولى خدمتهم بنفسه، فإذا فرغوا من أكلهم وغسل أيديهم، كسا كل واحد منهم قميصا، ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة، فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج.[3]

وكان له الكتب المصنفة في مذهبه، يسلك في كلامه فيها، مذاهب الصوفية في الهوس، ويكثر من ذكر النور الشعشعاني.[4]

وخرج له توقيع إلى بعض دعاته يقول فيه: وقد آن الآن أذانك، للدولة الغراء، الفاطمية الزهراء، المحفوفة بأهل الأرض والسماء، وأُذن للفئة الظاهرة، مع قوة ضعفها في الخروج إلى خراسان، ليكشف الحق قناعه، ويبسط العدل باعه.[5]

---

(١) ينظر: نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، ١/١٦١، والمصدر السابق، ٨/١٢٤-١٢٥.

(٢) نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، ١/١٦٢.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/١٣٨، وينظر: المصدر السابق، ١/٨٢.

(٤) ينظر: نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، ١/١٦٩.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١/٨٦.

وقد طلبت ابنته من زوجة ابنه أن تسجد له، فأنكرت ذلك زوجة ابنه، وقالت لها: أو يسجد أحد لغير الله؟! وقد أمر زوجة ابنه أنها إذا رأت من زوجها ما يغضبها أن تصوم، ثم تستغيث به عند فطرها، وأنها إذا فعلت ذلك، فإنه يسمعها ويراها.[١]

وكانت له مخاريق يضلل بها أتباعه، وكانت أكثر هذه المخاريق التي يظهرها كالمعجزات، ويستغوي بها جهلة الناس، إظهار المآكل في غير أوانها بحيل يقيمها، فمن لا تنكشف له يتهوس بها، ومن كان فطناً لم تخف عليه[٢]، وقد كان الحلاج مخدوما من الجن[٣]، فقد سافر لبلاد الهند ليتعلم السحر بحجة أنه يدعو به إلى الله تعالى.[٤]

وكان أتباعه يعتقدون أن اللاهوت الذي كان حالاً فيه، حل في ابن له بتستر[٥]، وأن رجلاً بها هاشمياً ربعياً، يقال له: محمد بن عبدالله، ويكنى بأبي عمارة، قد حلت فيه روح محمد بن عبدالله النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يُخاطب فيهم بـــ (سيدنا)، وهي من أعلى المنازل عندهم، وكان له مجلس بالبصرة يتكلم فيه على مذهب الحلاج، ويدعو إليه.[٦]

وذكر أحد أصحابه[٧] أنه كان يماشيه في بعض أزقة مكة، وكان صاحبه يقرأ القرآن، فسمع الحلاج قراءته فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا. ففارقه.[٨]

وقد افتتن بالحلاج كثير من الناس، حتى كاد أن يستحوذ على الخليفة المقتدر وأمه بحيله وألاعيبه وشعوذته، لولا إصرار الوزير حامد بن العباس[٩] على قتله[١]، وذلك لما كثر

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٣٥/٨.

(٢) ينظر: نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، ١٦٥/١.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٢٠/٨-١٢١ و ١٢٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٢٠/٨.

(٥) تستر: بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى، أعظم مدينة بخوزستان، وفيها أنهار كثيرة وأعظمها نهر تستر. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٩/٢.

(٦) ينظر: نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، ١٧٣/١.

(٧) وهو عمرو بن عثمان المكي.

(٨) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٢١/٨.

(٩) هو حامد بن العباس أبو الفضل الخراساني، الوزير، كان ذا شجاعة وإقدام، ونقض وإبرام، تقلد أعمالا جليلة، فكان يعمر ويحسن إلى الأكارين، ويرفع المؤن حتى صار لهم كالأب، وكثرت صدقاته، ثم وزر وقد شاخ، وموقفه من =

مريدوه، وتراقى به الأمر حتى ذُكر أنه ادعى الربوبية، وسُعي بجماعة من أصحابه إلى السلطان، فقُبض عليهم، ووُجِد عند بعضهم كتبا له تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بلسانه بذلك، وانتشر خبره، وتكلم الناس في قتله، فأمر أمير المؤمنين المقتدر بتسليمه إلى الوزير حامد بن العباس، وأمر أن يكشفه بحضرة القضاة، ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره، ووقف على ما ذكر له عنه، فأمر بقتله، وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة، وذلك عام(٣٠٩هـــ)، فضُرب بالسياط نحوا من ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه، وحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه.[٢]

وقد كان أتباعه يتبركون برجيعه وبوله، ويقولون: إنه سيعود بعد ثلاثين يوما، أو أربعين يوما من موته.[٣]

ثم في عام(٣١٢هـــ) — أي في عهد الخليفة المقتدر أيضا - ظفر صاحب الشرطة[٤] بثلاثة[٥] من أصحاب الحلاج، فطالبهم بالرجوع عن مذهب الحلاج، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم صلبهم في الجانب الشرقي من بغداد، ووضع رؤوسهم على سور السجن في الجانب الغربي.[٦]

وفي عام(٣٢٢هـــ) في عهد الخليفة الراضي ظهر ببغداد رجل يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني[٧] ويقال له ابن أبي العزاقر أو العزاقير، فذكروا عنه أنه يدعي ما كان يدعيه الحلاج من الإلهية، وكانوا قد قبضوا عليه في دولة المقتدر عند حامد بن العباس

حسين الحلاج يدل على إسلام وخير، ولد سنة(٢٢٣ه)، وتوفي سنة(٣١١ه). ينظر:سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤/٣٥٦-٣٥٩.

(١) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/١٣٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٨/١٢٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٨/١٣٦-١٣٧ و ١٣١ و ١٤٠.

(٤) وكان صاحب الشرطة في ذلك الوقت نازوك. ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٤٠.

(٥) وهم: حيدرة، والشعراني، وابن منصور. ينظر: المصدر السابق، ١٣/٢٤٠.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ١٣/٢٤٠.

(٧) كنت قد ذكرت الشلمغاني في مبحث النصيرية بناء على ما ذكره ابن الأثير في الكامل ٧/١٠٥، وأشار إلى ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ١١/١٧٩.

الوزير، واهم بأنه يقول بالتناسخ فأنكر ذلك، ولما كانت خلافة الراضي أُحضر عنده وادُّعي عليه بما كان ذكر عنه، فأنكر ثم أقر بأشياء، فأفتى قوم أن دمه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة، فأبى أن يتوب، فضرب ثمانين سوطا، ثم ضربت عنقه، وألحق بالحلاج، وقتل معه صاحبه ابن أبي عون[1] وكان من جملة من اتبعه وصدقه فيما يزعمه من الكفر.[2]

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم، أبو إسحاق، أديب، من أشياع الشلمغاني وثقاته ببغداد، له كتاب النواحي في أخبار البلدان – الأجوبة المسكتة — التشبيهات، وغيرها. ينظر: الأعلام، الزركلي، ١/٦٠-٦١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/١٧٩، والمنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٣٤٢.

المبحث الرابع

أثرهم ضد سائر الزنادقة

هذا المبحث سيعرض للقارئ موقف الخلفاء العباسيين من باقي الأفراد الذين اتهموا بالزندقة، وفي نفس الوقت لم يتبين من هؤلاء إلى أي فرقة ينتسبون بالتحديد:

أولا: أبو جعفر المنصور والزنادقة:

ذكر المزي في تهذيب الكمال أن الخليفة أبا جعفر المنصور قتل محمد بن سعيد بن حسان بن قيس القرشي الأسدي في الزندقة، لذا فقد سماه المزي بالمصلوب.[1]

عبدالكريم بن أبي العوجاء:

وهو أحد الزنادقة في العهد العباسي وهو خال معن بن زائدة، قتله أحد الأمراء العباسيين بسبب زندقته، وقد كان يسكن البصرة، ويخلو بالشباب الأحداث، فيفسدهم، ويستزلهم، ويدخلهم في دينه، وهُدّد على ذلك، فهرب للكوفة، فدُلَّ عليه، فأخذه عامل الكوفة محمد بن سليمان[2]، فقتله وصلبه، وكان ذلك عام(١٥٥هـ).[3]

وقد قال قبل قتله:"أما والله لئن قتلتموني، لقد وضعت أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم"فضربت عنقه.[4]

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال، المزي، ٢٦٥/٢٥.

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب.

(٣) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ١٣٩/٣.

(٤) تاريخ الطبري، ٥٠٨/٤.

وقد ذكر ابن عدي أن ابن أبي العوجاء كان ربيبا لحماد بن سلمة[1] الراوي، وكان يدس في كتبه الأحاديث الموضوعة.[2]

وقد غضب الخليفة أبو جعفر المنصور في بداية الأمر على أمير الكوفة محمد بن سليمان، وهمَّ بعزله لأنه لم يستأذنه في قتله، وكان الشفعاء قد كثروا عند الخليفة في ابن أبي العوجاء، إلا أن عم الخليفة عيسى بن علي قال للخليفة بعد أن سكن عنه الغضب:"يا أمير المؤمنين، إن محمدا إنما قتل هذا الرجل على الزندقة، فإن كان قتله صوابا فهو لك، وإن كان خطأ فهو على محمد، والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على تفية ما صنع ليذهبن بالثناء والذكر، ولترجعن القالة من العامة عليك". فأمر بالكتب فمزقت، وأقر على عمله.[3]

حماد عجرد:

هو حماد بن عمر، من أهل الكوفة، مولى لبني سوأة بن عامر بن صعصعة[4]، الشاعر المشهور، كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولم يشتهر إلا في العباسية، وكان ماجناً خليعاً متهماً في دينه بالزندقة.[5]

---

(١) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل، وكان مع إمامته في الحديث إماما كبيرا في العربية، فقيها، فصيحا، رأسا في السنة، صاحب تصانيف، قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. وكانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد، توفي سنة(١٦٧ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٤٤/٧-٤٥٦.

(٢) ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، ٢٦٠/٢.

(٣) المصدر السابق، ٥٠٨/٤.

(٤) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، ٧٧٩.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢١١/٢.

قال ابن قتيبة:"وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية[1]، وحماد بن الزبرقان النحوي[2]، وكانوا يتنادمون ويتعاشرون، وكأنهم نفس واحدة، ويرمون جميعاً بالزندقة".[3]

وكان حماد عجرد من أهل واسط، وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة في سنة(١٥٥هـ)، وقيل غير ذلك.[4]

ثالثا: تتبع المهدي للزنادقة وقتلهم وصلبهم:

أولى الخليفة المهدي اهتماما كبيرا بتتبع الزنادقة، وقتلهم، وصلبهم على رؤوس الأشهاد، ليتعظ الناس بهم، وليطهر المجتمع المسلم من شرورهم وفسادهم، ومن شدة حرصه رحمه الله على تتبع الزنادقة والقضاء عليهم سماه المؤرخون[5] (قصاب الزنادقة)، وهو أول من من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين[6]، وعندما كان في حلب عام(١٦٣هـ) قام بإرسال عبدالجبار المحتسب[7] لجلب من بتلك الناحية من الزنادقة، ففعل

---

(١) هو حماد الراوية بن سابور بن مبارك الشيباني مولاهم، الأخباري، أبو القاسم، كان مكينا ونديما للوليد بن عبد الملك، وكان أحد الأذكياء، راوية لأيام الناس، والشعر، والنسب، طال عمره، وأخذ عنه المهدي، توفي سنة(١٥٦ه) وهو في عشر التسعين، وكان قليل النحو، ربما لحن. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥٧/٧-١٥٨.

(٢) لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكره ابن حجر في اللسان، من أن الشاعر خيثمة بن بيض كان بينه وبين حماد بن الزبرقان، فقال بعض أمراء الكوفة لابن بيض: كيف حالك مع حماد؟ قال: صالحته على أن لا آمره بالصلاة، ولا ينهاني عنها. ينظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٣٤٧/٢.

(٣) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، ٧٧٩.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢١٣/٢.

(٥) كالذهبي في العبر في خبر من غبر، ١٩٧/١، وسير أعلام النبلاء، ٤٠١/٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام١٦١هـ - ١٧٠هـ) ص٤٣٥، والصفدي في الوافي بالوفيات، ٢٤٤/٣، والكتبي في فوات الوفيات، ٤٠١/٣، والسخاوي في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٦١١/٣.

(٦) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢١٦.

(٧) لم أقف له على ترجمة.

ففعل وأتاه بهم وهو بدابق[١]، فقتل جماعة منهم وصلبهم، وأُتي بكتب من كتبهم، فقطعت بالسكاكين.[٢]

وقال الخليفة المهدي لأحد جلسائه:"أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربع مائة حديث فهي تجول في أيدي الناس".[٣]

وفي عام(١٦٧هـ) جدّ الخليفة المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، وولى أمرهم عمر الكلواذي[٤]، فأخذ يزيد بن الفيض[٥] كاتب المنصور، فأقر فيما فيما ذكر، فحبس فهرب من الحبس، فلم يقدر عليه.[٦]

وفي عام(١٦٨هـ) قتل الخليفة المهدي الزنادقة ببغداد، وكان مهتما بأمر وظيفة صاحب الزنادقة، فلما مات عمر الكلواذي صاحب الزنادقة، ولى مكانه حمدويه وهو محمد بن عيسى[٧].[٨]

لذا يقول شيخ الإسلام في الخليفة المهدي:"ودخل من أبناء المجوس ومن في قلبه غل على الإسلام من أهل البدع والزنادقة، وتتبعهم المهدي بقتلهم، حتى اندفع بذلك شر كبير، وكان من خيار خلفاء بني العباس".[٩]

---

(١) دابق: بكسر الباء، وروي بفتحها، قرية قرب حلب من ناحية الشمال، من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤١٦/٢.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٦٨/٤.

(٣) الموضوعات، ابن الجوزي، ٣٧/١.

(٤) لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكره الطبري أنه مات سنة(١٦٨ه). ينظر: تاريخ الطبري، ٥٨٢/٤.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) تاريخ الطبري، ٥٨٠/٤.

(٧) لم أقف له على ترجمة.

(٨) تاريخ الطبري، ٥٨٣/٤.

(٩) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢٤٠/٨.

رابعا: الخليفة الهادي وطلبه للزنادقة:

عندما تولى الخليفة الهادي الخلافة عام(١٦٩هـ) اشتد طلبه للزنادقة فقتل منهم جماعة، فكان ممن قتل منهم يزيدان بن باذان[١]، الذي ذُكر عنه أنه حج، فنظر إلى الناس في في الطواف يهرولون، فقال: ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر، فقال فيه أحد الشعراء[٢] مخاطبا الخليفة:

أيـــا أمـــين الله في خلقـــه	ووارث الكعبـــة والمنـــبر
مـــاذا تـــرى في رجـــل كـــافر	يشـــبه الكعـــبة بالبـــيدر
ويجعـــل النـــاس إذا مـــا ســـعوا	حمرا تـــدوس الـــبر والدوســـر

فقتله الخليفة الهادي ثم صلبه.[٣]

وعندما كانت خلافة المهدي والد الخليفة الهادي أُتي برجلين من بني هاشم قد أقرا له بالزندقة، وهما: ابن لداود بن علي، ويعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأودعهما في السجن، ولم يقتلهما، لأنه أخذ على نفسه عهدا إن ولاه الله الأمر ألا يقتل هاشميا، وأقسم على ابنه الهادي إن ولاه الله الأمر ألا يناظرهما ساعة واحدة، فلما تولى الخليفة الهادي الخلافة كان ابن داود بن علي قد مات في سجنه، أما يعقوب بن الفضل فأرسل الهادي له من يقتله في سجنه، فقتل، وسلم إلى أهله.[٤]

وذكر الطبري أنه كانت ليعقوب ابنة اسمها فاطمة حبلى من أبيها، وأدخلت هي وزوجة يعقوب – ولم تكن هاشمية واسمها خديجة – على الخليفة فأقرتا بالزندقة، فقتلتا.[٥]

---

(١) وهو كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان. ينظر: تاريخ الطبري، ٥٩٥/٤.

(٢) وهو العلاء بن الحداد الأعمى. ينظر: المصدر السابق، ٥٩٥/٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥٩٥/٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٥٩٥/٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٥٩٦/٤.

خامسا: الخليفة هارون الرشيد وموقفه من الزنادقة:

لما تولى هارون الرشيد الخلافة عام(١٧٠هـــــ) كان من أجلِّ أعماله تتبعه خلقا من الزنادقة، وقتله طائفة كبيرة منهم[١]، وكان قد أولى اهتماما كبيرا بوظيفة صاحب الزنادقة[٢]، وآمن من كان هاربا أو مستخفيا غير نفر من الزنادقة منهم يونس بن فروة[٣]، ويزيد ابن الفيض.[٤]

وفي عام(١٨٧هـــ) قتل الرشيد أنس بن أبي شيخ في الزندقة، وكان أحد أصحاب البرامكة.[٥]

وحبس الشاعرَ أبا نواس مع الزنادقة، فأطلقه الخليفة الأمين بعد توليه الخلافة، ثم حبسه مرة أخرى في شرب الخمر، وأطال حبسه، ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر، ولا يأتي الذكران من العالمين، فامتثل لذلك.[٦]

وأخذ هارون الرشيد زنديقاً، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي؟ قال له: أريح العباد منك. قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها ما فيها حرف نطق به؟. قال الرشيد: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري[٧] وعبدالله بن المبارك ينخلانها، فيخرجانها حرفاً حرفاً؟.[٨]

ولما جاء الرشيد بشاكر رأس الزنادقة ليضرب عنقه، سأله، فقال: أخبرني لم تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض والقدر؟ قال شاكر: أما قولنا بالرفض، فإنا نريد الطعن

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ١٦١/١٠.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٣٧/٣.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٢٠/٤.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٦٢/٤.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٤٢/١٠.

(٧) هو أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، الإمام الكبير، الحافظ، المجاهد، الثقة، المأمون، الفزاري، الشامي، ولجدهم خارجة صحبة، وهو أخو عيينة بن حصن، توفي سنة(١٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٣٩/٨-٥٤٣.

(٨) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٣١.

على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول، وأما قولنا بالقدر، فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد لإثبات قدر الله، فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل.(١)

وطلب الرشيد علي بن الخليل مع الزنادقة، فاشتهر اشتهاراً طويلاً، وعلي بن الخليل هذا كوفي، من الموالي، ويكنى أبا الحسن أحد شعراء الكوفة وظرفائهم، وهو ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد طبقة يتصاحبون على المجون والخلاعة والشراب، ثم قصد الرشيد بالرقة وهو شيخ كبير، فأنشده قصيدة منها:

إني رحلت إليك من فزع ... قد كان شردني ومن لبس

إن رابني من حادث فزع ... كان التوكل عنده ترسي

فعفا عنه الرشيد بعد إعلانه التوبة.(٢)

وأُتي الرشيد ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم، واعترفت به، وقالت: هذا دين علمنيه أبي، وتبت منه. فقبل توبتها، وردها إلى أهلها.(٣)

ويثني شيخ الإسلام على الخليفة هارون الرشيد فيقول:"وكذلك الرشيد كان فيه من تعظيم العلم والجهاد والدين ما كانت به دولته من خيار دول بني العباس، وكأنما كانت تمام سعادتهم".(٤)

سادسا: الخليفة المأمون وقتله للزنادقة:

أما المأمون فقد أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سموا له من أهل البصرة، فجمعوا، ومضى بهم الموكلون حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أعد لهم، فدخلوا الزورق

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٠٨/٤.

(٢) ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، ١٧٤.

(٣) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٣٢١/١٣.

(٤) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٢٤٠/٨.

وقُيِّدوا، ثم سير بهم إلى بغداد، فدخلوا على المأمون، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا، فيأمر بضرب رقابهم.[1]

سابعا: الخليفة المعتصم وقتله لرئيس الزنادقة:

ذكر البغدادي أن الخليفة المعتصم قتل ثمانية من أعدائه منهم رئيس الزنادقة.[2]

ثامنا: الخليفة المقتدر وحرقه لآثار الزنادقة:

في عهد الخليفة المقتدر عام(٣١١هـ) أُحرق على باب العامة صورة ماني' وأربعة أعدال من كتب الزنادقة، فسقط منها ذهب وفضة مما كان على المصاحف له قدر.[3]

تاسعا: زندقة أبي العلاء المعري وموقف الخليفة القادر:

أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبدالله بن سليمان، المشهور بالزندقة، دخل بغداد سنة(٣٩٩هـ) فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم خرج منها طريدا منهزما، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله، فقال:

تناقض فما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

قال ابن كثير معلقا على قوله:"وهذا من إفكه، يقول: اليد ديتها خمسمائة دينار، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار، وهذا من قلة عقله وعلمه وعمى بصيرته، وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لتنزجر الناس عن العدوان، وأما إذا جنت هي

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٧٨/٧.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٤٣/٣.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٢٠/١٣.

بالسرقة، فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس، وتصان أموالهم، ولهذا قال بعضهم: كانت ثمينة لما كانت أمينة، فلما خانت هانت. ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب، ورجع إلى بلده، ولزم منزله، فكان لا يخرج منه".[1]

وكان يوما عند الخليفة[2]، وكان الخليفة يكره المتنبي، ويضع منه، وكان أبو العلاء يحب المتنبي، ويرفع من قدره، ويمدحه، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس، فذمه الخليفة، فقال أبو العلاء: لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها:

لك يا منازل في القلوب منــازل ....

لكفاه ذلك، فغضب الخليفة وأمر به، فسحب برجله على وجهه، وقال: أخرجوا عني هذا الكلب، وقال الخليفة:"أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة، وذكره لها، أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتتك مــذمتي مــن نــاقص فهــي الــدليل بــأني كامــل

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه، وإنما أراد هذا".[3]

ويعلق ابن كثير على ذلك فيقول:"وهذا من فرط ذكاء الخليفة حيث تنبه لهذا".[4]

وقد مكث المعري خمسا وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم، ولا اللبن، ولا البيض، ولا شيئا من حيوان على طريقة البراهمة الفلاسفة، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده، فشككه في دين الإسلام، وقد كان

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٧٢-٧٣.

(٢) لم يذكر ابن كثير اسم الخليفة، ولكن كما يظهر أنه الخليفة القادر بالله، لأن ابن كثير ذكر أن المعري دخل بغداد عام(٣٩٩هـ) وهي فترة حكم الخليفة القادر الذي حكم من عام(٣٨١هـ) إلى عام(٤٢٢هـ)، ثم هرب المعري من بغداد بعد دخوله بسنة وسبعة أشهر، ولم يعد إليها أبدا، بل لزم بيته إلى أن مات. ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٢/٧٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ذكيا، ولم يكن زكيا، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته وانحلاله من الدين.[1]

قال ابن الجوزي:"وقد رأيت للمعري كتابا سماه (الفصول والغايات) يعارض به السور والآيات، وهو كلام في نهاية الرِّكة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته".[2]

وكان يشهد على نفسه بالزندقة فيقول:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل ... وترزق مجنونا وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ ... رأى منك مالا يشتهي فتزندقا

ومن شعره الذي يشهد بكفره وزندقته:

فلا تحسب مقال الرسل حقا ... ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد ... فجاءوا بالمحال فكدروه

وله:

إن الشرائع ألقت بيننا إحنا ... وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبيح نساء الروم عن عُرُضٍ ... للعرب إلا بأحكام النبوات

وله:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما ... دياناتكم مكر من القدماء[3]

وغير ذلك من مثل ذلك كثير.

قال ابن خلكان:"وبلغني أنه أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

هذا ما جناه أبي عليّ ... وما جنيت على أحد

---

(١) ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ٢٤/١٦.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٧٤/١٢-٧٥.

وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء، فإنهم يقولون: إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث والآفات".[١]

قال ابن كثير بعد ذلك:"وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها".[٢]

عاشرا: قتل صاحب سمرقند في الزندقة في عهد الخليفة المستظهر:

في عهد الخليفة المستظهر عام(٤٨٨هـ) في المحرم، قُتل أحمد خان، صاحب سمرقند[٣]، وكان قد كرهه عسكره، واتهموه بفساد الاعتقاد، وقالوا: هو زنديق، وكان سبب ذلك أن السلطان مَلِكْشاه لما فتح سمرقند وأسر أحمد خان هذا، وكّل به جماعة من الديلم، فحسنوا له معتقدهم، وأخرجوه إلى الإباحة، فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين، فلما كرهه أصحابه، وعزموا على قتله، قالوا لمستحفظ[٤] قلعة كاسان[٥] - وهو طغرل ينال بك - أن يُظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله، فيتمكنوا من قتله، فعصى طغرل ينال بك، فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله، فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه، وقبضوا عليه، وعادوا إلى سمرقند، وأحضروا القضاة والفقهاء، وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة، فجحد، فشهد عليه جماعة بذلك، فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه، وأجلسوا ابن عمه مسعوداً مكانه، وأطاعوه.[٦]

---

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١١٥/١.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٧٦/١٢.

(٣) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٤٦/٣-٢٥٠.

(٤) وهو طغرل ينال بك.

(٥) قلعة كاسان: كاسان مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان، وراء نهر سيحون، وراء الشاش، ولها قلعة حصينة، وعلى بابها وادي أخسيكث. ينظر: المصدر السابق، ٤٣٠/٤.

(٦) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥٠١/٨.

الحادي عشر: الخليفة المعتضد وموقفه من أحمد بن الطيب:

أحمد بن الطيب السرخسي معلم المعتضد، كان يرى رأي الفلاسفة، وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف' وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات في الفلسفة وغيرها، وهو الذي أشار على المعتضد بلعن معاوية على المنابر، وإنشاء التواقيع إلى البلاد بذلك، ومما ذكر فيها من المجازفة أنه لا اختلاف بين أحد أن هذه الآية نزلت في بني أمية ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[1] وفي الحديث المشهور المرفوع أن معاوية في تابوت من نار في أسفل تابوت في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان فيجاب: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[2].[3]

وقد أمر الخليفة المعتضد بقتله وكان ذلك في عام(٢٨٦هـــ)، وعندما سئل عن سبب ذلك قال: دعاني إلى الإلحاد فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟.[4]

وقيل: إن المعتضد غضب عليه، وأمر بضربه مائة سوط، وتحويله إلى المطبق، وقال: كان قال لي أحمد بن الطيب: إن الخلفاء لا تغضب، وإذا غضبت لم ترض، فعاملته بذلك.[5]

بذلك.[5]

وقيل أيضا: إن المعتضد قال له: لك سالف خدمة، فاختر أي قتلةٍ تحب أن أقتلك، قال: أختار أن تطعمني اللحم المكبّب، وتسقيني الشراب العتيق حتى أسكر، وتفصدني في

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ١٨٩/١.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٠٧/١٢-٣٠٨.

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٥/٧.

يدي. ففعل به ذلك. وظن أن دمه إذا انقطع مات في الحال بغير ألم، فانعكس عليه ذلك فنزف دمه وبقي معه بقية، وغلبت عليه الصفراء، وصار كالمجنون يضرب برأسه الحيطان، ويصيح، ويستغيث لفرط الألم، ويعدو في محبسه ساعاتٍ كثيرة، فبلغ ذلك المعتضد فقال: هو الذي اختار هذا.(١)

وكان أحمد بن الطيب هذا قد قص للخليفة المعتضد قصة رجل جاءه يدعي النبوة، وأنه أراد أن يظهر له معجزته، فجاء بحجرين ووضعهما في سطل فيه ماء، وغطى السطل بخرقة، ثم بعد فترة رفع الخرقة فإذا بالحجرين قد اختفيا، فقال له أحمد بن الطيب: بقيت عليك واحدة وهي أنني آتيك بحجرين من عندي، فقال له المدعي: وهكذا قال أصحاب موسى له إذ جاءهم بعصاه، نريد أن تكون هذه العصا من عندنا. ثم قال ابن الطيب للخليفة: فتوقفت عن جوابه لأفكر فيه، فقام وقال لي: فكّر في أمرك وأعود إليك. فندمت على تركه بعد انصرافه، وأمرت غلماني فتتبعوه في كل طريق فلم يجدوه. قال المعتضد لأحد ندمائه: أتدري ما أراد أحمد بن الطيب – لعنه الله – بهذا الحديث؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: إنما أراد أن سبيل موسى عليه السلام في العصا سبيل هذا الرجل في الحجرين، وأن الجميع بحيلة، فأحسست بما ذهب إليه. وكان ذلك من أكبر ما نقمه عليه المعتضد.(٢)

وفيه يقول الشاعر(٣):

يا مـــن يصـــلي ريـــاء	ويظهر الـــدين سمعـــه
ولـــيس يعبـــد ربـــاً	ولا يـــدين بشـــرعه
قد كنت عطلت دهـــراً	فكيف أسلمت دفعـــه
لو ظلت في كـــل يـــومٍ	مصلياً ألـــف ركعـــه

(١) ينظر: المصدر السابق، ٧/٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٧/٦.

(٣) وهو أبو أحمد يحيى بن علي النديم. ينظر المصدر السابق، ٧/٦.

وصمت دهرك لا مفــــــ طــراً لعيـــدٍ وجمعـــه

ما كنت في الكفر إلا كالنار في رأس تلعه[1]

تقرا القرآن ولو تســــــ طيع فرَّقــت جمعـــه

وإن سمعـــــــت بحـــــقٍّ حاولت بالزّور دفعـــه

قل لي أبعد أتباع الـــــ كنديّ تعمـــر ربعـــه

وتســـتقي الكفـــر منـــه ولا تحـــــاذر شــــنعه

أظهرت تقوى ونســـكاً إيهات في الأمر صنعه

ولو بــدا لـــك ســـلخٌ منه لآثرت لطعـــه[2]

فارجع إلى مذهب الشيـــ خ رب صكٍّ برجعـــه

فمــــا تقــــاك مليحـــــاً وليس كفرك بدعـــه

وليس من ألســـن النـــا س للمرائين منعـــه[3]

وقيل: إنه كان سبب غضب المعتضد على أحمد بن الطيب، أن أحمد كان قديما يمدح عنده الفلاسفة، ويستعقلهم ويحكي مذاهبهم، فيقول المعتضد: أنت على دينهم، وكيف لا تكون كذلك وأستاذك الكندي؟.[4]

وكان قد تخمر في نفس المعتضد أنه فاسد الدين، وكان ابن الطيب أحمق معجبا يدعي ما لا يحسن، وكان مع قصر عقله في لسانه طول، فكان كثيرا ما يقول للمعتضد: الأمور تخفى عليك وتستر دونك. فقال له يوما: ما الدواء؟ قال: توليني الخبر على أبي

---

(١) التلعة: أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل، ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣/٢.

(٢) لطعه: أي محوه. ينظر: المصدر السابق، ٢٣٨/١٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٦/٧-٧.

(٤) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ٨٤٠/٢.

النجم[1] وعبيدالله[2]. قال: قد وليتك. قال: فاكتب بذلك رقعة. فكتب رقعة بخطه بتوليته، فجاء بها إلى عبيدالله يعلمه ذلك، ويتقرب إليه أنه لم يستر ذلك عنه، فأخذها عبيدالله ووثب، وطلبها ابن الطيب، فوجه إليه: أنا أخرج بها إليك. ووكل به في داره، وركب إلى أبي النجم فأقرأه إياها، فركبا إلى المعتضد بالله حتى عرفاه الخبر، ورمى عبيدالله بنفسه بين يديه، وقال له: أنت يا سيدي نعشتني وابتدأتني بما لم أؤمله، وكل نعمة لي فمنك وبك. فسكَّن منه، وقال: إنه يسعى عليكما عندي فاقتلاه وخذا ما يملكه، فأُدخل المطامير[3]، وكان آخر العهد به.[4]

وكانت له كتب في الفلسفة والنجوم والكلام، فأنكر عليه الخليفة المعتضد هذه الكتب، فقال: قد بعت كتب الفلسفة والنجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياء.[5]

---

(١) هو بدر بن عبدالله الحمامي، أبو النجم، الأمير، الأستاذ الكبير، مولى أمير المؤمنين المعتضد أحمد بن طلحة، وكان قبل ذلك غلاما لابن طولون، كان رجلاً عادلاً، حسن السيرة، منع نزول الجند في الدور إلا بالكراء الوافي، وكان يقرب أهل العلم ويرفع منهم، يعرف ببدر الكبير، توفي سنة(٣١١هـ). ينظر: تاريخ أصفهان، أبو نعيم، ٢٣٩/١، ومختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ١٧١/٥-١٧٣.

(٢) المقصود به الوزير عبيدالله بن سليمان بن وهب، وقد سبق التعريف به.

(٣) المطامير: حفر تحفر في الأرض توسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب، والمطمورة حفيرة تحت الأرض أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفيا يطمر فيها الطعام والمال أي يخبأ وقد طمرها أي ملأها. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٩٩/٨.

(٤) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ٨٤٠/٢.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٤٩/١٣.

الثاني عشر: قبض الخليفة المستنجد على القاضي ابن المرخم:

هو يحيى بن سعيد بن مظفر القاضي، أبو الوفا البغدادي، عرف بابن المرخم، اشتغل بالطب والنجوم ومذهب الأوائل، حتى انطفأ نور إيمانه، وتقدم ورأس وعلا شأنه، ثم ولي أقضى القضاة، وظلم، وعسف، وارتشى، وكان من سيئات المقتفي.[١]

وكان يتظاهر بالفلسفة، فلما مات المقتفي واستخلف المستنجد سجنه مديدة، ثم أخرج من السجن ميتاً.[٢]

ولما قبض الخليفة المستنجد على ابن المرخّم أخذ منه مالاً كثيراً، فأعاده على أصحابه، وكان ابن المرخم ظالماً جائراً في أحكامه[٣]، وأخذ كتُبه فأحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة[٤]، وكان من كتبه (كتاب الشفاء وإخوان الصفاء).[٥]

ومن خلال هذا الفصل يتبين أن أكثر خلفاء بني العباس في جميع عصور دولتهم كانت لهم مواقف مضادة للزنادقة ومشرفة في نفس الوقت، فقد بذلوا الجهود المضنية للقضاء على هؤلاء الزنادقة سواء كان ذلك في فترة قوتهم أو في فترة ضعفهم، فمنهجهم كان واحدا في محاربة الزنادقة وفسادهم.

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٥٥١هـ-٥٦٠هـ) الذهبي، ١٨٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٨٧.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٩/١٠.

(٤) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ١٧٣/٢٣.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤١/١٨.

الفصل الثالث

أثر خلفاء بني العباس في إقامة حكم الله على أهل الكتاب

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إقامتهم الشروط العمرية.

المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب إلى العقيدة الصحيحة.

المبحث الأول

إقامتهم للشروط العمرية

كتب عبدالرحمن بن غُنم[1] إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] بما كتب إليه أهل الجزيرة بعد فتحها، حيث إنهم شرطوا على أنفسهم شروطا أقرها عمر رضي الله عنه عليهم كما طلبوا، وقد روى هذه الشروط الخلال فقال:"... كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أنا شرطنا على أنفسنا:

---

(١) عبد الرحمن بن غنم بن كريز، ويقال غنم بن هاني بن ربيعة بن عامر الأشعري، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره، ولم يفد إليه، ولزم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر، وكان أفقه أهل الشام، وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام وكانت له جلالة وقدر، وتوفي سنة(٧٨ه). ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣١١/٣٥.

(٢) ذكر أكثر العلماء كالخلال والبيهقي وابن تيمية وغيرهم أن الشروط العمرية مروية عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري، إلا أني عند استقراء بعض كتب التاريخ لاحظت أن الذي كان له فتوح الجزيرة هو عياض بن غنم الفهري رضي الله عنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة(١٨ه) أو (١٩ه) تقريبا، ولم يأت ذكر لعبدالرحمن بن غنم الأشعري في هذه الفتوح أبدا، بل إن خليفة بن خياط ذكر أن عياض بن غنم الفهري ولي صلح أكثر مدن الجزيرة، وكتب لهم كتابا، وهو عندهم باسم عياض بن غنم الفهري. ينظر: تاريخ خليفة بن خياط، ١٣٩.

ويذكر الطبري أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب كتابا لسعد بن أبي وقاص، يأمره فيه أن يبعث من عنده جندا إلى الجزيرة، وأن يؤمر عليهم أحد الثلاثة: خالد بن عرفطة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم، فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر قال: ما أخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أو أوليه وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشا. ينظر: تاريخ الطبري، ٤٨٤/٢.

وأيضا في أثناء بحثي في سيرة عبدالرحمن بن غنم الأشعري لم أجد أحدا من الذين ترجموا له كابن الأثير في أسد الغابة، أو الذهبي في السير، أو ابن حجر في الإصابة، وغيرهم، لم يذكر أحد منهم أنه هو راوي الشروط العمرية، أو أنه كانت له فتوح في الجزيرة.

وذكر ابن عساكر أن عياض بن غنم الفهري توفي عام(٣٠هـ) في الشام وقيل (٢٠هـ) والأول أرجح، أي إنه أقرب إلى هذه الفتوح من عبدالرحمن بن غنم الأشعري الذي توفي عام(٧٨هـ) والله تعالى أعلم. ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤٧/٢٦٧-٢٦٨.

- أن لا نحدث في مدينتنا كنيسة، ولا فيما حولها ديرا، ولا قلاية[1]، ولا صومعة راهب.
- ولا نجدد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين.
- وأن لا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار.
- وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل.
- ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوسا.
- وأن لا نكتم أمرها من المسلمين، عامة المسلمين.
- وأن لا نضرب نواقيسنا إلا ضربا خفيا في جوف كنائسنا.
- ولا نظهر عليها صليبا.
- ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون.
- وأن لا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين.
- وأن لا نخرج باعوثا - الباعوث يجتمعون كما نخرج يوم الأضحى والفطر - ولا سعانينا[2].
- ولا نرفع أصواتنا مع موتانا.
- ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين.
- وأن لا نجاورهم بالخنازير.
- ولا نبيع الخمور.
- ولا نظهر شركنا.
- ولا نُرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحدا.
- ولا نتخذ شيئا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين.
- وأن لا نمنع أحدا من أقربائنا أراد الدخول في الإسلام.

---

(١) القلاية: القلية كالصومعة، واسمها عند النصارى القلاية وهي تعريب كلاذة، وهي من بيوت عباداتهم. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٩٥/١١.

(٢) السعانين أو الشعانين: عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم. ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢٣٠/٤، والمعجم الوسيط، جماعة من المؤلفين، ٤٨٥.

- وأن نلزم زينا حيثما كنا.
- وأن لا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم.
- وأن نجز مقادم رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا.
- ونشد الزنانير على أوساطنا.
- ولا ننقش خواتمنا بالعربية.
- ولا نركب السروج.
- ولا نتخذ شيئا من السلاح، ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف.
- وأن نوقر المسلمين في مجالسهم.
- ونرشد الطريق.
- ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا المجالس.
- ولا نطلع عليهم في منازلهم.
- ولا نعلم أولادنا القرآن.
- ولا يشارك أحد منا مسلما في تجارة، إلا أن يكون إلى المسلم التجارة.
- وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد.

ضمنّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا، وقلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق"

فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر:"أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم هو:

- أن لا يشتروا من سبايانا شيئا.
- ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده."

فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأمر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط.[1]

قال ابن تيمية:"في شروط عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام، وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وعليه العمل عند أئمة المسلمين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) وقوله:(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) لأن هذا صار إجماعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا يجتمعون على ضلالة على ما نقلوه وفهموه من كتاب الله وسنة نبيه، وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة".[2]

وقال ابن القيم:"وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم، وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها".[3]

إذن تلك هي الشروط العمرية وتلك هي أهميتها، لذا فقد أولى الخلفاء العباسيون هذه الشروط أهمية كبيرة، وعملوا بها على اختلاف العصور العباسية قوة وضعفا.

ففي عام(١٩١هــ) أمر الخليفة هارون الرشيد بهدم الكنائس بالثغور، وأمر بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم.[4]

قال ابن تيمية:"فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم، ويقيمون أمر الله فيهم كعمر بن عبد لعزيز، وهارون الرشيد، ونحوهما مؤيدين منصورين، وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين".[5]

---

(١) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، الخلال، ٣٥٧-٣٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٦٥١/٢٨.

(٣) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ١١٤٦/٣-١١٤٧.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٣/٥.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٦٣٩/٢٨.

وكذلك في عهد الخليفة المعتصم، فقد وقع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة[(١)]، فأسرهم وخرب بلدهم، ومضى من فوره إلى ملطية[(٢)]، فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم، وقطع آذانهم، وآنافهم، فبلغ ذلك الخليفة المعتصم، فصاح في قصره النفير، وجهز الجيوش وتوجه إلى زبطرة إعانة لأهلها، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده، فوقفوا قليلا حتى تراجع الناس إلى قراهم واطمأنوا، فلما ظفر المعتصم ببابك، قال: أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل: عمورية لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية.[(٣)]

فشخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم، وذُكر أنه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من السلاح، والعدد، والآلة، والبغال، والروايا، والقرب، وآلة الحديد، والنفط، وغير ذلك.[(٤)]

فسار الخليفة المعتصم في جمع كثير، فوغل في بلاد الروم، وقدَّم الأفشين، فلقي الطاغية، فهزمه، وقتل من أصحابه أربعة آلاف، وسار المعتصم فنزل على عمورية، ووافاه الأفشين، فافتتحها في شهر رمضان من عام(٢٢٣هـ)، فقتل بها مقتلة عظيمة، وسبى سبايا كثيرة، وخرب المدينة، وهدمها، وقبل وصول المعتصم عمورية خرب ما مر به من قراهم، وهربت الروم في كل وجه، وخرب أنقرة، ثم توجه قافلا، فضرب أعناق أربعة آلاف من الأسرى، فلم يزل يقتل الأسرى في مسيره، ويحرق، ويخرب، حتى ورد بلاد الإسلام.[(٥)]

---

(١) زبطرة: بكسر الزاي وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة، مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلاد الروم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٣٠/٣-١٣١.

(٢) ملطية: بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء هي من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين، وهي من المدن التركية المعروفة اليوم. ينظر: المصدر السابق، ١٩٢/٥-١٩٣.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٣٥/٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٣٦/٥.

(٥) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط، ٤٧٧.

أما الخليفة المتوكل ناصر السنة وقامع البدعة، فقد أمر في عام(٢٣٥هـ) أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم، وعمائمهم، وثيابهم، وأن تكون مصبوغة بالعسلي، وأن يكون على غلمانهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم، وأن يُلْزَموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة، وأن لا يركبوا خيلا، ولتكن سروجهم من خشب، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثة، وبتضييق منازلهم المتسعة فيؤخذ منها العشر، وأن يُعْمل مما كان متسعا من منازلهم مسجد، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجدا صير فضاء، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ولا يعلمهم مسلم، ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليبا، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين، إلى غير ذلك من الأمور المذلة لهم المهينة لنفوسهم، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق.(١)

وفي سنة(٢٣٩هـ) في المحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على أهل الذمة في التميز في اللباس، وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدثة في الإسلام.(٢)

وعندما وثب أهل حمص على عاملهم من جهة الخليفة المتوكل ساعدهم نصارى حمص عليه، فأمر المتوكل أن يخرج كل نصراني بها، وأن تهدم كنيستها العظمى، وتضاف إلى المسجد الجامع الذي بقربها.(٣)

لذلك يثني شيخ الإسلام على الخليفة المتوكل فيقول:"وكان في أيام المتوكل قد عز الإسلام، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم".(٤)

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٠٤-٣٠٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣١٣-٣١٤.

(٢) ينظر: المصادر السابقة: ٥/٣١٨، ١٠/٣١٧.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/٢١-٢٢.

وكذلك الخليفة المقتدر أمر في عام(٢٩٦هـ) بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى في الدواوين، وألزموا بيوهم وأن يلبسوا العسلي، ويضعوا بين أكتافهم رقاعا ليعرفوا بها، وألزموا بالذل حيث كانوا.[١]

وفي عهد الخليفة القادر ماتت زوجة ابن اسرائيل أحد رؤساء النصارى وكاتب المناصح أبي الهيجاء[٢]، فأخرجت جنازتها نهاراً، ومعها النوائح، والطبول، والزمور، والرهبان، والصلبان، والشموع، فقام رجل من الهاشميين فأنكر ذلك، ورجم الجنازة، فوثب أحد غلمان المناصح بالهاشمي، فضربه بدبوس على رأسه، فشجه، فسال دمه، وهرب النصارى بالجنازة إلى بيعة دار الروم، فتبعهم المسلمون، ونهبوا البيعة، وأكثر دور النصارى المجاورة لها، وعاد ابن إسرائيل إلى داره، فهجموا عليه، فهرب منهم، وأخرج ابن إسرائيل مستخفياً، حتى أوصل إلى دار المناصح، وثارت الفتنة بين العامة وغلمان المناصح، وزادت، ورفعت المصاحف في الأسواق، وغلقت أبواب المساجد، وقصد الناس دار الخليفة على سبيل الاستنفار، وركب ذو النجادين أبو غالب[٣] إلى دار المناصح، فأقام بها، ووردت رسالة الخليفة إلى المناصح بإنكار ما جرى، وتعظيم الأمر فيه، وبالتماس ابن إسرائيل وتسليمه، فامتنع المناصح من ذلك، فغاظ الخليفة امتناعه، فهمّ بالخروج من بغداد، وجمع الهاشميين إلى داره، واجتمعت العوام في يوم الجمعة، وقصدوا دار المناصح، ودفع غلمانه، فقتل رجل علوي، فزادت الشناعة، وامتنع الناس من صلاة الجمعة، وظفرت العامة بقوم من النصارى فقتلوهم، وترددت الرسائل إلى المناصح، إلى أن بذل حمل ابن إسرائيل إلى دار الخلافة، فبذل ابن إسرائيل أموالا جزيلة، فعُفي عنه، وسكنت الفتنة، وكف العامة عن ذلك، وألزم أهل الذمة الغيار[٤]، ثم أفرج عن ابن إسرائيل.[٥]

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٨٢/١٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٠٨/١١.

(٢) هو أبو الهيجاء بختكين، الذي لقبه بهاء الدولة البويهي بالمناصح، كان من رجال الدهر وعقلائهم، ومن أعلاهم همة، ولم يخلف بعده مثله، وكان بهاء الدولة قد قرن بينه وبين السعيد أبي طاهر شباشي المشطب في أمور الأتراك ببغداد، توفي سنة(٥٤٠٨) أو (٥٤٠٧). ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٢٤٢/٤.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) الغيار: علامة أهل الذمةِ كالزُنَّار للمجوس ونحوه. ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ١١٩/٢.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٩١/١٥-٩٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤٨/١١.

وفي عام(٤٢٩هـ) جمع الخليفة القائم الأشراف، والقضاة، والشهود، والفقهاء والوجوه إلى بيت النوبة، واستدعى جاثليق النصارى، ورأس جالوت اليهود، وخرج توقيع الخليفة في أمر الغيار، وإلزام أهل الذمة إياه، وكان في التوقيع:"بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله تعالى بعزته التي لا تحاول، وقدرته التي لا تطاول، اختار الإسلام ديناً، وارتضاه، وشرفه، وأعلاه، وبعث به محمداً واجتباه، وأذل من ناواه، فقال تعالى:﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[١] وقال: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٢] وأمير المؤمنين يرى أن من أقرب الوسائل إلى الله به بقاء ما كان حافظاً للشرع ومجدداً لمعالمه، وقد كان الخلفاء الراشدون فرضوا على أهل الذمة المعاهدين حدوداً معقودة على الاستشعار والإخبات والاستكانة، والتفرد عن المسلمين إعظاماً للإسلام وأهله، ولما تطرق على هذه السنة الإغفال، واستمر فيها الإهمال، اطرحت هذه الطائفة دواعي الاحتراس، وتشبهت بالمسلمين في زيهم، فرأى أمير المؤمنين الإيعاز إلى جميع أهل الذمة بتغيير اللباس الظاهر مما يعرفون به عند المشاهدة، فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين"فقالوا: السمع والطاعة.[٣]

وفي عهد الخليفة المقتدي بأمر الله، قبض السلطان السلجوقي جلال الدولة على ابن علّان اليهودي ضامن البصرة، وقتله، وأخذ من ذخائره نحوا من أربعمائة ألف دينار، وكان ابن علان هذا قد تفاقم أمره، حتى إن زوجته ماتت، فمشى خلف جنازتها جميع من بالبصرة، سوى القاضي.[٤]

وفي عام(٤٧٨هـ) خرج توقيع من الخليفة المقتدي بأمر الله بنقض ما علا من دور بني الحرر اليهود، وسد أبواب لهم كانت تقابل الجامع، وأخذ عليهم غض الصوت بقراءة التوراة في منازلهم، وإظهار الغيار على رؤوسهم.[٥]

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩.

(٣) المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/٢٦٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٦/٢٠٥-٢٠٦.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١٦/٢٤٢-٢٤٣.

وفي عام(٥٨٥هـ) أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي صليب الصلبوت الذي كانت النصارى تدعي كذبا أن عيسى عليه السلام صلب عليه، وكانوا قد أحضروه معهم في غزوهم لصلاح الدين، فلما حرر صلاح الدين بيت المقدس من النصارى، واستولى على هذا الصليب المزعوم أرسله إلى الخليفة الناصر في بغداد مع جمع من الأسارى الفرنج، فدفن هذا الصليب تحت عتبة باب النوبة من دار الخليفة، فكان بالأقدام يداس بعدما كان يعظم ويباس، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوبا على الصخرة، وكان من نحاس مطليا بالذهب، فحطه الله إلى أسفل العتب.[١]

(١) ينظر : البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/٣٣٢.

المبحث الثاني

دعوة أهل الكتاب إلى العقيدة الصحيحة

الدعوة إلى العقيدة الصحيحة تكون بنشر الدين الإسلامي في أصقاع الأرض، فقد نهج الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المنهج بعد أن ثبّت أركان الدولة الإسلامية في المدينة النبوية، وأرسى قواعدها، ثم بدأ بتوسيع دائرة الإسلام بناء على قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[(١)]، فبدأ بإرسال الرسل إلى الملوك لدعوتهم إلى الدين سلما، ثم كانت الفتوحات الإسلامية في عهده، وعهد الخلفاء الراشدين من بعده مستمرة، لا لأنهم اعتمدوا على السيف في نشر هذا الدين كما يقال، ولكن لإزالة العقبات التي تواجه نشر الإسلام، وإلا فكثير من البلدان والمدن فتحت سلما وصلحا، لأن الهدف من هذه الفتوحات ليس إزهاق الأرواح، أو نشر الخراب في الأرض، وإنما كان الهدف أسمى من ذلك بكثير، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ولإنقاذ الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام والإيمان.

وكذلك كانت الدولة الأموية فقد كانت الفتوحات الإسلامية في عهدها كثيرة في سبيل نشر هذا الدين، فقد تمكنت من إدخال الإيرانيين ومعظم الأتراك في الإسلام، وفتحت أبواب الهند للدين الإسلامي، وأوسعت للإسلام مكانا في معظم أراضي الدولة البيزنطية، وأدخلت أجناس البربر جميعا في الإسلام ثم انتزعت شبه جزيرة إيبريا[(٢)] من القوط[(٣)] الغربيين، ثم اقتحمت على الفرنجة والبرغنديين[(٤)]

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) إيبريا: هي إسبانيا، وتسمى (إيبريا) باسم شعوب (الإيبير) التي استوطنتها في العصر الحجري الحديث، وتشمل شبه الجزيرة التي تتألف منها إسبانيا والبرتغال. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ٣٤/١.

(٣) القوط: قيل أنهم من نسل ماداي بن يافث بن نوح، وقيل من نسل ماغوغ بن يافث، والمقصود به مأجوج، وقد غلبوا على الأندلس واقتطعوها عن صاحب رومة، وانفردوا بسلطانهم، واتخذوا مدينة طليطلة دار سلطانهم. ينظر: تاريخ ابن خلدون، ١٨٤/٢، وصفة جزيرة الأندلس، ٦.

(٤) البرغنديون: لم أقف على معنى هذه الكلمة، ولكنهم كانوا من القبائل النصرانية التي تسكن الأندلس، والله أعلم.

واللومبارد[1] بلادهم بالإسلام، وحاولت ثلاث مرات الاستيلاء على القسطنطينية.[2]

أما الدولة العباسية فيذكر الدكتور حسين مؤنس أنها لم تنتبه إلى حقيقة وظيفتها كدولة إسلامية وهي نشر الإسلام، لا مجرد المحافظة عليه كما وجدته، ولو أنها قامت برسالتها وأدخلت كل الأتراك والمغول في الإسلام لأدت للإسلام والحضارة الإنسانية أجل الخدمات وتغيرت صفحات التاريخ، ولكن بالرغم من طول مدتهم فإنهم لم يضيفوا إلى عالم الإسلام إلا القليل ومعظمه في شرقي آسيا الصغرى.[3]

إلا أنه كانت هناك بعض المناظرات التي عقدت في عهد الخلفاء العباسيين مع بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء في مجالسهم، أو من العلماء الذين في عهدهم تبين الحق لهم، وتهديهم إلى سواء السبيل.

وذكر أن الخليفة السفاح عندما ناظر أحد الملاحدة قال لجلسائه:"هلا أنفقتم جزءا من أعماركم في قراءة علم تردون به على من ألحد في دين الله يوما من الدهر".[4]

وقد دعا الخليفة المنصور طبيبه النصراني جرجيس بن جبرائيل إلى الإسلام لما أراد الرجوع إلى بلده جنديسابور لمرض ألمّ به، إلا أنه أبى وفضّل أن يكون مع أبائه وأجداده إما إلى النار أو إلى الجنة بزعمه، فضحك المنصور من قوله وتركه.[5]

وكان للخليفة العباسي هارون الرشيد علج[6] طبيب، له فطنة وأدب، فودّ الرشيد أن أن لو أسلم، فقال له يوما: ما يمنعك من الإسلام؟ فقال الطبيب: آية في كتابكم حجة على من انتحله. فقال له: وما هي؟ قال: قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[7] [7] وهو الذي نحن عليه، فعظم ذلك على الرشيد، وجمع له العلماء، فلم يحضرهم جواب

---

(١) اللومبارد: هم من النصارى الذين سكنوا شمال إيطاليا، ولهم هناك منطقة تسمى لومبارديا. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ٢/٢٩٠.

(٢) ينظر: أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، ٥١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٥١.

(٤) عيون المناظرات، السكوني، ٢٠٦.

(٥) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ١٨٣-١٨٧.

(٦) العلج: الرجل من كفار العجم. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/٣٤٩.

(٧) النساء: ١٧١.

ذلك، حتى ورد قوم من خراسان فيهم محمد بن عمر بن وافد[1] من أهل علم القرآن، فأخبره الرشيد بذلك فاستعجم عليه الجواب، ثم خلا بنفسه وقال: ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله، فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[2] فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال: إن كان ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [3] يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه تعالى وجب ذلك في السماوات والأرض، فانقطع النصراني، و لم يجد جواباً، ثم أسلم، وسُرَّ الرشيد بذلك، وأجزل صلة ابن وافد، فلما رجع إلى بلده صنف كتاب (النظائر في القرآن).[4]

وجمع الخليفة المأمون بين العتّابي[5] وبين أبي قرَّة النصراني[6]، فقال لهما: تناظرا وأوجزا. فقال العتّابي لأبي قرة: أسألك أم تسألني؟ فقال: سلني. قال: ما تقول في المسيح؟ قال: أقول إنه من الله عز وجل. فقال العتّابي: إن"من"تجيء على أربعة أوجه: فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على سبيل التناسل، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة، فهل عندك خامسة؟ قال: لا، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتّابي: إن قلت: إنه كالبعض من الكل جزّأته، والباري لا يتجزأ، وإن قلت: إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعاً إلى مالا نهاية، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل، وإن قلت على سبيل الاستحالة، أوجبت فساداً، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال، وإن قلت: إنه كالخلق من الخالق، كان قولا حقا، وهو الحق الذي لا شك فيه.[7]

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) الجاثية: ١٣.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) عيون المناظرات، السكوني، ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبدالبر، القسم الأول، المجلد الأول، ١٠٦.

فقال النصراني: فما تركت لي قولا أقوله. فانقطع.[1]

قال أبو علي السكوني[2] بعد سرده لهذه المناظرة:"وإنما ألزمه العتّابي الكفر في الأوجه الثلاثة ما عدا الفعل من الفاعل، لأن كل وجه منها يؤدي إلى الحدوث والافتقار".[3]

وقد ذكر السكوني مناظرة لأبي الحسن الأشعري مع متفلسف نصراني في حضرة الخليفة العباسي في بغداد إلا أنه لم يذكر اسم الخليفة، والأشعري عاصر ستة من خلفاء بني العباس وهم: المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر والقاهر والراضي، وكانت المناظرة عن مسألة قدم العالم، وقد التزم النصراني أن يرجع إلى الإسلام إن قامت عليه الحجة، فاستدعى الخليفة العباسي له جماعة من علماء الكلام، فلم يوفقوا في قطعه لوجود الخلل في عقائدهم، فمنهم من يعتقد خلو الجواهر عن جملة الأعراض، ومنهم من يعتقد أن الجواهر تخلق من كل جنس من أجناس الأعراض إلا عن الألوان، ومنهم من يعتقد خلو الجواهر عن الأعراض ابتداء إلا عن الأكوان[4]، فلما ناظره أبو الحسن الأشعري فأثبت له وجود الأعراض، وأثبت وأثبت حدوثها، وأثبت استحالة خلو الجواهر من الأعراض، والنتيجة أنه ما لا يسبق الحوادث فهو حادث، إذن فالعالم حادث وليس قديما، فلم يكن للملحد عليه قيام حجة لأنه لم يؤثر قط عن أبي الحسن القول بالعروّ[5]، فتمت حجة أبي الحسن، وانقطع الملحد، ودخل في دين الإسلام هو وقومه.[6]

---

(١) عيون المناظرات، السكوني، ٢١٣.

(٢) هو عمر بن محمد بن حمد بن خليل، أبو علي، السكوني، مقرئ، من فقهاء المالكية، إشبيلي نزل بتونس، له كتب، منها: التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز – كتاب الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنة – لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام، توفي سنة(٧١٧هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٥/٦٣.

(٣) عيون المناظرات، السكوني، ٢١٣.

(٤) الأكوان: جمع كون وهو اسم لما حدث دفعة، كانقلاب الماء هواء، فإن الصورة الهوائية كانت ماء بالقوة، فخرجت منها إلى الفعل دفعة، فإذا كان على التدريج فهو الحركة، وقيل: الكون حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها. ينظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٤١.

(٥) أي خلو الجواهر من الأعراض.

(٦) ينظر: عيون المناظرات، السكوني، ٢٣٢-٢٣٣.

وأما من العلماء الذين كانوا في عهد الدولة العباسية وكانت لهم مناظرات مع أهل الكتاب، فمنهم القاضي الباقلاني، والإسفراييني، والفخر الرازي، وغيرهم.

الفصل الرابع

أثر خلفاء بني العباس تجاه سائر طوائف الكفر

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم ضد أدعياء النبوة.

المبحث الثاني: أثرهم ضد الراوندية.

المبحث الثالث: أثرهم ضد المجوس.

المبحث الرابع: أثرهم ضد عباد الأصنام.

المبحث الخامس: أثرهم ضد اليزيدية.

المبحث الأول
أثرهم ضد أدعياء النبوة

يعتقد أهل السنة والجماعة أن النبوة ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] ولقوله صلى الله عليه وسلم:(...وختم بي النبيون)[2]، وأخبر أنه سيظهر بعده كثير من مدعي النبوة فقال صلى الله عليه وسلم:(...سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي...)[3] وهذا من أعلام النبوة، فقد حدث هذا الأمر بالفعل، فقد ظهر أدعياء النبوة في عهده صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، وكذلك الدولة العباسية موضوع البحث، فقد ظهر بعض الأفراد الذين ادعوا النبوة في عصور الدولة العباسية، وكان للخلفاء العباسيين موقف حازم ضدهم، فمن هؤلاء:

أولا: أستاذسيس:

سبق الحديث عن أستاذسيس أنه كان من الشعوبيين، وقد خرج على الخليفة أبي جعفر المنصور عام(١٥٠هـ)، ورفض مبايعة المهدي بولاية العهد، وادعى النبوة، وتبعه على ذلك خلق كثير، وأظهر أصحابه الفسق، وقطع السبيل، فوجه إليه المهدي خازم بن خزيمة التميمي، فحاربه، ففض جموعه، فأسره، وحمله إلى أبي جعفر المنصور في بغداد، فقتله.[4]

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث (٥٢٣).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث ٤٢٥٢، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٩/٣.

(٤) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ١١٥/٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ٦٦/٢٢.

ثانيا: يوسف البرم:

خرج يوسف البرم بخراسان في زمن الخليفة المهدي، وهو رجل من موالي ثقيف ببخارى يدعو الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتبعه على ذلك خلق من الناس[1]، واستغوى خلقاً كثيراً، وادعى النبوة، فبعث إليه جيشاً، ففضوا جموعه، فأسروه، فأمر به المهدي فصلب[2]، وكان خروجه عام(١٦٠هـ) حيث توجه إليه يزيد بن مزيد فلقيه، واقتتلا حتى أسره يزيد، وبعث به إلى الخليفة المهدي، وبعث معه من وجوه أصحابه، فلما انتُهى بهم إلى النهروان حمل يوسف البرم على بعير قد حول وجهه إلى ذنب البعير، وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، فأدخلوه على الخليفة المهدي، فأمر هرثمة ابن أعين، فقطع يدي يوسف ورجليه، وضرب عنقه، وأعناق أصحابه، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى مما يلي عسكر المهدي، وإنما أمر هرثمة بقتله لأنه كان قتل أخا لهرثمة بخراسان.[3]

ثالثا: المبرقع:

وخرج في زمن الخليفة المعتصم عام(٢٢٧هـ) — قريبا من وفاته — في فلسطين رجل يقال له المبرقع، وهو أبو حرب اليماني، وقد زعم أنه السفياني[4]، فدعا إلى الأمر

(١) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ١٣٠/٣.

(٢) ينظر: البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، ٩٧.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٥٣/٤.

(٤) قال الألباني عن حديث السفياني: ضعيف جدا. أخرجه الحاكم (٤ / ٤٦٨) من طريق نعيم بن حماد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الوليد بن عياش أخو أبي بكر بن عياش عن إبراهيم عن علقمة قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحذركم من سبع فتن تكون بعدي: فتنة تقبل من المدينة، وفتنة في مكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام، وهي السفياني)) فقال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها، ومن هذه الأمة من يدرك آخرها. قال الوليد بن عياش: فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة عبدالله بن الزبير، وفتنة الشام من قبل بني أمية، و فتنة المشرق من قبل هؤلاء. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ورده الذهبي بقوله: هذا من أوابد نعيم. أي: من غرائبه وعجائبه. قال الألباني:
=

بالمعروف والنهي عن المنكر أولاً، إلى أن قويت شوكته فادعى النبوة، وكان سبب خروجه أن جندياً أراد النزول في داره، فمانعته زوجته، فضربها الجندي بسوط فأثر في ذراعها، فلما جاء المبرقع شكت إليه، فذهب إلى الجندي، فقتله، وهرب، ولبس برقعاً لئلا يعرف، ونزل جبال الغور مبرقعاً، وحث الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستجاب له قوم من فلاحي القرى، وقوي أمره، فأرسل الخليفة المعتصم لحربه رجاء الحضاري أحد قواده في ألف فارس، وأتاه فوجده في مائة ألف، فعسكر بإزائه و لم يجسر على لقائه، فلما كان أوان الزراعة تفرق أكثر أصحابه في فلاحتهم، وبقي في نحو الألفين، فواقعه عند ذلك رجاء الحضاري، وأسره، وحبسه حتى مات خنقاً في آخر هذه السنة.(١)

رابعا: محمود بن الفرج النيسابوري:

ظهر في عهد الخليفة المتوكل في عام(٢٣٥هـ) بسامراء رجل يقال له: محمود بن الفرج النيسابوري، فزعم أنه ذو القرنين، ومعه سبعة وعشرون رجلا عند خشبة بابك الخرمي، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلان، وببغداد في مسجد مدينتها آخران، وزعما أنه نبي، وأنه ذو القرنين، فأُتي به وبأصحابه إلى الخليفة المتوكل، فأمر بضربه بالسياط، فضرب ضربا شديدا، فمات من بعد ضربه، وحبس أصحابه، وكانوا قدموا من نيسابور ومعهم شيء يقرؤونه، وكان معهم عيالاتهم، وفيهم شيخ يُشهد له بالنبوة، ويزعم أنه يوحى إليه، وأن جبريل يأتيه بالوحي، فضرب محمود مائة سوط فلم ينكر نبوته حين ضرب، وضرب الشيخ الذي كان يُشهد له أربعين سوطا، فأنكر نبوته حين ضرب، وحمل محمود إلى باب العامة، فأكذب نفسه، وقال الشيخ: قد اختدعني. وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه،

هو متهم بالكذب، فالحديث ضعيف جدا كما يشعر بذلك قول الذهبي هذا. ينظر: السلسلة الضعيفة، الألباني، ٣٥٠/٤.

(١) ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣٠٣/٢.

فصفعوه كل واحد منهم عشر صفعات، وأخذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرآنه، وأن جبريل عليه السلام كان يأتيه به، ثم مات في هذه السنة، ودفن في الجزيرة.[1]

خامسا: صاحب الزنج:

وهو رجل ادعى أنه من آل البيت، وقيل: إن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، وقد ولد في إحدى قرى الري، جمع إليه الزنج، وادعى النبوة، وكان مفسدا في الأرض، يقتل ويخرب، ويحرق المدن، ويسبي الحرائر المسلمات، وادعى علم الغيب، وأن العناية الإلهية أرسلته لإنقاذ الناس من البؤس الذي يعيشون فيه، وزعم أنه يخاطب من السماء، وأن الملائكة تقاتل معه، وكان خروجه في خلافة المهتدي بالله عام(٢٥٥هـ)، إلا أن المهتدي خُلع، وتوفي عام(٢٥٦هـ) أي لم يحكم إلا سنة واحدة فقط، ثم تولى بعده المعتمد الخلافة فقام بإرسال سعيد بن الحاجب لقتالهم، فسار إليهم في رجب من عام(٢٥٧هـ)، فهزمهم في البداية، لكنه هُزم في المعارك التي تلتها، وفقد قسماً كبيراً من جيشه، وقتل هو.

واستمرت المعارك بين جيوش الخلافة وجيش الزنج لسنوات عديدة، والحرب سجال بين الطرفين، إلى أن لجأ الخليفة المعتمد إلى أخيه الموفق، ووضع في يده مقاليد الأمور، فسار الموفق سنة(٢٦٧هـ) إلى واسط وتمكن من استردادها، ثم سار إلى صاحب الزنج وهو بمدينة (المنيعة) التي أسسها، فدخلها عنوة، وأنقذ خمسة آلاف امرأة كانت بيد الزنج، ثم سار إلى بلدة الزنج الثانية واسمها (المنصورة) وبها سليمان بن جامع قائد الزنج، وتمكن الموفق من دخولها بعد أن قاتل الزنج دونها قتالاً عنيفاً، وكان لها خمسة أسوار، وأنقذ منها عشرة آلاف امرأة مسلمة جُلهم من أهل البصرة.

وكان الموفق يدعو الزنج إلى الرجوع إلى الحق، ويبذل الأمان لمن عاد، واستنكر ما يقوم به الدّعي صاحب الزنج، كما حرص على إزالة الأسباب التي دعت هؤلاء العبيد إلى الثورة، فعاد كثير منهم، وانضم إلى جيش الخلافة.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٠٦/٥.

ثم وجه الموفق كتاباً إلى صاحب الزنج يدعوه فيه إلى التوبة، والرجوع عما ارتكبه من منكرات، ودعوى النبوة، وبذل له الأمان، إلاّ أن صاحب الزنج لم يستجب، ودارت المعارك العنيفة طيلة سنة(٢٦٧هـ) والسنوات التي بعدها، حتى استطاع الموفق في عام(٢٧٠هـ) من قتل صاحب الزنج، وإنهاء هذه الفتنة التي استمرت ١٥ عاماً أكلت الأخضر واليابس، وأنهكت دولة الخلافة، وتسببت في وقف النشاط التجاري بسبب تدمير طرق التجارة، والخوف الذي كان يعم تلك المناطق.

وقدم ابن الموفق أبو العباس إلى مدينة السلام ومعه رأس الخبيث صاحب الزنج ليراه الناس، فاستبشروا، فدخلها في أحسن زي، وأمر برأس الخبيث فسير به بين يديه، واجتمع الناس لذلك.[1]

هؤلاء الأدعياء كان لخلفاء بني العباس موقف حازم منهم، وهناك أدعياء آخرون ظهروا في عهد الدولة العباسية ولم يذكر المؤرخون موقفا للخلفاء العباسيين ضدهم، وقد يكون السبب في ذلك بُعد المناطق التي ظهر فيها هؤلاء الأدعياء عن عاصمة الخلافة بغداد، ولو كانوا قريبين منهم لكان لهم منهم موقف قوي.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٤٤١-٥٨٧.

المبحث الثاني

أثرهم ضد الراوندية

الراوندية نسبة إلى راوند[1] وهي طائفة من الباطنية يسمون السبعية، ويقولون: الأرضون سبع، والسماوات سبع، والأسبوع سبعة، يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة. فعدّوا: العباس، ثم ابنه عبدالله، ثم ابنه عليا، ثم محمد بن علي، ثم إبراهيم، ثم السفاح، ثم المنصور، فقالوا: هو السابع. وكانوا يطوفون حول قصر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا[2]، وكان هذا عام(١٤١هـ)، وكانوا يزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك[3]، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية[4] جبرئيل.[5]

وكانت بدايتهم في زمن الدولة الأموية، حيث ذكر ابن الجوزي أن رجلا من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص، فدعا الراوندية إليه، وزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم في الأئمة واحدا بعد واحد إلى أن صارت إلى إبراهيم بن محمد، واستحلوا الحرمات، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم، ويحملهم على امرأته، فبلغ ذلك أسد بن عبدالله، فقتلهم، وصلبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى أن عبدوا أبا جعفر، وصعدوا مكانا مرتفعا، وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا، وخرج جماعتهم على الناس في السلاح، وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت.[6]

---

(١) راوند: بفتح الواو ونون ساكنة، بليدة قرب قاشان وأصبهان، قال حمزة: وأصلها راهاوند ومعناه الخير المضاعف، قال بعضهم: وراوند مدينة بالموصل قديمة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٩/٣.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ٢٩/٨-٣٠.

(٣) هو عثمان بن نهيك، بفتح النون، أحد قواد المنصور وثقاته ومن الذين شاركوا في قتل أبي مسلم الخراساني، قتل سنة(١٤١ه). ينظر: تاريخ الطبري، ٣٩٥/٤.

(٤) هو الهيثم بن معاوية العَكّي الأمير بالبصرة، مات فجأةً سنة(١٥٦ه) ببغداد. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٣٩/٢٧-٢٤٠.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٩٥/٤.

(٦) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٦٢٦-٦٢٧.

وأسد بن عبدالله هو القسري البجلي أخو خالد بن عبدالله القسري والي واسط، وقد ولى خالدٌ أخاه أسدا خراسان سنة(١٠٦هـ)[1]، وراوند تقع في خراسان، وهذا يعني أن الراوندية كان ظهورهم في أثناء الدولة الأموية.

وذكر الأشعري أن الفرقة التاسعة من الرافضة، وهي الثامنة من الكيسانية يزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، قالوا: وذلك أن أبا هاشم مات بأرض الشراة منصرفه من الشام، فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماما، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبدالله، ونص عبدالله على إمامة ابنه علي بن عبدالله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور، وهؤلاء هم الراوندية. وافترقت هذه الفرقة في أمر أبي مسلم على مقالتين: فزعمت فرقة منهم تدعى الرزامية أصحاب رجل يقال له: رزام أن أبا مسلم قتل، وقالت فرقة أخرى يقال لها أبو مسلمية: أن أبا مسلم حي لم يمت. ويحكى عنهم استحلال ما لم يحلل لهم أسلافهم.[2]

وقد ذكرهم البغدادي باسم الرزامية دون ذكر الراوندية، وذكر عن فرقة أبي مسلمية أنهم أفرطوا في أبي مسلم غاية الإفراط، وزعموا أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه، وزعموا أن أبا مسلم خير من جبريل وميكائيل وسائر الملائكة، وزعموا أيضا أن أبا مسلم حي لم يمت وهم على انتظاره، وهؤلاء بمرو وهرات يعرفون بالبركوكية، فإذا سئل هؤلاء عن الذي قتله المنصور قالوا: كان شيطانا تصور للناس في صورة أبي مسلم.[3]

فكان موقف المنصور منهم أن أرسل إليهم، فحبس منهم مائتين وكانوا ستمائة، فغضب أصحابهم الباقون ودخلوا السجن، فأخرجوهم وقصدوا نحو المنصور، فتنادى الناس،

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ١١٦/٤.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٣٦/١-٣٧.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ٢٥٧.

وغلقت أبواب المدينة، وخرج المنصور ماشياً فأتى بدابةٍ وركبها، وجاء معن بن زائدة[1] فرمى بنفسه وقال: أنشدك الله عز وجل يا أمير المؤمنين إلا رجعت، فإني أخاف عليك. فلم يقبل وخرج، فاجتمع إليه الناس، وجاء عثمان بن نهيك فكلمهم، فرموه بنشابة[2] وكانت سبب هلاكه، ثم حمل الناس عليهم فقتلوهم.[3]

---

(١) هو معن بن زائدة، أبو الوليد الشيباني، أمير العرب، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد، سر به أبو جعفر بعد حادثة الراونديين، وقدمه، وعظمه، ثم ولاه اليمن، وغيرها، ولمعنٍ أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد، ثم ولي سجستان، وَثَبَتْ عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه سنة(١٥٢ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩٧/٧-٩٨.

(٢) النشابة: النبل أو السهام. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣٧/١٤.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٩٥/٤، والمنتظم، ابن الجوزي، ٣٠/٨.

المبحث الثالث

أثرهم ضد المجوس

المجوس هم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلين: نور وظلمة. وقيل: المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات.(1)

وهم أتباع الديانة الزرادشتية الفارسية التي تنتسب إلى زرادشت، الذي قال: إن النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك يزدان وأهرمن، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة، والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له، ولا ضد، ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، لكن الخير والشر، والصلاح والفساد، والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، وهما يتقاومان، ويتغالبان إلى أن يغلب النورُ الظلمةَ، والخيرُ الشرَ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه، والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص.(2)

وقد أتي أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس برجل ثنوي(3) على مذهب المجوس فجمع له العلماء وقال: بم ترون؟ قالوا: السيف يا أمير المؤمنين. فقال: نعم، السيف لكن بعد إقامة الحجة عليه. ثم أقبل على الرجل وقال له: صف لي شبهتك. فقال: رأيت خيرا وشرا، وعزا وذلا، وموتا وحياة، فقلت: هذا ليس من واحد بل من اثنين، واحد للخير، وآخر للشر. فأطرق السفاح مليا ثم رفع رأسه وقال له: أخبرني عن الذي يخلق الخير أيقدر على خلق مقدور الآخر؟ فقال: لا. قال: والذي يقدر على الشر أيقدر على مقدور الآخر؟ قال: لا. قال: ويحك اتخذت إلهين عاجزين قاصرين، ومن لا يقدر إلا على بعض المقدورات دون بعض فعاجز عن البعض. فبهت الرجل، ثم قال السفاح: أبقيت لك حجة؟

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٣/١٢، وهداية الحيارى، ابن القيم، ٣٥، والكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي، ٣٩/١، وتلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٤٥٩.

(2) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢٦٤/٢-٢٦٦.

(3) أي القائلين بإلهين اثنين.

قال المجوسي: لا. قال: الآن فاضربوا عنقه. فقال له ابن شبرمة: الحمد لله الذي هدى بأولكم أولنا وبآخركم آخرنا. ثم رد الخليفة السفاح رأسه إلى الجمع، وقال لهم: هلا أنفقتم جزءا من أعماركم في قراءة علم تردون به على من ألحد في دين الله يوما من الدهر.[1]

وكان للمجوس أعياد وطقوس يحيونها في هذه الأعياد، فلما دخل أكثر المجوس الفرس في الإسلام كان بعضهم قد دخل الإسلام خوفا لا قناعة، فلم يحسن إسلامهم، واصطحبوا معهم عقائدهم المجوسية، وحاولوا إحياءها بكل ما استطاعوا من قوة، لذا فقد وقف بعض الخلفاء العباسيين ضد هؤلاء.

وأبرز أعياد الفرس المجوس التي كانوا يحاولون كل عام تحت حكم الدولة العباسية (عيد النيروز) أو(النوروز) وهو أعظم أعيادهم وأجلها، ويقال: إن أول من اتخذه جمشيد أحد ملوك الفرس الأُوَل، ويقال فيها جمشاد، ومعنى (جم) القمر و(شاد) الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم هذا العيد أن طهومرت لما هلك، ملك بعده جمشاد، فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد، ومن الفرس من يزعم أن النيروز اليوم الذي خلق الله عز وجل فيه النور، وأنه كان معظّم القدر عند جمشاد، وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك في الدوران، ومدته عندهم ستة أيام، أولها اليوم الأول من شهر أفريدون ماه، الذي هو أول شهور سنتهم، ويسمون اليوم السادس النوروز الكبير، لأن الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع خواصهم، وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته.[2]

لذا فقد كان بعض العوام في الدولة العباسية يوقدون النيران، ويرشون الماء على المارّة في هذا اليوم، فقام الخليفة المعتضد عام(٢٨٢هـــ) بمنع الناس من عمل ما كانوا يعملون به من نيروز العجم من صب الماء، وإيقاد النيران وغير ذلك، وكان هذا من أحسن ما اعتمده المعتضد.[3]

---

(١) ينظر: عيون المناظرات، أبو علي السكوني، ٢٠٦.

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ١٧٦/١.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٤٤/١٢، وتاريخ الطبري، ٦١٠/٥.

وقد سبق الحديث عن سنباذ المجوسي وموقف الخليفة أبي جعفر المنصور منه، وكذلك البرامكة وموقف الخليفة هارون الرشيد منهم.

المبحث الرابع
أثرهم ضد عباد الأصنام

في هذا المبحث تبرز لنا شخصية الخليفة المتوكل من جديد حيث كان له موقف ضد عباد الأصنام وهم البجة[1] أو البجاة، وهم جنس من أجناس الحبُش بالمغرب من السودان، وفى بلادهم معادن ذهب، ويقاسمون من يعمل فيها، ويؤدون إلى عمال السلطان من مصر في كل سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى.[2]

فلما كان أيام المتوكل امتنعت البجة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية فبلغ المتوكل أن البجة قد نقضت العهد[3] الذي كان بينها وبين المسلمين، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر وهي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة، فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن، ويستخرج الذهب والجوهر، وسبوا عدة من ذراريهم ونسائهم، وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها، فأوحش ذلك جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين، فانصرفوا عنها خوفا على أنفسهم وذراريهم، فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة والجوهر الذي يستخرج من المعادن.[4]

فاشتد إنكار المتوكل لذلك وأحفظه، وشاور في أمر البجة، فأنهي إليه بأنهم قوم أهل بدو، وأصحاب إبل وماشية، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن أن يسلك إليهم الجيوش، لأنها مفاوز وصحارى، وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة لا ماء فيها ولا زرع، ولا معقل ولا حصن، وأن من يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزود لجميع المدة التي يتوهم أن يقيمها في بلادهم إلى أن يخرج إلى أرض الإسلام، فإن

---

(١) البجة: اسم لصنم كان يعبد في الجاهلية. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٦٦/٦، ٤٤٩/١٠-٤٥٠.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٢٢/٥.

(٣) وقد كانت بين المسلمين والبجة عباد الأصنام هدنة عقدها معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: فتوح البلدان، البلاذري، ٣٣٢-٣٣٣، ورسالة جمل فتوح الإسلام، ابن حزم، ضمن جوامع السيرة ومعه خمس رسائل، ٣٤٥.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٢٢/٥.

امتد به المقام حتى يتجاوز تلك المدة هلك وجميع من معه، وأخذهم البجة بالأيدي دون المحاربة، وأن أرضهم أرض لا ترد على السلطان شيئا من خراج ولا غيره.[١]

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم، وجعل أمرهم يتزيد، وجرأهم على المسلمين تشتد، حتى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم منهم، فولى المتوكل محمد بن عبدالله المعروف بالقمي[٢] محاربتهم، وخرج إلى أرض البجة، وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن، وقوم كثير من المطّوعة، فكانت عدة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان بين فارس وراجل.[٣]

وتوجه القمي في بداية أمره إلى بحر القلزم — البحر الأحمر - فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوما من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في ساحل البحر من أرض البجة، فلم يزل محمد بن عبدالله القمي يسير في أرض البجة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب، وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم واسمه (علي بابا) واسم ابنه (لعيس) في جيش كثير، وعدد أضعاف من كان مع القمي من الناس، وكانت البجة على إبلهم ومعهم الحراب، وإبلهم كانت نجيبة، فجعلوا يلتقون أياما، فيتناوشون، وجعل ملك البجة يتطارد للقمي لكي تطول الأيام طمعا في نفاد الزاد والعلوفة التي معهم، فلا يكون لهم قوة ويموتون هزلا، فيأخذهم البجة بالأيدي.[٤]

فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفدت أقبلت السبع المراكب التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف بصنجة، فوجه القمي إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البجة، وفرق ما كان فيها على أصحابه، واتسعوا في الزاد والعلوفة، فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجة قصد لمحاربتهم، وجمع لهم،

(١) ينظر: المصدر السابق، ٥/٣٢٢-٣٢٣.

(٢) هو محمد بن عبدالله، أبو أحمد القمي، قائد شجاع، من الولاة في العصر العباسي، كان يتولى خفارة الحاج في كثير من السنين، ولما دخل عنبسة بن إسحاق مصر واليا عليها سنة(٢٣٨ه) جعله على شرطه، توفي نحو (٢٥٠ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٢٢٢.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٢٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٥/٣٢٣.

فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت الإبل التي يحاربون عليها إبلا زعرة[1] تكثر الفزع والرعب من كل شيء، فلما رأى ذلك القمي جمع أجراس الإبل التي كانت في عسكره كلها، فجعلها في أعناق الخيل، ثم حمل على البجة، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس واشتد رعبها، فحملتهم على الجبال والأودية، فمزقتهم كل ممزق، واتبعهم القمي بأصحابه، فأخذهم قتلا وأسرا حتى أدركه الليل، وذلك في أول سنة(٢٤١هـ) ثم رجع إلى معسكره، ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم، فلما أصبح القمي وجدهم قد جمعوا جمعا من الرجالة، ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمي، فوافاهم القمي في الليل في خيله، فهرب ملكهم، فأخذ تاجه ومتاعه، ثم طلب علي بابا الأمان على أن يرد إلى مملكته وبلاده فأعطاه القمي ذلك، فأدى إليه الخراج للمدة التي كان منعها، وهي أربع سنين لكل سنة أربعمائة مثقال، واستخلف علي بابا على مملكته ابنه لعيس.[2]

وانصرف القمي بعلي بابا إلى باب المتوكل فوصل إليه في آخر سنة(٢٤١هـ) فكسا علي بابا هذا دراعة ديباج وعمامة سوداء، ووقف بباب العامة مع قوم من البجة نحو من سبعين غلاما على الإبل بالرحال، ومعهم الحراب في رؤوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم، قتلهم القمي، فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمي يوم الأضحى من سنة(٢٤١هـ)، وخرج القمي بعلي بابا وهو مقيم على دينه، فذكر بعضهم أنه رأى معه صنما من حجارة كهيئة الصبي يسجد له.[3]

---

(١) زعرة: أي شراسة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٤/٦.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٣٢٣/٥.

(٣)ينظر: المصدر السابق، ٣٢٣/٥-٣٢٤.

المبحث الخامس

أثرهم ضد اليزيدية (عبدة الشيطان)

اليزيدية فرقة منحرفة خارجة عن الإسلام، يقدسون يزيد بن معاوية، وإبليس ويسمونه طاوس ملك[1]، ويترددون على المراقد والأضرحة، ولهم عقيدة خاصة في كل ركن من أركان الإسلام، ولهم أعياد خاصة بهم.[2]

يعود أصل نشأة اليزيدية إلى الشيخ عدي بن مسافر الرجل الصالح، وكان يسكن الهكّارية[3]، وتنسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير[4]، ثم انقطع إلى جبل الهكّارية من أعمال الموصل، وبنى له هناك زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله، وتوفي سنة(٥٥٥هـ) تقريبا.[5]

فالشيخ عدي بن مسافر لم يختلف الناس في صلاحه[6] وقد مات عازبا، وخلف على أتباعه ابن أخيه أبا البركات صخر بن صخر بن مسافر، وبعد وفاته خلفه ابنه عدي، وفي زمانه كانت الطريقة العدوية كما تركها المؤسس عدي بن مسافر على السنة والجماعة، ثم انتقلت إلى حسن بن عدي ابن أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد والذي توفي سنة(٦٤٤هـ) والذي في زمنه بدأ الزيغ في

---

(١)الصابئة – الزرادشتية – اليزيدية، أسعد السحمراني، ٧٥.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، مانع الجهني، ٣٧٦/١.

(٣) الهكارية: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم: الهكارية. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٠٨/٥.

(٤) مثل: عقيل المنبجي، وحماد الدباس، وأبي النجيب عبد القاهر السهروردي، وعبد القادر الجيلي، وأبي الوفاء الحلواني. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢٥٤/٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٢٥٤/٣.

(٦) وممن شهد له بالصلاح شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى، ٣٦٣/٣، والذهبي في سير الأعلام ٣٤٢/٢٠، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٣/١٢.

العقيدة العدوية وظهر الضلال بين معتنقيها[١]، وحسن هذا هو الذي أخرج لليزيدية كتاب الجلوة[٢]، وتنسب إليه اليزيدية مصحف رش، وهما يشكلان النصوص المقدسة عندهم.[٣]

أما عن تسميتهم باليزيدية فقد اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية على أقوال منها:

١) أن بعض الباحثين حاول ربط الاسم بالأصل الفارسي الزرادشتي، لأن الزرادشتية كانت تنتشر بين الأكراد الهكّارية حيث أقام الشيخ عدي بن مسافر، خاصة وأن أصولا لغوية تساعد على ذلك، حيث أن كلمة (يزيدي) مشتقة من كلمة (يزدان) التي تعني بالكردية والفارسية (الإله)، وقد تعود تسميتهم ضمن الإطار الفارسي إلى اسم مدينة تقع بين أصفهان وشيراز وكرمان تدعى (يزد) وهي مدينة مقدسة لدى الزرادشتيين، وما زال فيها معبد نار يدعى: معبد النيران السبعة.[٤]

٢) أما الأشعري فقد جعل اليزيدية فرقة من فرق الخوارج تنتسب إلى يزيد بن أنيسة الذي زعم أن الله سبحانه سيبعث رسولا من العجم، وينزل عليه كتابا من السماء يكتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ودان بشريعة غيرها، وزعم أن ملة ذلك النبي الصابئة، وليس هذه الصابئة التي عليها الناس اليوم، وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله في القرآن، ولم يأتوا بعد، وتولى من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة من أهل الكتاب، وإن لم يدخلوا في دينه، ولم يعملوا بشريعته، وزعم أنهم بذلك مؤمنون.[٥]

---

(١) اليزيديون ماضيهم وحاضرهم، السيد عبدالرزاق الحسني، ٣٠.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٦٤/١٢.

(٣) ينظر: الصابئة — الزرادشتية — اليزيدية، أسعد السحمراني، ٦٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٦٨-٦٩.

(٥) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٩٦/١.

٣) اليزيديون المعاصرون يصرحون بأن أصل طائفتهم وما تلتزمه يعود إلى يزيد بن معاوية الأموي ثاني خلفاء بني أمية[١]، وهو أقرب الأقوال في نسبتهم.

ويدعي اليزيدية أن نسب عدي بن مسافر يتصل بمروان بن الحكم الأموي، فهم يقولون: إن اسمه عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن أحمد بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي، وقد أبطل هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "وهذا كذب قطعا فإنه يمتنع أن يكون بينه وبين مروان بن الحكم خمسة أنفس".[٢]

أما عن موقف الخلفاء العباسيين من اليزيدية فإني - حسب اطلاعي — لم أجد لهم جهودا تذكر ضد هذه الطائفة سوى ما ذكر في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة أن الشيخ عدي بن مسافر كان في مقدمة الهاربين من السلطة العباسية[٣]، وقد يكون هروبه هذا بسبب أمور سياسية لأنه كما تبين كان سليم العقيدة، وحدوث الانحراف في أتباعه كان بعد وفاته بسنين عديدة.

وكذلك ما ذكرته مجلة الراصد في عددها الثالث غرة رمضان ١٤٢٤هـــ من أن حسن بن عدي الذي حدث في عهده وبسببه الزيغ في العقيدة العدوية، تحولت الطريقة العدوية في عهده إلى حزب سياسي معارض للحكم العباسي ، وأنه حاول بسط نفوذه على المنطقة، ولكن تم القضاء عليه وعلى أنصاره من قبل صاحب الموصل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ[٤]، وكان متشيعا، وكان يخطب للخليفة العباسي المستنصر ثم المستعصم ثم انقطع عن الخطبة لهم بسبب سقوط دولتهم.[٥]

---

(١) ينظر: اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، سامي سعيد الأحمد، ٩٨-٩٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠٣/١١.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، مانع الجهني، ٣٧١/١.

(٤) هو الملك الرحيم أبو الفضائل لؤلؤ الأرمني النوري الأتابكي السلطان، بدر الدين، مملوك السلطان نور الدين أرسلان شاه ابن السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل، كان من أعز مماليك نور الدين عليه، كان بدر الدين بطلا شجاعا حازما مدبرا سائسا جبارا ظلوما، ومع هذا فكان محببا إلى الرعية، فيه كرم ورئاسة، وكان من أحسن الرجال شكلا، وكان يبذل للقصاد، ويداري ويتحرز، ويصانع التتار وملوك الإسلام، وكان عظيم الهيبة، خليقا للإمارة، مات سنة(٦٥٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٥٦/٢٣-٣٥٨.

(٥) ينظر: تاريخ الموصل، القس سليمان صائغ الموصلي، ٢٢٤/١.

الفصل الخامس

أثر خلفاء بني العباس تجاه مظاهر الشرك

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصالحين.

المبحث الثاني: الاستغاثة بالأولياء والأموات.

المبحث الثالث: التبرك والتوسل والشفاعة.

المبحث الرابع: البناء على القبور والصلاة عندها والطواف حولها.

المبحث الخامس: السحر.

المبحث السادس: التنجيم.

المبحث الأول

الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصالحين

نهى النبي صلى الله عليه وسلم – عن الغلو في تعظيمه ومدحه فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله).[١]

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. قال: (السيد الله تبارك وتعالى) قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم[٢] الشيطان).[٣]

ونهانا صلى الله عليه وسلم أيضا عن الغلو في الصالحين، فعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).[٤]

فالغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الصالحين من وسائل الشرك التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشتمل الغلو بالنبي صلى الله عليه وسلم على عدة أمور منها:

١) الغلو في ذاته (الحقيقة المحمدية).

٢) التوسل بذاته أو بجاهه أو بحقه على الله.

٣) الاحتفال بمولده.[٥]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ ، رقم الحديث (٣٤٤٥).

(٢) يستجرينكم: هو من الجري، والجري: الوكيل، يقول: جريت جريا، واستجريت جريا أي اتخذت وكيلا. ينظر: غريب الحديث، ابن قتيبة، ١٠٩/١.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، رقم الحديث (٤٨٠٦)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ١٨١/٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور المشركين ويتخذ مكانها مساجد، رقم الحديث (٤٢٧).

(٥) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٥٨-١٩٢ و ٢٥٣ وما بعدها و ٢٨٣.

فالشيعة هم أول من فتح باب الغلو في الأشخاص، وذلك بغلوهم في علي رضي الله عنه وذريته، حتى ذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من ادعى أن عليا وذريته معصومون، ومنهم من ادعى أن عليا كان نبيا، ومنهم من غلا فيه حتى ادعى أنه إله وأن روح الإله حلت فيه وفي الأئمة من ذريته(١)، ولما كان علي رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته، ووصيه وخليفته من بعده - على مذهبهم - فكان من الطبيعي أن يبتدئ غلوهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأخذ دور التسلسل إلى علي رضي الله عنه، والأئمة من ذريته، لذلك نجد لدى غلاة الشيعة عقائد باطلة تدور حول أزلية وجود الرسول صلى الله عليه وسلم وأسبقيته على الكون، وأنه ليس كسائر البشر، بل هو مخلوق من نور.(٢)

وغلاة الشيعة يزعمون أن الله عز وجل وكَلَ الأمور وفوضها إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه أقدره على خلق الدنيا، فخلقها ودبرها، وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئا، ويقول ذلك كثير منهم في علي رضي الله عنه.(٣)

فهذا هو غلو الشيعة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعلي رضي الله عنه، حيث أوصلوهما إلى مقام الألوهية، وقد تقدم موقف خلفاء بني العباس من الشيعة وغلاتهم في مبحث سابق.(٤)

أما الصوفية فيمثل غلوهم بالنبي صلى الله عليه وسلم الحلاج الذي كان أول صوفي غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخرجه عن حد البشرية، منطلقا من مذهبه في الحلول.(٥)

وقد سبق بيان موقف الخليفة العباسي المقتدر بالله منه(٦)، حيث إن الحلاج كان يرى يرى أن للنبي صلى الله عليه وسلم صورتين مختلفتين:

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٥٨.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٣٣.

(٤) ينظر: مبحث (أثرهم تجاه الشيعة)، ومبحث (أثرهم ضد الباطنية).

(٥) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٦٤.

(٦) ينظر: مبحث (أثرهم ضد الصوفية الاتحادية).

١) صورته نورا أزليا قديما، كان قبل أن يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان حيث أمد الأنبياء السابقين عليه والأولياء اللاحقين به.

٢) ثم صورته نبيا مرسلا وكائنا محدثا تعين وجوده في مكان وزمان محدودين، والنبي المرسل صلى الله عليه وسلم إنما صدر في رسالته عن ذاك النور الأزلي القديم.(١)

يقول الحلاج:"طس: سراج من نور الغيب بدأ وعاد، وجاوز السراج وساد، قمر تجلى بين الأقمار، برجه في فلك الأسرار... ما أخبر إلا عن بصيرته، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته، حضر فأحضر، وأبصر فخبر... أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم، ما كان في الآفاق وراء الآفاق ودون الآفاق. أظرف وأشرف وأعرف وأنصف وأرأف وأخوف وأعطف من صاحب هذه القضية وهو سيد البرية، الذي اسمه أحمد، ونعته أوحد، وأمره أوكد، وذاته أوجد، وصفته أمجد، وهمته أفرد، يا عجبا ما أظهره وأنظره وأكبره وأشهره وأقدره وأبصره، لم يزل، كان مشهورا قبل الحوادث والكوائن والأكوان، ولم يزل، كان مذكورا قبل القبل وبعد البعد.. هو الدليل وهو المدلول... بالحق موصول غير مفصول، ولا خارج عن المعقول... العلوم كلها قطرة من بحره... والأزمان كلها ساعة من دهره، الحق وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة... الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو وإني هو، وهو هو".(٢)

وغلو الحلاج في الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن نابعا من حبه له، وإنما كان هدفه من وراء ذلك الغلو هو ادعاؤه للألوهية وتصريحه بحلول الله فيه، ودعوة أتباعه إلى

---

(١) ينظر: الفلسفة الصوفية، عبدالقادر محمود، ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) الطواسين، الحلاج، ١٦١-١٦٣.

عبادته، طالما أن حلول الإله مستمر في الأولياء بعد الأنبياء بزعمه، ولذلك حكم عليه فقهاء عصره بردته وإهدار دمه وقتله جزاء وفاقا لكفره وزندقته.[1]

وقد كان مقتل الحلاج بسيف الشرع سببا مهما في استتار ملاحدة الصوفية بدعوتهم الباطنية الرامية إلى إخراج المسلمين من دينهم إلى الزندقة والكفر، حتى لا يحصل لهم ما حصل للحلاج، فكانوا على حذر تام من الوقوع تحت سيف الشرع، فإذا وجدوا فرصة ضعف في المسلمين جاهروا بآرائهم، كما كان مقتل الحلاج سببا لإظهار عداوة ملاحدة الصوفية للفقهاء وتنفير أتباعهم منهم.[2]

أما التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاهه أو بحقه، فسيأتي الحديث عنه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

وبقي مسألة الاحتفال بالمولد النبوي الذي ابتدع في أوائل القرن الرابع تقريبا[3]، والذي ابتدعه هم الشيعة العبيديون الباطنيون لجذب قلوب الناس إليها، والظهور بمظهر من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. مع أنها من أكثر الدول التي فشا فيها الإلحاد والزندقة تحت شعار التشيع وحب آل البيت.

وكانوا قد جعلوه ستة موالد وهي: مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد فاطمة رضي الله عنها، ومولد الحسن رضي الله عنه، ومولد الحسين رضي الله عنه، ومولد خليفتهم الحاضر.[4]

---

(١) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٧٠.

(٢) المرجع السابق، ١٧٠.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، ١١٦.

(٤) ينظر: الخطط للمقريزي (المواعظ والاعتبار)، ١/٤٣٣.

وقد سبق أيضا الحديث عن جهود الخلفاء العباسيين تجاه الدولة العبيدية، وكيف أنهم كانوا يحاربونهم سياسيا وعقديا، وأن أكثر هذه الجهود تركزت في عهد الخليفتين القادر بالله والقائم بالله.[(١)]

ويرجع بعض علماء أهل السنة تاريخ بدعة المولد النبوي إلى القرن السابع، وكان أول من أحدثه هو الملك المظفر قطز[(٢)]، وأول من ألف فيها مولدا أبو الخطاب بن دحية[(٣)] سماه: (التنوير في مولد البشير النذير) قدمه للملك المظفر الآنف الذكر، فأجازه بألف دينار ذهبا، وكان هذا تقريبا في عام(٦٢٥هـ)[(٤)]، أي في عصور الضعف للدولة العباسية، لذا لم يكن هناك أثرا يذكر لهم ضد هذه الموالد، ولبعدها أيضا عن عاصمة الخلافة العباسية بغداد، فالملك المظفر كان في الشام.[(٥)]

إلا أنه كانت هناك أقوال لعلماء أهل السنة تدل على وجود الغلو في الصالحين في البلاد التي يحكمها الخلفاء العباسيون، منها قول الإمام البربهاري (٣٢٩هـ):"فاتق الله وانظر لنفسك وإياك والغلو في الدين فإنه ليس من طريق الحق في شيء"[(٦)] وقوله:"ومن السنة أن لا لا تطيع أحدا في معصية الله، ولا الوالدين والخلق جميعا، ولا طاعة لبشر في معصية الله، ولا

---

(١) ينظر: مطلب (العبيديون).

(٢) هو المظفر قطز بن عبدالله المعزي السلطان، الملك، سيف الدين، كان أنبل مماليك المعز، ثم صار نائب السلطنة لولده المنصور، وكان فارسا شجاعا، سائسا، دينا، محببا إلى الرعية، هزم التتار، وطهر الشام منهم يوم عين جالوت، قتل سنة(٦٥٨ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٣/٢٠٠-٢٠١.

(٣) هو ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل - واسم الجميل محمد - بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن أحمد بن بدر بن دحية بن خليفة الكلبي، الداني، ثم السبتي، مجد الدين، قال الذهبي: هكذا ساق نسبه، وما أبعده من الصحة والاتصال، وكان يكتب لنفسه، ذو النسبتين بين دحية والحسين. قال الضياء: لقيته بأصبهان، ولم أسمع منه، ولم يعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة. وقال ابن نقطة: كان موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره، إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها، توفي سنة(٦٣٣ه). ينظر: المصدر السابق، ٢٢/٣٨٩-٣٩٥.

(٤) ينظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، أبو بكر جابر الجزائري، ٥٠.

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٤/١٨٩-١٩٠.

(٦) شرح السنة، البربهاري، ١٠٠.

يُحَب عليه أحدا واكره ذلك كله لله"[1] وقوله:"واعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عز وجل".[2]

وأبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) يقول:"وقد جوز قوم من الصوفية ظهور المعجزات على الصالحين، وأن تأتيهم ثمار الجنة في الدنيا فيأكلونها، ويواقعون الحور العين في الدنيا، ويظهر لهم الملائكة، ويظهر لهم الشياطين فيحاربونهم، ولم يجوزوا رؤية الله في الدنيا، وزعموا أن هذه مورايث الأعمال، وجوز آخرون كل ما حكيناه عن المتقدمين منهم، وجوزوا أن يروا الله سبحانه في الدنيا، وأن يباشروه ويجالسوه، وقال قائلون: جائز أن تظهر المعجزات على الصالحين، وأن تبلغ بهم مواريث الأعمال حتى تسقط عنهم العبادات، وتكون الدنيا لهم مباحة، وكل ما فيها، ويسقط عنهم النهي، ويحل لهم النساء، وسائر الأشياء، وهذا قول أصحاب الإباحة، وزعموا أن العبادة تبلغ بهم حتى لا يهتموا بشيء إلا كان كما يريدون، وإن أرادوا أن تحدث لهم دنانير حدثت، وكل ما أرادوا من شيء لم يستصعب عليهم، وقد زعم بعضهم أن العبادة تبلغ بهم حتى يكونوا أفضل من النبيين والملائكة المقربين".[3]

---

(١) المصدر السابق، ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ٢٩.

(٣) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ٣٢٦.

المبحث الثاني
الاستغاثة بالأولياء والأموات

الاستغاثة من الغوث يقال: غَوَّث الرجلُ واستغاثَ صاحَ: واغَوْثاه[1]، أي طلب الغوث لإزالة الشدة والكرب، فالألف والسين والتاء تفيدان الطلب.

وأصل الاستغاثة أن تكون باللّه تبارك وتعالى، سواءٌ أكان ذلك من قتال عدوٍّ أم اتّقاء سبعٍ أم نحوه، لاستغاثة الرّسول صلى الله عليه وسلم باللّه في موقعة بدرٍ، قال اللّه تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[2]، وتجوز الاستغاثة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه في حياتهم وهم حضور يسمعون المستغيث، كأن يستغيث غريق أو مكروب بمن يقدر على إنقاذه، أما الاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله مثل إنزال المطر، وكشف الضر، وشفاء المرض، وطلب الرّزق، ونحو ذلك، فهي شرك أكبر مخرج من الملة، سواء كان المستغاث به حيا أو ميتا.

وأول من ابتدع بدعة الاستغاثة بالمخلوقين هم الرافضة، ثم تبعتهم الصوفية على بدعهم الشركية، فالرافضة تستغيث بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأبنائه، بل إنهم يصلون به إلى مقام الألوهية من شدة غلوهم فيه، والصوفية يستغيثون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالصالحين والأولياء والمشايخ ويدعون فيهم العصمة، بل إن بعضهم وصل به سوء الأدب مع الله أن يوصي صبيا فيقول له: إياك ثم إياك أن تستغيث بالله تعالى إذا خطب دهاك، فإن الله تعالى لا يعجّل في إغاثتك ولا يهمه سوء حالتك — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– وعليك بالاستغاثة بالأولياء السالفين، فإنهم يعجلون في تفريج كربك ويهمهم سوء ما حل بك.[3] نسأل الله السلامة والعافية من سوء الأحوال.

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣٩/١٠.

(٢) الأنفال: ٩.

(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ١٦٦/١٤.

أما عن موقف خلفاء بني العباس من هؤلاء فقد سبق بيان موقفهم من الروافض والصوفية، وأن أكثرهم حاربوا هاتين الفرقتين وما كانوا يفعلونه من غلو في علمائهم وأئمتهم، وأبرز هذه الجهود ما قام به الخليفة المتوكل من هدم قبور العلويين لما رأى أن الروافض جعلوها أماكن يحجون إليها كل عام، ويستغيثون بأصحابها.[1]

وكذلك موقف الخليفة أبو جعفر المنصور من الراوندية الذين غلوا فيه، وقالوا عنه: أنت ربنا، فقتلهم كلهم.

(١) ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣٤١/٢. وسيأتي تفصيل أكثر في المبحث الرابع من هذا الفصل.

المبحث الثالث

التبرك والتوسل والشفاعة

التبرك: مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرّكا، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته[1]، وهو لا يكون إلا بشيء قد شرعه الله سبحانه وتعالى.

والتوسل: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[2].

والشفاعة: هي التوسط في قضاء حاجة المحتاج لدى من هي عنده، سميت بذلك لأن طالب الحاجة كان منفرداً في الأول، ثمّ لما انضم إليه الشافع صار شفعاً، لأن الشفع ضد الوتر، فلما كان طالب الحاجة منفرداً، ثمّ انضم إليه الواسطة شفعه في الطلب، ولذلك سمّي شافعاً، وسمّي هذا العمل شفاعة، والمراد بها هنا: الشفاعة عند الله تعالى[3] وهي بلفظ آخر: سؤال الله الخير للغير.

فهذه الأمور الثلاثة لا يسأل فيه أحد غير الله تعالى، ولا تكون إلا بما شرع، وإذا سئل فيها غير الله صار الأمر شركا بحسب حاله، وكل من التبرك والتوسل والشفاعة ينقسم إلى مشروع وممنوع.

وقد سبق ذكر تبرك الخلفاء العباسيين بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم كالبردة وسيفه وحربته[4]، وهذا من التبرك المشروع، والذي فعله الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد موته.[5]

---

(١) التبرك وأنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، ٣٠.

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، ٢٠.

(٣) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، ٢٣٦.

(٤) ينظر: مبحث (تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم).

(٥) ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، ٢٤٨.

إلا أنه ورد عن الخليفة القادر – مع ما له من جهود عظيمة في إظهار ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة – أنه كان يقصد قبر معروف الكرخي وابن بشار[١] لطلب البركة[٢]، وهذا يعتبر من التبرك الممنوع الذي لم يرد فيه دليل من الكتاب والسنة، والذي يؤدي إلى أمور شركية منهي عنها كالطواف على القبور وسؤال أصحابها وغير ذلك.[٣]

والذي يظهر من ذلك أن هذا الأمر – وهو تبرك الخليفة القادر بالقبرين - لم يكن مستنكرا في ذلك الوقت، لأن ابن الجوزي صاحب المنتظم ذكره دون تعليق منه أو إنكار، وما حدث ذلك إلا من أجل قيام دولة العبيديين الروافض الباطنية في مصر في أوائل القرن الرابع الهجري، ثم قيام دولة بني بويه الروافض أيضا في بغداد وسيطرتهم على الحكم في الدولة العباسية لضعفها، فالدولة العبيدية قامت سنة(٣٢٢هـ) وسيطر بنو بويه على الحكم سنة(٣٣٤هـ) تقريبا، وقد ذكر سابقا أن الروافض هم أول من ابتدع البناء على القبور، والغلو بأصحابها.

قال شيخ الإسلام:"ولم يكن في العصور المفضلة مشاهد على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك، ومن بدع الجهمية والمعتزلة والرافضة ما هو معروف لأهل العلم، فبنوا المشاهد المكذوبة كمشهد علي رضي الله عنه وأمثاله، وصنف أهل الفرية الأحاديث في زيارة المشاهد، والصلاة

---

(١) هو ابن بشار أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار البغدادي، الإمام، العلامة، شيخ الشافعية، الفقيه، الأنماطي، الأحول، ارتحل، وتفقه على المزني، والربيع المرادي، وروى عنهما، ويعز وقوع شيء من حديثه، لأنه مات قبل أوان الرواية، وعليه تفقه أبو العباس بن سريج، وغيره، قال الشيخ أبو إسحاق: هو كان السبب في نشاط الناس ببغداد لكتب فقه الشافعي وتحفظه. توفي سنة(٢٨٨ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/٤٢٩-٤٣٠.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٣٥٤.

(٣) ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، ٣٨٨ وما بعدها.

عندها، والدعاء عندها وما يشبه ذلك، فصار هؤلاء الزنادقة وأهل البدع المتبعون لهم يعظمون المشاهد، ويهينون المساجد، وذلك ضد دين المسلمين، ويستترون بالتشيع".[1]

وتلقى الصوفية هذه البدعة من الروافض[2] فساعدوا على نشرها فاعتاد الناس عليها، فأصبح التبرك بقبور الصالحين أمرا طبيعيا في أواخر دولة بني العباس، لذا فقد صدر هذا الأمر من الخليفة القادر مع شدته – رحمه الله – على الروافض والمعتزلة والعبيديين.

أما التوسل والشفاعة فقد وردت رواية مكذوبة تفيد بأن الخليفة أبا جعفر المنصور سأل الإمام مالكا فقال:"أدعو مستقبلاً القبلة أم مستقبلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"فقال مالك:"و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به إلى ربك، يُشَفِّعُك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا ﴿٦٤﴾ ﴾[3].[4]

وقد نقض شيخ الإسلام هذه القصة من عدة أوجه، منها:

١) أن سند هذه القصة فيه انقطاع، فإن محمد بن حميد الرازي – الذي روى هذه القصة عن الإمام مالك – لم يدرك مالكا ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة(١٥٨هـ) وتوفي مالك سنة(١٧٩هـ) وتوفى محمد بن حميد الرازي سنة(٢٤٨هـ) وهو لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه.[5]

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٦٧/٢٧.

(٢) ينظر: التصوف.. المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، (الباب الثالث: التشيع والتصوف) ١٣٧-٢٦٠.

(٣) النساء: ٦٤.

(٤) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ١٠١/٢.

(٥) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، ١١١-١١٢.

٢) أنه مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته، هذا إن ثبت عنه، وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون ضعفوا الرواية عنهم، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه، وهو ضعيف عند أهل الحديث.[١]

٣) في الإسناد أيضا من لا تعرف حاله.[٢]

٤) هذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه.[٣]

٥) قوله:"وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة"إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة وهذا حق كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.[٤]

ثم إن هذه القصة مناقضة لمذهب مالك المعروف من عدة وجوه.[٥]

قلت: لو سلمنا جدلا أن هذه القصة صحيحة وليست مكذوبة فإن الخليفة أبا جعفر المنصور عالم بأمور دينه، ولم يكن من الجهال الذين تنطلي عليهم مثل هذه الشركيات، فقد ذكر القاضي عياض[٦] حادثة تدل على علمه رحمه الله، وذلك أنه سأل الإمام مالكا فقال:

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ١١٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١١٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١١٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١١٣، وحديث الشفاعة رواه البخاري في عدة مواطن من صحيحه منها: كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم الحديث (٧٥١٠)، وباب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم الحديث (٧٤١٠).

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١١٣-١٢٥.

(٦) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو الفضل، ولد سنة(٤٧٦ه)، استبحر من العلوم، وجمع، وألف، وسارت =

لم تركتم قول علي وابن عباس، وأخذتم بقول ابن عمر؟ قال مالك: لأنه آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المنصور: والله يا أبا عبدالله ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك، خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه.(١)

وقد عدَّه شيخ الإسلام من العلماء الذين أفتوا بقتل القائلين بخلق القرآن.(٢)

بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، كان من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقضي بسبتة مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة، فلم يطول بها، توفي سنة(٥٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢١٢/٢٠-٢١٩.

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ١٠١/٢.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (الكيلانية)، ابن تيمية، ٤٢٠/١٢.

المبحث الرابع
البناء على القبور والصلاة عندها والطواف حولها

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور، فعن أبي الهيجاء الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[١].

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة تحريم البناء على القبور لأنه وسيلة من وسائل الشرك، والروافض هم أول من وضع الأحاديث المكذوبة في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور، وتبعهم الصوفية في ذلك، فعطلوا المساجد، وعظموا المشاهد التي يشرك بها، ويكذب فيها، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به من سلطان.[٢]

وأبرز ما يذكر في هذا الأمر موقف الخليفة المتوكل ناصر السنة وقامع البدعة الذي أمر في عام(٢٣٦هـ) بهدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنه، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق. فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حواليه.[٣]

وقد اتهم الخليفة المتوكل رحمه الله بسبب هذا الموقف وغيره بالنصب، وأكثر من بالغ في إلصاق هذه التهمة به المؤرخ ابن الأثير[٤]، وهذه التهمة هو بريء منها تمام البراءة، فقد

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم الحديث (٩٦٩).

(٢) ينظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني، الآلوسي، ٢/٢٠٦.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣١١.

(٤) أي أنه يناصب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء. ينظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهاني، ٤٧٨، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/١٠٨، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٣٦٥، والفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، ٢٣٧، المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ٢/٣٨، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ٢٢/٢٠٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢/٣٥.

نفى الصفدي[1] هذه التهمة عنه في بداية حديثه عنه وثنائه عليه فقال:"ولم يصح عنه النصب"ثم ذكر هذه التهمة بعد ذلك، وسبب هذا - والله أعلم — أنه كان ينقل ممن قبله.[2]

وابن خلكان يشكك أن يكون الخليفة المتوكل متحاملا على علي وولده كما يذكر المؤرخون قبله، وأنه هدم المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به، وأنه أمر أن يبذر ويسقى موضع قبره، وأنه منع الناس من إتيانه، لأنه قال بعد ذكر ذلك كله:"هكذا قال أرباب التواريخ، والله أعلم".[3]

وقد ذكر المؤرخ ابن تغري بردي[4] سبب هدم الخليفة المتوكل لقبر الحسين، وهو أن المتوكل غضب غضبا شديدا لدين الله عندما علم أن الشيعة قد جعلوا مشهد علي رضي الله عنه مقاما للحج، فنهى الناس عن التوجه إلى المشهد من غير أن يتعرض إلى ذكر علي رضي الله عنه، فثارت الرافضة عليه، وكتبوا سبه على الحيطان، فحنق من ذلك، وأمر بألا يتوجه أحد لزيارة قبر من قبور العلويين، فثاروا عليه أيضاً، فتزايد غضبه منهم فوقع منه ما وقع، ولما عظم الأمْر أمَر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه.[5]

وهذا يدل على أن الخليفة المتوكل أنكر على الروافض ما كانوا يحدثونه من تغيير شرائع الله سبحانه وتعالى، وأن قصده كان رد الروافض، وليس مناصبة العداء لآل البيت.

---

(١) هو خليل بن أيبك بن عبدالله، الأديب، صلاح الدين الصفدي، أبو الصفاء، ولد سنة(٦٩٧هـ) تقريباً، وتعانى صناعة الرسم، فمهر فيها، ثم حبب إليه الأدب، فولع به، وكتب الخط الجيد، وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه، وقال الشعر الحسن، ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتواقيع، ومن تصانيفه اللطاف: التنبيه على التشبيه - وجر الذيل في وصف الخيل - وتوشيح الترشيح - وكشف الحال في وصف الخال، توفي سنة(٧٦٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، ٨٧/٢.

(٢) ينظر، الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٠١/١١.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٦٥/٣.

(٤) هو يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، مؤرخ بحاثة، من أهل القاهرة، مولدا ووفاة، تأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية، من مصنفاته: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، توفي سنة(٨٧٤هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢٢/٨.

(٥) ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣٤١/٢.

وقد تحدث ابن تيمية عن بناء المشاهد وكيفية تطورها وأنه لما جاءت خلافة بني العباس ظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذبا، وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهدا، وكان ينتابه أمراء عظماء حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، ثم ذكر الخليفة المتوكل وذكر أنه تُقُدِّم له بأشياء يقال: إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب، وهذا الكلام من ابن تيمية يشعر بأن ما قيل عن الخليفة المتوكل فيه اتهام له، وكذب عليه.(١)

ثم قال ابن تيمية:"دع خلافة بني العباس في أوائلها، وفي حال استقامتها، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقا أو كذبا كما حدث فيما بعد، لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلا، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة".(٢)

وهذا الكلام يدل دلالة واضحة على حرص الخلفاء العباسيين في العصر الأول على إقامة السنة وتطهير المجتمع من جميع البدع والشركيات.

والعجيب في الأمر أن المؤرخ اليعقوبي(٣) لم يذكر هذه الحادثة أبدا في معرض حديثه عن الخليفة المتوكل، مع أن اليعقوبي إمامي متعصب للروافض، فهو من باب أولى أن يذكر هذه الحادثة ويعلق عليها تعليقات ابن الأثير.(٤)

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٧/٤٦٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٢٧/٤٦٦.

(٣) هو أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جده من موالي المنصور العباسي، صنف كتبا منها: تاريخ اليعقوبي – البلدان – أخبار الأمم السالفة، توفي سنة(٢٩٢هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١/٩٥.

(٤) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ٣/٢٠٨-٢١٧.

وإن كان الإمام الذهبي وصف المتوكل بالنصب فقال:"المتوكل سني، لكنْ فيه نصبٌ"[1]، بمعنى أن النصب الذي فيه لم يكن قويا لدرجة الظلم، وإنما كان للحد من انتشار مذهب الروافض لا غير، والله تعالى أعلم.

هذا ما كان من الخليفة المتوكل رحمه الله، أما ما ذكره شيخ الإسلام من انتشار المشاهد بعد العصر العباسي الأول وهو عصر القوة، فهذا يلحظ من أمر والدة الخليفة المنتصر ابن المتوكل بإظهار قبر ابنها المنتصر بعد وفاته، وهو أول خليفة عباسي يبرز قبره.[2]

ومما يدل على انتشار المشاهد والصلاة عندها في ذلك الوقت قول الحلاج الذي قتل في عام(٣٠٩هــ) لادعائه الربوبية وأمور أخرى باطلة:"وإذا صار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش، فأقام فيها عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على يسير من الخبز والشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في باقي عمره".[3]

وأيضا ما حدث في عام(٤٥٩هــ) أي في زمن الخليفة القائم، حيث قام أبو سعد المستوفي[4] الملقب شرف الملك ببناء مشهد الإمام أبي حنيفة في بغداد، وعمل لقبره ملبنا، وعقد القبة، وعمل المدرسة بإزائه، وأنزلها الفقهاء، ورتب لهم مدرِّسا.[5]

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢/١٣٥، وقد ذكر الذهبي هذا الكلام في معرض حديثه عن نصر بن علي الأزدي أنه لما حدث بحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما، فقال: ((من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة)) أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: الرجل من أهل السنة. ولم يزل به حتى تركه، وقال الخطيب البغدادي في ترجمة نصر:"إنما أمر المتوكل بضربه لأنه ظنه رافضيا، فلما علم أنه من أهل السنة تركه"تاريخ بغداد، ١٣/٢٨٧، وبيّن الذهبي أن الحديث منكر جدا، وذكر أيضا أن رواته كلهم ثقات، ما خلا علي بن جعفر، فلعله لم يضبط لفظ الحديث، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما في درجته في الجنة، فلعله قال: ((فهو معي في الجنة)) وقد تواتر قوله عليه الصلاة والسلام: ((المرء مع من أحب)) ونصر بن علي من أئمة السنة الأثبات. ينظر: سير الأعلام، ١٢/١٣٥.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٣٥٣.

(٣) ذيول تاريخ الطبري، صلة تاريخ الطبري، عريب القرطبي، ١١/٩٢.

(٤) شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي، الصاحب، الأمجد، الكاتب، المستوفي، كان صدرا معظما محتشما، كثير الأموال، وكان مستوفي ديوان المملكة الملكشاهية، مات سنة(٤٩٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/١٨٨-١٨٩.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/١٠٠.

ويحكي أبو الوفاء بن أبي عقيل[1] تفاصيل هذا الأمر فيقول:"وضع أساس مسجد بين يدي ضريح أبي حنيفة بالكلس[2] والنورة[3] وغيره، فجمع سنة ست وثلاثين وأربعمائة – وأنا ابن خمس سنين أو دونها بأشهر – وكان المنفق عليه تركي قدم حاجا، ثم قدم أبو سعد المستوفي وكان حنفيا متعصبا، وكان قبر أبي حنيفة تحت سقف عمله بعض أمراء التركمان، وكان قبل ذلك – وأنا صبي – عليه خربشت[4] خاصا له، وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين، قبل دخول الغز بغداد سنة سبع وأربعين، فلما جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين عزم على إحداث القبة، وهي هذه، فهدم جميع أبنية المسجد وما يحيط بالقبر، وبنى هذا المشهد فجاء بالقطَّاعين والمهندسين، وقدَّر لها ما بين ألوف آجر، وابتاع دورا من جوار المشهد، وحفر أساس القبة، وكانوا يطلبون الأرض الصلبة، فلم يبلغوا إليها إلا بعد حفر سبعة عشر ذراعا في ستة عشر ذراعا، فخرج من هذا الحفر عظام الأموات الذين كانوا يطلبون جوار النعمان أربعمائة صن[5]، ونقلت جميعها إلى بقعة كانت ملكا لقوم، فحفر لها ودفنت، وخرج في ذلك الأساس شخص منتظم العظام له ريح كريح الكافور، قال ابن عقيل: فقلت: وما يدريكم لعل النعمان قد خرجت عظامه في هذا العظام وبقيت هذه القبة فارغة من مقصود. قال: فبعث شرف الملك إلى أبي منصور بن يوسف[6] شاكيا مني،

---

(١) هو ابن عقيل أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد الإمام بن عقيل بن عبدالله البغدادي، الظفري، الحنبلي، العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، المتكلم، صاحب التصانيف، ولد سنة(٤٣١هـ) أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة، وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، له كتاب (الفنون)، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، توفي سنة(٥١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٤٤٣-٤٥١.

(٢) الكلس: ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الجص من غير آجر. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/١٤٠.

(٣) النورة: من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس. ينظر: المصدر السابق، ١٤/٣٢٤.

(٤) الخربشت: كلمة فارسية معناها الخيمة. ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ١/٢٧٨.

(٥) الصن: بالفتح، زبيل كبير مثل السلة المطبقة، يجعل فيها الطعام والخبز، وفي الحديث (فأتي بعرق يعني الصن). ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٧/٢٢٤.

(٦) هو عبد الملك بن محمد بن يوسف، أبو منصور، الشيخ الأجل و لم يكن في زمانه من يخاطب بالشيخ الأجل سواه، ولد سنة(٣٩٥هـ)، كان أوحد زمانه في فعل المعروف، والقيام بأمور العلم، والنصرة لأهل السنة، والقمع لأهل البدع، وافتقاد المستورين بالبر، ودوام الصدقة، توفي سنة(٤٦٠هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/١٠٧.

وطالبا منه مقابلتي على ذلك، فكان غاية ما قال لي بعد أن أحضرني في خلوة: يا سيدي ما نعلم كيف حالنا مع هؤلاء الأعاجم والدولة لهم. فقلت: يا سيدي رأيت منكرا فاشيا، فما ملَّت نفرتي الدينية. قال ابن عقيل: وكانت العمارة في سنة تسع وخمسين، وساجه وأبوابه غصب من بعض بيع سامرا فما عند هؤلاء من الدين خبر".[١]

وقال أبو الحسين بن المهتدي:"لا يصح أن قبر أبي حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه القبة، وكان الحجيج قبل ذلك يرِدون ويطوفون حول المقبرة فيزورون أبا حنيفة لا يعينون موضعا".[٢]

والإمام أبو حنيفة نفسه كره البناء على القبر[٣]، وكان الملك المعظم عيسى[٤] المتوفى المتوفى سنة(٦٢٤هـ) حنفيا – مع أنه نشأ في بيئة شافعية[٥]– قد أوصى عند موته بأن يكفن في البياض، ولا يجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب، وأن يدفن في لحد، ولا يبنى عليه بناء، بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء.[٦]

ولما احترقت القبة التي كانت على قبر معروف الكرخي[٧] أمر الخليفة القائم بأمر الله بعمارتها[٨]، وهذا الأمر مخالف للسنة بلا شك، مع أن القائم كان ورعاً، ديناً، زاهداً،

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/١٠٠-١٠١.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/١٠١.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، ١/٣٢٠.

(٤) هو عيسى بن محمد بن أيوب بن شاذي الدويني السلطان، الملك، المعظم ابن العادل، شرف الدين الحنفي، الفقيه، صاحب دمشق، ولد سنة(٥٧٦ه) نشأ بدمشق، وحفظ القرآن، وبرع في المذهب، وعني (بالجامع الكبير)، وصنف له شرحا كبيرا بمعاونة غيره، ولازم التاج الكندي، وتردد إليه إلى درب العجم من القلعة، وتحت إبطه الكتاب، وله مصنف في العروض، وكان يبحث ويناظر، وفيه دهاء وحزم، وكان يوصف بالشجاعة والكرم والتواضع، توفي سنة(٦٢٤ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٢/١٢٠-١٢٢.

(٥) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، الجزء الأول – القسم الأول /٢٢٤.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٧٤.

(٧) هو معروف الكرخي، أبو محفوظ البغدادي، علم الزهاد، بركة العصر، واسم أبيه فيروز، وقيل: فيرزان من الصابئة، وقيل: كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له: قل: ثالث ثلاثة. فيقول معروف: بل هو الواحد. فيضربه، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه أسلما، مات سنة(٢٠٠ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩/٣٣٩-٣٤٥.

(٨) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/١٠٢.

عالماً، قوي اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، حسن السيرة في الرعية[1]، إلا أن هذا الأمر يعد من هفواته.

ويظهر أن البناء على القبور والمشاهد في عهد الخليفة القائم كان منتشرا بشكل كبير، وذلك أن الذهبي يذكر أنه في عام(٤٦١هـ) زادت دجلة ودخل الماء إلى مشهد النذور، ومشهد المالكية، والسبتي[2]، وهذه المشاهد كلها من آثار الروافض بني بويه وأشياعهم، وتقليد جهلاء أهل السنة لهم.

ويذكر ابن كثير أيضا أنه في عام(٦٤٠هـ) احترق المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى علي الهادي والحسن العسكري وقد كان بناه أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي في حدود سنة(٤٥٠هـ) فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له، وصنفوا فيه أخبارا، وأنشدوا أشعارا كثيرة لا معنى لها، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لا حقيقة له، فلا عين ولا أثر، ولو لم يبن لكان أجدر.[3]

والإمام ابن بطة رحمه الله كان معاصرا للدولة العباسية حيث توفي عام(٣٨٧هـ) وله كلام في شد الرحال لزيارة قبور الأولياء والبناء عليها حيث يقول:"ومن البدع: البناء على القبور، وتجصيصها وشد الرحال لزيارتها".[4]

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٠٦/٨.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١١٣/١٦-١١٤.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٥٩/١٣.

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ابن بطة، ٣٦٦.

المبحث الخامس

السحر

يُعرَّف السحر بأنه: كل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع[1]، وقيل: هو كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه في المقادير والكائنات[2]، وقيل: السحر هو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله[3].

والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قوله تعالى عن هاروت وماروت: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ...﴾ الآية[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[5].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات...) وذكر منهن السحر[6]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر)[7].

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص، ٥١/١.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٤٨/١.

(٣) المغني، ابن قدامة المقدسي، ٢٩٩/١٢.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) طه: ٦٩.

(٦) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية، رقم الحديث (٢٧٦٦).

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٢٩٩/٤، قال عنه الألباني: صحيح لغيره. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٦٧٤/٢.

وللسحر أنواع كثيرة[1]، منها سحر العطف: وهو الجمع بين اثنين فأكثر، وهذا يفعله كثير من النساء، وأهل الفسق والفجور، وقد ذكر ابن الجوزي أن ساحرا كان في الشام في زمن الخليفة المقتدر، وكان يكتب للنساء كتاب العطف، ويدعي عندهن علم النجوم والعزائم فيقصدنه، فإذا حصلت المرأة عنده سلبها، ووضع وتراً له في عنقها ورفس ظهرها وأعانته امرأته وابنه، فإذا ماتت حفر لها ودفنها، فعلم بذلك، فكبست الدار فأخرج منها بضع عشرة امرأة مقتولة، ثم ظهر عليه عدة دور كان يسكنها مملوءة بالقتلى من النساء خاصة، فطلب فهرب إلى الأنبار، فأنفذ إليها من طلبه، فوجده فقبض عليه وحمل إلى بغداد، فضرب ألف سوط، وصلب وهو حي، ثم مات.[2]

---

(١) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٤/٤١-٤٦.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٢٦٢.

المبحث السادس

التنجيم

التنجيم: هو علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كالإخبار بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، ووقوع الثلج، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور، والزعم بإدراك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، والإدعاء بأن لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم استأثر الله سبحانه به فلا يعلم الغيب أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] أما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نهي عنه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3] فأخبر الله سبحانه وتعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلَّموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا".[4]

---

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) الأنعام: ٩٧.

(٣) النحل: ١٦.

(٤) ينظر: معالم السنن، الخطابي، ٢٢٩/٤-٢٣٠، وشرح السنة، البغوي، ١٨٣/١٢.

ومن الأمور التي يخبر بها المنجمون مرتاديهم، وهي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى : السعادة والنحس، والموت والحياة، وزوال الدول وقيامها، وفناء العالم ودوامه، ونحو ذلك مما يكثر ذكره على ألسنة المنجمين.[1]

والتنجيم شعبة من السحر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد).[2]

وشيخ الإسلام عندما سئل عن التنجيم والمنجمين وما يفعلونه مع الناس من فساد وإفساد خاصة مع النساء قال:"لا يحل شيء من ذلك، وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو: الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[4] قال عمر وغيره: الجبت السحر. وروى أبو داود في سننه بإسناد حسن عن قبيصة بن مخارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((العيافة والطرق والطيرة من الجبت))[5] قال عوف راوي الحديث: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض. وقيل بالعكس، فإذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت، فكيف بالنجامة؟ وذلك أنهم يولدون الأشكال في الأرض، لأن ذلك متولد من أشكال الفلك".[6]

أما عن موقف خلفاء بني العباس من التنجيم والمنجمين فإنه من المعلوم أن الدولة العباسية قامت على أنقاض الدولة الأموية وفي فترة ضعفها، فكان بنو العباس في هذه الفترة

---

(١) ينظر: التنجيم والمنجمون حكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، ٣٤.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم، رقم الحديث (٣٩٠٥)، قال عنه الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٧٣/٢.

(٣) طه: ٦٩.

(٤) النساء: ٥١.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، رقم الحديث (٣٩٠٧)، قال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: ضعيف سنن أبي داود، ٣١٤-٣١٥.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٩٢/٣٥-١٩٣.

يتشبثون بكل من يناصرهم على الأمويين ولو كان بالقول، فلما دخل أبو جعفر المنصور سجن الأهواز في عهد الدولة الأموية رآه نوبخت المنجم وكان على دين المجوسية، وكان في علم النجوم نهاية، وكان محبوساً أيضا في سجن الأهواز، فرأى أبا جعفر المنصور وهيبته وجلالته وسيماه وحسن وجهه وشأنه، ما لم يره لأحد قط، فصار من موضعه إليه، فقال: يا سيدي، ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد. فقال: أجل يا مجوسي. قال: من أي بلاد أنت؟ قال: من المدينة. قال: أي مدينة؟ قال: مدينة الرسول صلوات الله عليه. فقال: وحق الشمس والقمر، من أولاد صاحب المدينة؟ قال: لا، و لكن من عرب المدينة. فلم يزل يتقرب إليه و يحدثه، حتى سأله عن كنيته، فقال: أبو جعفر. فقال: أبشر، وجدتك في الأحكام النجومية تملكني، و جميع ما في هذا البلد، حتى تملك فارس، وخراسان، والجبال. فقال له: و ما يدريك يا مجوسي؟ قال: هو كما أقول، واذكر لي هذا. قال: إن قضى الله، فسوف يكون. قال: قد قضى الله من السماء، فطب نفساً. وطلب نوبخت دواة، فوجدها، فقال: اكتب. فكتب:"بسم الله الرحمن الرحيم، إذا فتح الله على المسلمين، و كفاهم معرة الظالمين، و رد الحق إلى أهله، فلا نغفلك". فقال نوبخت: اكتب لي في خدمتك خطاً، وأماناً. فكتب له، قال نوبخت: و لما ولي الخلافة، صرت إليه، فأخرجت الكتاب، فقال: أنا له ذاكر مع الأمان، و الحمد لله الذي صدق وعده، و رد الحق إلى أهله. فأسلم نوبخت، و كان منجماً لأبي جعفر، و مولى له.[١]

هذه الحادثة جعلت الخليفة أبا جعفر المنصور أول خليفة عباسي يقرب المنجمين ويصغي إلى تنبؤاتهم، لذلك لما سأل الخليفة القاهر محمد بن علي الخراساني الأخباري عن أخبار خلفاء بني العباس في أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس السفاح فمن دونه، قال الخراساني:"... وكان — أي أبو جعفر المنصور - أول خليفة قَرَّبَ المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وكان معه نُوبَخْت المجوسيّ المنجم، وأسلم على يديه، وهو أبو هؤلاء النوبختية،

(١) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٠/٥٤.

وإبراهيم الفزاري المنجم[١]، صاحب القصيدة في النجوم، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك، وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم[٢]...".[٣]

والذي يظهر أن أبا جعفر المنصور ما قرب هؤلاء المنجمين إلا خوفا على حكم الدولة العباسية الذي كان في أوله، وكان معرضا لكثير من القلاقل والهزات، خاصة وأن المنجم نوبخت تنبأ له أيضا بانتصاره على إبراهيم بن عبدالله بن حسن والذي أقلق المنصور انتصاره في بداية المعركة، وقد قام أبو جعفر بمكافأة نوبخت على نبوءته بعد هزيمة إبراهيم.[٤]

بل إن الخليفة أبا جعفر المنصور عند بنائه بغداد وضع أساسها في الوقت الذي اختاره له نوبخت المنجم[٥]، وذكر البغدادي بأن المنصور لما فرغ من مدينة السلام، قال لأحد المنجمين: خذ الطالع. فنظر المنجم في طالعها، فأخبره بما تدل عليه النجوم من طول زمانها، وكثرة عمارتها، وانصباب الدنيا إليها، وفقر الناس إلى ما فيها، ثم قال له المنجم: وأبشرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله بخلة أخرى من دلائل النجوم، لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبدا. فتبسم لذلك ثم قال: الحمد الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.[٦]

يقول ابن القيم عن هذه النبوءة:"ومن ذلك اتفاقهم عند ما تم بناء بغداد سنة ست وأربعين ومائة أن طالعها يقضي بأنه لا يموت فيها خليفة، وشاع ذلك حتى هنأ الشعراء به المنصور، حتى قال بعض شعرائه:

---

(١) هو إبراهيم بن حبيب الفزاري أول من عمل فِي الإسلام اصطرلاباً، وَلَهُ كتاب فِي تسطيح الكرة منه أخذ كل الإسلاميين، وَكَانَ من أولاد سمرة بن جندب، وَكَانَ ميله إِلَى علم الفلك وَمَا يتعلق بِهِ، وَلَهُ تصانيف مذكورة منها: كتاب القصيدة فِي علم النجوم – وكتاب المقياس للزوال – وكتاب الزيج عَلَى سني العرب – وكتاب العمل بالاصطرلابات ذوات الحلق – وكتاب العمل بالاصطرلاب المسطح. ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ابن القفطي، ٤٢.

(٢) هو من علماء النجوم من أهل الإسلام، لم يصل من تصانيفه إلا كتاب في علم الإسطرلاب. ينظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ابن طاوس، ٨٥.

(٣) مروج الذهب، المسعودي، ٣١٤/٤.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٤٧٦/٤.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٦٧/١.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٦٧/١-٦٨.

يهنيك منها بلـــدة تقضـــي لنـــا أن الممات بهـــا عليـــك حـــرام

لما قضت أحكام طـــالع وقتـــها أن لا يرى فيهـــا يمـــوت إمـــام

وأكد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة، ثم المهدي بماسبذان، ثم الهادي بعساباذ، ثم الرشيد بطوس، فلما قتل بها المأمونُ الأمينَ بشارع باب الأنبار انخرم الأصل الباطل الذي أصلوه، وظهر الزور الذي لفقوه حتى رجع إلى الحق الأول، فقال:

كذب المنـــجم في مقالتـــه الـــتي نطقت به كـــذبا علـــى بغـــدان

قتل الأمين بها لعمـــري يقتضـــي تكذيبـــهم في ســـائر الحســـبان

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل: الواثق، والمتوكل، والمعتضد، والمكتفي، والناصر".[1]

هذه الحادثة تدل – والله أعلم – أن الخليفة المنصور لم يكن يرى بأسا في التنجيم، وقد يكون لم يبلغه حكمه، مع أني أستبعد هذا الأمر لأن المنصور كان على قدر كبير من العلم.

ويذكر صاحب كتاب (فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم) أنه ممن ذكر بعلم النجوم وزير المنصور أبو أيوب سليمان بن محمد المورياني، وهو منسوب إلى قرية من قرى الأهواز يقال لها الموريان، وكان قد أخذ من كل شيء طرفاً، وكان يقول: ليس من شيء إلا وقد نظرت فيه إلا الفقه، فإني لم أنظر فيه، ونظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب، ثم شرح اختصاصه بالمنصور إلى غاية عظيمة وأنه أول وزير كان له.[2]

وذكر ابن خلكان أنه لم يكن أول وزير للمنصور، بل وزر قبله خالد بن برمك جد البرامكة.[3]

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/١٣٦.

(٢) ينظر: فرج المهموم، ابن طاوس، ٦٠.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢/٤١٠.

ثم غضب المنصور على وزيره أبي أيوب المورياني عام(١٥٢هــ) وحبسه هو وأخاه وأبناء أخيه[١]، ثم هلك هو وأخوه عام(١٥٤هــ)، وأمر المنصور بقتل أبناء أخيه.[٢]

ويذكر الطبري أن سبب نقمة المنصور عليه سعاية أبان بن صدقة كاتب المورياني عليه عند المنصور.[٣]

ويذكر ابن خلكان أن السبب هو أن أبا أيوب المورياني كان قد أمر بقتل جعفر ابن الخليفة المنصور.[٤] بمعنى أن الخليفة أبا جعفر المنصور لم يقتله لأنه منجم، بل قتله لأمر آخر غير التنجيم.

الحاصل أن استمرار الخليفة المنصور على استقطاب المنجمين واستشارتهم والأخذ بأقوالهم جعلت الخلفاء من بعده يسيرون على طريقته، وأنه لا بأس من العمل بالتنجيم، واستشارة المنجمين.

فقد كان ثيوفل بن توما النصراني المنجم الرهاوي ببغداد رئيس منجمي المهدي.[٥]

وأيضا يحيى بن خالد البرمكي كان له علم بالنجوم[٦]، وكان في بداية أمره مقربا هو وأبناؤه من الرشيد، حتى نقم عليهم الرشيد بسبب مضاهاتهم له في الحكم، ولم يكن قتله بسبب التنجيم.

وكذلك المأمون فقد غلب عليه النجوم والفلسفة[٧]، وكان من أقرب المنجمين إليه وزيره الفضل بن سهل[٨]، وزوجته بوران بنت الحسن بن سهل[٩]، كما أن يحيى بن أبي منصور المنجم الفارسي المجوسي كان في بلاد المأمون، وكان مولىً للمأمون، ورغبه في

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٥٠٤/٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٥٠٦/٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥٠٤/٤.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤١١/٢-٤١٤.

(٥) ينظر: تاريخ الحكماء، ابن القفطي، ٧٧.

(٦) ينظر: فرج المهموم، ابن طاوس، ٥٧.

(٧) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٣٠٥.

(٨) ينظر: فرج المهموم، ابن طاوس، ٥٣.

(٩) ينظر: المصدر السابق، ٥٦.

الإسلام فأسلم، واستمرت صناعة التنجيم في سلالته[1]، ومن منجمي المأمون أيضا موسى بن شاكر، وأبناؤه الثلاثة[2]، وغيرهم.

وقد كان يعقوب بن إسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون.[3]

والخليفة الواثق لما اعتل علته التي مات فيها وسقي بطنه أمر بإحضار المنجمين، فأحضروا، وكان ممن حضر الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل، والفضل بن إسحاق الهاشمي، وإسماعيل بن نوبخت، ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطربلي، وسند صاحب محمد بن الهيثم، وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في علته ونجمه ومولده، فقالوا: يعيش دهرا طويلا، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة، فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات.[4]

وهكذا كان أكثر خلفاء بني العباس في مسألة التنجيم، فقد كان لهم منجمون مختصون بهم يستشيرونهم في كل ما يطرأ عليهم من أمور.

ومع ذلك فقد كانت لهم جهود ضد المنجمين، فقد ذكر ابن خلكان أن الخليفة الرشيد دخل عليه أحد المنجمين وكان يهوديا، فزعم أن الخليفة سيموت في هذه السنة، فجاء جعفر بن يحيى البرمكي إلى الخليفة الرشيد، فوجده مغتما بنبوءة هذا المنجم، فقال جعفر لليهودي: أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً؟ قال: نعم. قال: وأنت كم عمرك؟ قال: كذا وكذا. أمداً طويلاً، فقال جعفر للرشيد: اقتله حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده. فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم، وشكره على ذلك، وأمر بصلب اليهودي.[5]

وذكر ابن القيم أن المنجمين اتفقوا في عهد الخليفة المعتصم على أنه إذا خرج لفتح عمورية كانت عليه الدائرة، وأن النصر لعدوه، فرزقه الله التوفيق في مخالفتهم، ففتح الله على يديه ما كان مغلقا، وأصبح كذبهم وخرصهم بعد أن كان موهوما عند العامة محققا، ففتح

---

(١) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٢٠٥.

(٢) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ابن القفطي، ٢٠٨.

(٣) مقدمة تاريخ ابن خلدون، ١/٣٣٨.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٢٩١.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/٣٢٩.

عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة، وكان ذلك من أعظم الفتوحات المعدودة، وفي ذلك الفتح قام الشاعر أبو تمام منشدا له على رؤوس الأشهاد:

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الأرماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما	صاغوه من زخرف منها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عجائبا زعموا الأيام تجعله	عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة	إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبرج العليا مرتبة	ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة	ما دار في فلك منها وفي قطب
لو ثبتت قط أمرا قبل موقعه	لم يخف ما حل بالأوثان والصلب

وهي نحو من سبعين بيتا أجيز على كل بيت منها بألف درهم.(١)

والخليفة المعتضد لما كان وليا للعهد أمر أن لا يقعد في الطريق منجم ولا قصاص(٢)، وقد يكون سبب منعه للمنجمين من الجلوس أنهم تنبؤوا للناس أنه في عام(٢٨٤هـ) وأوعدوهم بغرق أكثر الأقاليم، وأن إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير، وأن ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه في الأنهار والعيون والآبار، فأصيب الناس بالخوف والهلع بسبب ذلك، إلا أن الله كذَّب المنجمين فلما جاءت تلك السنة قحط الناس فيها، فلم يروا فيها من المطر إلا اليسير، وغارت المياه في الأنهار والعيون والآبار، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مرات.(٣)

ويذكر ابن القيم أيضا أن المنجمين اتفقوا في قصة القرامطة على أن الخليفة المكتفي بالله إن خرج لمقاتلتهم كان هو المغلوب الملزوم، وكان المسلمون قد لقوا منهم على توالي

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/١٣٦-١٣٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٢٦١هـ-٢٨٠هـ)، الذهبي، ٢٣٧.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/٦٢٦.

الأيام شرا عظيما، وخطبا جسيما، فإنهم قتلوا النساء والأطفال، واستباحوا الحريم والأموال، وهدموا المساجد، وربطوا فيها خيولهم ودوابهم، وقصدوا وفد الله وزوار بيته، فأوقعوا فيهم القتل الذريع، والفعل الشنيع، وأباحوا محارم الله، وعطلوا شرائعه، فعزم المكتفي على الخروج إليهم بنفسه، فجمع وزيره القاسم بن عبيدالله من قدر عليه من المنجمين وفيهم زعيمهم أبو الحسن العاصمي(١)، وكلهم أوجب عليه بأن يشير على الخليفة أن لا يخرج، فإنه إن خرج لم يرجع، وبخروجه تزول دولته، وبهذا تشهد النجوم التي يقضي بها طالع مولده، وأخافوا الوزير من الهلاك إن خرج معه، وقد كان المكتفي أمر الوزير بالخروج معه، فلم يجد بدا من متابعته، فخرج وفي قلبه ما فيه، وأقام المكتفي بالرقة حتى أخذ أعداء الله جميعا، وسيقت جموعهم إلى السيف، ثم جاء الخبر من مصر بموت خمارويه بن أحمد بن طولون(٢)، وكانوا به يستطيلون، فأرسل المكتفي من تسلمها، واستحضر القواد المصرية إلى حضرته، ثم لما عاد أمر القاسم بن عبيدالله الوزير بإحضار رئيس المنجمين وصفعه الصفع الكثير، بعد أن وقفه ووبخه على عظيم كذبه وافترائه، وتبرأ منه ومن كل من يقول برأيه.(٣)

وفي عام(٤٨٣هـ) في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله، ورد البصرة رجل كان ينظر في علوم النجوم يقال له: تليا، واستغوى جماعة، وادعى أنه الإمام المهدي، وأحرق البصرة، فأحرقت دار كتب عملت قبل عضد الدولة، وهي أول دار كتب عملت في الإسلام، وخربت وقوف البصرة.(٤)

فلما كانت سنة(٤٨٤هـ) كتب هذا المنجم إلى واسط يدعوهم إلى طاعته، ويقول أنا الإمام المهدي صاحب الزمان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأهدي الخلق إلى الحق، فإن

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هو خمارويه بن أحمد بن طولون التركي، صاحب مصر والشام، ولي بعد أبيه وله عشرون سنة، فكانت دولته ثنتي عشرة سنة، وكان بطلا شجاعا جوادا مبذرا مسرفا على نفسه، ملك من النوبة إلى الفرات، ولما استخلف المعتضد، سارع خمارويه بالتحف إليه، فتزوج المعتضد بابنته، قتله مماليكه سنة(٢٨٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/٤٤٦-٤٤٨.

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/١٣٧.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٦/٢٨٩.

صدقتم بي آمنتكم من العذاب، وإن عدلتم عن الحق خسفت بكم، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي.(1)

وفي ذي الحجة من تلك السنة جيء بهذا المنجم الخبيث المنجم محمولا على جمل ببغداد، وجعل يسب الناس، والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به بغداد، ثم صلب بعد ذلك.(2)

ويذكر الذهبي أنه في سنة(٥٨٢هـ) أي في عهد الخليفة الناصر أجمع المنجمون في جميع البلاد بخراب العالم في شعبان بطوفان الريح في سائر البلدان، وخوفوا بذلك من لا توثق له باليقين، ولا إحكام له في الدين من ملوك الأعاجم والروم، وأشعروهم من تأثيرات النجوم، فشرعوا في حفر مغارات على التخوم، وتعميق بيوت في الأسراب وتوثيقها، وسد منافسها على الريح، ونقلوا إليها الماء والأزواد، وانتقلوا إليها، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون لم يحدث شيء مما قالوا، وكانت الشموع توقد وما يتحرك لنا نسيم، ولم ير ليلة مثلها في ركودها.(3)

فسبحان من كذبهم وفضح أباطيلهم.

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ١٦/٢٩٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٣٧.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١هـ-٥٩٠هـ) الذهبي، ١٣.

الباب الثالث

أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور المحدثات والبدع

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور مذهب المعتزلة.

الفصل الثاني: أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور مذهب الروافض والنواصب.

الفصل الثالث: أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور الزندقة والمجوس وانتشارهم.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية مقارنة بين الخلفاء الذين نصروا السنة والخلفاء الذين نصروا البدعة.

الفصل الأول

أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور مذهب المعتزلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثرهم في ترجمة كتب اليونان.

المبحث الثاني: أثرهم في نشر مذهب المعتزلة.

المبحث الثالث: فتنة القول بخلق القرآن ودور بعض الخلفاء فيها.

المبحث الأول
أثرهم في ترجمة كتب اليونان

كان لحركة الترجمة لكتب فلاسفة اليونان وعلومهم الأثرُ الكبير على عقائد المتكلمين التي أصابها الخلل والضلال بسبب ما فيها من علوم.

وقد كان لبعض خلفاء بني العباس أثر كبير أيضا في ترجمة كتب الفلاسفة اليونان ونشرها بين الناس لقراءتها وتعلمها وتعليمها.

وقد بدأت هذه الحركة بالتحديد في زمن الأمويين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (الخليفة الرابع ٦٥-٨٦هـ) على يد خالد بن يزيد بن معاوية(١)، فهو أول من عرب كتب اليونان لمّا ولع بكتب الكيمياء.(٢)

فلما قامت الدولة العباسية وجاء عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ترجمت بناء على طلبه كتب كثيرة على يد كاتبه عبدالله بن المقفع(٣) الفارسي الأصل، منها كتب أرسطو طاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب"قاطيغورياس"وكتاب"باريمينياس"وكتاب"أنالوطيقا"، والكتاب الهندي المعروف بكتاب "كليلة ودمنة"(٤)، والمقصود بكتاب "قاطيغورياس" أي المقولات، و"باريمينياس"أي العبارة و"أنالوطيقا"أي تحليل القياس(٥)، والمدخل إلى كتاب المنطق المعروف بإيساغوجي فرفوريوس الصوري(٦)، وكتاب السندهند، وكتاب الأرتماطيقي

---

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو هاشم، كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وأخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي، وله فيها ثلاث رسائل، تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه، وله شعر جيد ، توفي سنة(٨٥هـ). ينظر : وفيات الأعيان ، ابن خلكان، ٢/٢٢٤-٢٢٦.

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ١/٩.

(٣) سبق الحديث عنه في مبحث الشعوبية.

(٤) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ١٤٩.

(٥) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٣٠٨.

(٦) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٤١٣.

وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات[1]، وسائر الكتب القديمة من اليونانية، والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية، وأخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى علمها[2].

وكذلك البطريق[3] وكان في أيام الخليفة المنصور، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة.[4]

ومن الخلفاء العباسيين الذين ساهموا في ترجمة كتب اليونان الخليفة هارون الرشيد، والذي يترجح أنه هو الذي وضع أساس بيت الحكمة' والذي عمل المأمون من بعده على إمداده بمختلف الكتب والمصنفات، وهو من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي[5]، وقد قام وزيره يحيى بن خالد بن برمك بطلب كتب اليونان من ملك الروم، وقد كانت محجوبة عن أنظار النصارى خشية افتتانهم بها، فجد الأخير في إرسالها إلى البرمكي طلبا للخلاص من شرها، ورغبة في إفساد أحوال المسلمين، حتى قال أحد بطارقتهم:"فما دخلت هذه العلوم على دولة إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها"فجمع عليها البرمكي كل زنديق وفيلسوف.[6]

وفيلسوف.[6]

ثم جاء عهد الخليفة المأمون، الذي يذكر عنه ابن النديم أنه رأى أرسطو طاليس في المنام، فكان هذا من أوكد الأسباب في إخراج الكتب اليونانية، فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في

---

(١) ويقال: الأرثماطيقي. ينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان الآلوسي، ١٣٠.

(٢) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٣١٤/٤.

(٣) كان في أيام المنصور، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، وله نقل كثير جيد، إلا أنه دون نقل حنين بن إسحاق، وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتب أبقراط وجالينوس. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٢٨٢.

(٤) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٣٠٤.

(٥) ينظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، إسحاق بن منصور المروزي، قسم الدراسة، تحقيق: مجموعة من الباحثين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٥٠/١.

(٦) ينظر: صون المنطق، السيوطي، ٦-٩.

إنفاذ ما عنده من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم: الحجاج بن مطر[١]، وابن البطريق[٢]، وسلمان[٣] صاحب بيت الحكمة، وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله، فنُقل، وقد قيل: إن يوحنا بن ماسويه[٤] ممن نفذ إلى بلد الروم.[٥]

وكذلك أحضر المأمون حنين بن إسحق الطبيب[٦]، وكان يعرف اللّغة اليونانية معرفة تامَّة، وهو الذي عرَّب كتاب أوقليدس، وكذلك عرَّب كتاب المجسطي، وكان أشدَّ أهل زمانه اعتناء بتعريبها، فأحضره المأمون إذ لم يجد من يضاهيه في نقله، وسأله نقل كتب اليونان إلى اللَّغة العربيَّة، وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً، وقيل: إن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب مثلاً بمثل[٧]، وكان حنين هذا نصرانيا.[٨]

وقد فُتحت على المسلمين أبواب من الشر كبيرة بسبب ترجمة هذه الكتب وانتشارها بين الناس، حيث يقول ابن تيمية عن المأمون:"ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولابد أن يُقَابَل على ما اعتمده مع هذه الأمة من إِدخال هذه العلوم الفلسفية بين أَهلها".[٩]
أَهلها".[٩]

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هو يحيى بن البطريق، كان في جملة الحسن بن سهل، وكان لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية، وإنما كان يعرف لغة الروم وكتابتها، وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٢٨٢.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) كان طبيباً ذكياً خبيراً بصناعة الطب، وله كلام حسن، وتصانيف مشهورة، وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٢٤٦-٢٥٥.

(٥) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٣٣٩.

(٦) هو حنين بن إسحاق العبادي النصراني، علامة وقته في الطب، وكان بارعا في لغة اليونان عرب كتاب إقليدس، وله تصانيف عدة، مات سنة(٢٦٠ه)، وكان ابنه إسحاق بن حنين من كبار الأطباء أيضا. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٨٢/١٢.

(٧) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٣٠/١٣-١٣١.

(٨) ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي، ٣٧٣/١.

(٩) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبدالله أبو زيد، ٣٧٨.

وقال أيضا:"وأما المتأخرون فهم لما ظهرت الملة الحنيفية الإبراهيمية التوحيدية تارة بنبوة عيسى ظهرت النصارى على مملكة الصابئين بأرض الشام ومصر والروم وغيرها، ثم بنبوة خاتم المرسلين، وأظهر الله من نور النبوة شمسا طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف فيها برهة طويلة، ثم خفي بعض نور النبوة، فعُرِّب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم، فعربت ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر".[1]

وقال:"وفي دولة أبي العباس المأمون ظهر الخرمية ونحوهم من المنافقين، وعَرَّب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة، فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة، وذلك بنوع رأى يحسبه صاحبه عقلا وعدلا، وإنما هو جهل وظلم، إذ التسوية بين المؤمن والمنافق، والمسلم والكافر أعظم الظلم، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل، فتولد من ذلك محنة الجهمية، حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات، والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه".[2]

ويلاحظ من كلام شيخ الإسلام رحمه الله أنه كان يرى أن أكثر من يحمل التبعة في تعريب هذه الكتب هو الخليفة المأمون، مع أن الترجمة بدأت منذ عهد الخليفة المنصور ثم الخليفة الرشيد، وذلك لأن الخليفتين المنصور والرشيد وما بينهما من خلفاء — المهدي والهادي — كلهم كانوا على نصر السنة ومحاربة البدعة والوقوف ضدها[3]، وكانت الفتن الموجودة تدور في فلك البحث والمناظرة فقط، وأصحابها المتبنون لها كانوا على وجل وخوف، وكانوا مقموعين مكبوتين، وألسنتهم مكفوفة.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٨٤/٢.

(٢) المصدر السابق، ٢١/٤.

(٣) ويتبين هذا الأمر جليا في الباب الأول عندما استعرضت بعض المواقف لهؤلاء الخلفاء في نصر السنة ومحاربة البدعة.

والولاة أيضا في ذلك العهد كانوا على الإسلام والسنة و لم تداخلهم الأهواء الفاسدة والمقولات الباطلة.

حتى صار الأمر إلى المأمون فازدادت حركة الترجمة في عهده أضعاف ما كانت عليه في زمن أبيه وجده، وكان أصحاب الأهواء من المعتزلة وغيرهم قد التفوا حوله، وأخذوا يزينون له البدع والأهواء، والجهر بها، وفتنة الناس، وإرغامهم عليها، حتى كان ما كان من اضطهاد العلماء وفتنتهم، وأبرزهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

المبحث الثاني

أثرهم في نشر مذهب المعتزلة

لم يكن المذهب المعتزلي شيئا جديدا في الدولة العباسية، بل كان موجودا قبل قيام الدولة، فمؤسس المذهب واصل بن عطاء الغزّال توفي عام(١٣١هـ) أي قبل نشأة الدولة بسنة، وعمرو بن عبيد مقعد أصولهم ولد في عام(٨٠هـ) وتوفي في (١٤٤هـ) أي أنه قضى من عمره قرابة الخمسين عاما تحت ظل الدولة الأموية.

وقد حوربوا واضطهدوا من قبل الخلفاء الأمويين لجهرهم بأقوالهم، فلما رأوا الأمر كذلك أدركوا أنه إذا لم توجد لهم قوة كبيرة تسندهم وتشد من أزرهم فإنهم لن يستطيعوا مواصلة طريقهم، فخطر لهم أن يستعينوا بالسلطة الحاكمة ويستميلوها إلى جانبهم.

وقد تهيأ لهم ما أرادوا، وذلك عن طريق التدرج في الدخول على الخلفاء، والتقرب لهم، وكسب ودهم وثقتهم، دون الجهر بمبادئهم وأفكارهم، حتى لا يواجهوا بمثل ما ووجهوا به من الدولة الأموية، لأن المنهج الذي اتخذه العباسيون في بداية دولتهم ضد المعتزلة كان نفس منهج الدولة الأموية، فعمرو بن عبيد كان صديقا لأبي جعفر المنصور، وقد رثاه المنصور بعد موته، إلا أن عمرا لم يكن يجرؤ على الجهر بمذهبه وقتها، لأن السنة في وقته كانت منتشرة وقوية، فكان يكتفي بالوعظ والإرشاد عند المنصور، لذلك كان المنصور معجبا به كثيرا ويجله ويحترمه كما هي عادة أكثر الخلفاء العباسيين مع العلماء والوعاظ.

والدليل على ذلك أن الخليفة المنصور كان من الذين أفتوا فيمن قال: أن القرآن مخلوق[١]، أي أفتوا باستتابتهم، أو قتلهم وصلبهم، أو نفيهم.[٢]

وعندما أرسل أليون ملك الروم إلى أبي جعفر المنصور يسأله عن أشياء، ويسأله عن: لا إله إلا الله؛ أمخلوقة أم خالقة؟ فكتب إليه أبو جعفر: كتبت إلي تسألني عن لا إله إلا الله أخالقة أم مخلوقة؟ وليست خالقة ولا مخلوقة، ولكنها كلام الله عز وجل.[٣]

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/٣٤٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٢/٤٢٠.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١/٢٧١-٢٧٢.

وكان رجل في المدينة يقول بخلق القرآن، فكتب ابن أبي ليلى إلى أبي جعفر وهو بالمدينة بما قاله ذلك الرجل وشهادته عليه وإقراره. فكتب إليه أبو جعفر: إن هو رجع وإلا فاضرب رقبته وأحرقه بالنار.[١]

وبشر المريسي كان مختفيا في عهد الخليفة هارون الرشيد، وذلك أن الرشيد كان يقول:"لئن ظفرت به لأضربن عنقه"[٢]، وقتل الرشيد رجلا لأنه كان يقول بخلق القرآن، فقال:"قتلته لأنه قال القرآن مخلوق، فقتلته على ذلك قربة إلى الله عز وجل".[٣]

ويرى صاحب كتاب (المعتزلة)[٤] أن المعتزلة بدؤوا يرفعون رؤوسهم في زمن أبي جعفر المنصور بسبب قرب عمرو بن عبيد منه وصداقته له، وكذلك في عهد هارون الرشيد، فيحيى بن حمزة الحضرمي الذي توفي عام(١٨٣هـ) كان قاضيا على دمشق، يقول الذهبي عنه:"دام على القضاء ثلاثين عاما، وكان ثبتا في الحديث، وإن كان يميل إلى القدر فلم يكن داعية"[٥] وذكر الذهبي أيضا أن الذي ولاه القضاء هو أبو جعفر المنصور عام(١٥٣هـ) باختيار وانتخاب أهل دمشق له.[٦]

وثمامة بن أشرس اتصل بهارون الرشيد، وقد غضب عليه الرشيد يوما من أجل كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد[٧]، وقيل: من أجل البرامكة[٨]، فدفعه إلى سلام الأبرش[٩]، الأبرش[٩]، وأمره أن يضيق عليه، ويدخله بيتا ويطين عليه، ويترك فيه ثقبا، ففعل دون ذلك،

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ٢٧٢/١.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٢٥.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٥/١٠.

(٤) زهدي جار الله، ١٦٠-١٦١.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٥٥/٨.

(٦) المصدر السابق، ٣٥٥/٨.

(٧) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٥٠/٤. وقد ذكر الذهبي أن الرشيد حبسه بسبب إعانته أحمد بن عيسى بن زيد بن علي الحسيني الذي خرج في عبادان وفي ناحية البصرة، وبويع سراً، ثم عجز وهرب، فلم يزل مستخفياً إلى أن مات بعد دهر طويل سنة(٢٤٧هـ) بالبصرة. ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ١٨١هـ-١٩٠هـ)، الذهبي، ١٨.

(٨) ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٢٠٧.

(٩) كان من غلمان المنصور والمهدي، ثم صار لهارون الرشيد فكان يستعمله في المهمات الصعبة. ينظر: تاريخ الطبري، ٥١٨/٤، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٣٧/١.

ذلك، وكان يدس إليه الطعام، فجلس سلام عشية يقرأ في المصحف فقرأ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فقال له ثمامة: إنما هو للمكذَّبين. وجعل يشرحه له ويقول: المكذِّبون هم الرسل، والمكذَّبون هم الكفار. فقال سلام: قد قيل لي: إنك زنديق و لم أقبل. ثم ضيق عليه أشد الضيق، ثم رضي الرشيد عن ثمامة وجالسه.[1]

وقد يكون رضا الخليفة الرشيد عنه لتظاهره بالتوبة من فعله الذي حبس من أجله، ولعدم جهره بأقواله الاعتزالية خوفا من الرشيد.

وبهذا فالمعتزلة لم تقم لهم قائمة في زمن الخلفاء العباسيين الستة الأوائل، لكنهم كما ذُكِر بدؤوا بالتقرب للخلفاء تدريجيا حتى جاء عهد الخليفة المأمون، وما أدراك ما المأمون؟! فالمأمون كانت له بطانة سوء من المعتزلة والجهمية، التفوا حوله وأخذوا يملؤون رأسه بأفكارهم السقيمة التي لم يتمكنوا من البوح بها إلا في عهده، وقد تطرق شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك بقوله:"... ولكن لم يكونوا ظاهرين – أي الجهمية – إلا بالمشرق، لكن قوي أمرهم لما مات الرشيد، وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق، وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه، ثم لما ولِيَ الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء، ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب إلى بغداد وهو بالثغر بطرسوس[2]... وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس، فصار من أجابهم أعطوه، وإلا منعوه العطاء، وعزلوه من الولايات، و لم يقبلوا شهادته".[3]

ومن أبرز هؤلاء: أحمد بن أبي دؤاد الذي كان معظما عنده يقبل شفاعاته ويصغي إلى كلامه فدس له القول بخلق القرآن وحسنه عنده وصيره يعتقده حقا مبينا[4]، وهو الذي كتب على ستارة الكعبة ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، و لم يكتب وهو السميع البصير[5]، تعطيلا منه لصفات الباري عز وجل.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٤٨/٧.

(٢) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٨/٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٨٣/١٣-١٨٤.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٣٨/٢.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٨٤/١٣.

وثمامة بن أشرس الذي سبق ذكره والذي كانت له مكانة كبيرة عند المأمون[1]، وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق، وقيل: إنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال.[2]

وإسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب[3] قائد شرطته.

وبشر المريسي الذي كان مختفيا في عهد الرشيد.

وأبو الهذيل العلاف الذي كان أستاذا للمأمون في المناظرات في الأديان والمقالات، والتي كانت تعقد في مجلسه[4]، وغيرهم.

وكان سبب التفافهم على المأمون هو حبه للعلم وشغفه به، وكان المعتزلة في وقته هم طلبة العلم والفلسفة وأقطاب الأدب وأرباب الجدل، فإنه قربهم وارتاح إلى أحاديثهم، واستطاب مجالسهم، فأدى به ذلك إلى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم.[5]

قال ابن القيم:"... إلى أن جاء أول المائة الثالثة وولي على الناس عبدالله المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامرا بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حب المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد، فعُربت له، واشتغل بها الناس، ...فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية مما كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل، فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه، فقبلها واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تطل مدته".[6]

---

(١) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٦٣.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ١٧٢.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، المصعبي الخزاعي، أبو الحسن، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة(٢١٥ه) وأضاف إليه ولاية السواد وحلوان وكور دجلة، وعقد له المعتصم على الجبال سنة(٢١٨ه) وسيره في جيش كبير لقتال أصحاب بابك الخرمي فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافرا، وحج سنة(٢٣٠ه) فولي أحداث الموسم، ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده، ومات سنة(٢٣٥ه). ينظر: الأعلام، الزركلي، ١/٢٩٢.

(٤) ينظر: الأخبار الطوال، الدينوري، ٣٩٦.

(٥) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٦٢.

(٦) الصواعق المرسلة، ابن القيم، ١٠٧٢.

وقبل أن يموت المأمون عهد إلى أخيه المعتصم بالأمر، وأوصاه بأن يكمل المسيرة في نشر مذهب الاعتزال، وفتنة الناس بخلق القرآن، فقال له في وصيته:"وخذ بسيرة أخيك في القرآن"[1]، وأوصاه بإسحاق بن إبراهيم الذي كان يد المأمون التي بطشت بعلماء أهل السنة، وبأحمد بن أبي دؤاد الذي قال فيه للمعتصم:"وأبو عبدالله بن أبي دؤاد فلا يفارقك، وأشركه في المشورة كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك".[2]

فلما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة، وعزل يحيى بن أكثم[3]، حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً ولا ظاهراً إلا برأي ابن أبي دؤاد[4]، حتى قال أحدهم:"ما رأيت أحداً قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد، وكان يُسأل الشيء اليسير فيمتنع منه، ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيكلمه في أهله وفي أهل الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب، فيجيبه إلى كل ما يريد".[5]

وبهذا فقد أسند المعتصم إلى المعتزلة أرفع مناصب الدولة، واعتمد عليهم في إدارة شؤون الدولة، فاستغل ابن أبي دؤاد السلطة التي حصلت له في نشر مذهب الاعتزال بكل ما أوتي من قوة، تارة بالترهيب، وتارة بالترغيب.[6]

لذلك يقول ابن القيم:"فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرب الإمام أحمد ابن حنبل، فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوب فعله، وتدعوه إليه، وتخبره أن ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وهم الذين قد غلبوا على قربه ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع لملوكهم".[7]

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٥/٥.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ١٩٦/٥.

(٣) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد، المروزي، ثم البغدادي، ولد في خلافة المهدي، وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه)، وكان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن العارضة، قائما بكل معضلة، غلب على المأمون، حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون في العلم، توفي سنة(٢٤٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/١٢-١٦.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٨٤/١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٨٣/١.

(٦) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٧٢.

(٧) الصواعق المرسلة، ابن القيم، ١٠٧٢.

ولما قضى المعتصم وخلفه الواثق كان المعتزلة قد بلغوا أوج قوتهم، فأسكرتهم نشوة الظفر، وأعمتهم شهوة التسيطر، لذلك حملوا الخليفة الجديد على التمادي في المحنة فأشغل نفسه بها.[1]

قال الذهبي عن الواثق إنه:"دخل في القول بخلق القرآن، وامتحن الناس. وقوى عزمه أحمد بن أبي دؤاد القاضي".[2]

وقال ابن العماد:"وكان الواثق شديد الاعتزال، وقام في أيام المحنة بخلق القرآن القيام الكلي، وشدد على الناس في ذلك".[3]

إلا أن المهتدي بالله بن الواثق ذكر أنه يظن أن أباه رجع عن الاعتزال بعد حادثة حدثت له سأذكرها في الفصل القادم — إن شاء الله – لأنها متعلقة به[4]، بل إن ابن الجوزي الجوزي ذكر أنه مات على توبة [5]. والله تعالى أعلم.

وبهذا يتبين أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة هم الذين ساهموا مساهمة كبيرة في نشر مذهب المعتزلة وحمل الناس عليه بقوة السلطان والسلاح، يقول الآجري:"ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودَعَوْهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدا من الذب عن الدين".[6]

حتى جاء الخليفة المتوكل رحمه الله الذي كان يرى ظلم أهل السنة وعلماءهم واضطهادهم على أيدي المعتزلة بمساعدة الخلفاء الثلاثة قبله، فنصر الله به السنة، وقمع به البدعة، وتنفس أهل السنة في عهده الصعداء، وباشروا دروسهم كما كانت قبل ذلك، وأخذوا يبينون للناس عوار القول بخلق القرآن وإنكار الرؤية.

---

(١) المعتزلة، زهدي جار الله، ١٧٦.

(٢) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ٣٢٥/١.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ١٥٢/٣.

(٤) ينظر: الشريعة، الآجري، ٤٥٥/١-٤٥٧ و ٥٤٠/١-٥٤٧.

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ٤٨١.

(٦) الشريعة، الآجري، ٤٥٥/١.

المبحث الثالث

فتنة القول بخلق القرآن ودور بعض الخلفاء فيها

أول من أظهر القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم في عهد بني أمية[1]، وقد قتل الجعد على يد خالد بن عبدالله القسري عام(١١٨هـ) تقريبا[2]، بمعنى أن القول بخلق القرآن بدأ في أوائل القرن الثاني.

وقد أخذ الجعد القول بخلق القرآن من أبان بن سمعان' الذي أخذه من طالوت ابن أخت لبيد وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لبيد يقرأ القرآن، وكان يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان طالوت زنديقا وأفشى الزندقة، ثم أظهره جعد بن درهم، فقتله خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى بالكوفة.[3]

ثم أخذ القول بخلق القرآن من الجعد الجهم بن صفوان، الذي أعطاه لبشر المريسي، ثم أخذه ابن أبي دؤاد عن المريسي.[4]

أولا: دور الخليفة المأمون في الفتنة:

وكان المريسي من جلساء المأمون وخاصته[5]، وكذلك ابن أبي دؤاد الذي كان معظما عند المأمون يقبل شفاعاته، ويصغي إلى كلامه، فدس له القول بخلق القرآن، وحسنه عنده، وصيره يعتقده حقا مبينا.[6]

---

(١) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٥٠/٦.

(٢) ينظر: الأعلام، الزركلي، ١٢٠/٢.

(٣) ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ٥١/٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٥١/٦.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ١٥٢/٥، والحيدة، الكناني، ١٧.

(٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٣٨/٢.

وكما تبين في المبحث السابق أن فتنة القول بخلق القرآن بدأت في زمن الخليفة السابع المأمون الذي اعتبر ذلك دينا، وأن الله سيعاقبه إن لم يحمل الناس عليه ولو بالقوة، وبناء على اعتقاده الفاسد، ووجود البطانة الاعتزالية السوء التي كانت تحيط به أعلن في عام(٢١٢هـ) القول بخلق القرآن[١]، وأجمع رأيه في سنة(٢١٨هـ) على الدعاء إليه[٢]، فأرغم العلماء والعامة على هذا القول، فمنهم من استجاب، ومنهم من أبى.

قال ابن كثير:"ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومائتين... وفي ربيع الأول أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما أطمُّ من الأخرى وهي: القول بخلق القرآن، والثانية: تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيرا فاحشا، وأثم إثما عظيما".[٣]

ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال، فرح بذلك بشر المريسي، وكان بشر هذا شيخ المأمون، فانشأ يقول:

قد قال مأموننا وسيدنا ... قولا له في الكتاب تصديق
إن عليا أعني أبا حسن ... أفضل من أرقلت[٤]به النوق
بعد نبي الهدى وإن لنا ... أعمالنا والقرآن مخلوق

فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة:

يا أيها الناس لا قول ولا عمل ... لمن يقول كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر ... ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع ... على الإله وعند الله زنديق
عمدا أراد به إمحاق دينكم ... لأن دينهم والله ممحوق
أصحٌّ يا قوم عقلا من خليفتكم ... يمسي ويصبح في الأغلال موثوق

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ١٧٨/٥.

(٢)ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٣٨/٢.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٦٦/١٠-٢٦٧.

(٤) أرقلت الدابة والناقة إرقالا أسرعت، وأرقل القوم إلى الحرب إرقالا أسرعوا. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٩٠/٥.

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قائل هذا فيؤدبه على ذلك، فقال: ويحك لو كان فقيها لأدبته، ولكنه شاعر فلست أعرض له.[١]

وقد كان الجهر بهذه المقالة يراود المأمون منذ مدة، إلا أنه كان يمنعه وجود يزيد بن هارون[٢]–رحمه الله– وفي ذلك يقول المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت: القرآن مخلوق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين ومن يزيد حتى يكون يتقى. فقال: ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطانا أو سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد عليّ، فيختلف الناس، وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة.[٣]

فلما صمم على إرغام الناس على هذه المقولة وكان في الرقة، أخذ يرسل الكتاب وراء الكتاب إلى نائبه في بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي لامتحان العلماء والناس بهذا القول، فمما قاله في كتابه الأول:

"أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيتهم، والتشمير لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد، وصريمته، والإقساط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته.

وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، والاستضاءة بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه، وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحات أعلامه، وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه لضعف آرائهم، ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٧٩/١٠.

(٢) هو يزيد بن هارون بن زاذي السلمي مولاهم، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السلمي مولاهم، الواسطي، الحافظ، ولد سنة(١١٨ه) وكان رأسا في العلم والعمل، ثقة، حجة، كبير الشأن، توفي سنة(٢٠٦ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٥٨/٩–٣٧٢.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٤٢/١٤.

ويخترعه، وقد قال الله عز و جل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] فكل ما جعله الله فقد خلقه... فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد حظا، والمخسوسون من الإيمان نصيبا، وأوعية الجهالة، وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهائل على أعدائه من أهل دين الله، وأحق من يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله، ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد، ومن عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبتوحيده، كان عما سوى ذلك من عمله، والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلا، ولعمر أمير المؤمنين إن أحجى الناس بالكذب في قوله، وتَخَرُّص الباطل في شهادته، من كذب على الله ووحيه، ولم يعرف الله حقيقة معرفته، وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه وبهت حق الله بباطله.

فاجمع من بحضرتك من القضاة، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون، وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه، فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم على عملهم في القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث، والامتناع من توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله".[2]

والملاحظ هنا أن المأمون ابتدأ كتابه عن حق الخليفة في الاجتهاد في إقامة دين الله، وذلك محاولة صريحة لتبرير عمله في امتحان الناس.[3]

---

(١) الزخرف: ٣.

(٢) تاريخ الطبري، ١٨٧/٥.

(٣) ينظر: المعتزلة، زهدي جار الله، ١٦٦.

ثم كتب كتابا آخر يطلب فيه إشخاص سبعة نفر منهم: محمد بن سعد[1]، وأبو مسلم[2]، ويحيى بن معين[3]، وزهير بن حرب أبو خيثمة[4]، وإسماعيل بن داود[5]، وإسماعيل بن أبي مسعود[6]، وأحمد بن الدورقي[7]، فأشخصوا إليه، فامتحنهم، وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعا: إن القرآن مخلوق، فأشخصهم إلى بغداد، وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم إلى داره، فشهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث، فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون، فخلي سبيلهم، وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون.[8]

ثم كتب المأمون بعد ذلك كتابا ثالثا إلى إسحاق بن إبراهيم يقول فيه:"... ومما بيّنه أمير المؤمنين برويته، وطالعه بفكره، فتبين عظيم خطره، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره، ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم، وأثرا من

---

(١) هو محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البغدادي، الحافظ، العلامة، الحجة، كاتب الواقدي، ومصنف: (الطبقات الكبير) في بضعة عشر مجلدا، و(الطبقات الصغير)، وغير ذلك، ولد بعد الستين ومائة، فقيل: مولده في سنة(١٦٨ﻫ) وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار، وكان من أوعية العلم، ومن نظر في الطبقات، خضع لعلمه، توفي سنة(٢٣٠ﻫ)، وهو ابن اثنتين وستين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/٦٤٤-٦٦٧.

(٢) لم أقف له على ترجمة سوى أنه مستملي يزيد بن هارون. ينظر: تاريخ الطبري، ٥/١٨٨.

(٣) هو يحيى بن معين أبو زكريا المري مولاهم، الإمام، الحافظ، الجهبذ، شيخ المحدثين، أحد الأئمة في الحديث، ثقة، مأمون، ولد سنة(١٥٨ﻫ)، وتوفي سنة(٢٣٣ﻫ). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/٧١-٩٦.

(٤) هو أبو خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي، ثم البغدادي، الحافظ، الحجة، أحد أعلام الحديث، مولى بني الحريش بن كعب بن عامر بن صعصعة، ولد (١٦٠ﻫ) نزل بغداد بعد أن أكثر التطواف في العلم، وجمع، وصنف، وبرع في هذا الشأن هو وابنه وحفيده محمد بن أحمد، وقل أن اتفق هذا لثلاثة على نسق، توفي سنة(٢٣٤ﻫ) وهو ابن أربع وسبعين سنة. ينظر: المصدر السابق، ١١/٤٨٩-٤٩٢.

(٥) هو إسماعيل بن داود المصري، وثقه النسائي، مات سنة(٢٤٤ﻫ). ينظر: من له رواية في الكتب الستة، الذهبي، ١/٦٧٧.

(٦) هو إسماعيل بن أبي مسعود، أبو إسحاق، كاتب الواقدي، بغدادي، ثقة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٦/٢٥٠.

(٧) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم، أبو عبدالله العبدي، المعروف بالدورقي، صدوق، ولد سنة(١٦٨ﻫ)، وكان لا يخضب، وكان كثير الحديث عالما به، ثقة، توفي سنة(٢٤٦ﻫ). ينظر: المصدر السابق، ٤/٦.

(٨) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/١٨٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم، واشتباهه على كثير منهم، حتى حسن عندهم، وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقا، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه، وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته، وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاها، ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه، وحدثا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به، ودالا عليه، وقاطعا للاختلاف فيه، وضاهوا به قول النصارى في دعائهم في عيسى بن مريم: إنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[١]وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جل جلاله: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[٢]...

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم، والحرج في أمانتهم، وسهلوا السبيل لعدو الإسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم، حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده، وشبهوه به، والاشتباه أولى بخلقه، وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين، ولا نصيبا من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة في أمانة، ولا عدالة، ولا شهادة، ولا صدق في قول ولا حكاية، ولا تولية لشيء من أمر الرعية، وإن ظهر قصد بعضهم، وعرف بالسداد مسدد فيهم، فإن الفروع مردودة إلى أصولها، ومحمولة في الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلا بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته، فهو بما سواه أعظم جهلا، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل سبيلا.

فاقرأ على جعفر بن عيسى[٣] وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي[٤] كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصهما عن علمهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا

---

(١) الزخرف: ٣.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) هو جعفر بن عيسى بن عبدالله بن الحسن بن أبي الحسن البصري، ويعرف بالحسني، ولي القضاء بالجانب الشرقي من بغداد في أيام المأمون والمعتصم، توفي سنة(٢١٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧/١٦٠-١٦١.

(٤) هو عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي مولاهم، وكان يتولى القضاء على الرقة، ثم ولي القضاء بمدينة المنصور وبالشرقية، وتقلد الحكم في أيام المأمون، وما زال إلى آخر أيام المعتصم، ولما عزل المأمون بشر بن الوليد =

يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق، فإن قالا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم إليهما في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم في القرآن، فمن لم يقل منهم: إنه مخلوق أبطلا شهادته، ولم يقطعا حكما بقوله، وإن ثبت عفافه بالقصد، والسداد في أمره، وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله".[1]

فأحضر إسحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين، وقرأ عليهم كتاب المأمون هذا، فأقر بعضهم وامتنع الآخرون، فرفع إسحاق أمر الذين امتنعوا بكتاب إلى المأمون، وكان من الذين امتنعوا الإمام أحمد بن حنبل، فجاء رد المأمون بإعادة القول عليهم، فإن لم يجيبوا، فإنه عليه قتل اثنين منهما وهما: بشر بن الوليد[2]، وإبراهيم بن المهدي، وحمل الباقين موثقين إلى عسكره، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم، حتى يؤديهم إلى عسكره، ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه، ليقررهم المأمون على خلق القرآن، فإن لم يرجعوا، ويتوبوا، حملهم جميعا على السيف.[3]

ضم عمله إلى عبد الرحمن بن إسحاق فصار على الحكم بالجانب الغربي بأسره، وكان من أصحاب الرأي، وكان مترفا جماعا للمال، توفي سنة(٢٣٢هـ). ينظر: ١٠/٢٦٠.

(١) تاريخ الطبري، ٥/١٨٨-١٨٩.

(٢) هو بشر بن الوليد بن خالد أبو الوليد الكندي، أحد أصحاب أبي يوسف، أخذ عنه الفقه، وكان جميل المذهب حسن الطريقة، علما من أعلام المسلمين، وكان عالما، دينا، خشنا في باب الحكم، واسع الفقه، ومن المقدمين عند أبي يوسف، وحمل الناس عنه من الفقه والمسائل ما لا يمكن جمعه، توفي سنة(٢٣٨هـ)، وبلغ سبعا وتسعين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧/٨٠-٨٣.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري، ٥/١٩١-١٩٣.

فأجاب القوم كلهم حين أعاد القول عليهم إلى أن القرآن مخلوق إلا أربعة نفر وهم: أحمد بن حنبل، وسجادة[1]، والقواريري[2]، ومحمد بن نوح المضروب[3]، فأمر بهم إسحاق ابن إبراهيم فشُدوا في الحديد، فلما كان من الغد دعا بهم جميعا يساقون في الحديد، فـأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجادة إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده وخلى سبيله، وأصر الآخرون على قولهم، فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضا، فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريرى إلى أن القرآن مخلوق، فأمر بإطلاق قيده وخلى سبيله، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما و لم يرجعا، فشدا جميعا في الحديد، ووجها إلى طرسوس، وكتب معهما كتابا بإشخاصهما.[4]

وكتب كتابا مفردا بتأويل القوم الذين أجابوا، فمكثوا أياما، ثم دعا بهم فإذا كتاب قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم - وهو الكتاب الخامس — يقول فيه:"أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه... وأن بشر بن الوليد تأول الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[5] وقد أخطأ التأويل، إنما عنى الله عز وجل بهذه الآية من كان معتقد الإيمان مظهر الشرك، فأما من كان معتقد الشرك

(١) هو الحسن بن حماد بن كسيب، أبو علي الحضرمي، المعروف بسجادة، كان ثقة، وسئل عنه أحمد بن حنبل فقال: صاحب سنة، وما بلغني عنه إلا خير. توفي سنة(٢٤١هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢٩٥/٧.

(٢) هو عبيدالله بن عمر بن ميسرة، أبو سعيد الجشمي، مولاهم المعروف بالقواريري، بصري سكن بغداد، ثقة، توفي سنة(٢٣٥هـ)، وهو ابن أربع وثمانين سنة. ينظر: المصدر السابق، ٣٢٠/١٠.

(٣) هو محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي، المعروف والده بالمضروب، كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئا يسيرا، أثنى عليه أحمد بن حنبل خيرا، وقال لمن سأله عنه: اكتب عنه فإنه ثقة. وقال عنه أيضا: ما رأيت أحدا على حداثة سنة، وقله علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير. توفي سنة(٢١٨هـ). ينظر: المصدر السابق، ٣٢٢/٣-٣٢٣.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ١٩٤/٥.

(٥) النحل: ١٠٦.

مظهر الإيمان فليس هذه له، فأشخصهم جميعا إلى طرسوس، ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم".[1]

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكفلاء ليوافوا العسكر بطرسوس، فأشخص القوم الذين أجابوا متأولين، فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون، فأمر بهم عنبسة بن إسحاق[2] وهو والي الرقة أن يصيروا إلى الرقة، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد مع الرسول المتوجه بهم إلى المأمون، فسلمهم إليه، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم، ثم رخص لهم بعد ذلك في الخروج.[3]

وأما أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فردا في أقيادهما إلى الرقة، ومنها حملا على سفينة إلى بغداد، فمات محمد بن نوح على الطريق، ووصل أحمد بن حنبل بغداد فوضع في الحبس.[4]

ومن الذين امتحنهم المأمون فلم يجيبوا وتعرضوا للبلاء عبدالأعلى بن مسهر[5]، فقد أُشخص إلى المأمون من دمشق إلى الرقة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلام الله. وأبى أن يقول مخلوق، فدعا له بالسيف والنطع ليضرب عنقه، فلما رأى ذلك قال: مخلوق. فتركه من القتل، وقال: أما إنك لو قلت ذلك قبل أن أدعو لك بالسيف لقبلت منك ورددتك إلى بلادك وأهلك، ولكنك تخرج الآن، فتقول: قلت ذلك فرقا من القتل، أشخصوه إلى بغداد فاحبسوه بها حتى يموت. فأُشخص من الرقة إلى بغداد في شهر ربيع الآخر سنة(٢١٨هـــ)،

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٤/٥.

(٢) هو عنبسة بن إسحاق بن شمر بن عيسى بن عنبسة، الأمير أبو حاتم، وقيل: أبو جابر، وهو من أهل هراة، ولي إمرة مصر بعد عزل عبد الواحد بن يحيى عنها،ولما ولي عنبسة مصر أمر العمال برد المظالم، وخلص الحقوق، وأنصف الناس غاية الإنصاف، وأظهر من الرفق والعدل بالرعية والإحسان إليهم ما لم يسمع بمثله في زمانه، وكان يتوجه ماشياً إلى المسجد الجامع من مسكنه بالعسكر بدار الإمارة، وكان ينادي في شهر رمضان: السحور. لأنه كان يرمى بمذهب الخوارج، توفي سنة(٢٤٦ه). ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٣٥٢/٢-٢٣٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١٩٤/٥.

(٤) ينظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ٤٢٥ و ٤٢٧.

(٥) هو عبد الأعلى بن مسهر، أبو مسهر الدمشقي الغساني، من أنفسهم، وكان من أعلم الناس بالمغازي وأيام الناس. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٧٢/١١.

فحبس من قبل إسحاق بن إبراهيم، فلم يلبث في الحبس إلا يسيرا حتى مات فيه في غرة رجب في نفس السنة، فأخرج ليدفن، فشهده قوم كثير من أهل بغداد[1]، رحمه الله.

والحارث بن مسكين المصري[2] الذي حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة، وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن، فلم يزل ببغداد محبوسا، إلى أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه، وأطلق جميع من كان في السجن.[3]

ومن الذين امتحنهم المأمون أيضا عفان بن مسلم[4]، الذي سأله يحيى بن معين من الغد بعد ما امتحن وأحمد بن حنبل حاضر، فقال له يحيى: يا أبا عثمان أخبرنا بما قال لك إسحاق بن إبراهيم وما رددت عليه. فقال عفان ليحيى: يا أبا زكريا لم أسوِّد وجهك، ولا وجوه أصحابك. يعني بذلك أني لم أجب، فقال له: كيف كان؟ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم، فلما دخلت عليه قرأ عليَّ الكتاب الذي كتب به المأمون من أرض الجزيرة من الرقة، فإذا فيه امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبت به إليك، فاقطع عنه الذي يجري عليه، وكان المأمون يُجْري على عفان خمسمائة درهم كل شهر، قال عفان: فلما قرأ الكتاب قال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول؟ قال عفان: فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[5] حتى ختمتها، فقلت: مخلوق هذا؟ فقال لي إسحاق بن إبراهيم: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك، وإن قطع عنك أمير المؤمنين

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد، ٤٧٧/٩.

(٢) هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف، أبو عمرو المصري، مولى محمد بن زبان بن عبد العزيز بن مروان، كان فقيها على مذهب مالك بن أنس، وكان ثقة في الحديث، ثبتا، ولد سنة(١٥٤ه)، وتوفي سنة(٢٥٠ه). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢١٦/٨.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢١٦/٨.

(٤) هو عفان بن مسلم، أبو عثمان البصري، مولى عزرة بن ثابت الأنصاري، سكن بغداد، وهو ثقة إمام ثبت، صاحب سنة، مات سنة(٢١٩ه)، وله خمس وثمانون سنة. ينظر: المصدر السابق، ٢٦٩/١٢-٢٧٧.

(٥) الإخلاص: ١-٢.

قطعنا عنك نحن أيضا. فقلت له: يقول الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] قال: فسكت عني إسحاق وانصرفت. فسُرَّ بذلك الإمام أحمد ويحيى ومن حضر.[2]

قال الذهبي:"هذه الحكاية تدل على جلالة عفان وارتفاع شأنه عند الدولة، فإن غيره امتحن، وقيد، وسجن، وعفان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه".[3]

وأبو نعيم الفضل بن دكين[4] لما امتحن في الكوفة بخلق القرآن قال:... أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ، الأعمش فمن دونه، يقولون: القرآن كلام الله، وعنقي أهون عندي من زري هذا. فقام إليه أحمد بن يونس[5] فقبل رأسه، وكان بينهما شحناء، وقال: جزاك الله من شيخ خيرا.[6]

هذا ما كان من المأمون في سنة واحدة، فقد اعتقد أن القول بخلق القرآن هو الصواب، وأن اعتقاده له فيه قربة لله تعالى، فأخذ يرغم العلماء والعامة ويمتحنهم ويبطش بهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى لم يمهله، فمات قبل أن يتمم ما كان يصبو إليه.

قال ابن كثير عن المأمون:"وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة... وكان على مذهب الاعتزال، لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي، فخدعوه، وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحب العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخلُ، وراج عنده الباطلُ، ودعا إليه، وحمل الناس عليه قهرا، وذلك في آخر أيامه، وانقضاء دولته".[7]

---

(١) الذاريات: ٢٢.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٢٧١/١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٤٥/١٠.

(٤) هو الفضل بن دكين، ودكين لقب، واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم، وكنية الفضل أبو نعيم مولى آل طلحة ابن عبيدالله التيمي من أهل الكوفة، وكان شريك عبد السلام بن حرب في دكان واحد يبيعان الملاء، توفي سنة(٢١٩هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٤٦/١٢-٣٥٦.

(٥) هو أحمد بن يونس بن المسيب، أبو العباس الضبي، كوفي الأصل، بغدادي المنشأ، نزل أصبهان، كثير الحديث من الثقات، وكتب أهل بغداد بعدالته وأمانته، توفي سنة(٢٦٨هـ). ينظر: المصدر السابق، ٢٢٣/٥.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٣٤٩/١٢.

(٧) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٧٥/١٠.

وقد أوصى قبل موته ولي عهده المعتصم بمتابعة المسيرة لنشر مذهب الاعتزال وفتنة الناس بخلق القرآن، فقال له في وصيته:"وخذ بسيرة أخيك في القرآن"[(١)]، وأوصاه بإسحاق ابن إبراهيم الذي كان يد المأمون التي بطشت بعلماء أهل السنة، وبأحمد بن أبي دؤاد الذي قال فيه للمعتصم:"وأبو عبدالله بن أبي دؤاد فلا يفارقك، وأشركه في المشورة كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك".[(٢)]

ثانيا: دور الخليفة المعتصم في الفتنة:

فلما تولى المعتصم الخلافة امتحن العلماء، فكان منهم الإمام المحدث نعيم بن حماد، وكان يسكن مصرا، ولم يزل مقيما بها حتى أشخص للمحنة في القرآن إلى سر من رأى في أيام المعتصم، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيبهم إلى القول بخلقه، فسجن، ولم يزل في السجن إلى أن مات، وكان مقيدا فجُرَّ بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن، ولم يصل عليه، فعل به ذلك صاحب ابن أبي دؤاد.[(٣)]

ومنهم أيضا صالح الرشيدي مؤدب المعتصم، وقد ذكره المعتصم للإمام أحمد وهو يهدده ليقر بخلق القرآن، حيث قال المعتصم للإمام أحمد: أما تعرف صالحا الرشيدي؟ كان مؤدبي، وكان في هذا الموضع جالسا - وأشار إلى ناحية من الدار - قال: فتكلم وذكر القرآن، فخالفني، فأمرت به، فسحب، ووطئ.[(٤)]

ومن أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل الذي صمد في وجه هذه الفتنة صمود الأبطال حتى أظهر الله الحق ظهورا جليا واضحا، ودحر الله المعتزلة الضُلاَّل الذين سعوا في الأرض فسادا، بإعانة الخلفاء الثلاثة لهم (المأمون، والمعتصم، والواثق).

---

(١) تاريخ الطبري، ١٩٥/٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١٩٦/٥.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ٣٠٦/١٣-٣١٣. والمقصود بصاحب ابن أبي دؤاد المعتصم.

(٤) ينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم، ١٩٩/٩.

فبعد أن رُدَّ الإمام أحمد بن حنبل إلى بغداد بأقياده، وأودع في السجن سنة(٢١٨هـ) أي السنة التي مات فيها المأمون، مكث في السجن مدة، ثم استدعاه المعتصم في رمضان عام(٢١٩هـ)، وحُوِّل إلى دار إسحاق بن إبراهيم، وكان يوجهُ إليه في كل يوم برجلين يناظرانه، حتى إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد في قيوده، إلى أن صار برجله أربعة أقياد، ثم دُعِيَ إلى مجلس المعتصم، وابن أبي دؤاد حاضر، وكان يشغل منصب قاضي القضاة، ودار بينه وبين المعتصم ومن معه الحديث، وكان الإمام أحمد يفحمهم ويسكتهم، حتى قال له المعتصم: لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك. ثم قال: يا عبدالرحمن بن إسحاق، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟ قال الإمام أحمد: الله أكبر، إن في هذا لفرجا للمسلمين، واستمرت المناظرة بينهم، والإمام أحمد لا يزيد على أن يقول لهم: أعطوني شيئا من كتاب الله عز وجل، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقول به.[١]

ويظهر أن المعتصم كان متورطا في فتنة القول بخلق القرآن، وإرغام الناس عليها، وهذا يتبين من قوله:"لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك"ثم قال:"يا عبدالرحمن بن إسحاق، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟"[٢] وقوله:"والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي، ولأركبن إليه بجندي، ولأطأن عقبه"[٣] وقوله:"يا أحمد، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي"[٤] وقوله لأصحابه:"إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي".[٥]

---

(١) ينظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ٤٣٢-٤٣٧.

(٢) المصدر السابق، ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) المصدر السابق، ٤٣٧.

(٤) المصدر السابق، ٤٣٨.

(٥) المصدر السابق، ٤٣٩.

إلا أن محبة المعتصم للمأمون ، ووصية المأمون له[1]، وكون المعتصم لا علم له حيث إنه كان أميا[2]، جعلته يسير على خطى أخيه في الامتحان بخلق القرآن، لكنه وكل ذلك إلى ابن أبي دؤاد ومن معه.

فلما بدؤوا بضرب الإمام أحمد، كان المعتصم يلين له أثناء ضربه، ويقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبت إثما في أمر هذا الرجل. فيقول له ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، إنه – والله– كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه. فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد، وقد كان المعتصم يريد تخلية الإمام أحمد بلا ضرب، فلم يدعه ابن أبي دؤاد، ولا إسحاق بن إبراهيم.[3]

وقال له مرة: إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون، وسخطت قوله. فهاجه ذلك على ضربه.[4]

فعُذِّب الإمام أحمد عذابا شديدا، فثبت وصبر حتى فرج الله له، فخلي عنه، وصار إلى منزله، بعد أن مكث في السجن ثمانية وعشرين شهرا.[5]

هذا ما كان من المعتصم في فتنة خلق القرآن، إلا أنه ندم على ما كان منه إلى الإمام أحمد ندما كثيرا، وجعل يسأل النائب عنه، والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك، وقد شفا الله الإمام أحمد بالعافية، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة.[6]

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/١٩٥-١٩٦.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٩٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/٢٥٣.

(٤) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ٤٤٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٤٤٤.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٣٣٥.

ثالثا: دور الخليفة الواثق في الفتنة:

توفي المعتصم عام(٢٢٧هـ)[١]، وبويع بعده ابنه الواثق بالخلافة، وشدد في المحنة بسبب ابن أبي دؤاد، الذي استولى عليه، وحمله على التشديد فيها، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن.[٢]

وفي سنة(٢٣١هـ) قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلما، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مائة نفس، فقال ابن أبي دؤاد: من لم يقل القرآن مخلوق، فلا تفتكوه.[٣]

وأحمد بن نصر الخزاعي من أهل العلم والديانة، والعمل الصالح، والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن يدعو إليه ليلا ونهارا، سرا وجهارا، اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبله، وعمه المأمون، من غير دليل، ولا برهان، ولا حجة، ولا بيان، ولا سنة، ولا قرآن، فقام أحمد بن نصر يدعو إلى الله، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتف عليه من الألوف أعداد، وعزموا على الخروج على الواثق لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها، ففشلت خطتهم، ووقع أحمد الخزاعي في يد الواثق، فكان من العجب أن الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله، وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله. وكان أحمد بن نصر قد استقتل وباع نفسه، وحضر وقد تحنط وتنور وشدَّ على عورته ما يسترها، فقال له الواثق: فما تقول في ربك أتراه يوم القيامة؟ – وهذا بناء على عقيدة المعتزلة في إنكار رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة –

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٢٧٠/٥.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٨/١٤.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣١٢/١٠.

فقال: يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته))[2] فنحن على الخبر، فقال الواثق: ويحك أيرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره الناظر!؟ أنا أكفر برب هذه صفته.[3]

ويعلق ابن كثير على مقالة الواثق هذه فيقول:"وما قاله الواثق لا يجوز، ولا يلزم، ولا يُرَدُّ به هذا الخبر الصحيح. والله أعلم".[4]

ثم قال أحمد بن نصر للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه:((إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء))[5] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))[6] فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويحك انظر ما تقول. فقال: أنت أمرتني بذلك. فخاف إسحاق على نفسه، فقال: أنا أمرتك؟ قال: نعم أنت أمرتني أن أنصح له. فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه، فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيا على الجانب الغربي، فعزل، وكان موادّا لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم. وقال أبو عبدالله الأرمني[7] صاحب أحمد بن بن أبي دؤاد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين. فقال الواثق: لابد أن يأتي ما تريد. وقال ابن أبي

---

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم الحديث (٥٥٤).

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٠٣/١٠-٣٠٤.

(٤) المصدر السابق، ٣٠٤/١٠.

(٥) رواه مسلم بلفظ: ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء))، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم الحديث (٢٦٥٤).

(٦) رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم الحديث (٢١٤٠)، قال عنه الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي، ٤٤٤/٢.

(٧) هو علي بن يحيى الأرمني، صاحب الغزو، كان شجاعاً، وله نكايات في الروم، كان قد قفل من أرمينية إلى مَيّافارقين، وبلغه مقتل عمر بن عبدالله الأقطع، فعاد يطلب الروم، فالتقوه، فقاتلوه قتالاً شديداً، وقُتل هو، وقُتل معه أربع مائة رجل من أبطال المسلمين سنة(٢٤٩هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩٠/٢٢.

دؤاد: هو كافر يستتاب، لعل به عاهة أو نقص عقل. فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي. ثم نهض إليه، فقتله.(١)

ثم أمر الواثق بتتبع رؤوس أصحابه، فأخذ منهم نحوا من تسع وعشرين رجلا، فأودعوا في السجون، وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد، وقيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين.(٢)

وأما عن الأسرى فيقول ابن كثير:"وفيها – أي في سنة(٢٣١هـ) وهي نفس السنة التي قتل فيه أحمد بن نصر الخزاعي - قدم خاقان الخادم من بلاد الروم، وقد تم الصلح والمفاداة بينه وبين الروم، وقدم معه جماعة من رؤوس الثغور، فأمر الواثق بامتحانهم بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأمر الواثق أيضا بامتحان الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة فودي، وإلا ترك في أيدي الكفار، وهذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء، لا مستند لها من كتاب، ولا سنة، ولا عقل صحيح، بل الكتاب، والسنة، والعقل الصحيح بخلافها، كما هو مقرر في موضعه وبالله المستعان".(٣)

إلا أن الواثق في آخر أيامه تاب من بدعته هذه، وأوقف المحنة، فيقول ابن تغري بردي في هذا:"... ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى مصر: بترك الجدال في القرآن، واتباع السنة، وعدم القول بخلق القرآن، ولله الحمد، وسببه أن الواثق كان قد تاب ورجع عن القول بخلق القرآن، فأدركته المنية قبل إشاعة ذلك".(٤)

وقد روى الإمام الآجري قصة رجوع الواثق وتوبته من مذهب الاعتزال والقول بخلق القرآن، فقال:"بلغني عن المهتدي رحمه الله تعالى أنه قال: ما قطع أبي - يعني الواثق - إلا شيخ جيء به من الـمَصِّيصة(٥)، فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره يوماً، فقال:

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٠٥/١٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٣٠٥/١٠.

(٣) المصدر السابق، ٣٠٧/١٠.

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ٣٢٢/٢.

(٥) المصيصة: بفتح الميم وكسر الصاد وتشديدها، وهي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٤٤/٥-١٤٥.

علي بالشيخ. فأُتي به مقيداً، فلما وقف بين يديه سلّم عليه، فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملت معي أدب الله عز وجل، ولا أدب رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[1]وأمر النبي صلى الله عليه وسلم برد السلام. فقال له: وعليك السلام. ثم قال لابن أبي دؤاد: سله. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد، أصلي في الحبس بتيمم، منعت الماء، فمر بقيودي تحل، ومر لي بماء أتطهر، وأصلي، ثم سلني. فأمر، فحُلَّ قيده، وأمر له بماء، فتوضأ، وصلى لله، ثم قال لابن أبي دؤاد: سله. فقال الشيخ: المسألة لي، فأْمُره أن يجيبني. فقال: سل. فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد يسأله، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا. قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده؟ قال: لا. قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدهما؟ قال: لا. قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدهم؟ قال: لا. قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعدهم؟ قال: لا. قال الشيخ: فشيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله تعالى عنهم، تدعو أنت إليه الناس؟ ليس يخلو أن تقول: علموه، أو جهلوه، فإن قلت: علموه وسكتوا عنه، وسعنا وإياك من السكوت ما وسع القوم، فإن قلت: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع بن لكع[2]، يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شيئاً وتعلمه أنت وأصحابك؟ قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائماً ودخل الحيزى[3]، وجعل ثوبه في فيه، فضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: علموه أو جهلوه، فإن قلت: علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع بن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى

---

(١) النساء: ٨٦.

(٢) اللكع: هو الصبي الصغير، وإذا أطلق على الكبير فيراد به الصغير العلم والعقل، ويطلق على اللئيم. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٢١/١٢.

(٣) الحيزى: من التحيز وهو المكان الذي يتنحى فيه عن الحاضرين، قال أبو عبيدة: التحوز هو التنحي. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٨٨/٣.

عنهم شيئاً تعلمه أنت وأصحابك؟ ثم قال: يا أحمد. فقلت: لبيك. فقال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي دؤاد. فوثب إليه، فقال: أعط هذا الشيخ نفقته، وأخرجه عن بلدنا.[1]

ورواها الآجري أيضا من طريق آخر عن المهتدي، وفيها أن الشيخ كان من الشام من أهل أذنة[2]، وأنه قال في مناظرته لابن أبي دؤاد: يا أحمد بن أبي دؤاد، إلام دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلى أن تقول: القرآن مخلوق، لأن كل شيء دون الله عز وجل مخلوق. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تحفظ علي ما أقول، وعليه ما يقول. قال: أفعل. فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت؟ قال: نعم. فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله عز وجل إلى عباده، هل أسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أمره الله عز وجل به في دينه؟ قال: لا. قال الشيخ: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة، إلى مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: تكلم. فسكت، فالتفت الشيخ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة، فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله عز وجل، حين أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3] كان الله عز وجل الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: أجب يا أحمد. فلم يجبه، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين اثنتان، فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها؟ فقال ابن أبي دؤاد: علمها. فقال الشيخ: فدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين ثلاث، فقال الواثق: ثلاث.

---

(١) الشريعة، الآجري، ١/٤٥٥-٤٥٧.

(٢) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة، خرج منه جماعة من أهل العلم، وسكنه آخرون. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/١٣٣.

(٣) المائدة: ٣.

فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ علمها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم. فقال الشيخ: واتسع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم؟ فقال ابن أبي دؤاد: نعم. فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت لك القول أن أحمد يضيق أو يقل أو يضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر ولعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك. فقال الواثق: نعم إنه لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ... قال المهتدي بالله: رجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن الواثق بالله كان قد رجع عنها من ذلك الوقت.[1]

وروى البغدادي أن الواثق مات، وقد تاب عن القول بخلق القرآن[2]، وكان رجوعه تمهيدا لطريق المتوكل.

وبهذا انتهت هذه الفتنة الدهماء التي ابتلي فيها أهل السنة أشد البلاء، وجاء عهد الخليفة المتوكل ناصر السنة، وقامع البدعة، الذي أبلى بلاء حسنا في نصر مذهب أهل السنة والجماعة، وإظهاره ونشره.

(١) ينظر: الشريعة، الآجري، ١/٥٤٠-٥٤٧.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١٤/١٨.

الفصل الثاني

أثر بعض خلفاء بني العباس في ظهور مذهب الروافض والنواصب

ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المأمون وبدعة التشيع.

المبحث الثاني: تكريم بني حمدان.

المبحث الثالث: ضعف الخليفة المستكفي أمام بني بويه ومنحه الألقاب لهم وسيطرتهم على الحكم.

المبحث الرابع: سيطرة البويهيين على الحكم في زمن الخليفة المطيع لله.

المبحث الخامس: قوة شوكة بني بويه في عهد الخليفة الطائع لله وانتشار حكمهم.

المبحث السادس: تشيع الخليفة الناصر لدين الله وقبح سيرته.

المبحث السابع: إسناد الخليفة المستعصم الأمر إلى ابن العلقمي الرافضي.

المبحث الثامن: محاربة الخليفة المعتضد للعلويين.

المبحث الأول
المأمون وبدعة التشيع

في الفصل السابق كان الحديث عن بدعة القول بخلق القرآن، وأن أول من أظهر المحنة بهذه البدعة هو الخليفة المأمون، وخالف بها عقيدة أجداده وآبائه، لكنها لم تكن هذه البدعة هي الوحيدة من المأمون، بل أضاف لها بدعة أخرى وهي بدعة التشيع، وهي تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جميع الصحابة، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة التي يدين بها أكثر خلفاء بني العباس.

قال ابن كثير عن المأمون:"وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة".[١]

وقد بدأت هذه البدعة عند المأمون من حين إعلانه مبايعة علي الرضا بن موسى الكاظم بالخلافة من بعده، وذلك في سنة(٢٠٠هـــ) وهو في مرو، حيث أمر بإشخاصه إليه، فحمل إليه مكرماً، فأنزله المأمون أحسنَ إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس، وولد علي رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أَفْضَلَ ولا أَحَقَّ بالأمر من علي الرضا بن موسى الكاظم، فبايَعَ له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وزوّج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك.[٢]

حمله على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل: إنه همَّ أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه.[٣]

ونمي ذلك إلى مَنْ بالعراق من ولد العباس، فأَعْظَمُوهُ إذ علموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم، واجتمع مَنْ ببغداد من ولد العباس، ومواليهم وشيعتهم على خلع المأمون،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٧٥.

(٢) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٤/٢٨.

(٣) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٤٣.

ومبايعة إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شِكْلَةَ، وهو عم المأمون، فبويع له سنة(٢٠٢هـ)، وقيل (٢٠٣هـ).[١]

فجهز المأمون لقتاله، وجرت أمور وحروب، وسار المأمون نحو العراق، فلم ينشب علي الرضا أن مات، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا ببيعته لعلي وقد مات، فردوا جوابه أغلظ جواب، فسار المأمون، وبلغ إبراهيم بن المهدي تسلل الناس من عهده فاختفى، فكانت أيامه سنتين إلا أياماً، وبقي في اختفائه مدة ثماني سنين، ووصل المأمون بغداد، فكلمه العباسيون وغيرهم في العود إلى لبس السواد، وترك الخضرة، فتوقف ثم أجاب إلى ذلك.[٢]

وقد قالت امرأة من آل بيت المأمون له: إنك على بر أولاد علي بن أبي طالب، والأمر فيك أقدر منك على برهم، والأمر فيهم. فقال لها: إنما فعلت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولي لم يول أحداً من بني هاشم شيئاً، ثم عمر، ثم عثمان كذلك، ثم ولي علي فولى عبدالله بن عباس البصرة، وعبيدالله اليمن، ومعبدا مكة، وقثم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتى ولاه شيئاً، فكانت هذه منّة في أعناقنا، حتى كافأته في ولده بما فعلت.[٣]

والخليفة المأمون كان معروفا عنه أنه من الشيعة المفضلة[٤]، أي الذين يفضلون عليا رضي الله عنه على الخلفاء الثلاثة الأُول رضي الله عنهم، بمعنى أنه لم يكن يسبهم أو يقبحهم كما يفعل غلاة الروافض، وكذلك عائشة رضي الله عنها، وقد بدا هذا الأمر عند المأمون من خلال شعره الذي قال فيه:

---

(١) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٢٨/٤.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٢٤٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٤٣.

(٤) وهم الذين أقام عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حد الفرية. ينظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٣٠٧/١.

أصبــح ديني الذي أديـــن بـــه	ولست منـــه الغـــداة معتـــذرا
حـــب علـــي بعـــد الـــنبي ولا	أشتم صديـــقنا ولا عـــمرا
وابن عفـــان في الجنـــان مـــع ال	أبـــرار ذاك القتيـــل مصـــطبرا
لا لا ولا أشـــتم الزبـــــير ولا	طلحة إن قـــال قائـــل: غـــدرا
وعـــائش الأم لســـت أشـــتمها	من يفتريها فنحن منـــه بـــرا[1]

ومع ذلك فقد علّق ابن كثير بعد ذكره لهذه الأبيات عن المأمون فقال:"وهذا المذهب ثاني مراتب الشيعة، وفيه تفضيل علي على الصحابة، وقد قال جماعة من السلف والدارقطني: من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.[2] يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام، ثم اتفقوا على عثمان، وتقديمه على علي بعد مقتل عمر، وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع...، وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: لا أوتى بأحد فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري.[3] وتواتر عنه أنه قال: خير الناس بعد النبي صلى الله عليه و سلم أبو بكر ثم عمر.[4] فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب، وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار البدعة الأخرى والطامة الكبرى، وهي القول بخلق القرآن، مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المنكر".[5]

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٨٦/٣٣.

(٢) ذكر محقق كتاب (السنة للخلال) الدكتور عطية الزهراني أن هذا القول عن سفيان الثوري ضعيف الإسناد، ولكن إسناده يصح من قول الإمام أحمد. ينظر: السنة، الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، ٣٧٥/٢و٣٧٩و٣٩٢، وينظر: فضائل الصحابة، الإمام أحمد، ٢٤٨/١.

(٣) ينظر: السنة، ابن أبي عاصم، ٥٦١/٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٥٥٤/٢.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٧٧/١٠.

والمأمون وإن لم يظهر منه سب للخلفاء الثلاثة أو لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين، إلا أنه ظهر منه بعض المواقف التي تدل على اتباعه لمنهج الروافض في الصحابة، فقد حدث أبو الصلت الهروي[1] فقال: سألني المأمون يوماً عن مسألة، فقلت: قال فيها أبو بكر كذا وكذا. فقال: من هو أبو بكر؟ أبو بكرنا، أو أبو بكر العامة؟. قلت: أبو بكرنا. قال عيسى بن مهران[2]: قلت لأبي الصلت: من أبو بكركم؟ فقال: علي بن موسى الرضا، كان يكنى بها.[3]

فيتضح من قوله:"أبو بكر العامة"أنه متأثر تأثرا كبيرا بأفكار الشيعة الروافض ومصطلحاتهم، فمعلوم أن الروافض يسمون أهل السنة بـــ (العامة)، ويقللون من شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه بالسب والشتم.

ولما أتي المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة رضي الله عنها، والآخر عائشة رضي الله عنها، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة، وترك الآخر، فقال إسماعيل بن إسحاق[4]: ما

---

(١) هو عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة، أبو الصلت الهروي، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي، رحل في الحديث إلى البصرة والكوفة والحجاز واليمن، لقي وجالس الناس، ورحل في الحديث، وكان صاحب قشافة، وهو من آحاد المعدودين في الزهد، كان يرد عل أهل الأهواء من المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية، وكلم بشرا المريسي غير مرة بين يدي المأمون مع غيره من أهل الكلام، كل ذلك كان الظفر له، وكان يعرف بكلام الشيعة، وكان يقدم أبا بكر وعمر، ويترحم على علي وعثمان، ولا يذكر أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم إلا بالجميل، وسمعته يقول: هذا مذهبي الذي أدين الله به. إلا أن ثم أحاديث يرويها في المثالب، قال يحي بن معين عنه: ثقة صدوق إلا أنه يتشيع. مات سنة(٢٣٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/٤٦-٥١.

(٢) هو عيسى بن مهران، أبو موسى، المعروف بالمستعطف، بغدادي، رجل سوء، ومذهب سوء، قال البغدادي: كان عيسى بن مهران المستعطف من شياطين الرافضة ومردهم، ووقع إليّ كتاب من تصنيفه في الطعن على الصحابة، وتضليلهم وإكفارهم وتفسيقهم، فوالله لقد قف شعري عند نظري فيه، وعظم تعجبي مما أودع ذلك الكتاب من الأحاديث الموضوعة، والأقاصيص المختلقة، والأنباء المفتعلة بالأسانيد المظلمة عن سقاط الكوفيين من المعروفين بالكذب ومن المجهولين، ودلني ذلك على عمى بصيرة واضعة، وخبث سريرة جامعه، وخيبة سعي طالبه، ﴿ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ، ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾. ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي، ١١/١٦٧.

(٣) ينظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ٤٥٣-٤٥٤.

(٤) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو إسحاق الأزدي، مولى آل جرير بن حازم، من أهل البصرة، وكان إسماعيل فاضلا عالما متقنا، فقيها على مذهب مالك بن أنس، شرح مذهبه ولخصه واحتج له، =

حكمهما إلا أن يقتلا، لأن الذي شتم عائشة رد القرآن[1]، وهو يعني قول الله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وترك المأمون للرجل الذي سب عائشة رضي الله عنها يدل على أنه يقول بما تقوله الروافض فيها، وإن لم يكن قالها صراحة.

ولما كان عام(٢١١هـ) أمر المأمون مناديا فنادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

والرافضة يبغضون معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أيضا كما يبغضون الخلفاء الثلاثة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي العام الذي بعده (٢١٢هـ) أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في شهر ربيع الأول منها.[4]

وأيضا نادى مناديه بتحليل متعة النساء – وهذا من عقائد الرافضة الباطلة التي يصرون عليها لإشباع شهواتهم وأهوائهم –، فاشتد ذلك على يحيى بن أكثم فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في ابن شهاب الزهري؟ وكان ابن أكثم يعلم أن رأي المأمون فيه حسن، فقال المأمون: أحسن القول. قال يحيى: فما تقول في عبدالله بن محمد بن الحنفية؟ فقال: ما عسى أن أقول في أبي هاشم أقول: إنه الثقة المأمون. قال يحيى: ما تقول في أبيه محمد بن الحنفية نفسه؟ فقال: ما هذه السؤالات التي لم يكن من سؤالك فيما قبل، هو الثقة

وصنف المسند وكتبا عدة في علوم القرآن، وجمع حديث مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب السختياني، واستوطن بغداد قديما، وولي القضاء بها فلم يزل يتقلده إلى حين وفاته سنة(٢٨٢هـ). ينظر: تاريخ بغداد، بغداد، ٢٨٤/٦-٢٨٩.

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١٣٤٣/٧.

(٢) النور: ١٧.

(٣) تاريخ الطبري، ١٧٧/٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١٧٨/٥.

الـــمُرضى. فقال يحيى: قد بلغني أمرك بكذا وكذا، والزهري الذي قلت فيه من حسن القول ما قلت هو الذي روى عن عبدالله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المتعة يوم خيبر(١). فقال: ما علمت هذا. فقال يحيى: قد أمرت بخلافه. فقال: إنما أمرت بخلافه إذ لم أعلم، فأما الآن فأنا أنهى عنه.(٢)

ويروى أيضا أن يحيى بن أكثم دخل على المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين أحللت المتعة، وقد حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال المأمون: يا يحيى إن تحريم المتعة حديث رواه الربيع بن سبرة(٣) أعرابي يبول على عقبيه، ولا أقول به. فقال يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين ها هنا حديث آخر. فقال: هاته يا يحيى. فقال: حدثنا القعنبي. فقال المأمون: لا بأس به، عن من؟ قال يحيى: عن مالك. فقال المأمون: كان أبي يبجله، هيا. فقال يحيى: عن الزهري. فقال المأمون: كان ثقة في حديثه، ولكن كان يعمل لبني أمية! هيا. فقال يحيى: عن عبدالله والحسن ابني محمد بن علي ابن الحنفية. ففكر المأمون ساعة، ثم قال: كان أحدهما يقول بالوعيد، والآخر بالإرجاء! هيا. قال يحيى: عن أبيهما محمد بن علي. قال: هيا. قال يحيى: عن علي بن أبي طالب. قال: هيا، قال يحيى: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن المتعة، وعن أكل لحوم الحمر الأهلية. فقال المأمون: يا غلام اركب، فناد أن المتعة حرام.(٤)

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة أخيرا، رقم الحديث (٥١١٥).

(٢) ينظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدار قطني، ٤/١١٦.

(٣) روى الإمام مسلم في صحيحه هذا الحديث عن الربيع بن سبرة بعدة روايات. ينظر: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، رقم الحديث (٥١٤٠٦).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، الماوردي، ٩/٣٣٠.

فالمأمون لم يقبل بتحريم المتعة حتى بلغه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض ذريته هم الذين رووا هذا الحديث، فلما علم استسلم لذلك.

والمأمون يسمي أهل السنة(المرجئة)، وذلك أنه لما هجا عمه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شِكْلَة، وكان المأمون يظهر التشيع، وابن شِكْلَة التسنن، فقال المأمون:

إذا المُرْجِيُّ سَرَّكَ أن تراه ... يَمُوتُ لحينه من قبل مَوْتِهْ

فَجدد على ذِكْرى عَليٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النبيِّ وآل بيته

فأجابه إبراهيم رَادّاً عليه:

إذا الشِّيعِيُّ جَمْجَمَ في مَقَالٍ ... فَسَرَّكَ أن يبوح بذات نَفْسِهْ

فَصَلِّ عَلَى النبيِّ وَصَاحِبَيْهِ ... وَزِيرَيْهِ وَجَارَيْهِ بِرَمْسِهْ[1].[2]

(١) الرمس: القبر. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣١٣/٥.

(٢) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٥/٤.

المبحث الثاني
تكريم بني حمدان

الدولة الحمدانية من الدول الشيعية المعروفة في التاريخ، وهي تنتسب إلى حمدان بن حمدون التغلبي الذي استولى على الموصل عام(٢٧٢هـ)[١]، في زمن الخليفة المعتمد، ثم كانت الحرب بينه وبين الخليفة المعتضد حتى ظفر بحمدان عام(٢٨٢هـ).[٢]

ثم كان لهم شأن مع خلفاء الدولة العباسية في هذه الحقبة، وذلك أن المعتضد طلب هارون الشاري الخارجي[٣]فتعهد الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي بإحضاره للمعتضد بشرط إطلاق والده، فظفر الحسين بهارون، وسلّمه للخليفة المعتضد وذلك في عام(٢٨٣هـ)، فأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون، والتوسعة عليه، والإحسان إليه أن يقدم، فيطلقه، ويخلع عليه، وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان، وطوقه بطوق من ذهب، وخلع على جماعة من رؤساء أهله.[٤]

وفي عام(٣٠٩هـ) في شهر ربيع الآخر منها خلع الخليفة المقتدر — الذي بدأ الضعف يدب في جسد الخلافة العباسية في عهده – على أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان — أخي الحسين – وقلده أعمال الحرب، وطريق مكة.[٥]

فلما كان زمن الخليفة الراضي وَهَى أمر الخلافة، وضعف ضعفا شديدا، فصارت الموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر والجزيرة في أيدي بني حمدان، وذلك في عام(٣٢٥هـ).[٦]

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٥١/١٢، تاريخ الطبري، ٥٩٢/٥.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ٦١٠/٥.

(٣) وكان هارون هذا قد استولى على الموصل مع حمدان بن حمدون. ينظر: المصدر السابق، ٥٩٢/٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٦١٣/٥.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٩٩/١٣.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٣٦٦/١٣.

ثم لما كان في عام(٣٣٠هـــ) في عهد الخليفة المتقي، أرسل الخليفة إلى حسن بن عبدالله بن حمدان بن حمدون نائب الموصل والجزيرة يستمده ويستجيش به على البريدي[١]، فأرسل حسن أخاه عليا في جيش كثيف، ثم بعد ذلك أرسل الخليفة إليهما، وخلع عليهما، ولقب الحسن بناصر الدولة، وجعله أمير الأمراء، ولقب عليا بسيف الدولة، ثم رجع الخليفة ومعه بنو حمدان إلى بغداد، فكان لهم الحل والعقد.[٢]

وفي العام الذي بعده عقد ابن الخليفة المتقي عقده على بنت ناصر الدولة بن حمدان على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم، ولم يحضر ناصر الدولة.[٣]

هذه أبرز مظاهر التكريم التي نالها بنو حمدان من الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم، لكن لو سأل سائل: ما مدى تشيع هذه الدولة؟ وما هي النتائج السلبية التي أدى لها هذا التكريم؟.

يقول المستشرق كارل بروكلمان:"وعلى الرغم من أن سيف الدولة أعلن الطاعة للفاطميين عندما نشروا سلطانهم على مصر، وبالتالي اتبع المذهب الشيعي، فقد احتفظ بسيادته التامة في جميع أرجاء ملكه".[٤]

هذا يدل على أن سيف الدولة وهو علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون، اتبع المذهب الشيعي خوفا من الفاطميين، وهذا الكلام قد يكون صحيحا من ناحية أنه بالفعل كان الفاطميون في عهد سيف الدولة مسيطرين على مصر وما حولها، إلا أن سيف الدولة كان قويا وعنده جيوش جرارة حارب بها البيزنطيين عدة مرات، فما الذي يجعله يستمر على مذهب قد أرغم عليه وهو بهذه القوة؟ لذا فإن كلام هذا المستشرق غير صحيح، فالدولة الحمدانية دولة شيعية الأصل غالية في تشيعها، كما بين ذلك شيخ الإسلام حيث يقول:"ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم، وهو حقيقة قول فرعون إنكار الصانع وإنكار عبادته،

---

(١) المقصود هنا هو أبو الحسين البريدي أخو أبو عبدالله البريدي اللذان عاثا في بغداد فسادا، وغلت بسببهما الأسعار، وانتشر الظلم، والجوع، وعدم الأمن. ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد، ١٨٢/٤.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠٢/١١-٢٠٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٠٥/١١.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ٢٤٢.

وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضة، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين".[1]

ومن الأمور التي تدل على تشيع بني حمدان الأشعار التي كان يلهج بها أبو فراس الحمداني، وهو الحارث محمد بن أبي العلا سعيد بن حمدان بن حمدون، ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان بن حمدون.

فقد كان يهجو العباسيين لأنه يزعم أنهم نالوا الخلافة بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لم يراعوا حرمة آل بيته، ويعقد مقارنة بين بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبني العباس رضي الله عنه، فيقول:

لا يطغين بني العبـــاس ملكهـــم	بنو علي مـــواليهم وإن زعمـــوا
أتفخرون علـــيهم لا أبـــا لكـــم	حتى كأن رســـول الله جـــدكم
وما توازن فيما بيـــنكم شـــرف	ولا تساوت بكم في موطن قـــدم
ولا لكم مثلهم في المجـــد متصـــل	ولا لجـــدكم معشـــار جـــدهم
قام النبي بها يـــوم الغـــدير لهـــم	والله يشهد والأمـــلاك والأمـــم
وصيرت بينهم شـــورى كـــأنهم	لا يعرفـــون ولاة الحـــق أيهـــم
تالله ما جهل الأقـــوام موضـــعها	لكنهم ستروا وجه الذي علمـــوا
ثم ادعاها بنـــو العبـــاس إرثهـــم	ولا لهم قَـــدم فيهـــا ولا قِـــدم
بئس الجزاء جزيتم في بني حســـن	أبوهم العلـــم الهـــادي وأمهـــم
لا بيعة ردعتكم عـــن دمـــائهم	ولا يمين ولا قـــربى ولا رحـــم[2]

وهو يرمي بني العباس رضي الله عنه بالغدر الذي يتضاءل أمامه ما لقيه بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أيدي بني أمية:

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٧٧/١٣.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، نخلة قلقاط، ١٣٥-١٣٦.

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت   تلـــك الجـــرائم إلا دون نـــيلكم

كم غدرة لكم في الدين واضـــحة   وكم دم لرســـــــول الله عندكم

أأنـــتم آلـــه فيمـــا تـــرون وفي   أظفاركم من بنيه الطاهريـــــن دم

يا جاهداً في مســـاويهم يكتمهـــا   غدر الرشيد بيحيى كيف يكتتم(1)

وهو يقصد يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويذكر أبو فراس مذهبه الشيعي الذي يعتنقه بمدحه لموسى الكاظم وعلي الرضا، وهما من أئمة الشيعة الإثني عشرية، بمعنى أن الحمدانيين لم يكونوا زيدية ولا إسماعيلية كما يزعم بروكلمان، فيقول أبو فراس:

خلوا الفخار لعلاّمين إن ســئلوا   يوم السؤال وعمالين إن علـــموا

لا يغضبون لغـــير الله إن غضـــبوا   ولا يضيعون حكم الله إن حكموا

تبدو التلاوة مـــن أبيـــاتهم أبـــداً   ومن بيـــوتكم الأوتـــار والـــنغم

منكم علية أم منهم وكان لكـــم   شيخ المغنين إبراهيـــــم أم لهـــم

ما في ديارهم للخمـــر معتصـــر   ولا بيـــوتهم للســـوء معتصـــم

والركن والبيت والأستار منـــزلهم   وزمزم والصفا والحجـــر والحـــرم

صلى الإله عليهم أينمـــا ذكـــروا   لأنهم للورى كهف ومعتصـــم(2)

ثم يبين في قصيدة أخرى مذهبه الإمامي بوضوح، حيث ينتقل إلى التصريح والتأكيد في الأبيات التالية بذكر أسماء سبعةٍ من الأئمة الاثني عشر، فيقول:

لست أرجو النجاة من كل مـــا   أخشـــاه إلا بأحمـــد وعـــــلي

وببنت الرســـول فاطمة الطهـــــ   ـــر وسبطيه والإمـــام عـــــلي

والتقـــي النقـــي باقـــــر علـــم   الله فينـــا محمـــد بـــن عـــــلي

وأبي جعفـــــر سمـــي رســـول   الله ثم ابنـــه الزكـــي علـــي

---

(1) المصدر السابق، ١٣٧.

(2) المصدر السابق، ١٣٨.

وابنه العسكري والقائـــم المظهر	حقـــي محمـــد بـــن عـــــلي
فيهم أرتجـــي بلـــــوغ الأمـــاني	يوم عرضي على الإله العلـــي[1]

كذلك من الأمور التي تدل على تشيعهم الغالي أنه لما أرسل الخليفة المتقي إلى الحسن ابن عبدالله بن حمدان، فاستحضره، وخلع عليه، ولقبه ناصر الدولة، وجعله أمير الأمراء وذلك في عام(٣٣٠هــ)[2] عاث ناصر الدولة في بغداد فسادا، حتى أعلن بالرفض فيها، فنادى مناد في جانبي بغداد عن السلطان[3] ببراءة الذمة ممن سمع يذكر أحدا من الصحابة بسوء.[4]

ومن الأمور أيضا هروب أبي جعفر محمّد بن عليّ الشَّلمغانيّ المعروف بابن أبي القراقر[5] إلى الموصل، واستتاره سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حَمدان، وكان الشلمغاني هذا قد أحدث مذهباً غالياً في التشيع، والتناسخ، وحلول الإلهيّة فيه.[6]

ومن الأمور أيضا أنه لما هجم الروم على حلب عام(٣٥١هــ) وقتلوا معظم أهلها، نقل إليها سيف الدولة من حران جماعة من الشيعة مثل الشريف أبي إبراهيم محمد بن أحمد العلوي الحراني وغيره، وكان سيف الدولة يتشيع، فغلب على أهل حلب التشيع لذلك.[7]

ومن الأمور أيضا أن ناصر الدولة لما ضرب الدراهم كتب على أحد وجهيها (ناصر الدولة عبد آل محمد).[8]

---

(١) المصدر السابق، ٤٥، وينظر: سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام، مصطفى الشكعة، ١٦٥-١٦٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠٣/١١.

(٣) السلطان أو أمير الأمراء كان توزون التركي، وهذا الكلام كان في عام(٣٣١هــ) لأن إمارة ناصر الدولة دامت ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام. ينظر: المصدر السابق، ٢٠٥/١١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٢٠٦/١١.

(٥) في المنتظم: ابن أبي العزاقير، وفي الكامل: ابن أبي القراقر، وفي البداية والنهاية: ابن العرافة، وفي الأعلام للزركلي: ابن أبي العزاقر.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠٣/٧.

(٧) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ٦٠/١.

(٨) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠٥/١١.

وأيضا إبراز المشاهد والقبور لآل البيت، حيث عمد الأمراء والخاصة إلى تشييد المساجد، والمشاهد، والمراقد الخاصة بالأولياء وذوي الفضل، ويؤخذ من هذا أن الحمدانيين الشيعة عنوا أكبر عناية بإحياء ذكر الأئمة العلويين وآل البيت عموماً، ولا بد أن المراقد والمشاهد الكثيرة التي حفلت بها الموصل في ذلك العصر يرجع بعضها على الأقل إلى هذه الفترة التي حكم فيها الحمدانيون في الجزيرة، وهناك جانب دير الأعلى(١) مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي(٢) الصحابي الذي كان مواليا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحين طلبه طلبه معاوية فر إلى الموصل، ويقال: إن رأسه حمل إلى معاوية، ودفنت جثته في هذه المدينة، وقد بنى على قبره سعيد بن حمدان مشهداً سنة(٣٣٦هـ) مما أثار يومئذ فتنة بين الشيعة والسنة هناك".(٣)

هذه بعض الأمور التي تدل على تشيع الدولة الحمدانية، وأن تشيعهم كان فيه غلو، وقد خاض الحمدانيون حروبا كثيرة مع الروم البيزنطيين، وكانت الحرب بينهم سجالا، إلا أن ابن كثير كان يرى أن السبب في هزيمة المسلمين، وتسلط الروم عليهم هو ولاية هؤلاء الشيعة على المسلمين، فيقول في ذلك:"وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء، بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم، وتركهم أنبياءهم وعلماءهم... وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء".(٤)

وقال في موضع آخر:"وفيها قصد ملك الروم وفي صحبته الدمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس، فحاصرها مدة ثم غلت عليهم الأسعار، وأخذهم الوباء، فمات كثير منهم فكروا راجعين ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ

---

(١) دير الأعلى: بالموصل في أعلاها على جبل مطل على دجلة، يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف، ويقال: إنه ليس للنصارى دير مثله لما فيه من أناجيلهم ومتعبداتهم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٩٨/٢.

(٢) هو عمرو بن الحمق - بفتح أوله وكسر الميم بعدها قاف - ابن كاهل، ويقال: الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي، له صحبة، وهاجر بعد الحديبية، وقيل: بل أسلم بعد حجة الوداع والأول أصح، توفي سنة(٥٠). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٦٢٣/٤-٦٢٤.

(٣) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، فيصل السامر، ٣٥٣/١.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٤١/١١.

ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾[١]وكان من عزمهم يريدون أن يستحوذوا على البلاد الإسلامية كلها، وذلك لسوء حكامها، وفساد عقائدهم في الصحابة، فسلّم الله، ورجعوا خائبين".[٢]

فتبين أن سيطرة الدولة الحمدانية على الحكم، وتكريم الخلفاء العباسيين لهم، أدى إلى انتشار الرفض في بغداد والشام، وانتشار البدع والشركيات، وتسلط أعداء الإسلام على المسلمين.

ففي عهد الخليفة القاهر عام(٣٢١هـ)، قرر حاجبه الأمير علي بن يلبق[٣]، وكاتب يلبق الحسن بن هارون لعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على المنابر، فاضطربت العامة من ذلك.[٤]

وتقدم علي بن يلبق حاجب القاهر بالقبض على أبي محمد البربهاري – إمام أهل السنة – رئيس الحنابلة، فهرب واستتر، وقبض على أصحابه، وأحدروا إلى البصرة.[٥]

وفي عهد الخليفة الراضي اشتد عضد الروافض أكثر فأكثر، وكان أهل السنة في جهاد دؤوب مستمر ضدهم، وكان على رأسهم الإمام البربهاري، حتى أغرى الروافض الخليفة الراضي بأهل السنة، وافتروا عليهم الأكاذيب كعادة الروافض في كل زمان ومكان – وكان أهل السنة يسمون بالحنابلة – وكان الخليفة الراضي أذنا صاغية للروافض، فخرج توقيعه عام(٣٢٣هـ) بما يُقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم، ويوبّخهم باعتقاد التشبيه وغيره – وذلك أن الروافض في ذلك الوقت كانوا معطلة على مذهب المعتزلة، ويرون أن الحنابلة المثبتين لصفات رب العالمين مشبهة – فكان مما قاله الراضي في توقيعه:"أنّكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين، وهيئتكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرجلَيْن والنعلَيْن المُذهّبَين، والشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا، تبارك الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون، علوّاً كبيراً، ثم

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٥٣/١١.

(٣) في المنتظم: يلبق، وفي الكامل وتاريخ الإسلام والبداية والنهاية: بليق.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٦/١٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٣١٧/١٣.

طعنكم على خيار الأئمّة، ونسبتكم شيعة آل محمّد صلى الله عليه وسلم إلى الكفر والضلال، ثمّ استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمّة، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوامّ ليس بذي شرف، ولا نسب، ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأمرون بزيارته، وتدّعون له معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، فلعن الله شيطاناً زيّن لكم هذه المنكرات، وما أغواه، وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم، ومعوج طريقتكم ليوسعنّكم ضرباً وتشريداً، وقتلاً وتبديداً، وليستعملنّ السيف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالّكم".(١)

وفي نفس السنة نودي ببغداد في الجانبين في أصحاب أبي محمد البربهاري أن لا يجتمع منهم نفسان في موضع، وحبس منهم جماعة، واستتر البربهاري رحمه الله.(٢)

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/١١٣-١١٤، وقد علق الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي على هذه الحادثة فقال:"ما نسبه الراضي إليهم وشدد في الحكم عليهم يحتمل أمرين:

(الأول): إما أنه كان يعلم أنهم أبرياء من تلك الأمور التي نسبها إليهم ولكن لشدة تعصبه وعدم عدالته، ولمسايرته للجمهور الذي فشى فيهم إذ ذاك مذهب الجهمية والمعتزلة والأشعرية قال ما قال في حق الحنابلة وبئس ما قال، ولم يصح ما نسبه إليهم إلا القول بنزول الله في كل ليلة إلى السماء الدنيا فقط كما ورد في الحديث الصحيح.

(الثاني): إنه كان جاهلا بحقيقة أمرهم وأن وزيره — ابن مقلة — هو الذي حمله على ذلك كما يقال، أو صاحب الشرطة — بدر الخرشني - وتأثر من كلام أولئك ولم يحقق، فأصدر ذلك الأمر الشديد على الحنابلة وتوعدهم بأن يستعمل السيق في رقابهم والنار في منازلهم وليس لهم ذنب يستحقون التوبيخ بالكلام، فضلا عن قتلهم وحرقهم، وكل ذنبهم أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويزيلونه بيدهم إن استطاعوا، وطبعا أن النفوس مجبولة على الشهوات والملذات وارتكاب المحرمات.

وأي الأمرين كان فإن الراضي قد أخطأ فيما نسبه إلى الحنابلة وكذب عليهم، فلا عبرة بكلامه ولا وزن لنسبته تلك الافتراءات إلى أولئك الحنابلة الأجلاء الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأعلنوا توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية منفردين في ذلك اليوم عن بقية المذاهب التي تفشت فيها مذاهب الجهمية والمعتزلة والجبرية والأشعرية الذين خالفوا إمامهم أبا الحسن الأشعري". نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين، أحمد بن حجر آل بوطامي، ١١-١٢.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٣/٣٤٩.

ثم لما كان عام(٣٢٩هـــ) توفي الإمام البربهاري رحمه الله مستترا في بيت أخت توزون، وكان رحمه الله قد جمع العلم، والزهد، وتنزه عن ميراث أبيه لأمر كرهه، وكان سبعين ألف درهم، وكان شديداً على أهل البدع، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، فاستتر عند أخت توزون فبقي نحواً من شهر، ثم مرض فمات، فقالت المرأة لخادمها: انظر من يغسله، وغلقت الأبواب حتى لا يعلم أحد، وجاء الغاسل فغسله، ووقف يصلي عليه وحده، فاطلعت فإذا الدار ممتلئة رجالاً بثياب بيض وخضر، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيتِ ما رأيتُ؟ قالت: نعم. قال: هذه مفاتيح الباب وهو مغلق. فقالت: ادفنوه في بيتي، وإذا مت فادفنوني عنده، فدفنوه في دارها، وماتت بعده فدفنت هناك، وكان عمره ستاً وتسعين سنة، وكشف عن قبره بعد سنتين، وهو صحيح لم يرمّ، وظهرت من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة بغداد.[1]

وبهذا يتبين مدى سيطرة الحمدانيين الروافض الغالية في عهد كلٍّ من الخليفة المقتدر والقاهر والراضي والمتقي.

(١) ينظر: المصدر السابق، ١٤/١٤، وقد ذكر الإمام الذهبي – وهو من المحققين – هذه الحادثة بصيغة: قيل، وهي تدل على التضعيف، والله تعالى أعلم. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٥/٩٢.

المبحث الثالث

ضعف الخليفة المستكفي أمام بني بويه ومنحه الألقاب لهم وسيطرتهم على الحكم

بنو بويه هم ثلاثة إخوة، عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد أبي شجاع بويه بن فنّاخسرو، وينتهي نسبهم إلى سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي، ويقال لهم: الديالمة لأنهم جاوروا الديلم[1] وكانوا بين أظهرهم مدة، وقد تغلب عماد الدولة على عدة بلدان، وحصل له من الأموال شيء كثير جدا، ثم أخذ بلدانا كثيرة واشتهر أمره، وبعد صيته، وحسنت سيرته، فقصده الناس محبة وتعظيما، فاجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير، فلم يزل يترقى في مراقي الدنيا حتى آل به وبأخويه الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسيين، وصار لهم فيها القطع والوصل والولاية والعزل وإليهم تجبى الأموال، ويُرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال.[2]

وذلك أنه في عام(٣٣٤هـ) أقبلت جيوش معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه إلى بغداد، فاستتر الخليفة المستكفي فترة ثم ظهر، ووجه بألطاف وفاكهة وطعام لأبي الحسين ابن بويه، ودخل أبو الحسين، فلقي المستكفي، ووقف بين يديه طويلا، وأُخذ عليه البيعة للمستكفي، واستحلف له بأغلظ الأيمان ولخواصه، وحلف المستكفي لأبي الحسين بن بويه وأخويه، وكُتِب بذلك كتاب، ووقعت فيه الشهادة عليهما، ولبس أبو الحسين الخِلَع وطُوِّق وسُوِّر، وعُقِد له لواء، وجُعِل أمير الأمراء، ولقب بمعز الدولة، وهو أول ملوك بني بويه، ولقب أخوه الأكبر علي عماد الدولة، والأوسط أبو علي الحسن ركن الدولة، وأُمر أن

---

(١) الديلم: اسم ماء لبني عبس، ويطلق على الديلم بن باسل بن ضبة، وذلك أنه لما سار باسل إلى العراق وأَرض فارس، استخلف ابنه على أَرض الحجاز، فقام بأمر أَبيه وحمى الأحماء وحوض الحياض، فلما بلغه أَن أَباه قد أَوغل في أرض فارس، أقبل بمن أطاعه إلى أبيه حتى قدم عليه بأدنى جبال جيلان، ولما سار الديلم إلى أبيه أوحشت دياره وتعفت آثاره، والديلم هم الأتراك، وهم قوم من الأعاجم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥٤٤/٢، ولسان العرب، ابن منظور، ٢٩٩/٤ و ٣٢/٢ و ٦٧/٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٧٣/١١-١٧٤.

تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم، ونزل الديلم والأتراك دور الناس، فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة، وصار رسماً عليهم بعد ذلك، وهو أول من فعله ببغداد، ولم يعرف بها قبله، وأقيم للمستكفي بالله كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته، وكانت ربما تأخرت عنه، فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت إليه، تولاها أبو أحمد الشيرازي كاتبه.(١)

وقد أجبر معز الدولة الخليفة المستكفي في أن يأذن له أن يستكتب ابن شيرزاد(٢)، وأن يأذن له بالظهور، وكان المستكفي قد حلف ألا يتصرف ابن شيرزاد في أيامه ودولته، فأصر معز الدولة على الخليفة، حتى أجاب المستكفي على كره منه، وقد تغرغرت عيناه بالدموع لعظم ما ورد عليه من سؤال ابن بويه.(٣)

ثم كان خلع المستكفي على يدي معز الدولة الذي دخل عليه في يومٍ، فسلَّم عليه وقبَّل الأرض، وقبَّل يد المستكفي، وطرح له كرسي، فجلس، ثم تقدم رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى المستكفي، وطالبا بالرزق، فلما مدا أيديهما ظن أنهما يريدان تقبيل يده، فناولهما يديه فجذباه، فنكساه من السرير، ووضعا عمامته في عنقه، وجراه، ونهض معز الدولة، واضطرب الناس، ودخل الديلم إلى دور الحُرَم، وحُمل المستكفي راجلا إلى دار معز الدولة، فاعتقل بها، وخلع من الخلافة، ونهبت الدار حتى لم يبق فيها شيء، وسمل المستكفي.(٤)

وقد ذكر المسعودي أن سبب خلع معز الدولة للمستكفي، أن الحرب لما طالت بين أبي محمد الحسين بن عبدالله بن حمدان وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان في الجانب الشرقي، وبين معز الدولة الديلمي في الجانب الغربي، والمستكفي معه، اتهم معز الدولة المستكفي بمسألة بني حَمْدَان، ومكاتبتهم بأخباره، وإطلاعهم على أسراره.(٥)

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٤٢، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/٢٠٦.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، أرسله ابن رائق إلى الراضي وبجكم برسالة فأكرموه، ثم اتخذه بجكم وزيرا له، وكان له يد في وزارة البريدي، ثم لما كان عهد المتقي، أقام ابن شيرزاد في بغداد، وكان يأمر وينهى، ولا يراجع المتقي في شيء، فظلم الناس وعسفهم وصادرهم. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/١٤٣ و ١٤٤ و ١٧٨.

(٣) ينظر: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مؤلف مجهول، تحقيق: عمر السعيدي، ٢/٤٣١.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٤٥.

(٥) ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ٤/٣٧١.

أما الذهبي فقد ذكر أن امرأة تدعى عَلَم القهرمانة[1] كانت واصلة عند الخليفة، وتأمر وتنهى، فعملت دعوة عظيمة حضرها خُرْشيد الديلمي مقدم الديلم وجماعة من القواد، فاتهمها معز الدولة، وخاف أن تأخذ البيعة من هؤلاء الديلم للمستكفي، فتزول رئاسة معز الدولة، وكان إصفهد الديلم[2] قد شفع إلى الخليفة في رجل شيعي يثير الفتن، فلم يقبل الخليفة شفاعته، فحقد على الخليفة، وقال لمعز الدولة: إن الخليفة يراسلني في أمرك لألقاه في الليل. فقوي سوء ظن معز الدولة.[3]

وقيل: إن هذا الرجل الشيعي الذي قبض عليه المستكفي، ورفض شفاعة إصفهد فيه يعرف بالشافعي من باب الطاق، وكان رئيس الشيعة.[4]

وقد كان سبب تشيع البويهيين هو دخولهم للإسلام على يد الناصر الأطروش الإمام الزيدي عندما كان داعية في الديلم، وقد ذكر الشهرستاني أن الزيدية كانت تقول بإمامة المفضول مع وجود الفاضل، ثم مالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية.[5]

وقد ذكر أحمد الكسروي الذي ترك مذهب التشيع واعتنق المذهب السني أن البويهيين لما استولوا على بغداد كانوا من الشيعة الإمامية[6]. والذي يظهر من ذلك أنهم تحولوا إلى مذهب الإمامية عندما استولوا على بغداد، أو قبل استيلائهم بقليل.

قال ابن خلدون عن الزيدية:"وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان، وهو الحسن ابن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط، وأخوه محمد بن زيد، ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأطروش منهم، وأسلموا على يده، وهو الحسن

---

(١) وهي التي أشارت بتولية المستكفي الخلافة، وخلع المتقي. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٨٧/٧.

(٢) الإصفهد: هو خال معز الدولة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، حاشية المحقق رقم (٧)، ١١٢/١٥.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٤١هـ-٣٥٠هـ)، الذهبي، ٢٦.

(٤) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مؤلف مجهول، تحقيق: عمر السعيدي، ٤٣٣/٢.

(٥) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١٥٦/١.

(٦) في كتابه الشيعة والتشيع ص٤٢، نقلا عن كتاب: أصول مذهب الشيعة، ناصر القفاري، ٨٥٥/٢.

بن علي ابن الحسن بن علي بن عمر، وعمر أخو زيد بن علي، فكانت لبنيه بطبرستان دولة، وتوصل الديلم من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد".[1]

هذا ما كان من البويهيين في عهد الخليفة المستكفي، لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد واستمروا بهذه السياسة مع الخلفاء الذين بعده كما سيتبين في المبحث التالي.

ويتبين أيضا مدى نقض الروافض لعهودهم وأيمانهم، فمعز الدولة أعطى الأيمان للمستكفي على السمع والطاعة وعدم الخروج، وكذلك المستكفي حلف له، ومع ذلك فقد نقض معز الدولة أيمانه بأسرع وقت، وفعل ما فعل بالمستكفي، الذي كان ضعيفا أمامهم.

---

(١) مقدمة تاريخ ابن خلدون، ١/٢٠٠.

المبحث الرابع
سيطرة البويهيين على الحكم في زمن الخليفة المطيع لله

يروي لنا ابن الأثير ما حدث بعد خلع الخليفة المستكفي فيقول:"لما ولي المستكفي بالله الخلافة خافه المطيع، وهو أبو القاسم الفضل بن المقتدر، لأنه كان بينهما منازعة، وكان كل منهما يطلب الخلافة، وهو يسعى فيها، فلما ولي المستكفي خافه واستتر منه، فطلبه المستكفي أشد الطلب، فلم يظفر به، فلما قدم معز الدولة بغداد قيل: إن المطيع انتقل إليه، واستتر عنده، وأغراه بالمستكفي حتى قبض عليه وسلّمه، فلما قُبض المستكفي بويع للمطيع لله بالخلافة يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة - (٣٣٤هـ) - ولقب المطيع لله، وأحضر المستكفي عنده، فسلم عليه بالخلافة، وأشهد على نفسه بالخلع.

وازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق لهم من الأمر شيء ألبتة، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل، والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه، بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير، إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد.

وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون، ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة، وأخذوها من مستحقيها، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة، حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوي، أو لغيره من العلويين، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصه فإنه قال: ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه. فأعرض عن ذلك، فهذا كان من أعظم الأسباب في زوال أمرهم ونهيهم، مع حب الدنيا، وطلب التفرد بها.

وتسلم معز الدولة العراق بأسره، ولم يُبْق بيد الخليفة منه شيء ألبتة، إلا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته".[1]

وأصبح معز الدولة كلما أراد الخروج للقتال استصحب معه الخليفة المطيع، ففي عام(٣٣٤هـ) خرج معز الدولة البويهي لقتال ناصر الدولة الحمداني، وأخذ معز الدولة معه الخليفة المطيع، ثم قام معز الدولة بحصر الخليفة المطيع، والتوكيل به، ثم لما كان عام(٣٣٥هـ) استقر معز الدولة ببغداد، واستحلف المطيع لله أنه لا يبغيه سوءاً، ولا يمالي عليه عدواً، ثم أزال عنه التوكيل، وأعاده إلى داره.[2]

ثم لما كان في نفس سنة(٣٣٥هـ) خرج معز الدولة لقتال البريدي والي البصرة، وأمر بإخراج الخليفة المطيع معه، وسار معز الدولة من البصرة إلى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة، وأقام الخليفة بالبصرة، ثم عاد معز الدولة إلى بغداد، وعاد المطيع أيضاً إليها.[3]

ولما افتتح معز الدولة البصرة قطع عن الخليفة ألفي الدرهم التي كان يقيمها له في كل يوم لنفقته، وعوضه عنها ضياعاً من ضياع البصرة وغيرها، زيادة على قدر ضياع الخليفة بنحو مائتي ألف دينار في السنة، ثم نقص ارتفاعها على ممر السنين حتى صار خمسين ألف دينار في السنة.[4]

وبناء على هذه السيطرة الكلية من بني بويه على الخليفة انتشر مذهب الروافض انتشارا كبيرا في بغداد، وقد دامت خلافة المطيع لله قرابة تسعا وعشرين سنة، أي من سنة(٣٣٤هـ) إلى سنة(٣٦٣هـ)، فكانت فيها أمور شنيعة من الروافض، منها:

- أنه في عام(٣٣٨هـ) وقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة.[5]

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٠٧/٧-٢٠٨.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٤٧/١٤ و ٥٤.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٢١/٧.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٦٤/١٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٧٥/١٤.

- وفي عام(٣٤٠هـ) رُفِع إلى الوزير أبي محمد المهلبي[١] أن رجلاً يعرف بالبصري مات ببغداد، وهو مقدم القراقرية، يدّعي أن روح أبي جعفر محمد بن علي بن أبي القراقر (الشلمغاني) قد حلت فيه، وأنه خلف مالاً كثيراً كان يجبيه من هذه الطائفة، وأن له أصحاباً يعتقدون ربوبيته، وأن أرواح الأنبياء والصديقين حلت فيهم، فأمر بالختم على التركة، والقبض على أصحابه، والذي قام بأمرهم بعده، فلم يجد إلا مالاً يسيراً، ورأى دفاتر فيها أشياء من مذاهبهم، وكان فيهم غلام شاب يدعي أن روح علي بن أبي طالب حلّت فيه، وامرأة يقال لها فاطمة تدعي أن روح فاطمة حلّت فيها، وخادم لبني بسطام يدعي أنه ميكائيل، فأمر بهم المهلبي فضربوا ونالهم مكروه، ثم إنهم توصلوا بمن ألقى إلى معز الدولة أنهم من شيعة علي بن أبي طالب، فأمر بإطلاقهم، وخاف المهلبي أن يقيم على تشدده في أمرهم، فينسب إلى ترك التشيع، فسكت عنهم.[٢]
- وفى رمضان من هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بالكرخ[٣] بسبب المذهب.[٤]
- وفي عام(٣٤٥هـ) وقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سبّ الصحابة من أهل قم، فثار عليهم أهل أصبهان، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، ونهبوا أموال التجار، فغضب ركن الدولة لأهل قم لأنه كان شيعيا، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة.[٥]

---

(١) هو الحسن بن محمد بن عبدالله بن هارون الأزدي، أبو محمد، من ولد المهلب بن أبي صفرة، وزر لمعز الدولة، وكان سريا، جوادا، ممدحا، مقربا للعلماء، أصابته فاقة في شبيبته، وتغرب، ثم تنقلت به الأحوال، حتى تولى الوزارة، وكان أديبا مترسلا، بليغا، شاعرا، سائسا، له أخبار في الكرم والمروءة، نال أولا في الوزارة، عن أبي جعفر الصيمري، فمات الصيمري، فولاه مكانه معز الدولة، ثم وزر للمطيع، ولقبوه ذا الوزارتين، توفي سنة(٣٥٢ه) وعاش نيفا وستين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٦/١٩٧-١٩٨.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/٢٣٩-٢٤٠، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٢٢٤.

(٣) الكرخ: المقصود بها كرخ بغداد وهي منطقة الأسواق فيها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٤٤٨.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٨٤.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٢٣٠، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٧/٢٥٧.

- وأيضا في عام(٣٤٦هـــ) وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة بسبب السبّ، فقُتل من الفريقين خلق كثير.[١]
- وفي سنة(٣٤٧هـــ) في المحرم منها ركب معز الدولة البويهي إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة الحمداني، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين، ثم إلى ميافارقين، فلحقه معز الدولة، فصار إلى حلب عند أخيه سيف الدولة الحمداني، ثم أرسل سيف الدولة إلى معز الدولة في المصالحة بينه وبين أخيه، فوقع الصلح على أن يحمل ناصر الدولة في كل سنة ألفي ألف وتسعمائة ألف، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح، وقد امتلأت البلاد رفضا، وسبّا للصحابة من بني بويه، وبني حمدان، والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرا وشاما وعراقا وخراسان، وغير ذلك من البلاد كانوا رفَّضا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة.[٢]
- وأيضا في عام(٣٤٨هـــ) و (٣٤٩هـــ) وقعت فتن كبيرة بين أهل السنة والشيعة، هلك بسببها خلق كثير.[٣]
- وقد استفحل أمر الروافض في بغداد حتى كتبت العامة من الروافض عام(٣٥١هـــ) على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكتبوا أيضا: ولعن الله من غصب فاطمة رضي الله عنها حقها. وكانوا يلعنون أبا بكر رضي الله عنه، ومن أخرج العباس رضي الله عنه من الشورى، يعنون عمر رضي الله عنه، ومن نفى أبا ذر رضي الله عنه، يعنون عثمان رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين، وعلى من لعنهم لعنة الله، ولعنوا من منع من دفن الحسن رضي الله عنه عند جده، يعنون مروان بن الحكم، قال ابن كثير بعد ذكره لهذه الحوادث:"ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٣٢/١١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٢٣٢/١١-٢٣٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٣٤/١١ و ٢٣٦.

ينكر ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك، [فأمر بأن يكتب: لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن. فكُتِب ذلك][1]. قبحه الله وقبح شيعته من الروافض، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم، وتركهم أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام، وكان فيهم الرفض وغيره، استحوذ الفرنج على سواحل بلاد الشام كلها حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب، وحمص، وحماة، ودمشق، وبعض أعمالها، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج، والنواقيس النصرانية والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع، وتكفر[2] في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع، والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء".[3]

- وفي نفس تلك السنة(٣٥١هـ) وقعت أيضا فتنة بين أهل البصرة بسبب السبّ أيضا، قتل فيها خلق كثير وجم غفير.[4]
- وذكر ابن كثير أيضا أنه:"في عاشر المحرم من عام(٣٥٢هـ) أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق، وأن يلبس النساء المسوح من الشعر، وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجههن، ناشرات شعورهن، يلطمن

(١) هذا النص مأخوذ من النسخة التي حققها الدكتور عبدالله التركي، لأن النص لا يستقيم إلا بها. ١٥/٢٥٥.

(٢) في البداية والنهاية النسخة المحققة: (تكنو) أي تستتر. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/١٧٤.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٢٤٠-٢٤١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١١/٢٤١.

وجوههن، ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة، وظهورهم، وكون السلطان معهم".[1]

ويقول ابن تغري بردي عن هذه الحادثة:"وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد، وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه، ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه، وكلّ منهم رافضي خبيث".[2]

- وفي[ثامن][3]عشر ذي الحجة من سنة(٣٥٢هـ) نفسها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء، وعند الشُرط، فرحا بعيد الغدير (غدير خم) فكان وقتا عجيبا مشهودا، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة".[4]

وهذه البدعة انتشرت عند الروافض بناء على الحديث الصحيح الذي رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بغدير خم - موضع ماء بين مكة والمدينة – فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: ((أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: ((وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)).[5]

إلا أنهم زادوا عليه وافتروا على الرسول صلى الله عليه وسلم الافتراءات الباطلة، ونسبوا له ما لم يقله، وما لم يفعله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"فزاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه عهد إلى علي رضي الله عنه بالخلافة بالنص الجلي بعد أن فرش لـــه

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤٣/١١.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ٣٨٤/٣.

(٣) البداية والنهاية، نسخة الدكتور عبدالله التركي، ٢٦١/١٥.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤٣/١١.

(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث (٢٤٠٨).

وأقعده على فرش عالية، وذكروا كلاماً باطلاً وعملاً قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء".[1]

- وفي سنة(٣٥٣هـ) في عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم في السنة الماضية، فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالا شديدا، وانتهبت الأموال.[2]
- وأيضا في سنة(٣٥٤هـ) يذكر ابن كثير أنه:"في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مآتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقت الأسواق، وعلقت المسوح، وخرجت النساء سافرات ناشرات شعورهن ينحن ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة على الحسين"ويعلق ابن كثير بعد ذكره لهذا الخبر فيقول:"وهذا تكلف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمرا محمودا لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرها وهم أولى به، [إذ لو كان خيرا لسبقونا إليه][3]، وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجدهم مسجد براثا الذي هو عش الروافض، وقتلوا بعض من كان فيه من القَوَمَة".[4]
- وفي سنة(٣٥٦هـ) عملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على عادة ما ابتدعوه من النوح وغيره كما تقدم، ولما كان ثالث عشر ربيع الأول منها توفي أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي – الذي أظهر الرفض ويقال له معز الدولة – بعلة الذَّرَب، فصار لا يثبت في معدته شيء بالكلية، فلما أحس بالموت أظهر التوبة، وأناب إلى الله عز وجل ورد كثيرا من المظالم، وتصدق بكثير من ماله، وأعتق طائفة كثيرة من مماليكه، وعهد بالأمر إلى ولده بختيار عز الدولة، وقد اجتمع ببعض العلماء، فكلمه في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ٢٩٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٥٣/١١.

(٣) المصدر السابق، النسخة المحققة، ٢٦٩/١٥.

(٤) المصدر السابق، ٢٥٤/١١.

السنة، وأخبره أن عليا زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، فقال: والله ما سمعت بهذا قط. ورجع إلى السنة ومتابعتها، ولما حضر وقت الصلاة خرج عنه ذلك الرجل العالم، فقال له معز الدولة: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الصلاة. فقال له: ألا تصلي ههنا؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: لأن دارك مغصوبة. فاستحسن منه ذلك.[1]

إلا أن توبة معز الدولة ورجوعه عن مذهب الروافض لا تعني توقف الشعائر الرافضية التي كانت تعمل في بغداد، بل استمر الأمر على ما هو عليه.

- ففي سنة(٣٦١هـ) في عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم.[2]

وذكر ابن كثير حادثة في هذه السنة تدل على ضعف الخليفة المطيع لله أمام بني بويه، وتركهم شعيرة الجهاد في سبيل الله، فيقول:"وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر، فقتلوا خلقا من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن وصلوا نصيبين ففعلوا ذلك، ولم يغن عن تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان متوليها شيئا، ولا دافع عنهم، ولا له قوة، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد، وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستنصرونه ويستصرخون، فرثى لهم أهل بغداد وجاؤوا معهم إلى الخليفة، فلم يمكنهم ذلك، وكان بختيار بن معز الدولة مشغولا بالصيد، فذهبت الرسل وراءه، فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى أبي تغلب أن يعد الميرة والإقامة، فأظهر السرور والفرح، ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الروافض وأهل السنة، وأحرق أهل السنة دور الروافض في الكرخ، وقالوا: الشر كله منكم. وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالا يستعين بها على هذه الغزوة، فبعث إليه يقول: لو كان الخراج يجيء إليّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه في وجه ليس بالمسلمين إليها ضرورة، وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك. فترددت الرسل بينهم، وأغلظ بختيار للخليفة في الكلام وهدده، فاحتاج الخليفة

---

(١) المصدر السابق، ٢٦٢/١١.

(٢) المصدر السابق، ٢٧١/١١.

أن يحصل له شيئا، فباع بعض ثياب بدنه، وشيئا من أثاث بيته، ونقض بعض سقوف داره، وحصل له أربعمائة ألف درهم، فصرفها بختيار في مصالح نفسه، وأبطل تلك الغزاة، فنقم الناس للخليفة، وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضي من أخذه مال الخليفة، وتركه الجهاد، فلا جزاه الله خيرا عن المسلمين".[1]

- وأيضا في سنة(٣٦٢هـ) في عاشر محرمها عملت الروافض من النياحة وتعليق المسوح وغلق الأسواق ما تقدم قبلها.[2]

وفيها عزل عز الدولة بختيار بن معز الدولة الوزير أبا الفضل الشيرازي، لأنه كان شديد التعصب للسنة، ولأنه أخذ بثأر رجل سني من العامة قتله الروافض في الكرخ.[3]

- وفي سنة(٣٦٣هـ) وهي السنة التي خلع فيها الخليفة المطيع لله، في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة جملا، وسمّوها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقال نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك الفريقين خلق كثير، وعاث العيارون في البلد فسادا، ونهبت الأموال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا، فسكنت الفتنة.[4]
- وفيها وقعت الفتنة بالبصرة بين الديالم — الروافض – والأتراك — السنة – فقويت الديالم على الترك بسبب أن الملك فيهم، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وحبسوا رؤوسهم، ونهبوا كثيرا من أموالهم، وكتب عز الدولة إلى أهله: إني سأكتب إليكم أني قدمت، فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح، واجلسوا للعزاء، فإذا جاء سبكتكين الحاجب[5] للعزاء فاقبضوا عليه، فإنه

---

(١) المصدر السابق، ١١/٢٧١-٢٧٢.

(٢) المصدر السابق، ١١/٢٧٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١١/٢٧٣.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ١١/٢٧٥.

(٥) هو سبكتكين الحاجب الكبير لمعز الدولة، خلع عليه الطائع وطوقه وسوره، ولقبه نصر الدولة، وكانت مدة إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً، توفي سنة(٣٦٤هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٢٣٧-٢٤٠.

ركن الأتراك ورأسهم، فلما جاء الكتاب إلى بغداد بذلك أظهروا النوح، وجلسوا للعزاء، ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة، فلم يقربهم، وتحققت العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك، فحاصر دار عز الدولة يومين، ثم أنزل أهله منها، ونهب ما فيها، وأحدرهم إلى دجلة، وإلى واسط منفيين، وكان قد عزم على إرسال الخليفة المطيع معهم، فتوسل إليه الخليفة، فعفا عنه وأقره بداره، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديالم، وخلع سبكتكين على رؤوس العامة، لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة، وأحرقوا الكرخ لأنه محل الرافضة ثانيا، وظهرت السنة على يدي الأتراك، وخلع المطيع وولي ولده.[1]

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٧٥/١١.

المبحث الخامس

قوة شوكة بني بويه في عهد الخليفة الطائع لله وسيطرتهم عليه

لما كان عام(٣٦٣هـــ) ظهر ما كان الخليفة المطيع لله يستره من مرضه، وتعذرت الحركة عليه، وثقل لسانه لأجل فالج ناله قديماً، فدعاه سبكتكين حاجب معز الدولة إلى خلع نفسه، وتسليم الأمر إلى ولده الطائع، ففعل ذلك.(١)

قال الذهبي:"وكان هو وابنه مستضعفين مع بني بويه، و لم يزل أمر الخلفاء في ضعف، إلى أن استخلف المقتفي لله فانصلح أمر الخلافة قليلاً".(٢)

وقد ذكرت في المبحث السابق أن السنة ظهرت على أيدي الأتراك، وأن أهل السنة تقووا على الشيعة، إلا أن الأمر لم يدم طويلا، فقد استمرت الفتن بين السنة والشيعة في بغداد، وجاء عضد الدولة ابن ركن الدولة وابن عم عز الدولة بختيار بن معز الدولة عام(٣٦٤هـــ) إلى بغداد، وحاصر الأتراك بقيادة أفتكين، فتواجه الأتراك مع عضد الدولة فهزمهم، فهربوا إلى تكريت، وأخرج أفتكين معه الخليفة الطائع لله وهو كاره لذلك، فرده عضد الدولة مكرما إلى دار الخلافة، ونزل هو بدار الملك، واستولى على حكم عز الدولة بختيار.(٣)

وقد بلغ ضعف الخليفة الطائع وسيطرة بني بويه عليه أن كتب عضد الدولة عن الطائع إلى الآفاق باستقرار الأمر لعضد الدولة.(٤)

وقطعت الخطبة للخليفة الطائع لله في مكة والمدينة في موسم سنة(٣٦٣هـــ) و(٣٦٤هـــ)، وخطب فيها للخليفة الفاطمي المعز، وقطعت الخطبة للطائع أيضا في بغداد سنة(٣٦٤هـــ) قرابة شهرين، فلم يخطب فيها لإمام.(٥)

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٢٣/١٤.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٥١هـــ-٣٨٠هـــ)، الذهبي، ٢٥٤.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٥٠/٧-٣٥١.

(٤) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٣٥/١٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٢٣٥/١٤.

وكان الخليفة يتقرب لبني بويه ويطلب ودهم، ففي عام(٣٦٤هـ) تزوج الخليفة بشاه زنان بنت عز الدولة على صداق مائة ألف دينار، ثم في عام(٣٦٩هـ) تزوج بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الطائع، وبمشهد من الأشراف والقضاة والشهود ووجوه الدولة، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وفي رواية مائتي ألف دينار.[1]

ولما أراد عضد الدولة الخروج للحاق بابن عمه عز الدولة وقتاله وذلك عام(٣٦٧هـ)، أخذ عضد الدولة الخليفة الطائع لله معه، فاستعفاه فأعفاه، ولما خرج عضد الدولة مرة أخرى لقتال عز الدولة في نفس السنة أراد إخراج الخليفة معه، فاستعفاه فأعفاه.[2]

ولما استقر أمر عضد الدولة ببغداد خلع عليه الخليفة الخلع السنية، والأسورة والطوق، وأعطاه لواءين أحدهما ذهب والآخر فضة، ولم يكن هذا لغيره إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالا جزيلة من الذهب والفضة واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد[3]، وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بني بويه، ودانت له البلاد والعباد.[4]

ولما أراد عضد الدولة دخول بغداد، تلقاه الخليفة الطائع لله بظاهر البلد[5]، ويعلق ابن تغري بردي على هذا الخبر فيقول:"ولم يكن ذلك بعادة أن الخليفة يلاقي أحداً من الأمراء... وهذا كان أولاً، وأما في الآخر فإن الطائع كان قد بقي تحت أوامر عضد الدولة كالأسير".[6]

وفي عام(٣٦٨هـ) أمر الخليفة الطائع بأن تقام الخطبة لعضد الدولة على منابر الحضرة تالية للخطبة له، وأن تضرب على بابه ببغداد الدبادب في أوقات الصلوات الثلاث الغداة والمغرب والعشاء، قال ابن الجوزي بعد ذكره لهذا الخبر:"وهذان أمران لم يكونا من

---

(١) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٣٦/١٤ و ٢٧١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٨٩/١١ و ٢٩١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٨٩/١١.

(٤) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ١٤٦/٤.

(٥) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٢٥٢/١٤.

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ١٤٢/٤.

قبل ولا أطلقا لولاة العهود، ولا خطب بحضرة السلطان إلا له، ولا ضربت الدبادب إلا على بابه، وقد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدبادب بمدينة السلام، وسأل المطيع لله ذاك، فلم يأذن له".[1]

وقال الذهبي:"وما ذاك إلا لضعف أمر الخلافة".[2]

وكان من عادة البويهيين حب الألقاب والتفاخر بها، كما سبق مع أحمد بن بويه وإخوته وابنه، وكذلك الحال مع عضد الدولة، فقد سأل الخليفة الطائع لله أن يزيد في لقبه (تاج الملة)، ويجدد الخلع عليه، ويلبسه التاج والحلي المرصع بالجوهر، فأجابه إلى ذلك وجلس الطائع على سرير الخلافة في صدر صحن السلام، وحوله من خدمه الخواص نحو مائة بالمناطق والسيوف والزينة، وبين يديه مصحف عثمان، وعلى كتفيه البردة، وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء عضد الدولة وقدم مظاهر الولاء والطاعة للطائع، ثم قال له الطائع:"نيتك موثوق بها، وعقيدتك مسكون إليها"وأومأ برأسه، ثم قال له الطائع:"قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله تعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي، وما وراء بابي، فتول ذلك مستخيرا بالله تعالى"وكان ذلك عام(٣٦٩هـ).[3]

ويتبين من ذلك كيف أن الخليفة الطائع كان يتقرب إليهم بالمدح والخلع وإضفاء الألقاب عليهم، مع علمه بعقائدهم، وبما أحدثوه من بدع في بغداد، وبتقويتهم للشيعة على أهل السنة، وباضطهادهم لأهل السنة.

وفي عام(٣٧٢هـ) مات عضد الدولة، وأجلس ابنه صمصامة على الأرض، وعليه ثياب السواد، وجاءه الخليفة معزيا، وناح النساء عليه في الأسواق حاسرات عن وجوهن أياما كثيرة، ولما انقضى العزاء ركب ابنه صمصامة إلى دار الخلافة، فخلع عليه الخليفة سبع

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٢٦٠.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام٣٥١هـ-٣٨٠هـ)، الذهبي، ٢٧١.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٢٦٩.

خلع، وطوقه، وسوره، وألبسه التاج، ولقبه شمس الدولة، وولاه ما كان يتولاه أبوه، وكان يوما مشهودا.[1]

ولما تغلب شرف الدولة على أخيه صمصام الدولة فأسره وقتله، ثم دخل بغداد، فتلقاه الخليفة الطائع، وهنأه بالسلامة، وذلك عام(٣٧٦هـــ)[2]، فلما كان العام الذي بعده، ركب شرف الدولة إلى دار الطائع لله، بعد أن ضربت القباب على شاطىء دجلة، وزينت الدور التي عليها من الجانبين بأحسن زينة، وخلع عليه الخلع السلطانية، وتوّجه، وطوقه، وسوّره، وعقد له لواءين، واستخلفه على ما وراء بابه.[3]

ولما مات شرف الدولة عام(٣٧٩هـــ) وكان قد عهد إلى ابنه أبي نصر من بعده، ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الطائع، وخلع عليه الخلع السلطانية، وخرج وعليه سبع طاقات أعلاها سواد، وعلى رأسه عمامة سوداء، وفي عنقه طوق كبير، وفي يده سواران، ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق، وقدم إلى الطائع لواءيه حتى عقدهما بيده، ولقب بهاء الدولة وضياء الملة.[4]

هذه بعض مظاهر سيطرة البويهيين على الطائع لله وعلى ما تحت يده، ولكن بقي أن نطلع على مظاهر التشيع التي كانت في عهد الطائع بسبب سيطرة البويهيين، والتي منها:

أن عضد الدولة هو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة، وبنى عليه المشهد الذي هناك.[5]

قال عنه الذهبي:"وكان شيعيا جلدا، أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومأتم عاشوراء، والاعتزال".[6]

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٠١/١١.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣١٨/١٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣٢١/١٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٣٣٨/١٤-٣٣٩.

(٥) ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد، ٣٨٩/٤.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥٠/١٦.

وهو أول من تسمى بشاهنشاه، أي ملك الملوك[1]، ويعلق ابن كثير على ذلك بأنه ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أوضع اسم – وفي رواية: أخنع اسم – عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله عز وجل)).[2]

وقد قال أبياتا من الشعر فيها بيت لم يفلح بعده أبدا، وهي:

ليس شرب الكأس إلا في المطـــر	وغناء مــــن جــــوار في الســـــحر
غانيــــــات سالــــــبات للنــــهى	ناغمـــــات في تضـــاعيف الــــوتر
مبرزات الكـــأس مـــن مطلعهـــا	ساقيات الراح من فـــاق البشـــر
عضد الدولة وابـــن ركنــــــــها	ملك الأمـــلاك غـــلاب القـــدر
سهـــــــــــل الله لــــــه بغيتـــــه	في ملوك الأرض مــــا دار القمـــر
وأراه الخـــــــــــــير في أولاده	ليساس الملك منه بالغــــــــــرر[3]

قال ابن كثير بعد ذكره لهذه الأبيات:"قبحه الله، وقبح شعره، وقبح أولاده، فإنه اجترأ في أبياته هذه، فلم يفلح بعدها، فيقال: إنه حين أنشد قوله: غلاب القدر، أخذه الله فأهلكه، ويقال: إن هذه الأبيات إنما أنشدت بين يديه، ثم هلك عقيبها".[4]

ويروي الذهبي أنه كان في عهد عضد الدولة مجالس للكلام، يروي أحد الذين حضروها ثم لم يعودوا إليها لشناعة ما فيها فيقول:"فأول مجلس جمعوا الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنصارى والمجوس والدهرية، ولكل فريق رئيس يتكلم وينصر مذهبه، فإذا جاء رئيس قام الكل له، فيقول واحد: تناظروا، ولا يحتج أحد بكتابه، ولا بنبيه، فإنا لا نصدق بذلك ولا نقر به، بل هاتوا العقل والقياس. فلما سمعت هذا لم أعد، ثم قيل لي: ها هنا مجلس آخر للكلام، فذهبت فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء".[5]

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام٣٥١هـ-٣٨٠هـ)، الذهبي، ٥٢٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٩٩/١١، والحديث رواه البخاري بلفظ: ((أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك))، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، رقم الحديث (٦٢٠٥).

(٣) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، ٢٥٩/٢.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٠٠/١١-٣٠١.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥١/١٦-٢٥٢.

قال الذهبي بعد ذلك:"فنحمد الله على العافية، فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى".[1]

وأختم المبحث بنهاية خلافة الطائع لله، وكيفية خلعه، فقد كانت نهاية خلافته شبيهة بنهاية خلافة المستكفي، وذلك أن الخليفة الطائع جلس كعادته في صدر الرواق من دار السلام متقلدا سيفا، فلما قرب منه بهاء الدولة، قبّل الأرض، وطرح له كرسي، فجلس عليه، وتقدم أصحاب بهاء الدولة، فجذبوا الطائع بحمائل سيفه من سريره، وتكاثر الديلم فلُفَّ في كساء وحمل، وكثر السلب والنهب، وأظهر أمر القادر بالله، ونودي بذلك في الأسواق، وكتب إلى الطائع كتاب بخلع نفسه، وتسليمه الأمر إلى القادر بالله، وشهد عليه الأشراف والقضاة.[2]

قال ابن الأثير عن الطائع:"ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته".[3]

---

(١) المصدر السابق، ٢٥٢/١٦.

(٢) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٤٨/١٤-٣٤٩.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٥٠/٧.

المبحث السادس
تشيع الخليفة الناصر لدين الله وقبح سيرته

الخليفة الناصر لدين الله هو الخليفة الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباس، وقد طالت مدة خلافته حتى بلغت قرابة السبعة والأربعين عاما، لأنه تولى الخلافة منذ عام(٥٧٥هـ) إلى عام(٦٢٢هـ).

وكان الناصر لدين الله يتشيع، ويميل إلى مذهب الإمامية، وهو خلاف ما كان عليه آباؤه من القادر إلى المستضيء، فإنهم كانوا يذهبون مذهب السلف، وللقادر عقيدة مشهورة في ذلك.[١]

وكان سبب إظهاره للتشيع تأثير ابن الصاحب عليه[٢]، وكان أستاذ الدار حين تولى الناصر الخلافة، وهو المولى الكبير مجد الدين هبة الله ابن الصاحب أستاذ دار الخليفة المستضيء والد الناصر، وقد بلغ ابن الصاحب هذا أعلى الرتب، وصار يولي، ويعزل، وأظهر الرفض، وسب الصحابة، وعزم على قلب الدولة، فقصمه الله.[٣]

قال الذهبي في أحداث سنة(٥٨٣هـ):"وفيها مجد الدين بن الصاحب هبة الله بن علي، ولي أستاذ دارية المستضيء، ولما ولي الناصر، رفع منزلته، وبسط يده، وكان رافضيا سبّابا، تمكن وأحيا شعار الإمامية، وعمل كل قبيح إلى أن طلب إلى الديوان، فقُتل، وأُخذت حواصله".[٤]

وفي سنة(٥٨٢هـ) في يوم عاشوراء منها فُرِش الرَّماد في الأسواق ببغداد، وعُلِقت المسوح، وناح أهل الكَرخ والمختارة، وخرج النساء حاسراتٍ يلطمن وينحن مسافة طويلة، حتى وصلن إلى باب حجرة الخليفة، والخِلَع تُفاض عليهنّ وعلى المنشدين من الرجال، وتعدى الأمر إلى سبِّ الصحابة، وكان أهل الكرخ يصيحون: ما بقي كتمان. وأقاموا ابنة

---

(١) ينظر: المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ١٣٦/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٠٨/١٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١هـ-٦٣٠هـ)، الذهبي، ٨٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٦٤/٢١-١٦٥.

(٤) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ٨٧/٣، وينظر: شذرات الذهب، ابن العماد، ٤٥٨/٦.

قرايا، وكان الظّهير ابن العطار[1] قد كبس دار أبيها، وأخرج منها كُتباً في سبّ الصحابة، فقطع يديه ورجليه، ورجمته العوّام حتى مات، فقامت هذه المرأة تحت منظرة الخليفة، وحولها خلائق وهي تنشد الأشعار وتقول: العنوا راكبةَ الجمل. وتذكر حديث الإفْك، وكلّ ذلك منسوبٌ إلى أستاذ الدّار مجد الدّين ابن الصّاحب، ثم قُتِل بعد.[2]

وفي نفس السنة جَرت فتنة عظيمة بين الرافضة والسُّنة قُتل فيها خلقٌ كثير، وغُلِب أهل الكرخ.[3]

واستوزر الخليفة الناصر سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين سنة(٥٨٤هـ)، وهو الوزير المعروف بابن حديدة، وكان يتشيع.[4]

وأيضا الأمير طاشتكين مجير الدين، وكان قد ولاه الخليفة الناصر على جميع خوزستان، وكان فيه تشيع، ولما مات ولى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر، وهو صهر طاشتكين زوج ابنته.[5]

وأيضا وزر له ابن القصاب[6] وكان رافضيا خبيثا.[7]

---

(١) هو منصور بن نصر بن الحسين الحراني، ثم البغدادي، أبو بكر، ظهير الدين بن العطار، وزير كاتب، كان صاحب (المخزن) للخلفاء، ونائب الوزارة بمصر، ولم تحسن سيرته، ولي الوزارة للمستضيء العباسي سنة(٥٧٣هـ) ببغداد، بعد مقتل الوزير ابن هبيرة، وكان ظهير الدين سبب قتله، قال ابن خلدون: فاستولى على الدولة وتحكم بها. وقال سبط ابن الجوزي: كان في عزمه أن يولي الخلافة أبا منصور فانخرمت عليه القاعدة، فلما بويع الناصر، لم يحضر، واعتذر بالمرض، فقبض عليه الناصر، وحبسه أياما وأخرجه من محبسه ميتا، وفيه آثار الضرب، وذلك سنة(٥٧٥هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ٣٠٦/٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٥٨١هـ-٥٩٠هـ)، الذهبي، ١١-١٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٤) ينظر: المصدر السابق، (حوادث ووفيات عام ٦٠١هـ-٦١٠هـ) ٣٦٧-٣٦٨.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٢١/١٠.

(٦) هو محمد بن علي بن أحمد بن المبارك، أبو الفضل، مؤيد الدين، ابن القصاب، الوزير، قال ابن قاضي شهبة: لما مات أخفي موته، ثم ظهر الأمر ونبشه خوارزمشاه وحز رأسه وطاف به في بلاد خراسان، مات سنة(٥٩٢هـ). ينظر: ذيل الروضتين، أبو شامة المقدسي، ٩.

(٧) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٥٩١هـ-٦٠٠هـ)، الذهبي، ٢٩٥. وذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٤٣٩/٢.

وأيضا الفتح بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن هبة الله بن عبد السّلام بن يحيى، عميد الدّين، قيل عنه: إنه كان مشتهراً بالتّشيع والغلوّ فيه على مذهب الإمامية، وكانت له علاقة بالخليفة الناصر.[1]

وكتب الأفضل علي بن يوسف – وكان فيه تشيع – إلى الخليفة الناصر يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر بأبيات من نظمه يقول فيها:

مولاي إن أبـــا بكـــــر وصـــاحبه ... قد غصبا بالسيف حـــــــــق علي

وهو الذي كـــان قـــد ولاه والـــده ... عليهما واستقام الأمـــر حـــين ولي

فحـــالفاه وحـــلا عقـــــد بيعتـــه ... والأمر بينهما والـــنص فيـــه جلـــي

فانظر إلى خط هذا الاســـم كيـــف ... لقي منه الأواخر ما لاقى مـــن الأول

فجاءه في جواب الناصر لدين الله:

وافى كتابك يـــا ابن يوســـف معلنا ... الود يخبر أن أصلـــــك طـــاهر

غصـــبوا عليـــا حقـــه إذ لم يكـــن ... بعد النبـــي لـــه بطيبـــة ناصـــر

فأبشر فإن غـــدا عليـــه حســـابهم ... واصبر فناصرك الإمـــام الناصـــر

قال الذهبي بعد ذكره لذلك:"وقيل - ولم يصح - إنه جرد سبعين ألفا لنصرته، فجاءه الخبر أن الأمر قد فات، فبطل التجريد".[2]

وقال القلقشندي:"ثم لم يزل عنه شكواه، ولم يدفع عنه لاواه".[3]

وسئل ابن الجوزي والخليفة الناصر يسمع: من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أفضلهم بعده من كانت بنته تحته.[4]

قال الذهبي:"وهذا جواب محتمل لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما".[5]

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦٢١هـ-٦٣٠هـ)، الذهبي، ٢٠٦-٢٠٨.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١هـ-٦٣٠هـ)، الذهبي، ١٢٤.

(٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، ١٩٣.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١هـ-٦٣٠هـ)، الذهبي، ٩٠.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

والذي يظهر أن السائل كانت غايته إحراج ابن الجوزي كي يجيب بما يخالف رأي الخليفة الناصر، فأتى ابن الجوزي بهذا الأمر الموهم خوفا منه.

وقال الذهبي:"وبلغني أن شخصا كان يرى صحة خلافة يزيد، فأحضره الخليفة ليعاقبه، فقيل له: أتقول بصحة خلافة يزيد؟ فقال: أنا أقول: إن الإمام لا ينعزل بارتكاب الفسق. فأعرض الناصر عنه، وأمر بإطلاقه، وخاف المحاققة".(١)

وذكر ابن كثير أن هناك سردابا في مشهد موسى الكاظم بن جعفر الصادق كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله ليدفن فيه إذا مات.(٢)

وكان الخليفة الناصر قبيح السيرة في رعيته، ظالماً، فخرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان، فبقيت مدة، ثم قُطع ذلك، ثم عمل دور الضيافة للحجاج، فبقيت مدة، ثم أبطلها، وأطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد خاصة، ثم أعادها، ولم يطلق في طول مرضه شيئاً مما كان أحدثه من الرسوم الجائرة، وقد استمر مرضه ثلاث سنوات، وجعل جل همه في رمي البندق، والطيور المناسيب، وسراويلات الفتوة، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعظم الأمور.(٣)

ثم قال ابن الأثير بعد ذكره لما سبق:"وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب".(٤)

وقال أبو الفداء(٥):"وقد نُسِب الإمام الناصر أنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/٢٦٨.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠/٤٥٢-٤٥٣.

(٤) المصدر السابق، ١٠/٤٥٣.

(٥) هو الملك المؤيد صاحب حماة، إسماعيل بن علي، الإمام العالم الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا ابن الأفضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور، صاحب حماة، مات في الكهولة سنة(٧٣٢هـ). ينظر: فوات الوفيات، الكتبي، ١/١٨٣-١٨٨.

البلاد، بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش[١] من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق".[٢]

وقد كتب جلال الدين[٣] بن خوارزم شاه إلى المعظم بن العادل يقول: تجيء أنت، واتفق معي حتى نقصد الخليفة، فإنه كان السبب في هلاك أبي، وفي مجيء التتار، وجدنا كتبه إلى الخطا[٤]، وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل.[٥]

وقد ذكر الذهبي هذه القصة مفصلة في تاريخه، فقال:"وقال أبو المظفر ابن الجوزي:...كان قد أفنى ملوك خُراسان، وما وراء النهر[٦]، وقتل صاحب سمرقند، وأخلى البلاد، من الملوك، واستقلّ بها، فكان ذلك سبباً لهلاكه، ولما نزل همذان، كاتب الوزيرُ مؤيد الدين محمد بن القمّي نائب الوزارة الإمامية عن الخليفة عساكرَ خُوارزم شاه، ووعدهم بالبلاد، فاتفقوا أمة الخطا على قتله، وبعث القُمّي إليهم بالأموال والخيول سراً، فكان ذلك

---

(١) وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان بن أتسز بن محمد بن أنوشتكين غرشه، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهوراً، واتسع ملكه، ملك من حد العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة وبعض الهند، وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس، وكان فاضلاً عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان صبوراً على التعب وإدمان السير، طارده التتار ليقتلوه فلجأ إلى قلعة له في بحر طبرستان، فتوقفوا عن مطاردته بسبب البحر، فتوفي في القلعة سنة(٦١٧ه). ينظر: المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ١٢٧/٣.

(٢) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ١٣٦/٣.

(٣) هو خوارزمشاه جلال الدين منكوبري بن محمد الخوارزمي، السلطان الكبير، ابن السلطان الكبير علاء الدين محمد بن السلطان خوارزمشاه تكش بن خوارزمشاه أرسلان بن الملك آتسز بن محمد بن نوشتكين الخوارزمي، تملك البلاد، ودانت له الأمم، وجرت له عجائب، ولما دهمت التتار البلاد الماوراء النهرية، بادر والده علاء الدين، وجعل ولده جلال الدين في خمسة عشر ألفا، فتوغل في البلاد، وأحاطت به المغول، فالتقاهم، فانكسر، وتخلص بعد الجهد، وتوصل، وكان منعجم العبارة، يتكلم بالتركية وبالفارسية، شجاعا، قتل سنة(٦٢٨ه). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٢٦/٢٢-٣٢٩.

(٤) أي التتر المغول، وأمة الخطا من أمم الترك، وقد ذكر ابن خلدون أن من أمم الترك الغز الذين منهم السلجوقية، والهياطلة الذين منهم القلج، وبلاد الصغد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً، ومنهم الخطا والطغرغر وهم التتر، ومنهم الخزلجية، والغور، والخزر، والخفشاخ وهم القفجاق، ويمك، والعلان، وجركس، وأركش. ينظر: تاريخ ابن خلدون، ٥١٦/٥.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٤٢/٢٢.

(٦) يقصد: السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تِكش.

سبباً لوهنه، وعلم بذلك، فسار من همذان إلى خُراسان ونزل مَرْو، فصادف في طريقه الخيول والهدايا والكتب إلى الخَطا، وكان معه منهم سبعون ألفاً، فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره، وكان خاله من أمراء الخَطا، وقد حلّفوه أن لا يُطْلع خُوارزم شاه على ما دبروا عليه، فجاء إليه في الليل، وكتب في يده صور الحال، ووقف بإزائه، فنظر إلى السطور وفهمها، وهو يقول: خذ لنفسك، فالساعة تُقتل. فقام وخرج من تحت ذيل الخيمة، ومعه ولداه جلال الدين والآخر، فركب، وسار بهما، ثم دخل الخَطا والعساكر إلى خيمته، فلم يجدوه، فنهبوا الخزائن والخيول، فيقال: إنه كان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار، وألف حِمل قماش أطلس وغيره، وكانت خيله عشرين ألف فرس وبغل، وله عشرة آلاف مملوك، فهرب وركب في مركب صغير إلى جزيرة فيها قلعة ليتحصّن بها، فأدركه الأجل، فدُفن على ساحل البحر، وهرب ولداه، وتفرقت الممالك بعده، وأخذت التتار البلاد".(١)

والشيعة يعتبرون الخليفة الناصر العباسي من أعلام المائة السابعة للشيعة، ويرون أن الشيعة في عهده أخذت بالظهور والانتشار في بغداد من جديد بعد الاضطهادات التي لاقوها بعد زوال آل بويه.(٢)

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦١١هـ-٦٢٠هـ)، الذهبي، ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) ينظر: الأنوار الساطعة في المائة السابعة (طبقات أعلام الشيعة)، أغابزرك الطهراني، ٤-٦.

المبحث السابع

إسناد الخليفة المستعصم الأمر إلى ابن العلقمي الرافضي

الخليفة المستعصم هو آخر خلفاء بني العباس في بغداد، وقد بدأت خلافته عام(٦٤٠هـ) وانتهت بسقوط الدولة العباسية على يد المغول التتار عام(٦٥٦هـ)، وقد كان خليفة سنيا كأكثر خلفاء بني العباس، إلا أنه كان في غفلة عن ما يحصل حوله من أمور، غارقا في شهواته وملذاته، قال الشّيخ قطْب الدّين[١]:"كان - المستعصم - متديّناً متمسكاً بالسُّنَّة كأبيه وجدّه، ولكنّه لم يكن على ما كان عليه أبوه وجدّه النّاصر من التّيقُّظ والحزْم وعُلُوّ الهمّة، فإن المستنصر بالله كان ذا همّةٍ عالية، وشجاعة وافرة، ونفْسٍ أبيَّة، وعنده إقدام عظيم، استخدم من الجيوش ما يزيد على مائة ألف، وكان له أخ يعرف بالخفاجيّ يزيد عليه في الشّهامة والشّجاعة، وكان يقول: إنْ ملّكني الله لأعبُرَنَّ بالجيوش نهر جيْحُون وأنتزع البلاد من التّتار وأستأصلهم. فلما توفّي المستنصر لم يرَ الدويدار[٢] والشرابي[٣] والكبار تقليد الخفاجيّ الأمر، وخافوا منه، وآثروا المستعصم لما يعلمون من لينه وانقياده وضعْف رأيه، ليكون الأمر إليهم. فأقاموا المستعصم".[٤]

---

(١) هو الشيخ الإمام العالم، بقية السلف، قطب الدين، أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحنبلي، ولد سنة(٦٤٠ه) وسمع الكثير، وأحضره والده المشايخ، واستجاز له، وبحث واختصر مرآة الزمان للسبط، وذيل عليها ذيلا حسنا مرتبا أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة بإنصاف وستر، وأتى فيه بأشياء حسنة، وأشياء فائقة رائقة، وكان كثير التلاوة، حسن الهيئة، متقللا في ملبسه ومأكله، توفي سنة(٧٢٦ه). ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢٦/١٤.

(٢) الدويدار: رتبة تكون لأمير من أهل عصبية السلطان أو الخليفة، ويكون تحته صاحب الإنشاء المتولي للكتابة، ويكون تعويل السلطان ووثوقه بالدويدار واستنابته في غالب أحواله إليه، وتعويله على صاحب الإنشاء في أحوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الأسرار وغير ذلك من توابعها. ينظر: مقدمة تاريخ ابن خلدون، ٢٤٨/١.

(٣) الشرابي: هو الذي يصنع الأشربة التي يصفها الطبيب للمريض وغيرها، فهو بمثابة الصيدلاني. ينظر: المدخل، ابن الحاج، ١٤٤/٤-١٤٩.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦٥١ه-٦٦٠ه) الذهبي، ٢٥٩.

ويقول الشيخ قطب الدين أيضا:"وكان فيه — أي المستعصم – شحٌّ، وقلّة معرفة، وعدم تدبير، وحبٌّ للمال، وإهمال للأمور، وكان يتّكل على غيره، ويُقدم على ما لا يليق وعلى ما يُستقبح".[1]

ثم إن المستعصم لما تولى الخلافة أسند الأمر كله إلى الوزير ابن العلقمي، فمن هو ابن العلقمي؟

هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمي الرافضي الخبيث، الذي كان مقربا من الخلفاء، ويتولى المناصب الرفيعة شيئا فشيئا[2]، حتى تولى الوزارة في عهد الخليفة المستعصم، وذلك عام(٦٤٢هـــ).[3]

يقول الشيخ قطب الدين:"ثمّ رَكَن إلى وزيره ابن العلقميّ، فأهلك الحرْث والنَّسل، وحسَّن له جمْع الأموال، والاقتصار على بعض العساكر، وقطْع الأكثر، فوافقه على ذلك".[4]

وقال الذهبي:"وكان — أي المستعصم – يلعب بالحَمَام، ويُهمل أمر الإسلام، وابنُ العلقميّ يلعب به كيف أراد، ولا يُطلعه على الأخبار، وإذا جاءته نصيحةٌ في السّرّ أطلع عليها ابن العلقميّ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً".[5]

وقال ابن كثير:"فيها — أي سنة(٦٤٢هـــ) – استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي المشؤوم على نفسه، وعلى أهل بغداد، الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق، ولا مرضي الطريقة، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده، قبحه الله وإياهم".[6]

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦٢١هـــ-٦٣٠هـــ)، الذهبي، ٤٦-٤٧، و(حوادث ووفيات عام ٦٣١هـــ-٦٤٠هـــ)، ٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق (حوادث ووفيات عام ٦٤١هـــ-٦٥٠هـــ)، ١٤.

(٤) المصدر السابق (حوادث ووفيات عام ٦٥١ه-٦٦٠ه)، ٢٥٩.

(٥) المصدر السابق، ٢٦٠.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/١٦٤.

وفي عام(٦٤٩هـ) اكتمل شرح الكتاب المسمى بنهج البلاغة[١] في عشرين مجلدا مما ألفه عبد الحميد بن داود بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني[٢] الكاتب للوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، فأطلق له الوزير مائة دينار، وخلعة، وفرسا، وامتدحه عبد الحميد بقصيدة لأنه كان شيعيا معتزليا.[٣]

ثم لما كان عام(٦٤٤هـ) قدم رسولان من التتار، فاجتمعا بابن العلقمي، وتغمت على الناس بواطن الأمور.[٤]

وقد ذكر ابن كثير أن من أقوى الأسباب في ممالأة ابن العلقمي للتتار حدوث فتنة عظيمة بين أهل السنة والرافضة نهب على إثرها الكرخ – وهو مقر الروافض – ودور الرافضة، حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي[٥]، فاشتعل حقد ابن العلقمي على الخلافة العباسية خاصة، وعلى أهل السنة عامة.

فبدأ بتسريح الجيوش وقطع أرزاقهم، حتى ثار طائفة من الجند، ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة، واستغاثوا لأجل ذلك، وكان هذا عام(٦٤٨هـ)[٦]، وهذه أفعال

---

(١) نهج البلاغة: وهو ما جمعه الشريف المرتضى علي بن الطاهر الحسيني نقيب الطالبيين ببغداد المتوفى (٤٣٦هـ)، وقيل: بل هو جمع أخيه الشريف الرضي، جمعه من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و قيل أيضاً: بل ليس من كلام أمير المؤمنين علي وإنما هو وضع من جمعه، وهذا الرأي الأخير هو الأقرب قبوله، قال ابن خلكان: وقد اختلف الناس في كتاب"نهج البلاغة"المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي، وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم. وقال الذهبي: ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والحط على السيدين: أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٣١٣، وميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/١٢٤.

(٢) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد المدائني، المعتزلي، الفقيه، الشاعر، ولد سنة(٥٨٦هـ)، وتوفي سنة(٦٥٥هـ)، وهو معدود في أعيان الشعراء، وله ديوان مشهور، ومن تصانيفه (الفلك الدائر على المثل السائر) صنفه في ثلاثة عشر يوماً. ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٨/٤٦-٤٨.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/١٨١.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦٤١هـ-٦٥٠هـ)، الذهبي، ٢٩.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/١٩٦.

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٦٤١هـ-٦٥٠هـ)، الذهبي، ٦٣.

الروافض دائما، فإنهم إذا رأوا قوة من أهل السنة فإنهم يتقربون منهم، ويظهرون حسن النوايا، وهم في حقيقتهم ينخرون في جسم الأمة الإسلامية، حتى يمكنوا أعداء الإسلام منهم.

قال ابن كثير:"وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة(1) يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء(2)، وجعله حوشكاشا(3) للتتار، بعد ما كان وزيرا للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال، والنساء، والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء".

كل ذلك والخليفة المستعصم يثق بابن العلقمي ثقة عمياء، حتى إن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع أنه رافضي خبيث، إلا أنه كان يرسل الرسل للخليفة يحذره من قدوم التتار، لأنه كان خائفا على نفسه، فكان ابن العلقمي يحول دون وصول الرسل للخليفة، وإذا وصل الخليفة رسول من غير طريق ابن العلقمي، عرض الخليفة الأمر على ابن العلقمي، فيثبطه، ويخذله.(4)

---

(١) يقصد دخول التتار بغداد.

(٢) العزة القعساء: أي الثابتة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٤٣/١١.

(٣) لم أقف على معنى لهذه الكلمة، ولكن يظهر من السياق أنها وظيفة دنيئة. قال ابن منظور: الحواشة ما يستحيا منه. ينظر: لسان العرب، ٣٩٣/٣.

(٤) ينظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيني، ٨٧/١.

وبهذا سقطت الدولة العباسية السنية على أيدي الروافض قبحهم الله، وهكذا خيانات الروافض في كل زمان، فإنهم يحرصون على الدخول على الدول السنية، والتقرب لهم حتى يتمكنوا من المناصب الرفيعة القريبة من الخلفاء، فيبدؤون بتنفيذ خططهم لإزالة الخلافة الإسلامية.[١]

ولما وصل التتار إلى بغداد، كان أول من برز إليهم ابن العلقمي، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، واستوثق لنفسه من هولاكو، ثم عاد، فأشار على الخليفة بالخروج إليه، والمثول بين يديه.[٢]

ولما استحر القتل في أهل بغداد لم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود، والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة، حتى سلموا، وسلمت أموالهم.[٣]

ولا يفوتنا الإشارة إلى نصير الكفر[٤] الطوسي الرافضي الخبيث الحاقد الذي كان السبب هو وابن العلقمي في قتل هولاكو للخليفة المستعصم رحمه الله، يقول ابن كثير:"وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير — ابن العلقمي – متى وقع الصلح على المناصفة[٥] لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت

---

(١) وأفضل ما يقرأ في موضوع خيانات الروافض كتاب (خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية) لعماد علي عبد السميع حسين، وكتاب (كيف دخل التتر بلاد المسلمين؟ الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية) لسليمان بن حمد العودة، وكتاب (الانتصار على التتار) لسامي بن خالد الحمود.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠١/١٣، وذيل مرآة الزمان، اليونيني، ٨٨/١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، ٢٠٢/١٣.

(٤) اسمه الخوجه نصير الدين الطوسي.

(٥) أي يعطى هولاكو نصف خراج بغداد.

وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرا لشمس الشموس[1] ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين[2] وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو، وتهيب من قتل الخليفة، هون عليه الوزير ذلك، فقتلوه رفسا وهو في جوالق، لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خُنق، ويقال بل أُغرق، فالله أعلم، فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء، والقضاة، والأكابر، والرؤساء، والأمراء، وأولى الحل والعقد ببلاده".[3]

---

(١) ذكر ابن كثير أن شمس الشموس هو ابن علاء الدين كما هو موضح، وذكر الصفدي أيضا أن شمس الشُّموس هو خسرو الملك ركن الدين بن علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن بن الصَّبّاح الباطني النّزاريّ، صاحب قلعة الألموت، رئيس الإسماعيلية ببلاد العجم، دامت الرياسة فيه وفي أبيه وجدّه دهراً طويلاً، وكان سنان الدّولة في الشام زمن صلاح الدّين من دعاة الحسن بن الصّباح، نزل هولاكو على قلعة الألموت، وأخذها، وقتل ركن الدين هذا، وقتل معه طائفة من الملاحدة سنة(٦٥٥هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٣/١٩٦. إلا أن الذهبي ذكر أن شمس الشموس هذا هو ابن جلال الدين مباشرة واسمه علاء الدين محمد بن الحسن، وأنه طالت أيامه إلى أن أخذه هولاكو، وهدم الألموت: ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٢/١٥٨.

(٢) هو إلكيا جلال الدين حسن بن الصباح الإسماعيلي، رأس الإسماعيلية، مات سنة(٦١٨هـ) وقد شاخ، وكان قد أظهر شعار الإسلام من الصلاة والصيام، فقام بعده ابنه علاء الدين محمد بن حسن. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٢/١٥٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/٢٠١.

المبحث الثامن

محاربة الخليفة المعتضد للعلويين

لم يذكر أحد من أصحاب التواريخ عن الخليفة المعتضد بالله أنه كان ناصبيا أبدا، سوى ما ذكره ابن كثير أن وزير المعتضد عبدالله بن وهب بن سليمان[١] كان ناصبيا، وعدّها ابن كثير من هفوات المعتضد.[٢]

والنواصب والناصبية وأهل النصب: هم المتدينون بِبُغْضَة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم نصبوا له أي عادوه.[٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:"ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل".[٤]

وقال الشيخ ابن عثيمين:"النواصب، هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض".[٥]

ومن أشهر الطوائف التي تبنت منهج النصب الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه وكفروه، وجمعوا إلى ذلك بدعا أخرى.

لكن هل يقال: إن الخليفة المعتضد كان ناصبيا بناء على ذلك؟

---

(١) لم يذكر اسم هذا الوزير من أصحاب التواريخ سوى ابن كثير، ولم أقف على ترجمة له، والذي ذكره أصحاب التواريخ كالذهبي وغيره أن وزير المعتضد كان اسمه عبيدالله بن سليمان بن وهب الذي سبقت الترجمة له، وقد يكون هذا وهما من ابن كثير في الاسم.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٧٦/١١ و ٨٦.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٣٢/١، مادة نصب.

(٤) العقيدة الواسطية، ضمن مجموع الفتاوى، ١٥٤/٣.

(٥) شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ٢٨٣/٢.

إجابة على ذلك أقول: تعرض الخليفة المعتضد لبعض الطالبيين، إلا أن تعرضه لم يكن تسلطا أو بغضا، وإنما كان بسبب خروجهم على خليفة الوقت، فكان قتلهم حفاظا على الحكم.

وهذا الأمر لم يصدر من الخليفة المعتضد فحسب، بل صدر من الخلفاء الذين قبله والذين بعده وأبرزهم الخليفة المنصور، فقد خرج عليه بعض الطالبيين، فقاتلهم وظفر بهم وقتلهم، ولو لم يخرجوا لما قتلهم.

وقد ذكر الأصبهاني – في كتابه (مقاتل الطالبيين) – الذين قتلوا في عهود الخلفاء العباسيين بالأسماء، فذكر أن الذين قتلوا في عهد أبي جعفر المنصور قرابة عشرين طالبيا[١]، والذين في عهد المعتمد كانوا كذلك[٢].

وقد ذكر ابن الأثير أن المعتمد لم يكن له من الخلافة غير اسمها، ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا في كثير، وكان الحكم كله للموفق طلحة أخيه[٣]، وهو والد المعتضد بالله، وكان الموفق وليا للعهد، إلا أنه توفي قبل المعتمد بسنة تقريبا، فالموفق توفي في آخر صفر من عام(٢٧٨هـ)[٤]، والمعتمد في رجب عام(٢٧٩هـ)[٥]، فأصبح المعتضد وليا للعهد بدلا عن أبيه، ثم ولي الخلافة بعد المعتمد، و لم يُقتل من الطالبيين في عهد المعتضد سوى اثنين كما ذكر الأصبهاني.[٦]

وقد أخبر المعتضد أن الناصر[٧] دعاه، فقال له: اعلم أن هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل علي بن أبي طالب.[٨]

---

(١) ينظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ١٦٦–٣٤٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٥٣٥–٥٤٠.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٢٨/٦.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٠٠/٥.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٦٠٥/٥.

(٦) ينظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهاني، ٥٤١–٥٤٣.

(٧) المقصود به والد المعتضد الموفق طلحة، كان يلقب بالناصر لدين الله بعد قتله صاحب الزنج وكسره لجيشه. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٦٩/١٣.

(٨) ينظر: تاريخ الطبري، ٦١١/٥.

وقال المعتضد أيضا: رأيت في النوم كأني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في جيشي، وقد تشوف الناس إليّ، إذ مررت برجل واقف على تل يصلي، لا يلتفت إليّ، فعجبت منه ومن قلة اكتراثه بعسكري، مع تشوف الناس إلى العسكر، فأقبلت إليه حتى وقفت بين يديه، فلما فرغ من صلاته، قال لي: أقبل. فأقبلت إليه. فقال: أتعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا علي بن أبي طالب، خذ هذه المسحاة، فاضرب بها الأرض – لمسحاة بين يديه – فأخذتُها، فضربت بها ضربات. فقال لي: إنه سيلي من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها، فأوصهم بولدي خيرا.(1)

هذه الوصية من الموفق أبي أحمد لابنه المعتضد تدل على أن المعتضد كان يتخذ من آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقفا متشددا ولا أقول عدائيا، ولاحظ عليه والده هذا الموقف فأوصاه هذه الوصية، والرؤيا التي رآها المعتضد في علي رضي الله عنه قد تؤيد ذلك.

وقد يكون تشدده على الطالبيين بسبب وزيره الناصبي السابق الذكر.

وقد تقدم القول بأن هذا الموقف المتشدد إنما كان بسبب خروجهم على الخلفاء من كل ناحية، فاضطر المعتضد لذلك للحفاظ على الملك والحكم، وقد سبقت مقولة للخليفة المنصور تقول:"الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثا: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك"(2)، وتروى أيضا عن الخليفة المأمون.(3)

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ٦١١/٥.

(2) ينظر: المصدر السابق، ٥٣٢/٤.

(3) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣١٤/٣٣.

الفصل الثالث

أثر خلفاء بني العباس في ظهور الزندقة والمجوس وانتشارهم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب ظهور الزنادقة وانتشارهم في العصور العباسية أكثر من العصر الأموي.

المبحث الثاني: سبب توقف الخليفة المعتضد عن محاربة القرامطة.

المبحث الثالث: ضعف الخليفتين القاهر والراضي أمام الباطنية.

المبحث الأول
أسباب ظهور الزنادقة وانتشارهم في العهد العباسي أكثر من العهد الأموي

لم يكن ظهور الزندقة[1] في الدولة الأموية قويا وواضحا كما كان في الدولة العباسية، فقد ظهرت بوادرها في أواخر الدولة الأموية، واستشرت وعظمت أثناء الدولة العباسية[2]، وذلك لأمور:

١) أن الدولة العباسية قامت بأيدٍ فارسية، بخلاف الدولة الأموية التي قامت بأيدٍ عربية خالصة.

فقد ظهرت حركات فارسية كثيرة في عهد بني العباس، وجوهر هذه الحركات وأصولها لا يختلف عن أديان الفرس التي كانت منتشرة قبل الإسلام، فالراوندية تؤمن بتناسخ الأرواح، والمقنع نادى بالحلول، وحركة الزنادقة لا تختلف كثيرا عن معتقدات ماني، بل إن الاسم نفسه هو الاسم القديم، ومن قبل نادت السبئية والكيسانية بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة، وبالحلول، والرجعة بعد الموت، وعلم الباطن.[3]

إضافة إلى ذلك فقد عاد الفرس في عهد بني العباس إلى تصوراتهم وعاداتهم القديمة، فلبسوا القلنسوة، وصاروا يحتفلون بأعياد المجوس (كالنوروز) وهو يوم رأس السنة الفارسية، وعيد اليوم السعيد، وعيد السقي، وعيد النساء، وعيد الثوم، وعيد نوروز الأنهار والمياه الجارية.[4]

---

(١) سبق تعريف الزندقة والزنادقة في الباب الثاني.

(٢) ينظر: مجموع الفتوى، ابن تيمية، ٥/٥٤٧.

(٣) ينظر: وجاء دور المجوس، عبدالله محمد الغريب، ٦٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٦٣.

وأيضا فالفرس كانوا وزراء للخلفاء العباسيين، وقادة لجيوشهم، وتوصلوا لأعلى المناصب في دولة بني العباس واشتهر منهم: أبو مسلم الخراساني، والبرامكة، وفي عهد المأمون أصبح المجوسي (الفضل بن سهل) وزيرا وقائدا لجيشه فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة)، وتمكن الفرس من تزويج بناهم للخلفاء، فنشأ أولاد الخلفاء في كنف أخوالهم، وتربوا على معتقداهم ووثنياهم المجوسية، فأم المأمون (مراجل) فارسية وهي ابنة أستاذسيس المجوسي، وعندما انتهى الحكم إلى المأمون اتخذ من (مرو) عاصمة للخلافة بدلا من بغداد، ونادى بأفكار وفلسفات غريبة عن الإسلام كقوله بخلق القرآن، وجاءت هذه الدعوة من رواسب تربيته الفارسية المجوسية.[1]

وقد استغل الفرس نفوذهم في دولة بني العباس فعمدوا إلى نشر تراثهم الفكري والأدبي، وانبرى شعراؤهم يذودون عن مجد وتاريخ فارس وكسرى، ويسخرون من تاريخ العرب وحياهم. قال أحدهم عدة أبيات في هذا الشأن، منها:

فلست بتـــارك إيـــوان كســـرى لتوضـــح أو لحومـــل فالـــدخول

وضب في الفلا ســـاع وذئـــب هما يعـــوي وليث وســـط غيـــل

وعندما سمع الصاحب بن عباد هذه الأبيات، طرد قائلها، وهدده بالقتل إن رآه مرة أخرى، ثم قال: لا أرى أحداً يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية ينزع إليها.[2]

وقال آخر[3] مفاخرا:

إني امرؤ من سراة الصـــغد ألبســـني عرق الأعاجم جلدا طيب الخـــبر[4]

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ٦٤-٦٥.

(٢) ينظر: بدائع البدائه، ابن ظافر الأزدي، ٣٢-٣٣.

(٣) هو الشاعر الفارسي المشهور الخريمي.

(٤) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٨٥٣/٢.

وقال أيضا:

وناديت من مرو وبلـــخ فارســـا	لهم حسب في الأكرمين حســـيب
فيا حسرتا لا دار قومـــي قريبـــة	فيكثر منهم ناصري ويطـــــيب
وإن أبي كســـرى بـــن هرمـــز	وخاقان لي لو تعلمين نســـــيب
ملكنا رقاب النـــاس في الشـــرك	كلهم لنا تابع طوع القياد جنيب
نســـومكمو خســـفا ونقضـــي	بما شاء منا مخطـــئ ومصـــيب[1]

وقد عمد المجوس من الفرس وهم الأكثرية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، ودس الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعملوا على تجريح أعلام الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وراحوا يجسمون الفتن التي وقعت بين الصحابة أو التابعين، وأرادوا من وراء ذلك أن يقدموا التاريخ الإسلامي للبشرية على أنه فتن وحروب وسفك دماء، وما من رواية أو حديث مكذوب في كتب الحديث والتاريخ والسير إلا وتجد مجوسيا وراءه، ولم يقفوا عند هذا الحد بل راحوا ينشرون الزندقة والإلحاد حتى يتخلى الناس عن الإسلام ويتسنى لهم إعادة المانوية والزرادشتية والمزدكية من جديد.[2]

وفي كل تحركاتهم وأنشطتهم كانوا يعمدون إلى الأسلوب السري، فالراوندية، وحركة المقنع، وغيرهما كانوا يفاجئون الناس ويباغتونهم مباغتة.[3]

---

(١) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٣٠٠.

(٢) ينظر: وجاء دور المجوس، عبدالله محمد الغريب، ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ٦٦.

٢) نشاط حركة الترجمة في العهد العباسي:

بدأت حركة الترجمة في أواخر عهد الدولة الأموية، بالتحديد قبل عام(٩٠هـ) بقليل، ثم تطورت في العهد العباسي تطورا كبيرا، إلا أن الترجمة في العهد الأموي لم تكن بأمر من الخلفاء الأمويين، وإنما كانت مبادرة من خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان مولعا بالكيمياء وهو لم يكن خليفة.

أما في العهد العباسي فقد كانت الترجمة بأمر الخلفاء العباسيين أنفسهم، فقد سبق الحديث في الفصل الأول من هذا الباب أن أول من أمر بترجمة كتب اليونان والهند هو الخليفة أبو جعفر المنصور، ثم كانت بعض الترجمات في عهد الخليفة هارون الرشيد على أيدي البرامكة، إلا أن السنة كانت قوية في عهدهما، فلما جاء عهد الخليفة المأمون كانت الطامة، وذلك أنه مع ازدياد حركة الترجمة كان المأمون متأثرا مؤيدا لما يلقى في قلوب الناس من أهواء وضلال وفلسفات سقيمة مما وجدوه في هذه الكتب، وقد سبق أيضا الحديث عن البدع التي قال بها المأمون من التشيع والاعتزال والقول بخلق القرآن، وبدع أخرى كالتكبير بعد الصلوات والتي أحدثها بلا مستند ولا دليل ولا معتمد.(١)

الحاصل أنه بسبب كثرة الترجمة في عهد العباسيين ظهرت الزندقة بشكل أكبر وأوضح منه في العهد الأموي، يقول المسعودي في أثناء حديثه عن الخليفة المهدي:"وأمعن في قتل الملحدين، والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته، لما انتشر من كتب ماني وابن دَيْصَان، ومرقيون مما نقله عبدالله بن المقفع، وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنفه في ذلك ابن أبي العرجاء، وحماد عَجْرَدٍ، ويحيى بن زياد، ومطيع بن إياس، من تأييد المذاهب المانية، والدَّيْصَانية، والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس، وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شُبَهَ الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين".(٢)

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠/٢٧٠.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، ٤/٣١٥.

ولا أحد يستطيع الإنكار بأن ظهور رؤوس البدع كان في عهد الدولة الأموية كالخوارج، والمرجئة، والقدرية على يد غيلان الدمشقي، والجهمية على يد الجعد والجهم، وبدايات الاعتزال على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم، مع أنهم حوربوا واضطهدوا من قبل الأمويين وأوائل العباسيين، إلا أنهم بتولي المأمون للخلافة، ومن بعده المعتصم، ومن بعده الواثق، ضحكت لهم الدنيا، وخلت لهم الساحة بتأييد هؤلاء الخلفاء الثلاثة لهم، مع أنهم بدؤوا بالتمكن من المناصب والتقرب إلى الخلفاء قبل مجيء هؤلاء الثلاثة، إلا أنهم لم يجهروا بعقائدهم الفاسدة لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك كان مصيرهم كمصير من كان قبلهم من المبتدعة كالجعد وغيلان والجهم وغيرهم.

لذا فقد بدت الانحرافات العقدية والزندقة في عهد العباسيين أشد وأكبر وأوضح منه في عهد الأمويين، فقد كان لكثير من الزنادقة الذين قتلوا بسبب زندقتهم في العهد العباسي أو لم يقتلوا، كان لهم وجود في العهد الأموي كبشار بن برد، ومطيع بن إياس، وحماد عجرد، وغيرهم.(١)

٣) وجود حركات الزنادقة المناهضة للدولة العباسية:

ظهرت في العهد العباسي حركات زنادقة مناهضة لها لم يظهر مثلها في العهد الأموي مثل المقنع، وأستاذسيس، وبابك الخرمي، والراوندية، والفاطميين، والقرامطة، والزنج، وغيرهم.

وقد ذكر صاحب (ضحى الإسلام) أحمد أمين أن انتشار كلمة الزندقة في العصر الأموي أقل وأندر من العصر العباسي، وذلك أن الزندقة في بعض معانيها — وهو الشك والإلحاد — إنما تقترن عادة بالبحث العلمي، وهو في العصر العباسي أبين وأظهر، ذلك أن العلم الذي كان شائعا في العصر الأموي، كان العلم الديني من جمع للحديث، وتفسير للقرآن الكريم، واستنباط الأحكام الشرعية منهما، وهذه لا تثير في النفوس شكوكا تبعث على الزندقة، إنما الذي قد يثير هذه الشكوك مذاهب الكلام والجدال الديني حول المسائل

---

(١) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ١٢٧/٣ و ٣٠٣/١٣ و ٣١٣/١٤.

الأساسية في الأديان، والبحث الفلسفي على النحو الذي يبحثه أرسطو وأفلاطون في المادة والصورة، والجزء الذي لا يتجزأ والجوهر والعرض، وما إلى ذلك، وهذه الأشياء كانت قليلة في العصر الأموي، وهي وفيرة جدا في العصر العباسي.[١]

وذكر أيضا سببا ثانيا وهو أن بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق مطالبهم، فقد انتقلوا من يد عربية وهي اليد الأموية إلى يد عربية أخرى هي يد العباسية، ومطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها، في سلطتها ولغتها ودينها، ورأوا أن ذلك لا يتحقق والإسلام في سلطانه، فأخذوا يعملون لنشر المانوية والزرادشتية والمزدكية ظاهرا إن أمكن، وخفية إذا لم يمكن، فكان من ذلك فشو الزندقة.

يضاف إلى ذلك أن الدولة الأموية كانت دولة العرب فالحكم في أيديهم والملك لهم، وولاتهم ورجالهم عرب، والموالي أذلاء مضطهدون، والعرب لا تعرف الزندقة كثيرا ولا تميل إليها، فهم مطمئنون إلى ملكهم وإلى دينهم، فلما أتت الدولة العباسية انتعش الموالي وخاصة الفرس، وأصبح أكثر السلطان في أيديهم، وغلبوا على العرب، وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعا لما اعتنقوا الإسلام، وكانوا لا يجرؤون في الحكم الأموي أن ينبسوا بكلمة، وكان همهم الأول أن يتحرروا سياسيا لا دينيا، فكانت دعواتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين، والزندقة إنما هي في الدين لا في السياسة، فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا، بدأت تلعب في رؤوسهم الديانات القديمة والجديدة، فكانت الزندقة.[٢]

---

(١) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، ١/١٥٦-١٥٧.

(٢) المرجع السابق، ١/١٥٧.

المبحث الثاني

سبب توقف الخليفة المعتضد عن محاربة القرامطة

كانت أول وقعة بين القرامطة وبين جيش الخليفة العباسي المعتضد في سلخ ربيع الآخر من عام(٢٨٧هـــ)، وكان جيش المعتضد بقيادة العباس بن عمرو الغنوي[١]، فهزم العباس ووقع في أسر القرامطة هو وجماعة من جيشه، فأمر أبو سعيد الجنَّابي بقتل الأسرى، وحرقهم، واستبقى العباس بن عمرو أياما، ثم أطلقه، وقال له:"امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت"وأعطاه درجا ملصقا، وقال له:"أوصله إلى المعتضد فإن لي فيه أسرارا"فلما دخل العباس على المعتضد عاتبه، فأعطاه العباس الكتاب، فقال المعتضد:"والله ليس فيه شيء، وإنما أراد أن يعلمني أني أرسلتك إليه في عدد كبير، فرجعت فردا".[٢]

وقد ذكر القاضي التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة) أن هذا الأمر كان سببا في توقف الخليفة المعتضد عن محاربة القرامطة، حيث روى عن العباس بن عمرو الغنوي أنه قال: لما أسرني أبو سعيد الجنابي القرمطي، وكسر العسكر الذي كان أنفذه المعتضد معي لقتاله، وحصلت في يده أسيراً، أيست من الحياة، فإني يوماً على تلك الصورة، إذ جاءني رسوله، فأخذ قيودي، وغير ثيابي، وأدخلني إليه، فسلمت، وجلست، فقال لي: أتدري لم استدعيتك ؟ قلت: لا. قال: أنت رجل عربي، ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفرها، ولا سيما مع مَنِّي عليك بنفسك. فقلت: هو ذاك. فقال: إني فكرت، فإذا لا طائل في قتلك، وأنا في نفسي رسالة إلى المعتضد، لا يجوز أن يؤديها غيرك، فرأيت إطلاقك، وتحميلك إياها، فإن حلفت لي أنك تؤديها، سيرتك إليه. فحلفتُ له. فقال: تقول له: يا هذا لِمَ تخرق هيبتك، وتقتل رجالك، وتطمع أعداءك في نفسك، وتتعبها في طلبي، وإنفاذ الجيوش إليّ، وإنما أنا رجل مقيم في فلاة، لا زرع فيها ولا ضرع، ولا غلة، ولا بلد، وقد رضيت لنفسي

---

(١) هو العباس بن عمرو الغنوي، أمير، من قادة الجيش العباسي، من أهل تل بني سيار بين الرقة ورأس العين، كان يلي بلاد فارس، وعزله عنها المعتضد سنة(٢٨٧ه) وولاه اليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة القرامطة، فسار إليهم، فلم يظفر، وأسر وأطلق، في السنة نفسها، فعاد إلى بغداد فخلع عليه المعتضد وأكرمه، ثم ولي أعمال الحرب في ديار مضر، فلم يزل إلى أن توفي بالرقة (٣٥٠ه). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢٦٢/٥.

(٢) ينظر: أخبار القرامطة، ثابت بن سنان بن قرة الصابئ، جمع: سهيل زكار، ١٤-١٦.

بخشونة العيش، والأمن على المهجة، والعز بأطراف الرماح، وما اغتصبتك بلداً كان في يدك، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل، ومع هذا، فوالله لو أنفذت إليّ جيشك كله، ما جاز أن تظفر بي، ولا تنالني، لأني رجل نشأت في هذا القشف، واعتدته أنا ورجالي، ولا مشقة علينا فيه، ونحن في أوطاننا مستريحون، وأنت تنفذ جيشك من الخيول والثلج، والريحان والند، فيجيئون من المسافة البعيدة، والطريق الشاسع، وقد قتله السفر قبل قتالنا، وإنما غرضهم أن يبلوا عذراً في مواقفتنا ساعة، ثم يهربون، وإن ثبتوا فإن ما يلحقهم من وعثاء السفر وشدة الجهد أكبر أعواننا عليهم، فما هو إلا أن أحقق عليهم حتى ينهزموا، وإن استراحوا، فأقاموا، وكانوا عدداً لا قبل لنا به، فيهزمونا، لا يقدر جيشك على أكثر من هذا، فأنهزم عنهم مقدار عشرين فرسخاً، وأجول في الصحراء شهراً، ثم أكبسهم على غرة، فأقتلهم، وإن لم يستو لي هذا، وكانوا متحرزين، فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري والصحاري، ثم لا يحملهم البلد في المقام، ولا الزاد، إن كانوا كثيرين، فإن انصرف الجمهور منهم، وبقي الأقل، فهم قتلى سيوفي، في أول يوم ينصرف الجيش، ويبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد، ورداءة مائه وهوائه الذي لا طاقة لهم به، لأنهم نشؤوا في ضده، ورُبوا في غيره، ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه، ففكر في هذا وانظر، هل يفي تعبك وتغربك بجيشك وعسكرك، وإنفاقك الأموال، وتجهيزك الرجال، وتكلفك هذه الأخطار وتحملك هذه المشاق بطلبي؟ وأنا مع هذا خالي الذرع منها، سليم النفس والأصحاب من جميعها، وهيبتك تنخرق في الأطراف عند ملوكها، كلما جرى عليك من هذا شيء، ثم لا تظفر من بلدي بطائل، ولا تصل منه إلى مال ولا حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتي، فاستخر الله عز وجل وأنفذ من شئت، وإن أمسكت، فذاك إليك.

قال: ثم جهزني، وأنفذني مع عشرة من أصحابه إلى الكوفة، فسرت منها إلى الحضرة، ودخلت على المعتضد، فتعجب من سلامتي، وقال: ما خبرك ؟ فقلت: شيء أذكره سراً لأمير المؤمنين، فتشوف إليه، وخلا بي، فقصصت عليه القصة بأسرها، فرأيته يتمعط في جلده غيظاً، حتى ظننت أنه سيسير إليه بنفسه، وخرجت من بين يديه، فما رأيته ذكره بعد ذلك بحرف".[1]

---

(١) الفرج بعد الشدة، التنوخي، ١/١١٥-١١٦.

وذكر الذهبي أن أبا سعيد الجنّابي قد هزم جيوش المعتضد، ثم وادَعَ[1] المعتضد القتال، فكف عنه، وبقي بهجر من ناحية البرية.[2]

فهل توقف الخليفة المعتضد عن قتال القرامطة بالفعل أم لا؟

يذكر الطبري أنه في ذي القعدة من هذه السنة(٢٨٧هـــ) أوقع بدر غلام الطائي[3] بالقرامطة على غرة منهم بنواحي روذميستان[4] وغيرها، فقتل منهم فيما ذكر مقتلة عظيمة، ثم تركهم خوفا على السواد أن يخرب، إذ كانوا فلاحيه وعماله، وطلب رؤساءهم في أماكنهم، فقتل من ظفر به منهم، وكان السلطان — أي الخليفة المعتضد – قد قوى بدرا بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم، للحدث الذي كان منهم.[5]

وذكر صاحب كتاب (أخبار القرامطة) بعد ذكره للحادثة السابقة أن الجيوش من المعتضد كانت متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة، وأن القتل قد أبادهم.[6]

وذكر أيضا أنه في عام(٢٨٩هـــ) — وهي السنة التي توفي فيها المعتضد — انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه إليهم المعتضد شبلا غلام الطائي، فظفر بهم وأخذ رئيسا لهم يعرف بأبي الفوارس، فسيره إلى المعتضد، فأحضره بين يديه، فجرت مناظرة بينه وبين أبي الفوارس في مذهبه، فتعرض لذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وسب الخلفاء العباسيين، ونفى أحقيتهم بالخلافة، فأمر الخليفة بتعذيبه بعد تقطيع يديه ورجليه وخلع عظامه، وشنع به.[7]

هذا ما كان من المعتضد تجاه القرامطة، فهل يقال بعد ذلك أنه توقف عن قتالهم بعد أول موقعة واقعهم فيها؟!!

---

(١) وَادَع: الوَداعُ بالفتح التَّرْكُ، وقد ودَّعَه ووَادَعَه ووَدَعَه دُعاءٌ له. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٥٢/١٥.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٠١هـــ-٣١٠هـــ) الذهبي، ١٠.

(٣) أحمد بن محمد الطائي، وقد سبق التعريف به.

(٤) روذميستان: أورد ثابت بن سنان هذا الخبر في (أخبار القرامطة) ص١٦، وذكر أنها نواحي ميسان وهي اسم منطقة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٤٢/٥.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٣٥/٥.

(٦) ينظر: أخبار القرامطة، ثابت بن سنان، ١٦.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ١٧-١٨.

المبحث الثالث

ضعف بعض الخلفاء العباسيين أمام الباطنية القرامطة

مر معنا في هذا البحث أن القرامطة كان ظهورهم في أواخر عهد الخليفة المعتمد عام(٢٧٨هـ)، وأنهم عاثوا في الأرض فسادا، وكان من أبشع ما عملوا أنهم قتلوا الحجيج في مكة يوم التروية، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه، وكان هذا الحادث الجلل قد وقع في عام(٣١٧هـ)[1] أي في أواخر عهد الخليفة المقتدر الذي توفي عام(٣٢٠هـ).

و لم يذكر المؤرخون جهودا بارزة من الخلفاء العباسيين تجاه القرامطة في هذه الحقبة التي أخذ فيها القرامطة الحجر الأسود واعتدوا فيها على الحجيج وعلى أهل مكة، إلى حين إرجاعهم للحجر الأسود إلى مكة، وهذه الحقبة كانت من عام(٣١٧هـ) إلى عام(٣٣٩هـ).[2]

وقد كان إرجاعهم له من عند أنفسهم، بعد أن حصلت مساومات كثيرة من قبل العباسيين في سبيل إرجاعه، ولكن الجهود التي كانت مبذولة في سبيل إرجاعه كانت ضعيفة جدا، فقد أُخذ في أواخر عهد المقتدر، وأُرجع بعد مضي خمس سنوات من تولي المطيع للخلافة، فقد تولى الخلافة في أثناء هذه الحقبة بعد المقتدر: القاهر، ثم الراضي، ثم المتقي، ثم المستكفي، ثم المطيع.

وقد كتب الخليفة المقتدر لأبي طاهر الجنّابي – الذي فعل هذه الفعلة الشنعاء – يذكر له ما فعل، ويتوعده على ما استحل، فأجابه القرمطي بجواب شديد اللهجة، فيه سب وشتم

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ٦٠١/٥.

(٢) ينظر: أخبار القرامطة، ثابت بن سنان، ٥٦.

للخليفة المقتدر ولخلفاء بني العباس جميعا، وفيه ردود واهية على ما وجهه له المقتدر من تأنيب وإنكار على ما فعله بمكة وبالحجيج.[1]

وكان بُجْكُم التركي[2] قد بذل في رده خمسين ألف دينار، فلم يُرَد، وقال القرامطة: أخذناه بأمر، وإذا ورد الأمر برده رددناه.[3]

فلما كان عام(٣٣٩هـ) أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة بعد مكثه اثنين وعشرين عاما، ويذكر صاحب كتاب (أخبار القرامطة) أنه لولا تهديد عبيدالله الخليفة العبيدي لأبي طاهر لم يردوه، ويروى أنهم علقوه في مسجد الكوفة، فرآه الناس، فحملوه إلى مكة.[4]

وكان مما قاله عبيدالله العبيدي في كتابه لأبي طاهر منكرا عليه ما فعله:"سجلت علينا في التاريخ نقطة سوداء لا تمحوها الليالي والأيام"وكان يلومه ويلعنه، ويقول له:"قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والإلحاد بفعالك الشنيعة هذه، وإن لم تردّ على أهل مكة والحجاج ما نهبته منهم، وترد الحجر إلى موضعه، وترد كسوة الكعبة كما كانت، وإلا أتيت إليك بجنود لا قبل لك بها، وأنا بريء منك كما برئتُ من الشيطان الرجيم في الدنيا والآخرة، وأعوذ بالله من فعالك السوء، وإن لم تفعل ما آمرك به لا يكن بيني وبينك إلا السيف، والبراءة منك يا عدو الله والناس أجمعين".[5]

---

(١) ينظر: كشف أسرار القرامطة، الحمادي المعافري، ١٠٦-١٠٨.

(٢) هو بجكم التركي، كان أمير الجيش، وكان يلقب أمير الأمراء قبل ملك بني بويه، وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها، ويقول: أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح. وقال: إن كنت لا أحسن العلم والأدب فأحب أن لا يكون في الأرض أديب ولا عالم ولا رأس صناعة إلا في جنبتي وتحت اصطناعي. وكان قد استوطن واسطا، وأظهر العدل، وبنى دار ضيافة للضعفاء والمساكين بواسط، وابتدأ بعمل المارستان ببغداد وهو الذي جدده عضد الدولة، وكانت أمواله عظيمة، توفي سنة(٣٢٩هـ). ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٩-١٤.

(٣) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ١٤/٨٠.

(٤) ينظر: أخبار القرامطة، ثابت بن سنان، ٥٦.

(٥) المصدر السابق، ٥٣-٥٤.

وذكر ثابت بن سنان أن أبا طاهر رد الحجر الأسود إلى مكانه، واستعاد ما أمكنه من الأموال إلى أهل مكة، وقال يعتذر إلى العبيدي:"إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على ردها منهم".[١]

إلا أن رَدَّ الحجر الأسود إلى موضعه جاء متأخرا جدا عن الكتاب الذي أرسله العبيدي، فقد مات العبيدي أول خلفاء الدولة الفاطمية عام(٣٢٢هـ)، وردُّ الحجر الأسود كان في عام(٣٣٩هـ)، أي بعد سبعة عشر عاما من موت العبيدي، وعليه فلا أظن أن الرد كان من أجل تلك الرسالة، وإنما كان لأمر آخر، إما لاختلال أمر القرامطة وفساد حالهم[٢]، أو أنهم لم يرجعوه هم، ولم يكن لديهم العزم على إرجاعه، وإنما الناس هم الذين أرجعوه بعد ما رأوه معلقا في مسجد الكوفة كما ذكر ذلك ابن سنان[٣]، وفي نظري أن الاحتمال الثاني أقرب، وقد يكون الاثنان معا. والله تعالى أعلم.

وزيادة على ذلك فإن الخلفاء العباسيين في هذه الفترة لم يتخذوا أي إجراء عسكري ضد القرامطة، أو أي حركة يستدل منها على أنهم ينوون معاقبة القرامطة، فقد قاموا بالتماس أبي طاهر القرمطي بعدم التعرض للحجاج، ورد الحجر الأسود، والدخول في طاعة الخليفة، مقابل إقراره على ما بيده من البلاد، وتقليده بعد ذلك ما شاء من البلدان، والإحسان إليه، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لن يتعرض للحاج، ولا يصيبهم بمكروه، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة، وسأل أن يُطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر، وكان ذلك عام(٣٢٢هـ).[٤]

---

(١) المصدر السابق، ٥٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٥٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٥٦.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٠٥/٧.

بل إنهم في عام(٣٢٥هـ) صالحوا أبا طاهر على أن يُحمل إليه في كل سنة -إذا دخل في الطاعة- طعام ومال وقدره مائة وعشرون ألف دينار.[١]

وذكر الذهبي أنه لم يحج من الناس أحد من سنة(٣٢٢هـ) إلى سنة(٣٢٦هـ)[٢]، بل إنه في عام(٣٢٣هـ) اعترض أبو طاهر القرمطي ركب الحجاج العراقي، فقتل الحاج، وسبى الحُرَم، والتجأ الباقون إلى القادسية، وتسللوا إلى الكوفة.[٣]

فلما كان سنة(٣٢٧هـ) كتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي[٤] إلى القرمطي أن يطلق طريق الحاج، ويعطيه عن كل جمل خمسة دنانير، فأذن بذلك وحج الناس، وهي أول سنة أُخِذ فيها المكس من الحجاج.[٥]

وبهذا يتبين أن الخلفاء العباسيين في الفترة التي أخذ القرامطة فيها الحجر الأسود من مكانه إلى حين إرجاعه لم يكن لهم أي جهود عسكرية ضد القرامطة، إنما كانت مفاوضات ومساومات وترغيبات للقرامطة، مما أدى إلى تفاقم خطر القرامطة، وانتشارهم في الأرض، وزيادة فسادهم، وتشكيكهم في العقائد، وانحلالهم، وهتكهم للحرمات.

---

(١) ينظر: تكملة تاريخ الطبري، الهمذاني، ٣٠٧/١١.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٢١هـ-٣٣٠هـ) الذهبي، ٢٧، ٣٣، ٤٦، ٥٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣٣.

(٤) وكان القرمطي يحب أبا علي لدينه وشجاعته وكرمه، وقد وردت كتب الحاج يشكرون أبا علي عمر بن يحيى العلوي كل الشكر لما أولاهم في طريقهم من حفظهم وإعانة ضعيفهم والتوقف عليهم. ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، ٣٧٨/١٣، وأخبار الراضي والمتقي، الصولي، ٢٠٥، سمط النجوم العوالي، العصامي، ١٩٤/٤.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات عام ٣٢١هـ-٣٣٠هـ) الذهبي، ٥٥.

الفصل الرابع

دراسة تحليلية مقارنة بين الخلفاء الذين نصروا السنة والخلفاء الذين نصروا البدعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأسباب والظروف التي ساعدت أكثر خلفاء بني العباس على نصر السنة.

المبحث الثاني: الأسباب والظروف التي حملت بعض خلفاء بـــني العباس على نصر البدعة.

المبحث الأول
الأسباب والظروف التي ساعدت أكثر خلفاء بني العباس على نصر السنة

من أهم الأسباب والظروف التي ساعدت خلفاء بني العباس على نصر السنة:

أولا: يقينهم بما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بهما:

وهذا يتبين من طلبهم للموعظة[1]، وسماعهم إياها، وامتثال ما أمر الله به، وحبهم له، واجتناب ما نهى عنه، وخوفهم منه، واحترامهم وتطبيقهم لما في الكتاب والسنة، ووقوفهم عندهما، وعدم تجاوزهما[2]، وحرصهم على رواية الحديث الشريف[3].

ثانيا: قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اتفق أهل السنة والجماعة أن آل العباس من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك للحديث الذي رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((... وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)) فقال حصين – راوي الحديث – لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته. قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم.[4]

(١) ينظر : صفحة ١٠٢-١٠٨ من هذا البحث .

(٢) ينظر : صفحة ٧٦-٨٧ و ١٠٠-١١٣ من البحث .

(٣) ينظر : ١١٤-١٢٢ .

(٤) ينظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث(٢٤٠٨).

لذا فهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثاره، وآل بيته، ويحترموهم ويبجلوهم[1]، بصرف النظر عما ظهر من بعض الخلفاء من مواقف صارمة تجاههم، وقد تبين أن مثل هذه المواقف إنما كانت للحفاظ على الحكم، لخروج بعض آل علي رضي الله عنه عليهم.[2]

بل إنهم كما تبين من الباب الأول يقدمون محبة النبي صلى الله عليه وسلم على كل محبة.

ثالثا: محبتهم للصحابة الكرام رضوان الله عليهم ولأهل العلم عامة:

فقد ذكر في الباب الأول مواقف كثيرة من خلفاء بني العباس تدل على محبتهم للصحابة الكرام رضي الله عنهم، خاصة الخلفاء الراشدين[3]، وأيضا محبتهم وإكرامهم للعلم وأهله، بل وحرصهم على الأخذ من هؤلاء وهؤلاء[4]، ونشرهم للعلم الصحيح في الآفاق.[5]

ومحبة الخلفاء العباسيين للصحابة تدل على عقيدتهم الصحيحة فيهم، تلك العقيدة السليمة الصافية من شوائب البدع والأهواء والسب والشتم.

---

(١) ينظر : صفحة ٨٨-٩٩ .

(٢) ينظر : صفحة ٩٧ .

(٣) ينظر : صفحة ١٣٤-١٤٢ .

(٤) ينظر : صفحة ١٤٣-١٥٢ .

(٥) ينظر : ١١٤-١٣٣ .

رابعا: حرصهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا الأمر لمسناه واضحا عند الحديث على تطبيق الخلفاء العباسيين لهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام، والتي لها مكانة كبيرة فيه، فبها نالوا الخيرية، وبها تميزوا عن غيرهم.[١]

خامسا: قوتهم ووقوفهم أمام الفرق البدعية:

وتبين هذا الأمر من مواقفهم الصارمة ضد الخوارج[٢] والمعتزلة[٣] والرافضة[٤] والمرجئة[٥] وغيرهم، وذلك لأن بني العباس كانوا أهل ديانة، متمسكين بالسنة محاربين للمبتدعة، فكانت دولتهم قوية عزيزة تبعا لذلك ، حتى لما أظهر المأمون البدع لم تمكث المحنة إلا أربع عشرة سنة، ثم سرعان ما أزالوها، وأعادوا السنة، وتمسكوا بها، واستمروا عليها ، وحتى لما دخل الضعف عليهم بسبب ظهور المعصية إلا أنهم كانوا متمسكين بالعقيدة والسنة، فكانت الدول تنشأ وتسقط دولة بعد دولة وهم باقون ، فلما قويت ديانتهم قويت دولتهم، و لم يكن لأحد معهم كلمة، إلى أن جعل الخليفة المستعصم وزيره رافضيا باختياره فحصلت القاصمة ، مع أن المستعصم كان على عقيدة السلف، وكان الرافضة مهانين في وقته ، إلا أن السقوط كان عقابا من الله لخلفاء بني العباس لتقريبهم أهل البدع.

---

(١) ينظر : صفحة ١٥٣-١٨٨ .

(٢) ينظر : صفحة ١٩١-٢٠٠ .

(٣) ينظر : ٢١٣-٢٣١ .

(٤) ينظر : ٢٠١-٢١٢ .

(٥) ينظر : ٢٣٢-٢٤٠ .

سادسا: جهادهم ومواقفهم الصارمة ضد الفرق الخارجة عن الإسلام:

وهذا يتبين من خلال قتالهم للباطنية والزنادقة[١] كالبابكية[٢] والإسماعيلية[٣] والعبيديين ونقضهم لنسبهم[٤] والقرامطة[٥] والنصيرية[٦]، وقتلهم للصوفية الاتحادية كالحلاج كالحلاج والشلمغاني وأتباعهما[٧]، وبإزالتهم لتعاليم المجوس التي انتشرت بسبب الفرس الذين كان لهم دور في قيام الدولة العباسية[٨]، وأيضا محاربتهم وقتلهم وتتبعهم لسائر للزنادقة[٩] والشعوبية[١٠].

سابعا: معاملتهم لأهل الكتاب:

وهذا يتبين بتطبيقهم للشروط العمرية مع اليهود والنصارى[١١]، مع الحرص على دعوتهم للإسلام.[١٢]

---

(١) ينظر : ٢٤٦-٢٥٤ .

(٢) ينظر : ٢٥٥-٢٦٥ .

(٣) ينظر : ٢٦٦-٢٧٣ .

(٤) ينظر : ٢٧٤-٢٨٢ .

(٥) ينظر : ٢٨٣-٢٩٤ .

(٦) ينظر : ٢٩٩-٣٠٧ .

(٧) ينظر : ٣٢٧-٣٤٣ .

(٨) ينظر : ٢٧٣-٢٧٦ .

(٩) ينظر : ٣٤٤-٣٤٩ .

(١٠) ينظر : ٣٠٨-٣٢٦ .

(١١) ينظر : ٣٥١-٣٥٨ .

(١٢) ينظر : ٣٥٩-٣٦٣ .

ثامنا: قيام الدولة السلجوقية السنّية:

بعد سقوط الدولة البويهية الرافضية قامت الدولة السلجوقية السنية في بغداد وغيرها، وقد كان قيام هذه الدولة خارج بغداد سنة(٤٣٢هـ)[١]، ودخلوا بغداد سنة(٤٤٧هـ)[٢]، فكان بدخولهم هذا سقوط الدولة البويهية الرافضية، واستمرت دولة السلاجقة فترة طويلة أعز الله على أيديهم السنة وأهلها.

والسلاجقة كانوا يدينون للخلفاء العباسيين بالطاعة والولاء، ويحرصون على التقرب منهم، وطلب موافقتهم على ما هم فيه من سلطان وملك وجاه[٣]، مع أن الخلفاء العباسيين قد دب فيهم الضعف من الناحية العسكرية والسياسية، إلا أنهم لم يفقدوا قوتهم الدينية الروحية.[٤]

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٨/٢٣٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٨/٣٢٢.

(٣) ينظر: جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي، خالد الصاعدي، ١/٥٦.

(٤) ينظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية، البيروني، ١٣٢.

المبحث الثاني

الأسباب والظروف التي أدت ببعض خلفاء بني العباس إلى تأييد البدعة

من أهم هذه الأسباب:

أولا : ترجمة كتب اليونان :

انتشرت كتب اليونان بين المسلمين بسبب نقلها إلى العربية على أيدي النصارى بأمر بعض الخلفاء، وقد كان للخليفة المأمون النصيب الأكبر في تشجيع هذه الترجمة.

وقد فُتحت على المسلمين أبواب من الشر كبيرة بسبب ترجمة هذه الكتب وانتشارها بين الناس، حيث يقول ابن تيمية عن المأمون:"ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولابد أن يُقَابَل على ما اعتمده مع هذه الأمة من إِدخال هذه العلوم الفلسفية بين أَهلها".[١]

ثانيا : سيطرة الدول الأعجمية المجوسية :

وهذا يتمثل في وجود البرامكة في عهد هارون الرشيد مع أن موقفهم منهم كان صارما قويا إلا أنهم كان لهم محبين مجدوا آثارهم وخلدوا ذكراهم.[٢]

وأيضا وجود دولة بني بويه المجوسية الذين تبنوا مذهب الروافض بعد دخولهم في الإسلام ، وكان لهم سيطرة كبيرة على بعض الخلفاء العباسيين ، وأحيوا كثيرا من بدع الروافض في زمن سيطرتهم.[٣]

---

(١) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبدالله أبو زيد، ٣٧٨. وينظر : صفحة ٤١٧-٤٢١ من هذا البحث .

(٢) ينظر : صفحة ٣١٧-٣٢٠ من هذا البحث .

(٣) ينظر : ٤٦٥-٤٨٤ من هذا البحث .

ثالثا : سيطرة المعتزلة :

وقد تبين أن المعتزلة استحوذوا على الخلفاء الثلاثة : المأمون – المعتصم – الواثق ، وأقنعوهم بمذهبهم الفاسد في خلق القرآن ، ونفي صفات الله سبحانه وتعالى ، فانتشر مذهبهم بسبب دفاع هؤلاء الثلاثة عنهم وأرغموا الناس على القول بخلق القرآن.(١)

رابعا : بدعة التشيع :

وهذا ما ظهر من الخليفة المأمون ، فقد أضاف إلى بدعة الاعتزال بدعة التشيع والتعصب لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التأثر كان بسبب أخواله الفرس الذين كانوا يرون تعظيم كبرائهم فوق ما يستحقون.(٢)

وكذلك سيطرة الدولة الحمدانية الرافضية الغالية على الحكم في بغداد في زمن الخليفة المقتدر والقاهر والراضي والمتقي ، وقد تبين أيضا أن الخليفة الناصر كان على مذهب الرافضة الإمامية لتأثره بابن الصاحب الرافضي.(٣)

وأيضا سيطرة البويهيين الروافض على الحكم في بغداد زمن الخليفة المستكفي والمطيع والطائع.(٤)

وآخرها تسليم الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس مقاليد الأمور لوزيره الرافضي الخبيث ابن العلقمي.(٥)

---

(١) ينظر : ٤٢٢-٤٤٧ من هذا البحث .

(٢) ينظر : ٤٤٩-٤٥٥.

(٣) ينظر : ٤٨٥-٤٩٠.

(٤) ينظر : ٤٦٥-٤٨٤.

(٥) ينظر : ٤٩١-٤٩٦.

خامسا : سيطرة القرامطة :

دارت حروب طاحنة بين خلفاء بني العباس والقرامطة سنين طويلة ، إلا أن ضعف الخلفاء الذين كانوا في مواجهتهم كالمقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع أدى إلى تمكن القرامطة ، واستطالتهم على الناس ، وأخذهم الحجر الأسود من مكانه ، وعدم قدرة هؤلاء الخلفاء على استرداده.[1]

(١) ينظر : ٥٠٧-٥١٣.

الخاتمـــــــــــــة

وفي ختام هذا البحث أحمد الله العلي العظيم الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الصالحين، وأقول:

إن هذا البحث قد بين أثر خلفاء بني العباس رحمهم الله في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنا لا أدعي الكمال في ذلك، بل لا بد من نقص يعتري العمل البشري، وهذا من حكمة الله البالغة في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، ولكن بإمكاني أن أجمل نتائج البحث فيما يأتي:

١) أنه من نعم الله العظيمة أن جعل للمسلمين خلفاء وولاة أمور تجب طاعتهم بعد طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه بوجودهم تنتظم المجتمعات وتنتفي الفوضى عنها.

٢) أن الخلافة العباسية كانت في العراق ومصر، إلا أن وجودها في العراق كان أقوى وأطول منه في مصر، ثم زالت الخلافة العباسية تماما بمجيء الدولة العثمانية.

٣) أن الخلافة العباسية في العراق مرت بعدة عصور تاريخية غير منفصلة عن بعضها، وقد تفاوتت هذه العصور من حيث القوة والضعف.

٤) أن الأحاديث والآثار الواردة في خلافة بني العباس وفضلهم أكثرها ضعيفة أو موضوعة – إن لم يكن كلها –.

٥) أن أكثر خلفاء بني العباس كانوا على مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان يوم الدين.

٦) أن هؤلاء الخلفاء تحلوا بمذهب السلف وحافظوا عليه ودافعوا عنه، لم يكن ذلك في العصر الأول من العصور العباسية فحسب، بل كانوا في جميع العصور العباسية التي اختلف المؤرخون في تقسيمها، فسواء كانت العصور ثلاثة أو أقل أو أكثر، فالنتيجة

---

(١) الإسراء: ٨٥.

أن في كل عصر من هذه العصور خلفاء عباسيين سنيين نصروا مذهب السلف ودافعوا عنه، فعلى القول بأن العصور كانت ثلاثة، فإنه قد وجد في العصر الأول الخليفة السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين، كل هؤلاء نصروا مذهب السلف وقاموا على حمايته والذب عنه.

والعصر الثاني كان الخليفة المتوكل والمنتصر والمعتضد والمكتفي والمقتدر والقادر والقائم والمستظهر وغيرهم.

وفي العصر الثالث الخليفة المستضيء والظاهر والمستنصر والمستعصم على ضعفه أمام شهواته، بل إن خلفاء بني العباس في العراق كانوا شمس أهل السنة التي أضاءت جميع العالم، بعكس مصر التي استولى عليها الروافض الباطنية الملاحدة، فجعلوا ظلام الجهل والكفر والإلحاد يعشش فيها.

٧) أنه بالرغم من أن الخلفاء العباسيين كانوا في عصورهم المتأخرة قد سيطرت عليهم دول رافضية كبني حمدان والبويهيين، إلا أن أكثر الخلفاء ثبتوا على مذهب أهل السنة، وكانوا ينصرونه كلما تهيأت لهم الظروف، وكانت لهم قوة لذلك، كما فعل القادر والقائم والمستظهر وغيرهم.

٨) قد يصدر من بعض الخلفاء بعض المواقف التي تخالف مذهب السلف، إلا أن أكثرهم معذورون فيها إما بسبب الجهل أو الخطأ أو التأويل أو الإكراه أو التقليد.

٩) أن خلفاء بني العباس كان لهم شأن عظيم في تعظيم السنة ولزومها والعناية بها ونصرها، وذلك بتقديمهم الكتاب والسنة والتسليم لهما، وبتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام الطاهرين، وتعظيم الصحابة الأبرار رضي الله عنهم وأرضاهم، وبإكرام علماء السنة – رحمهم الله — من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

١٠) أن أكثر الخلفاء العباسيين كان لهم باع طويل، ونصيب كبير، وحظ وافر، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو من أهم دعائم الدين.

١١) أن أكثر الخلفاء العباسيين كان لهم دور فعال، وموقف صارم ضد المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة وغيرهم.

١٢) أن أكثرهم أيضا كان لهم موقف حازم صارم ضد الزنادقة والكفار من الفرق الباطنية كالبابكية والإسماعيلية والعبيدية والقرامطة والنصيرية وغيرهم.

١٣) أكثر الخلفاء العباسيين حاربوا الشعوبيين إما لزندقتهم وبغضهم للدين الإسلامي لاعتقادهم بأنه دين العرب خاصة، أو لمحاولة قلب الحكم إلى فارسي مجوسي عن طريق التوصل إلى قصور الخلفاء والسيطرة عليها، ومناوأة الخلفاء في الحكم، كما حدث من البرامكة.

١٤) أيضا موقفهم الصارم من الصوفية الاتحادية الإلحادية، كالحلاج وأتباعه، وسائر الزنادقة الذين لم يكن لهم انتساب إلى فرقة أو طائفة معينة.

١٥) أن أكثر الخلفاء العباسيين قاموا بتطبيق الشروط العمرية على أهل الكتاب، وكان من أبرزهم في ذلك المتوكل والقادر.

١٦) أن أكثر الخلفاء العباسيين حاربوا سائر الكفار من أدعياء النبوة، عباد الأصنام، والراوندية، والمجوس، وغيرهم.

١٧) أن أبرز الخلفاء العباسيين في محاربة مظاهر الشرك هو الخليفة المتوكل، مع جهود الخلفاء الذين كانوا قبله، أما الذين جاؤوا بعده فلم يكن لهم جهود تذكر تجاه مظاهر الشرك، سوى ما ذكر من موقف المعتصم من المنجمين في حادثة عمورية – والمعتصم كان قبل المتوكل – وما كان من المعتضد والمكتفي تجاه كذب المنجمين.

١٨) أنه كما كان لأكثر خلفاء بني العباس باع كبير في نصر السنة، فقد كان لبعضهم دور في تأييد البدعة ونشرها، إما بسبب اقتناعهم عن جهل بها مع القوة في إدارة الحكم كالمأمون والمعتصم والواثق والناصر، أو بسبب الضعف في السيطرة على الحكم، وسيطرة المبتدعة عليه، كما حدث في زمن الراضي والمستكفي والمطيع والطائع والمستعصم، بل إن سقوط الدولة كلها والويلات التي لحقت الإسلام والمسلمين كانت بسبب ذلك.

أهم التوصيـــــــــــــــات

١) الاهتمام بدراسة الدول السنية عبر التاريخ والتي أقامت شعار الإسلام والسنة، وحاربت البدعة والمبتدعة كالدولة الأيوبية وغيرها، وفي المقابل أيضا دراسة الدول التي أقامت شعار البدع وأيدته ونشرته، ليرى القارئ مدى أثرها على العالم الإسلامي وما تركت فيه من ويلات وبدع قائمة إلى يومنا هذا.

٢) الحرص على دراسة مناهج المؤرخين في عرضهم لمذهب أهل السنة وشخصياته البارزة، وعرضهم أيضا للمخالفين لعقيدة السلف، ليتبين من ذلك عقيدة صاحب الكتاب، وبالتالي ينبني عليه مدى اطمئنان القارئ له ولكتابه، ومن ثم الأخذ منه من عدمه.

فهرس الآيات

﴿ زَوْجَهَا ... ﴾		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٥١	٤٠٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ... ﴾	٥٩	٧٦، ١٧٢
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤	٣٩٣
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾	٨٦	٤٤٤
﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾	٩٨	١٤٥
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠٠	٢١٧
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾	١٠٥	٢٣، ٢٥
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾	١٦٤	٨٣
﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾	١٧١	٣٦١

سورة المائدة		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾	٣	١٥٨، ٤٤٦
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾	٣٣	٨٠
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾	٥٦	١٦

سورة الأنعام		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ ﴾	٩٧	٤٠٥

سورة الأعراف		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾	٢٣	٢٢

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾	١١١	٢٣٢
﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	١٥٦	١٦١
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ... ﴾	١٥٧	١٥٤
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٣٥٩
﴿ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾	١٨٩	٤٣٣
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾	٢٠٤	١٦٢

سورة الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ ﴾	٩	٣٨٩
﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾	٣٩	١٩

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾	٣٣	٣٥٧
﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ ﴾	٣٦	٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾	٤٠	٣٥٧
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾	٧١	١٦
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ...﴾	١٠٠	١٣٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾	١٢٣	٢٩
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾	١٢٨	٢١

سورة يونس		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾	٩١	٣٤٥

سورة هود		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾	٤٧	٢٣

سورة يوسف		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي	١٠١	١٦٥

﴿ مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾		

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ ﴾	٢٦	٢٧٧

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ ﴾	٢٩	٢٦٨
﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾	٤٧	١٢٩

سورة النحل

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾	١٦	٤٠٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾	٩٠	١٦٥
﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٠٦	٤٣٥

سورة الإسراء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ ﴾	٢٦	٧٩
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾	٢٩	٨٠

﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾	٦٠	١١٩، ٣٤٥
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	٥٢٠

سورة الكهف		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	١٦٣-١٦٤

سورة مريم		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾	١٦	٣٨٣

سورة طه		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	٨٢
﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	٤٠٣، ٤٠٦
﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	١٦١
﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾	١١٧	٨٢

سورة الأنبياء		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا	٤٧	١٤٥، ١٦٤

حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾		
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾	٨٧	٢٣

سورة الحج		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾	٣٠	١٤٣
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾	٣٧	١٦٣

سورة النور		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٤٥٣

سورة الشعراء		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾	٢٢٧	٤٥٢

سورة القصص		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾	٥	٢٩٣

سورة لقمان		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾	١٧	١٥٤
﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾	٣٣	١٦٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾	٣٤	٤٠٥

سورة الأحزاب		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾	٢٥	٤٦١، ٤٦٢
﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٤٠	٣٦٥
﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾	٥١	٢٣٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾	٥٦	٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾	٧٠، ٧١	٢

سورة فاطر		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	١٤٣

سورة ص		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾	٧٥	٤٩٤

سورة الزمر		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾	٩	١٤٣

سورة غافر		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾	٣	١٧١
﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾	٨٤، ٨٥	٢٥٤

سورة الشورى		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٢٣	٣٧
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	٢٥، ٣٧

سورة الزخرف		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾	٣	٤٣١، ٤٣٣

سورة الجاثية		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٣٦١

سورة محمد		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٨٢

سورة الفتح		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	١٣٤
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ... ﴾	٢٩	١٣٤، ٣٢٧

سورة الحجرات		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾	١، ٢	٨٨، ٨٩
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾	٩	٢١٩
﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾	١٣	٣٠٩

سورة الذاريات		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ ﴾	٢٢	٤٣٨

سورة الحديد		
الآية	**رقمها**	**الصفحة**
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾	٢٠	١٦٤
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾	٢٤	٧٩

سورة المجادلة		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾	١١	١٤٣

سورة الحشر		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾	٢	٢٩٤
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾	١٠	١٢٩، ١٣٧

سورة الحاقة		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) ﴾	٦	١٩٣

سورة القيامة		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾	٢٢، ٢٣	٤٤٢

سورة المرسلات		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾	١٥	٤٢٤

سورة الانفطار

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	١٣ ـ ١٦	٢١٧

سورة المطففين

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾	١ ـ ٥	١٨٦

سورة الأعلى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾	١٤، ١٥	٢٢

سورة الزلزلة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾	٧، ٨	١٧٣، ١٧٦

سورة التكاثر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾	١، ٢	١٦٠

سورة الإخلاص		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾	١ ـ ٤	١٦٢، ٤٣٧

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

(أ)

١) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، أبو الريحان البيروني محمد بن أحمد الخوارزمي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، مؤسسة الخانجي ، مصر.

٢) الإبانة الكبرى ، أو الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق : جماعة من طلبة العلم الأفاضل ، دار الراية ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٣) *اتعاظ الحنفاء* بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٤) أحاديث يحتج بها الشيعة ، الحكم على أسانيدها ، وبيان فقه ما صح منها ، وإبطال استدلالاتهم بها ، تصحيح سوء فهمها ، عبدالرحمن محمد سعيد دمشقية .

٥) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل ، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٦) أحكام أهل الذمة ، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : يوسف أحمد البكري شاكر توفيق العاروري ، رمادي للنشر ، دار ابن حزم ، الدمام، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٧) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.

٨) أحكام القرآن ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ .

٩) أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤ هـــ – ٢٠٠٣ م.

١٠) أخبار أبي تمام ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق : خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندي ، المكتب التجاري ، بيروت .

١١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٣٢٢هـــ) إلى سنة (٣٣٣هـــ) ، من كتاب الأوراق ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، دار المسيرة، بيروت ، تحقيق : ج . هيورث . دن ، ط٣ ، ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م.

١٢) الأخبار الطوال ، لأبي خليفة أحمد بن داوود الدينوري ، طبعة مطابع بريل بمدينة لندن الطبعة الأولى ، سنة ١٨٨٨م ، تصحيح فلاديمير جرجيس.

١٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي يوسف القفطي، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، ١٣٢٦هـــ ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر.

١٤) أخبار القرامطة الأحساء والشام والعراق واليمن ، سهيل زكار ، دار حسان ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـــ – ١٩٩٢ م.

١٥) أخبار القضاة ، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي ، الملقب بوكيع ، تحقيق : عبدالعزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١ ، ١٣٦٦هـــ – ١٩٤٧م .

١٦) أدب الإملاء والاستملاء ، عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـــ – ١٩٨١م .

١٧) أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٨) أسباب البدع ومضارها ، محمد شلتوت ، تحقيق : عبد الآخر حمّاد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٩) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م — ١٩٩٧م .

٢٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري ، تحقيق : عادل مرشد ، دار الأعلام ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م ، الأردن – عمان.

٢١) الإسلام وضروريات الحياة ، عبد الله قادري الأهدل (الكتاب عبارة عن بحث موجود في الإنترنت بملف وورد) ط٢ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٢٢) الإسماعيلية تاريخ وعقائد ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور – باكستان ، مكتبة بيت السلام ، الرياض.

٢٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٤) أصول السنة ، الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : عمرو عبدالمنعم سليم ، دار السلام ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٢٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٢٦) أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدار قطني، محمد بن طاهر المقدسي أبو الفضل ، دار الكتب العلمية .

٢٧) أطلس تاريخ الإسلام ، حسين مؤنس ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٨) إغاثة المستفيد لشرح كتاب التوحيد ، صالح بن فوزان الفوزان ، مؤسسة الرسالة ناشرون.

٢٩) الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢.

٣٠) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .

٣١) الإعلام ، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م .

٣٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ،

٣٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسلام بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٦٢هـ .

٣٤) الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : : أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٣٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام المبجل أبي عبدالله أحمد بن حنبل، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ، تحقيق : يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٣٦) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي ، تحقيق : نيبرج ، مكتبة الدار العربية ، مصر ، أوراق شرقية ، لبنان ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ - ١٩٥٢م ، ط٢ ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٧) أنساب الأشراف ، أحمد يحيى البلاذري ، الجزء الأول ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، دار الفكر ، مصر .

٣٨) أنساب الأشراف ، أحمد يحيى البلاذري ، الجزء الرابع ، تحقيق : سهيل زكار ورياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٣٩) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو و الإجحاف ، أبو بكر جابر الجزائري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٥هـ .

٤٠) الأنوار الساطعة في المائة السابعة ، طبقات أعلام الشيعة القرن السابع ، آغابزرك الطهراني ، تحقيق ولده: علي نقي منزوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٢م .

٤١) أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، قاسم بن عبد الله أمير علي القونوي ، تحقيق : أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، دار الوفاء ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٤٢) الأوائل ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : وليد قصاب ومحمد المصري ، دار العلوم ، الرياض .

(ب)

٤٣) البدء والتاريخ ، المطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر.

٤٤) بدائع البدائة ، علي بن ظافر الأزدي ، طبعه مصر سنه ١٨٦١م.

٤٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين أبو بكر مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ، دار الحديث ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٤٦) البداية والنهاية ، ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

٤٧) البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، دار هجر ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٨) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، ج٢ ط١ ، ١٣٤٨هـ ، مطبعة دار السعادة ، مصر - القاهرة.

٤٩) بغية الطلب في تاريخ حلب ، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ابن العديم ، تحقيق : سهيل زكار ، المكتبة التجارية ، لمصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

٥٠) بهجة المجالس وأنس المجالس و شحذ الذاهن والهاجس ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، نقض تأسيس الجهمية ، أبو العباس شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة.

٥٢) البيان والتبيين ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق : المحامي نوري عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م .

(ت)

٥٣) تاج العروس من جوهر القاموس ، تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: جماعة من العلماء ، التراث العربي ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

٥٤) تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان، ط٤ ، الجزء الأول ، والأجزاء الستة الباقية منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

٥٥) تاريخ أبي يعلى ، المعروف بـ (ذيل تاريخ دمشق) ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بـ (ابن القلانسي) ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

٥٦) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة.

٥٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٥٨) تاريخ بغداد ، الخطيب أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩) تاريخ الدولة العلية العثمانية ، محمد فريديك المحامي ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٠) تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : قاسم الشماعي الرفاعي ، محمد العثماني ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - لبنان ، توزيع دار القلم ، بيروت - لبنان.

٦١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم بن ضياء العمري، دار طيبة ، الرياض، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٦٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٨م .

٦٣) تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الأمم والملوك) ، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

٦٤) التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، إبراهيم أيوب ، الشركة العالمية للكتاب ، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الأفريقية العربية، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٨٩م.

٦٥) تاريخ العلويين ، محمد أمين غالب الطويل ، مطبعة الترقي ، اللاذقية - سوريا ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

٦٦) تاريخ العصر العباسي ، أمينة البيطار ، منشورات جامعة دمشق ، دار الكتاب الجامعي، ط٤ ، ١٤١١ - ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ - ١٩٩٢م.

٦٧) التاريخ الكبير ، البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر.

٦٨) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي

المعروف بابن عساكر ، تحقيق : محب الدين الغمروي ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

٦٩) تاريخ المدينة المنورة ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري ، تحقيق : علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٧٠) تاريخ الموصل ، القس سليمان صائغ الموصلي ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٤٢هـ – ١٩٢٣م .

٧١) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذهب الفقهية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

٧٢) تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي ، الجزء الثاني ، مطبعة بريل في ليدن ، ١٨٨٣م .

٧٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الأخباري ، المكتبة المرتضوية ، النجف ، مطبعة الغري ، النجف.

٧٤) التبرك أنواعه وأحكامه ، ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١١هـ.

٧٥) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، طاهر بن محمد الإسفراييني ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م.

٧٦) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

٧٧) تحريم آلات الطرب، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الدليل ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٧٨) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابئ ، تحقيق: عبد الستار أحمد خراج ، مكتبة الأعيان .

٧٩) تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك ، نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي ، تحقيق : رضوان السيد ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٨٠) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، شمس الدين السخاوي ، تحقيق : أسعد طرابزوني الحسيني ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٨١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ،البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن – الهند ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م .

٨٢) التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية ، صالح بن فوزان الفوزان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٤ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٨٣) التدوين في أخبار قزوين ، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٨٤) تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية .

٨٥) ترتيب المدارك ، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، تحقيق : عبدالقادر الصحراوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ط٢ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٨٦) التسعينية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد بن إبراهيم العجلان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٧) التصوف .. المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة لاهور ، باكستان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٨٨) تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية ، موقع الإسلام ، التابع لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، المشرف العام : الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ .

٨٩) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٩٠) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩١) تفسير الكشاف ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٩٢) تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٩٣) تلبيس إبليس ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق: أحمد عثمان المزيد، دار الوطن ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٩٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، الملطي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧م.

٩٥) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام ، عبد المجيد بن سالم المشعبي ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٦) تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

٩٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزي جمال الدين أبو يوسف المزي ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط٤ ، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٥م.

٩٨) تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٩) التوحيد ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الإدارة العامة للتوعية والتوجيه .

١٠٠) التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع ، محمد بن نسيب الرافعي ، حلب ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٠٨م .

١٠١) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت - دمشق ، ١٤١٠هـ ، ط١ ، ت محمد رضوان الداية .

(ث)

١٠٢) الثقات لأبن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي السبتي ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، وزارة الحكومة العالية الهندية ، حيدر أباد الدكن ، ط١ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٠٣) ثمار القلوب في المضاف المنسوب ، الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٥م.

(ج)

١٠٤) الجامع الصغير في أحاديث التبشير والتنذير ، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بي أبي بكر السيوطي ، دار الفكر .

١٠٥) الجامع لإحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : محمد علي البردوني وإبراهيم أطيفش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٠٦) جدولة العصور التاريخية للدول الإسلامية من عصر ما قبل الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية (دليل عمل لتصنيف المؤلفات العربية) فؤاد علي جبر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٧) الجذور التاريخية للشعوبية ، عبد العزيز الدوري ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م.

١٠٨) الجرح والتعديل ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن - الهند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٥٢م- ١٢٧١هـ .

١٠٩) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، بعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألوسي ، مطبعة المدني ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٠) جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٥ ، القاهرة - مصر .

١١١) جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي ، خالد الصاعدي، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

(ح)

١١٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك و معه شرح الشواهد للعيني ، محمد بن علي الصبان ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، مصر.

١١٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : علي بن محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١٤) الحركات الباطنية في الإسلام ، مصطفى غالب ، دار الكاتب العربي ، بيروت.

١١٥) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمان الأردن ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ .

١١٧) الحوادث لمؤلف من القرن الثامن الهجري ، وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة لابن الفوطي ، تحقيق : بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.

١١٨) حواشي الشرواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، ابن حجر أحمد بن حجر الهيتمي، عبد الحميد الشرواني وأحمد بن قاسم العبادي ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

١١٩) الحيدة ، عبد العزيز الكناني ، تحقيق : جميل صليبا ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٢٠) الحيوان ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

(خ)

١٢١) الكفاية الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي ، تحقيق : محمد خليل هواس ، دار الكتب الحديثة ، مصر.

١٢٢) الخطط المقريزية المسمى (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، دار صادر ، بيروت.

١٢٣) الخلافة والدول في العصر العباسي ، محمد حلمي محمد أحمد ،كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(د)

١٢٤) درء عارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٥) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، ناصر العقل ، دار إشبيليا، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٦) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفات عبد الحميد ، دار النشر، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي من محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٢٨) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، البيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق : عبد المعطي قلعه جي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، دار الريان للتراث ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٩) الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين ، حسين محمد سليمان ، دار عالم الكتب ، الرياض – العليا ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

١٣٠) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، فيصل السامر ، مطبعة الإيمان ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٠م.

١٣١) ديوان أبي فراس الحمداني ، نخلة قلقاط ، مكتبة الشرف ، المطبعة الأدبية ، بيروت – لبنان ، ١٩١٠م.

(ذ)

١٣٢) ذكر أخبار أصبهان المسمى (بتاريخ أصبهان) ، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب الإسلامي ، ملتقى أهل الأثر .

١٣٣) ذيل الروضتين، الحافظ شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، تحقيق : محمد كوثري والسيد عزت الحسيني، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٤م.

١٣٤) الذيل على طبقات الحنابلة ، الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٥) ذيل مرآة الزمان ، قطب الدين موسى بن محمد اليونيني ، وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٣٦) ذيول تاريخ الطبري ، صلة تاريخ الطبري ، عريب القرطبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر – القاهرة .

(ر)

١٣٧) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣٨) الرد على الجهمية ، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، دار الأثير ، الكويت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٢م.

١٣٩) الرد على الشعوبية أو (العرب) ابن قتيبة ضمن رسائل البلغاء ، عنى بجمعها محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصطفى بابي الحلبي ، ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

١٤٠) الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية – ردود طائفة من علماء القرن السادس الهجري، تأليف: محمد بن أحمد الجوير، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٤١) رسائل البلغاء ، جمع: محمد كرد علي ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

١٤٢) رسالة جمل فتوح الإسلام ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ، ضمن جوامع السيرة ومعه خمس رسائل ، تحقيق : إحسان عباس ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٠٠م.

١٤٣) رسالة في الصحابة ، ابن المقفع ، ضمن رسائل البلغاء ، جمع محمد كرد علي ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

١٤٤) رفع الإصر عن قضاة مصر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد بن عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٤٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمد الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(ز)

١٤٦) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : شعيب أرناؤوط وعبد القادر أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت – الكويت ، ط١٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

١٤٧) الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ، سميرة الليثي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

(س)

١٤٨) سؤالات الآجري ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، تحقيق : محمد علي قاسم العمري ، الجامعة الإسلامية ،المدينة المنورة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٤٩) سراج الملوك ، أبو بكر الطرطوشي (محمد بن محمد بن الوليد القهري الطرطوشي المالكي) طبعة مصر ، ١٢١٩هـ - ١٨٧٢م .

١٥٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، الألباني محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ .

١٥١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، الألباني محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ .

١٥٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ، أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١م .

١٥٣) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله الثاني حاكم قطر .

١٥٤) السنة ، أحمد بن محمد هارون بن يزيد الخلال أبو بكر ، تحقيق : عطية الزهراني ، دار الراية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

١٥٥) السنة ، للحافظ عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ، تحقيق : محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ،بيروت - دمشق ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥٦) السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٦هـ.

١٥٧) سنن ابن ماجه ، أبي عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.

١٥٨) سنن أبي داود ، سليمان الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض .

١٥٩) سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٦٠) سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع الترمذي ، للحافظ محمد عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ .

١٦١) سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

١٦٢) السنن الكبرى ،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية لبنان - بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٦٣) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ، أبو عمرو الداني عثمان بن سعد المقرئ ، تحقيق : ضياء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

١٦٤) سير أعلام النبلاء ، الذهبي شمس الدين محمد أحمد بن عثمان ، تحقيق : شعيب أرناؤوط وجماعة من المحققين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٩ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م .

١٦٥) السيرة النبوية ، ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن سيار المطلبي المدني ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٦٦) سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأفلام ، مصطفى الشكعة ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

(ش)

١٦٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد الحنبلي العكري الدمشقي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

١٦٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، الحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة ، الرياض ، ط٥ ، ١٤١٨هـ .

١٦٩) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني ، تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، تحقيق عبدالكريم عثمان ، مكتبة وهبة .

١٧٠) شرح السنة ، للإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .

١٧١) شرح السنة ، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، تحقيق : خالد بن قاسم الردادي ، دار السلف ، دار الصميعي ، ط٣ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

١٧٢) شرح صحيح البخاري ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض .

١٧٣) شرح العقيدة الطحاوية ، القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٧٤) شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، الدمام وجدة والرياض – المملكة العربية السعودية ، ط٦ ، ١٤٢١هـ .

١٧٥) شرح القواعد الفقهية ، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، علق عليه مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم ، سوريا – دمشق ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٧٦) شرح مختصر الروضة ، سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي الصرصري ، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

١٧٧) شرح النووي على صحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن مشرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .

١٧٨) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، أبو عبدالله عبيدالله بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، دار العلوم والحكم ، سوريا ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

١٧٩) الشريعة ، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق : عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن للنشر ، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٨٠) شعب الإيمان ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد وبسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

١٨١) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م .

١٨٢) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، زاهية قدورة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢م .

١٨٣) الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمان — الأردن ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

١٨٤) الشفاعة ، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، دار الأرقم ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

(ص)

١٨٥) الصابئة – الزرادشتية – اليزيدية ، أسعد السحمراني ، دار النفائس ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٨٦) الصحاح في اللغة ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٠م .

١٨٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان ابن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٨٨) صحيح البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، دار السلام ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

١٨٩) صحيح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٩٠) صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٩١) صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

١٩٢) صحيح سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٩٣) صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار المغني ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١٩٤) صحيح وضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١٩٥) صحيح وضعيف الجامع الصغير (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٩٦) صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري ، تحقيق : لافي بروفنصال ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٩٧) الصفدية ، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

١٩٨) الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ، ابن القيم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد ، تحقيق علي بن محمد الدخيل ، دار العاصمة ، ط٣ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

١٩٩) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، جلال الدين السيوطي ، تعليق : علي سامي النشار ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، مطبعة السعادة ، مصر .

(ض)

٢٠٠) ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، الهيئة المصرية العامة ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى والثانية ، الجزء الثالث والسابع ، مصر.

٢٠١) الضعفاء والمتروكين ، الدار قطني علي بن عمر بن أحمد، تحقيق : محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي ، بيروت دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٠٢) الضعفاء والمتروكين ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٠٣) ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،١٤٠٨هـ.

٢٠٤) ضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ،الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠٥) ضعيف سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ،الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(ط)

٢٠٦) طائفة الدروز .. تاريخها وعقائدها ، محمد كامل حسين ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م .

٢٠٧) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، القاهرة .

٢٠٨) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، دار المعارف ، مصر.

٢٠٩) الطبقات الكبير ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢١٠) الطرق الحكمية في السياسية الشرعية ، ابن القيم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد ، تحقيق : محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ، القاهرة .

٢١١) الطواسين ، الحلاج .

(ع)

٢١٢) العبر في خبر من غبر ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٢١٣) عبقرية الصديق رضي الله عنه ، عباس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .

٢١٤) العدة في أصول الفقه ، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء ، تحقيق : أحمد بن علي بن سير المباركي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٢١٥) العرف الشذي شرح سنن الترمذي ، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، تحقيق : محمود أحمد شاكر ، مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع ، ط١ .

٢١٦) عصر الخلافة الراشدة ، أكرم ضياء العمري ، مكتبة العبيكان .

٢١٧) العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : مفيد محمد قمحية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .

٢١٨) العقيدة (رواية مسدد بن مسرهد) ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : عبدالعزيز عز الدين السيروان ، دار ابن قتيبة ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٢١٩) العلل الصغير ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت–لبنان.

٢٢٠) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

٢٢١) العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن

الدار قطني البغدادي ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٢٢) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، صالح بن مهدي المقبلي ، ط١ ، مصر ، ١٣٢٨هـ .

٢٢٣) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله العربي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ.

٢٢٤) العين ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، ط٢ ، إيران ، ١٤٠٩هـ .

٢٢٥) عيون الأخبار ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

٢٢٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ (ابن أبي أصيبعة) ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٢٢٧) عيون المناظرات ، أبو علي عمر السكوني ، تحقيق : سعد غراب ، منشورات الجامعة التونسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٧٦م .

٢٢٨) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مؤلف مجهول، تحقيق: عمر السعيدي ، دمشق ، ١٩٧٣م .

(غ)

٢٢٩) غاية الأماني في الرد على النبهاني ، محمود شكري الآلوسي أبو المعالي ، طبع على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح (وقف لله تعالي).

٢٣٠) غياث الأمم في التياث الظلم ، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ، تحقيق : مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الإسكندرية – مصر ، ١٤٠٠هـ.

(ف)

٢٣١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

٢٣٢) الفتن ، نعيم بن حماد المروزي أبو عبدالله ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٣٣) فتوح البلدان ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق : عبدالله بن أنيس الطباع وعمر بن أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٣٤) الفتوى الحموية الكبرى ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية ، تحقيق : حمد بن عبدالمحسن التويجري ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٢٣٥) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، دار صادر ، بيروت .

٢٣٦) الفرج بعد الشدة ، القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط٢ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٢٣٧) فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، ابن طاوس .
٢٣٨) الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
٢٣٩) فرق الشيعة ، سعد بن عبدالله القمي والحسن بن موسى النوبختي ، تحقيق : عبدالمنعم الحفني ، دار الرشد ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٤٠) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٤١) الفصل في الملل والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٤٢) فضائح الباطنية ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، دار الكتب الثقافية ، الكويت .
٢٤٣) فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٢٤٤) الفلسفة الصوفية في الإسلام .. مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة ، عبدالقادر محمود ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦م .
٢٤٥) الفهرست ، للنديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ، تحقيق : رضا تجدد ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف .
٢٤٦) فوات الوفيات ، محمد شاكر الكتبي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣م – ١٩٧٤م .

٢٤٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبدالرؤوف المناوي ، تحقيق : ماجد الحموي ، المكتبة التجارية ، مصر ، ط١ ،١٣٥٦هـ .

(ق)

٢٤٨) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ، دار القاسم ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤٩) القاموس المحيط ، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي ، المطبعة الأميرية ، ط٣ ، ١٣٠١هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٥٠) القول السديد شرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : صبري سلامة شاهين ، دار الثبات ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

(ك)

٢٥١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الذهبي ، ومعه حاشية سبط ابن العجمي ، تحقيق محمد عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، جدة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٥٢) الكافي في فقه الإمام أحمد ، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٥٣) الكامل في التاريخ ، محمد بن محمد بن عبدالواحد الشيباني ابن الأثير ، تحقيق : أبو الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٥٤) الكامل في الضعفاء ، ابن عدي عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد بن أحمد الجرجاني ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٢٥٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي ، تحقيق : علي دحروج وجماعة ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م .

٢٥٦) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل أو الفضائل الحمادي المعافري ، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٢٥٧) كليلة ودمنة ، بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمه إلى العربية في صدر الدولة العباسية: عبدالله بن المقفع ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ، ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٩٣٧ .

٢٥٨) كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، تحقيق : بكري حياني وصفو السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(ل)

٢٥٩) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، تحقيق : أمين محمد عبدالوهاب ومحمد صادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٢٦٠) لسان الميزان، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية ، الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٦١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(م)

٢٦٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، أحمد بن عبدالله القلقشندي ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

٢٦٣) المبسوط ، شمس الدين السرخسي ، تحقيق : جماعة من أهل العلم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

٢٦٤) المجالسة وجواهر القلم ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية ، البحرين، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٢٦٥) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٦٦) مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء .

٢٦٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢٦٨) مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني أبو العباس ،

دار عالم الكتب ، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٢٦٩) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبدالرؤوف محمد عثمان ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، ١٤١٤هـ .
٢٧٠) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .
٢٧١) المحلى ، ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ومحمد منير الدمشقي وعبدالرحمن الجزيري ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٢هـ ، مطبعة النهضة ، مصر .
٢٧٢) المحيط في اللغة ، الصاحب إسماعيل بن عباد ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٧٣) مختصر تاريخ دمشق ، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي ، تحقيق : جماعة من المحققين ، دار الفكر ، سوريا – دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٧٤) المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفداء ، المطبعة الحسينية ، ط١ .
٢٧٥) المدخل ، ابن الحاج أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٢٧٦) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب ، بكر بن عبدالله أبو زيد بن محمد بن عبدالله ، دار العاصمة ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة ، ط١، ١٤١٧هـ .
٢٧٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمد عبدالله

بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٧٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ط٥ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٢٧٩) مسألة في الكنائس ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٨٠) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، إسحاق بن منصور المروزي ، تحقيق : عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م .

٢٨١) المستدرك على الصحيحين ، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٢٨٢) مسند الإمام أحمد ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

٢٨٣) مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة.

٢٨٤) مسند الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٢٨٥) مصنف ابن أبي شيبة (المصنف في الأحاديث والآثار) ، أبو بكر عبدالله بن محمد ابن شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ،

١٤٠٩هـ .
٢٨٦) مصنف عبدالرزاق ، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .
٢٨٧) المطلع على أبواب الفقه ، أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٨٨) المعارف ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٤ .
٢٨٩) معالم السنن ، (شرح سنن أبي داوود) ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، المطبعة العلمية ، حلب ، ط١ ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .
٢٩٠) معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث ، عبدالله صالح العجيري ، راجعه : عدد من طلبة العلم ، ملف وورد في الانترنت ، (المكتبة الشاملة).
٢٩١) المعتزلة ، زهدي جار الله ، الأهلية للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٢٩٢) المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
٢٩٣) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، عواد عبدالله المعتق ، دار العاصمة، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
٢٩٤) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٢٩٥) المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض

الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .
٢٩٦) معجم البلدان ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، دار الفكر ، بيروت.
٢٩٧) معجم الشعراء ، أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق : فاروق اسليم ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
٢٩٨) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت — لبنان ، ١٩٨٢م .
٢٩٩) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
٣٠٠) معجم لغة الفقهاء ، عربي — انجليزي ، محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي ، دار النفائس ، بيروت — لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٣٠١) معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقه ، نزيه كمال حماد ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣٠٢) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٣٠٣) المعجم الوسيط ، جماعة من المؤلفين ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٣٠٤) المعرفة والتاريخ ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
٣٠٥) معيد النعم ومبيد النقم ، تاج الدين عبدالوهاب السبكي ، تحقيق : محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد بو العيون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٣٠٦) المغازي ، أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم

الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣٠٧) المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد بن علي بن المطرز ، تحقيق : محمود فاخوري وعبدالحميد مختار،مكتبة أسامة بن زيد،حلب،ط١، ١٩٧٩م.

٣٠٨) المغني ، أبو محمد موفق الدين محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : عبدالله التركي وعبدالفتاح محمد الحلو ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٣٠٩) مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣١٠) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٣١١) مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصبهاني ، انتشارات الشريف الرضي ، مطبعة أمير ، قم، ط٢ ، ١٤١٦هـ - ١٣٧٤م .

٣١٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق: نعيم زرزور ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

٣١٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : بسام عبدالوهاب الجابي ، الناشر : الجفان والجابي ، قبرص ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣١٤) الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق : أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٣١٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٣هـ - ١٩٧٣م .

٣١٦) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ، مصر – الجيزة ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٣١٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣١٨) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٣١٩) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس الغرب – ليبيا .

٣٢٠) المنية والأمل ، القاضي عبدالجبار الهمذاني ، جمع : أحمد المرتضى ، تحقيق : عصام الدين محمد علي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥م .

٣٢١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف (بالخطط المقريزية) ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ، دار صادر ، بيروت .

٣٢٢) المواقف في علم الكلام ، عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ، عالم الكتب ، بيروت .

٣٢٣) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية، ط١١ ، ١٩٩٦م .

٣٢٤) الموسوعة الحديثية (مسند الإمام أحمد بن حنبل) المشرف العام : عبدالله بن

عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

٣٢٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف : مانع الجهني ، دار الندوة العالمية ، الرياض ، ط٥ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٣٢٦) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبدالوهاب محمد المسيري ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٣٢٧) الموضوعات ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي القرشي ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، ط١ ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٣٢٨) موطأ مالك ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر .

٣٢٩) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٣٣٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣ .

(ن)

٣٣١) نثر الدر ، أبو سعد منصور الحسين الآبي ، تحقيق : خالد عبدالغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

٣٣٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٣٣٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن الأنباري ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن — الزرقاء ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣٤) نسب معد واليمن الكبير ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : ناجي حسن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣٣٥) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي ، تحقيق: عبود الشالجي ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٣٣٦) نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، دار القادري، بيروت، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣٣٧) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين، أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي، مكتبة ابن القيم ، الدوحة — قطر ، دار الصميعي ، ط٣ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٣٣٨) نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٣٣٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان .

٣٤٠) النهاية في الفتن والملاحم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث ، القاهرة .

(هـ)

٣٤١) هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، ١٩٩٦م .

٣٤٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار الريان للتراث ، دار المطبعة السلفية ، القاهرة .

٣٤٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(و)

٣٤٤) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٣٤٥) وجاء دور المجوس ، الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية ، عبدالله محمد الغريب ، ١٩٨١م .

٣٤٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٣٤٧) الولاية العامة للمرأة في الفقه الإسلامي ، محمد طعمة القضاة ، دار النفائس ، ط١.

(ي)

٣٤٨) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري ، تحقيق: مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٤٩) اليزيدية .. أحوالهم ومعتقداهم ، سامي سعيد الأحمد ، بغداد ، ١٩٧١م .

٣٥٠) اليزيديون .. ماضيهم وحاضرهم ، السيد عبدالرزاق الحسني ، مطبعة العرفان ، صيدا – لبنان ، ط٣ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

فهرس الموضوعات